

اتحاد الجامعات العربية



جمعية كليات الآداب

مجلة اتحاد الجامعات العربية

للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

تصدر عن جمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية

المجلد الخامس العدد الثاني 1429هـ/2008م

تنضيد واخراج: مجدي الشناق

هيئة التحرير

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب
مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

القواعد الناظمة للمجلة

- **مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب** مجلة علمية نصف سنوية محكّمة معتمدة تصدر عن جمعية كليات الآداب في الجامعات الأعضاء في اتحاد الجامعات العربية.
- يقدم البحث للنشر باللغة العربية مع ملخص له باللغة الانجليزية، ويجوز أن يقدم بإحدى اللغتين الإنجليزية أو الفرنسية أو أية لغة أجنبية أخرى تتيسر طباعتها بموافقة هيئة التحرير مع تقديم ملخص له باللغة العربية.
- تنشر المجلة البحوث العلمية التي تتوافر فيها الأصالة والمنهجية العلمية والإحاطة والاستقصاء، والتي تراعى فيها الإشارات الدقيقة إلى المصادر والمراجع، ولم تقدم للنشر في أي مكان آخر، ويجوز نشر نقد متخصص أو مراجعة لأحد المؤلفات العلمية الصادرة في الوطن العربي أو خارجه بالإضافة لنشر تقارير عن الندوات والمؤتمرات التخصصية العربية والعالمية، وتعد البحوث التي تقبل للنشر بحوثاً معتمدة لأغراض الترقية.
- تعنى المجلة بنشر البحوث العلمية المقدمة إليها في مجالات الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية والخدمة الاجتماعية والصحافة والإعلام.
- أن يكون البحث مرقوناً على الحاسوب وبمسافة مزدوجة بين السطور، وتقدم أربع نسخ منه مع قرص مرن قياس 3.5 انش، متوافق مع أنظمة (IBM (Ms Word.
- أن لا يزيد عدد صفحات البحث بما فيها الأشكال والرسوم والجداول والملاحق على ثلاثين صفحة.
- تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة حال قبولها مبدئيا على محكمين اثنين في الأقل من ذوي الاختصاص، يتم اختيارهما بسرية مطلقة من رئيس التحرير.
- تحتفظ المجلة بحقها في الطلب من المؤلف أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه أو أي جزء منه بما يتناسب وسياستها في النشر.
- تنتقل حقوق طبع البحث ونشره إلى المجلة عند إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر .
- لا تدفع المجلة مكافأة عن البحوث التي تنشر فيها.
- تهدي المجلة لمؤلف البحث بعد نشره نسخة العدد الذي نشر فيه.

- ترسل البحوث على العنوان التالي: -

الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب،

رئيس تحرير مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

كلية الآداب – جامعة اليرموك، اربد، الأردن

هاتف :00962 2 7211111

فاكس :00962 2 7211137

البريد الإلكتروني: e-mail: saufa@yu.edu.jo

الموقع الإلكتروني:website: http://saufa.yu.edu.jo

التوثيق

ترقم الإحالات في متن البحث بطريقة متسلسلة، بين قوسين صغيرين( )

وتكون هوامش الإحالة إلى المصادر والمراجع في نهاية البحث على النحو التالي، في حالة أن يكون المصدر أو المرجع كتاباً:

إسم المؤلف كاملاً: **المصدر أو المرجع**، عدد الأجزاء، مكان النشر،الناشر، السنة، الصفحة.

ضيف، شوقي: **العصر العباسي الأول**، مصر، دار المعارف، 1966، ص 24.

وفي حال الرجوع إلى الدوريات أو المجلات تكون الإحالة إليها على النحو التالي:

إسم المؤلف كاملاً: عنوان البحث، **إسم الدورية أو المجلة**، المجلد، العدد، السنة، الصفحة.

مثال:

سعيدان، أحمد سليم: "حول تعريب العلوم"، **مجلة مجمع اللغة العربية الأردني**، المجلد الأول، العدد الثاني، تموز 1978، ص101.

وتثبت في آخر البحث قائمة بالمصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في بحثه حسب التسلسل الألف بائي لاسم المؤلف العائلي، بحيث تذكر المراجع العربية أولاً ثم تليها المراجع الأجنبية.

الاشتراك في المجلة

الاشتراك السنوي للأفراد: ثلاثة دنانير داخل الأردن وسبعة دولارات أمريكية أو ما يعادلها خارج الأردن وللمؤسسات خمسة دنانير داخل الأردن وعشرة دولارات أمريكية أو ما يعادلها خارج الأردن.

محتويات العدد

البحوث باللغة العربية

البحوث باللغة الإنجليزية

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة العدد:

هذه المجلة العلمية المحكمة التي تم تأسيسها عام 2000م بغية توفير المناخ الأكاديمي المناسب لنشر بحوث الباحثين والمفكرين فيها، جاءت تلبية لاحتياجات أعضاء الهيئة التدريسية في كليات الآداب في جامعات الوطن العربي لتزويدهم بالمعرفة العلمية والبحوث الرصينة في المجالات الأنسانية والاجتماعية، ونشر أفكارهم وأعمالهم فيها، حيث أن هذا العمل ما هو إلا أمانة ومسؤولية، والتزام علمي وأدبي وله استراتيجية هامة وأساسية لمجلة اتحاد الجامعات العربية ولهيئة التحرير فيها.

وأود أن أشير هنا أن هذه المجلة ترحب دائماً بمساهمات الباحثين، ونتطلع دائماً لتلقي المزيد من الرؤى والأفكار التي تهتم بدراسة الظواهر والقضايا الأنسانية والاجتماعية التي تخدم المجتماعات العربية، وخاصة في مجالات اللغات الأجنبية، والاجتماع، والسياسة، والتاريخ، والإعلام، والانثروبولوجيا، والخدمة الاجتماعية، والآثار لتجنب اعتماد المجلة على بحوث اللغة العربية لوحدها التي تردنا بشكل كبير، آملين أن توظف القدرات والطاقات الإبداعية لدى الباحثين في هذه المجالات.

ونحن نعدكم دائما بتقديم الأفضل من حيث جودة البحوث وتميزها وما هو نافع للإنسان والوطن نسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد للجميع.

أ.د. فهمي الغزوي

رئيس التحرير
أمين عام جمعية كليات الآداب للجامعات
للجامعات في اتحاد الجامعات العربية
جامعة اليرموك - الأردن

Subscription Form

Association of Arab Universities Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Published at Yarmouk University, Irbid, Jordan by the Society of Arab Universities Faculties of Arts, Members of AARU.

قسيمة اشتراك

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب

مجلة علمية نصف سنوية محكّمة

تصدر في جامعة اليرموك، اربد، الأردن، عن جمعية كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية.

Name: .... :الاسم

Address: .... :العنوان

P.O. Box: .... :ص.ب.

City & Postal Code: .... :المدينة والرمز البريدي

Country: .... :الدولة

Phone: .... :هاتف

Fax: .... :فاكس

E-mail: .... :البريد الإلكتروني

No. of Copies: .... :عدد النسخ

Payment: .... :طريقة الدفع

Signature: .... :التوقيع

ترسل الشيكات المصرفية مدفوعة لصالح "جمعية كليات الآداب، كلية الآداب، جامعة اليرموك، اربد، الأردن."

Cheques should be paid to The Society of Arab Universities Faculties of Arts, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.

I would like to subscribe to the Journal — أرغب الاشتراك بالمجلة

For — لمدة

- One Year — سنة واحدة
- Two Years — سنتان
- Three Years — ثلاث سنوات

أسعار الاشتراك السنوي
One Year Subscription Rates

	داخل الأردن Inside Jordan	خارج الأردن Outside Jordan
الأفراد Individuals	3 دنانير JD 3.00	7 دولار أمريكي US $ 7
المؤسسات Institutions	5 دنانير JD 5	10 دولار أمريكي US $ 10

سعر النسخة الواحدة (دينار أردني)
One Issue Price

Standard Price JD 2.000 — سعر البيع العادي 2.000 ديناران

Students JD 1.300 — سعر البيع للطلبة 1.300 دينار

40% Discount for Bookshops — خصم 40% للمكتبات ومراكز البيع

Correspondence — المراسلات

Subscriptions and Sales:

Secretary General
The Society of Arab Universities Faculties of Arts
Editor – in -Chief
Association of Arab Universities Journal for Arts
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
Tel . 00962 2 7211111 Ext. 3555
Fax. 00962 2 7211137

مراسلات البيع والاشتراكات:

الأستاذ الدكتور أمين عام جمعية كليات الآداب.
رئيس تحرير "مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب"
كلية الآداب – جامعة اليرموك، اربد، الأردن.
هاتف: 00962 2 7211111 فرعي 3555
فاكس : 00962 2 7211137

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد5 العدد 2، 2008، ص ص 275- 297

دنيوية"النص الأدبي لدى إدوارد سعيد":

قراءة في المصطلح

جمال مقابلة و علي عشا *

ملخص

يدرس هذا البحث مصطلح "الدنيوية"، أدبياً ونقدياً، وهو الذي اتخذ أبعاداً مهمة في فكر "إدوارد سعيد" النقدي. وتتصل "الدنيوية" بعامة بمفهوم "القرب" و"البعد" في سياقاتها الدلالية، وتتعاقب "الدنيوية" و"العلمانية" على "النصوص الأدبية" في محاولتهما كشف هوية هذه النصوص؛ باعتبارها نصوصاً واقعة في الزمان وشروط الواقع، والنسبية؛ أي داخلة في "الدنيا". وتتصل "الدنيوية" بالمعرفة، وبالفصل الحاسم بين النصوص الأدبية والأخلاق بمفهومها العام. ويحاول هذا البحث الكشف عن مغزى "الدنيوية" بوصفها إستراتيجية نقدية وثقافية مقاومة لتردّي الواقع، ومقاومة للمركزية الغربية، وما نتج عنها من حالة الاستقطاب الحاد بين الفكرة الغربية والفكرة الشرقية.

ويسعى هذا البحث كذلك إلى تأصيل رؤية "للدنيوية" بدلاً من "صدام الحضارات" أو "صدام الجهالات"، على حد تعبير إدوارد سعيد، عبر التحوّل من البنوّة إلى التبني الثقافي، للمساهمة في إعادة بناء التوازن في هذا العالم.

المقدمة

تتجلّى "الدنيوية/ *Worldliness*"، مصطلحاً نقدياً، لدى إدوارد سعيد فتتعيّن بها النصوص الأدبية في الوجود، متصّلة بزمانها ومكانها وبيئتها وواقعها المادّي؛ وواقعة في الظرفية والنسبية؛ أي تظهر نصوصاً في الدنيا، ضامنة للتلوّث بظروف الزمنية وشروط الواقع.

وتتّصل "الدنيوية/ *Worldliness* " مصطلحاً نقدياً بمفهوم "القرب" و"البعد" في سياقاتها الدلالية، ووقوعها؛ أي النصوص الأدبية، في شرك الزمنية والواقع في مغزاها الوجودي، وارتباطها بالمعرفة منتجاً ثقافياً، وخبرة، وتجربة إنسانية، تمثّل جانباً من وجود الحياة الإنسانية في "الدنيا"، والفصل الحاسم بين النصوص الأدبية والأخلاق –بمفهومها العام- في سياقها العلماني.

* قسم اللغة العربية وآدابها ، كلية الآداب، الجامعة الهاشمية ، الزرقاء ـ الأردن.

وترد "الدنيوية/ *Worldliness*" –كذلك- إستراتيجية نقدية وثقافية، تسعى إلى وضع النقد في قلب العالم السياسي والاقتصادي والاجتماعي؛ أي في قلب العالم، عبر نزعةٍ مقاومة لشقوق الواقع وتردّيه من جهة، ومقاومةٍ "للمركزية" الغربية التي تحوّلت إلى أصولية ثقافية، جسّدت حالة الاستقطاب الحادّ بين ما "لنا" وما "لهم"، أي بين الفكرة الغربية والفكرة اللاغربية على إطلاقها، واختزال العالم إلى دائرتي المقدّس والمدنّس، مما هدّد بانفجار صراع الثقافات والحضارات.

ويسعى هذا البحث إلى تجلية "الدنيوية" مصطلحاً أدبياً ونقدياً، وإستراتيجية مقاومة عبر التحوّل من البنوّة إلى التبنّي الثقافي، ومن "القرابة" إلى "التقرّب" الثقافي، وذلك لتفكيك المركزية الفكرية الغربية، التي تكوّرت حول ذاتها، وقاربت على الوصول إلى حالة من الانغلاق عن الآخر، فيؤمل من "الدنيوية/ *Worldliness*" كذلك أن تقوم بالمساهمة في تعزيز الحوار بين الحضارات بدلاً من "صدام الجهالات"؛ لذا يتخذ هذا البحث المحاور الآتية أساساً له:

1- "الدنيوية/ *Worldliness* " والمقاربة الفيلولوجية.

2- "الدنيوية/ *Worldliness* " والمقاربة الاصطلاحية.

3- "الدنيوية/ *Worldliness* " والمقاربة النقدية.

4- "الدنيوية/ *Worldliness* " ونقد "المركزية" الغربية.

الدنيوية والمقاربة الفيلولوجية

ثمّة تداخل بين الدنيوية/*Worldliness* والعلمانيةِ/*Secularism* في حقل الدلالة المعجمية، فكلمة (علماني/*Secular*)؛ تعني أن المرء لا ينتمي إلى دين، و (دنيوي/*Worldly*)؛ تعني أنه غير مقدّس، أو غير رهباني، وترد *(Secularism)* بمعنى لا دينية، أو دنيوية علمانية؛ إذ علمانية التعليم مثلاً تعني عدم إدخال الدين في مناهج التعليم، وعدم اعتبار الدين في أمور المعيشة، و *(Secularist)* لا ديني/علماني، و*(Secularity)* لا دينية/دنيوية/علمانية؛ لذا فالمذهب العلماني الدنيوي يقضي بأن تستبدل الرقابة العقلانية بالسحر والدين؛ إذ المجتمعات المقدّسة تتسم نواحي الحراك الاجتماعي فيها بطابع سحري وديني، بينما تحلّ الصفة العقلية والأساس العلمي محلّ الطابع السحري والديني في المجتمعات العلمانية الدنيوية[1].

ومن هنا تستحوذ على المجتمع العلماني الدنيوي *(Secular Society)* – بالمفهوم الحديث والمعاصر - القيم النفعية والعقلانية، فيتسم بالحيوية من حيث التغيير والتجديد، ولا يهتم بالمقدّسات أو القيم المتصلة بالتقاليد والنزعة المحافظة. ويقابله المجتمع التقليدي، وتنبثق الدولة العلمانية *(Secular State)* انبثاقاً طبيعياً عن المجتمع الدنيوي، حيث دستورها لا ينصّ

على دين أو مذهب معين، ويتساوى مواطنوها على اختلاف عقائدهم الدينية في جميع الحقوق، وتكون المواطنة (لا الدين) هي الأساس في عملية الانتماء السياسي والاجتماعي(2).

ويرجع التداخل بين الدنيوية/*Worldliness* والعلمانية/*Secularism* في هذا السياق إلى أن العلمانية ترتد في أصلها إلى "العالمانية" وهو اشتقاق تركي من كلمة العالم" استخدم وتبلور في الدولة العثمانية المتأخرة [ورد استعماله سنة 1839] إشارة إلى أن أمور العالم يجب أن تكون محكومة بقوانين الصواب والصحة المستمدة من هذا العالم وحده دون أن يكون للمؤسسة الدينية دخل بهذه الأمور"(3). أما الدنيوية فهي تعني كذلك الدنيا في العربية كما تعني العالم، ويؤكد ذلك اشتقاقها الإنجليزي من "*World*" وقد استخدم إدوارد سعيد هذا المصطلح في كتابه الاستشراق/*Orientalism* أول ما استخدمه حيث أورده عنوانًا فرعيًا (*Worldliness Orientalism's*)(4) من عنوانات الفصل الثالث (*Orientalism Now*) في الكتاب، وقد ترجمه كمال أبو ديب بـ (دنيوية الاستشراق)(5). وكان سعيد يقصد به مدى خضوع المستشرقين في كتاباتهم لشروط الواقع الموضوعي والظروف الدنيوية التي تكتنفهم، ومدى خضوعهم لشروط العيش في هذا العالم الطبيعي. ودعواهم بأنهم تجريبيون وعلميون وغير خاضعين لفكر ديني أو تصورات غيبية في رسم صورة الشرق وتمثيله في أذهانهم وفي كتاباتهم(6).

وربما التبس الأمر أكثر، على صعيدي اللغة والترجمة حين جعل سعيد مقدمة كتابه *The World, the Text, and the Critic*)(7) تحت عنوان (*Secular Criticism*) وخاتمته تحت عنوان (*Religious Criticism*)، فجاء مترجم الكتاب إلى العربية عبد الكريم محفوض بالترجمة التالية لهما: "النقد الدنيوي" و"النقد الديني" وتبعه في ذلك آخرون(8)، أما فريال جبوري غزول فقد ترجمت المقدمة بـ" النقد العلماني" وذلك في عرضها الكتاب في مجلة فصول سنة صدوره 1983م، وتبعها أيضًا في ذلك آخرون(9)، مع الإشارة إلى أنها لم تورد في مقالها ذاك كلمة "الدنيوية" مفضلة استعمال "النص والحياة" بدلاً من" دنيوية النص" التي أنس إليها كمال أبو ديب من قبل. وكان هناك من جمع بين الترجمتين معا(10).

وتتكثّف دلالات "المقاربة" و"القرب" و"القريب" حول "الدنيوية" في سياق المصادر المعجمية التي تختزن ذاكرة هذا اللفظ، ضمن أنساق الوعي الثقافي والاجتماعي والديني، وكذلك الاستعمال اليومي؛ فالدنيُّ هو القريب، وسميّت "الدنيا" لدنوّها، والنسبة دُنياويّ، والدنيُّ من الرجال: الضعيف الدُون؛ لأنه قريب المأخذ والمنزلة. ودانيت بين الأمرين: قاربت بينهما. والأدنأ من الرجال: الذي فيه انكباب على صدره؛ لأن أعلاه دانٍ من وسطه. وأدنت الفرس وغيرها، إذا دنا نتاجها، والدّنية: النقيصة، ويقال لقيته أدنى دنيٍّ؛ أي أوّل كلّ شيء(11).

وتتقاطع حقول الدلالة العامّة "للدنيوية" في المعاجم العربية، وتأخذ أبعاداً دينية في معجم "لسان العرب"، فالدنيا سمّيت بذلك؛ لأنها دنت وتأخّرت الآخرة، وكذلك السّماء الدنيا هي القربى إلينا، والنسبة إلى الدنيا دُنْياوي ودُنيوي ودُنْيِيُّ، والدنيا نقيض الآخرة. وفي حديث الحجّ: الجمرة الدنيا أي القريبة إلى منى، وهي فُعْلى من الدنوّ، والدنيا اسم لهذه الحياة لبعد الآخرة عنها. وقال ابن بري: قال الهروي الدّنيُّ الخسيس، ومنه قوله سبحانه:﴿ أتستبدلون الذي هو أدنى﴾[12]؛ أي الذي هو أخسّ، وقال الزجّاج في معناه: أي أقرب، وأقلّ قيمة، وقوله عزّ وجلّ: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾[13] عذاب الآخرة. والدنيُ من الرجال: السّاقط الضعيف، والجمع أدنياء، وتدانت إبل الرجل: قلّت وضعفت، ودنّى فلان: طلب أمراً خسيساً [14].

أما "العلمانية/*Secularism*" فقد شاعت ترجمتها على هذه الشاكلة وهي ترجمة ملبسة؛ لأن الدلالة فيها على العالم بفتح اللام لا تكاد تبين عن شيء؛ إذ أصلها "العالمانية" وهي اشتقاق تركي كما سلف القول، كما أن اشتقاق المصدر الصناعي منها، أو النسبة إليها تثير إشكالاً في المعنى، فما المقصود بالعلمانية أو العالمانية في اللغة العربية؟ لذلك فقد ترجم منير البعلبكي (*Secularism*) بـ "الدنيوية" حسب[15]، ولم يرتض لها الشائع بـ "العلمانية" مطلقًا، ولعله يلمح بذلك إلى أن الدنيوية تقابل الدينية وهذا هو المقصود بها في الفكر الغربي عمومًا. وكذلك الدنيوية في العربية تقابل الأخروية، فكل ما هو أخروي حريّ به أن يكون دينيًا، أما الدنيوي فقد يكون بعيدًا عن الديني في الأعم الأغلب.

أضف إلى ذلك أن كلمة "العالم" لم تشع في العربية مفردة في الاستعمال، إذ جاءت بصيغة الجمع في القرآن الكريم دائمًا باطراد مع كثرة الورود هكذا "العالمين" والعالمون: أصناف الخلق، والعالم الخلق كله... ولا واحد للعالم من لفظه لأن عالماً جمع أشياء مختلفة، فإن جعل عالم اسمًا لواحد منها صار جمعًا لأشياء متفقة، والجمع عالمون، ولا يجمع شيء على فاعَلٍ بالواو والنون إلا هذا، وقيل: جمع العالَم الخلقِ العوالِم، وفي التنزيل:﴿الحمد لله رب العالمين﴾[16]".

وتتصل الدنيوية / العلمانية في الوعي الغربي –حسب الدلالات المعجمية الإنجليزية – بالعقلانية والسببية؛ باعتبار العالم الموضوعي يمثل الآفاق لتحقيق الإنسان ذاته، وجعل العقل الإنساني والذات الإنسانية محوراً ومصدراً للمعرفة والنظم والإبداع، وإعلان وضعية العلم، وجعل ما هو ديني وميتافيزيقي محايداً، وحصرهما في الاختبار الفردي في بعده العاطفي؛ لذا فالدنيوي ما ليس بديني تماماً، والنصّ الدنيوي يقابل النص الديني، والدنيوية منهجية إيجابية، تعيد الاعتبار للعقل والإرادة الإنسانية، والمسؤولية المطلقة للإنسان، وعلى الصعيد الوجودي؛ فالوجود يبدأ بالإنسان وينطوي فيه؛ لذا فالدنيوية حالة فكرية وحضارية زمنية منقطعة، من حيث مصدرها وتجلّياتها، عن الأبدية.

والدنيوي قريب منغمس في الظرفية والزمان والواقع؛ أي يتغلغل في نسيج العالم، فهو قريب المصدر؛ لأنّه منبثق من الوجود الإنساني، الغارق في الزمان، وهو حالة التعبير عن "الدنيا"، أي عن الواقع/العالم المرتبط وجودياً بالظرفية والزمان، يقابله الديني الذي يكون إلهي المصدر، ويعبّر عن تعالي المنبع، وصوت الأبدية الذي يخاطب الزمنية والظرفية والواقع، دون أن ينغمس فيها.

وتتصل دلالات "الدنيوية" ضمن سياق المعاجم العربية بالقرب في المستوى الدلالي المجرّد؛ دنا الشيء دنُواً ودناوة: قرُب، وبينهما دناوة: أي قرابة. والدَّنَاوة: القرابة والقربى[17]، وتتسم بطابع إيجابي، بيد أنّها تبدأ تفقد مخزونها الدلالي الإيجابي عندما تبدأ بالتجلي في السياق الاجتماعي، فالدنوّ في باب الخِسّة، وعندما يهمزونه يدخل في باب المجون والخبث، فالدنيء هو الخسيس والخبيث والوضيع وفاقد الهمّة، وتجسّم حالة الانغماس في الأشياء، والسقوط الاجتماعي، وفقدان المعايير، وفي السياق الديني تعني الانقطاع عن الأبدية، عبر الابتعاد عن التعاليم الدينية، فالدنيا طريق الآخرة وجودياً، وليست بديلاً عنها، والعلاقة بينهما عين العلاقة بين الوسيلة والغاية، وتجسّم "الدنيوية" –ضمن دائرة المعاجم العربية- بدلالاتها المجرّدة والاجتماعية والدينية طباقاً على المستوى البلاغي، وثنائية وجودية ضمن المستوى الوجودي، تتمثّل في القرب والبعد، ينطوي فيها البعد في القرب؛ إذ القرب عين البعد، فالرجل القريب (الدنيَ) الضعيف، قريب المنزلة والقيمة، وهو البعيد عن القيم الاجتماعية، المنغمس في وجوده الخاص، في عالم رغباته، والبعيد عنها هو القريب من النسق القيمي والأخلاقي، وفي مستوى الدلالة الدينية، فالقرب هو البعد، وهو حالة الانقطاع بالوسائل عن الغايات، و"الدنيوية" ليست قرباً حقيقياً، وإنما تجسّم حالة البعد الحقيقي ضمن المعايير الاجتماعية والدينية، فالدنوّ هو السقوط في الوجود الموضوعي، وتنطوي ثنائية القرب/البعد، على ثنائية ذات مغزى على الصعيد الثقافي، تتمثل في ثنائية الواقع /الحلم؛ يتجلّى فيها القرب الحقيقي في اللحظة التي يتحوّل فيها الواقع إلى وسيلة للحلم؛ للحلم الاجتماعي أو القيمي أو الديني، ويصبح الواقع في خدمة الغاية الاجتماعية والغاية الدينية، والانقطاع عن الغاية هو البعد عن الوجود الحقيقي، وهو الرداءة والضياع؛ إنّها تجسّد ثقافة الحلم سواء أكانت في سياقها الاجتماعي أو الديني، ومن هنا تأسّس الوعي الثقافي على اعتبار الحياة الدنيا تلخّص حالة الاغتراب عن الوجود الحقيقي للذات والعالم رغم أن الدين في خطابه التأسيسي يعدّ الحياة الدنيا طريقاً حتمياً للأبدية وليس انقطاعاً عنها، فالدنيا من المنظور الديني هي مزرعة الآخرة.

"الدنيوية" والمقاربة الاصطلاحية

ترد دنيوي/علماني *(Secular/Worldly)* بوصفها حالة لما يتعلّق بشؤون الدنيا، وما يتغلغل فيها من عواطف وتفكير سياسي، ورغبات، دون الاهتمام بالعبادة، ويوصف بهذه الصفة ما

ليس دينياً من الأدب والشعر[18]، وتنبع هذه المقاربة من كون اللغة تمثّل تصويراً كاملاً للعلاقة الجدلية بين النفس والعالم[19]، والإنسان "لا يقتصر على صنع العالم الذي يعيش فيه أو مواجهته"[20]؛ لذا فالواقعية هي "النداء المفتوح من النقد إلى الطبيعة"[21]، على حدّ تعبير ميرلو-بونتي *(Merleau Ponty)*. ويذهب تشيرينشفسكي *(Chernyshevsky)* إلى حدّ القول: "إن أوّل أهداف الفنّ أن يمثّل الواقع"[22]، كما قال دَنْ *(J. Donne)* في قصيدته "أهواء وملائكة"؛ فالوعي لا يمكن أن يهرب من الجسد تماماً، ويتخلّص من ثقل المعطيات المادية التي يعيشها[23]؛ لذا تتداخل دنيوية الأدب بالواقعية بوصفها حقيقة عيانية، وتكتسب مشروعيتها من الواقع المتحوّل أبداً؛ إذ الواقع ليس ما هو كائن، فهو يظهر أيضاً في الصورة التي يمكن أن يستحيل إليها، وما من ثمّة حقيقة عارية[24]. لقد أدّى تشاؤم "شوبنهور" *(Chopenhauer)* إلى تحريض الطبيعيين؛ لكن عندما أُحْسِنَ فهم فلسفته في الفن، تجلّت معرفة جمالية، ورؤيا دنيوية علمانية: تتلَخّص في أن العالم تافة، والفن –بما هو خطاب إنساني-خيّر، والحياة ليست حياة، والأدب هو الشيء الحقيقي نقلاً عن إريك هيلر *(Eric Hiller)*[25]؛ لذا رفض "والاس ستيفنز *(Wallace Stevens)*" السوريالية؛ باعتبارها وقعت في عيب جوهري يتمثّل في كونها "تخترع من دون كشف"[26].

وتتصل مقاربة "الدنيوية" لدى إدوار سعيد بالواقعية بالمعنى العام، وبالنزعة الإنسانية أو "الأنسنية"[27]، وتتفرّد بالوعي التاريخي والتراث، باعتباره خلقاً وإنجازاً يمثل الماضي المستمر؛ إذْ "كلّ ثقافة، أينما كانت، تمرّ عبر مسار طويل من تعريف الذات، وامتحان الذات، وتحليل الذات بالنسبة إلى الحاضر وإلى الماضي معاً: في آسيا وإفريقيا وأوروبا وأمريكا اللاتينية (... لذا) فجوهر الأنسنية هو إدراك التاريخ البشري بما هو مسار متواصل من معرفة الذات، وتحقيق الذات، ليس بالنسبة إلينا وحدنا الأوروبيين والأمريكيين البيض الذكور، وإنما لجميع الناس"[28]؛ فالدنيوي كلمة مفتاحية يستخدمها إدوارد سعيد "للدلالة على العام التاريخي، الذي يستحيل على أي منّا التفلت –ولو نظريا- من شروطه"[29].

ورأي سعيد هذا جعل "الدنيوية" لديه المصطلح الأهم في منظومته الفكرية، وأبرز قضية انشغل بها، فعندما كتب بيل آشكروفت (*Bill Ashcroft*) وبال أهليواليا (*Pal Ahluwalia*) كتابهما عن إدوارد سعيد جعلا فكرتي دنيوية النص ودنيوية الناقد أبرز فكرتين من خمس أفكار وردت تحت عنوان (*Key Ideas*) هي على التوالي: 1-دنيوية النص 2-دنيوية الناقد 3-الاستشراق 4-الثقافة بوصفها إمبيريالية 5-فلسطين.أي أن المؤلفين قد جعلا الدنيوية عنوانًا رئيسًا لمجمل نتاج سعيد النقدي، إدراكًا منهما أهمية ذلك[30].

كذلك أفرد روبرت شولز فصلاً كاملاً تحت عنوان (النص والعالم / الدنيا: *The Text and the World*) خصصه لمناقشة إدوارد سعيد وأفكاره عن الدنيوية في كتابه(قوة النصية: *Textual Power*)[31] معتمدًا أفكار سعيد في كتابه (العالم والنص والناقد).

وتنبع الدنيوية –صفة جوهرية للنصوص الأدبية- من طبيعة الإبداع ذاته؛ فالعبقرية وظيفة معينة في المجال النفسي الاجتماعي، من حيث كونها عملية تسعى إلى إدماج "الأنا" بالآخر، نحو "النحن"، ولا يخفى الارتباط الجوهري –مثلاً-، بين الشاعر وإبداعه وبيئته الشاملة؛ أي ارتباطه بالنصوص المحايثة لنصّه، وهذا يؤكّد دنيويته[32]؛ لذا تجسّدت المهّمة التاريخية للعبقرية الفنية في محاولاتها الأبدية رأب الصدع بين "الأنا" والآخر، عبر الجدل بين الأهداف والغايات لكلّ منهما، أي بين الرؤية الفنية والفكرية والواقع[33]، لدفع الآخر إلى الحالة التاريخية التي يعيشها الفنان، وهو يحيا قدره التاريخي ومصيره. لقد بحث "أرسطو" الشعر من حيث وظيفته القائمة في المجال الاجتماعي، ودوره في عملية التكامل الاجتماعي، حتى تمضي نحو الاتزان. وأشار "يونغ" *(C.G.Jung)* بقوّة إلى دور الفنان في الأزمات الاجتماعية، واعتماده على الرموز الأصلية للجماعة التي يكتنزها اللاشعور الجمعي؛ مصدراً لإبداعه[34].

وإذا كان الأدب عبر وسيطه (اللغة)، يختزن سياقاً تاريخياً واجتماعياً[35]، وهو مظهر من مظاهر الوعي الاجتماعي، ويتبع، في تجلّيه التاريخي عبر الزمن، الحقائق الجوهرية للوجود الاجتماعي؛ فإن حرية الفنان تتأسّس واقعياً ووجودياً، ضمن الشروط التاريخية والأطر الاجتماعية، بالإضافة إلى منابع الذات الوجودية المتمثلة بالاغتراب والقلق[36]؛ لذا فالفن –باعتباره بناء ثقافياً- إنما يحدد مضمونه وصورته الواقع الماديّ الموضوعي أو الوجود الاجتماعي، لكن ليس بطريقة آلية سببية، وإنما عبر الجدل بين الوعي والوجود[37]. ومن هنا فالدنيوية –لدى إدوارد سعيد- تعني "مستوى ثقافياً أكثر تحديداً، حيث النصوص والتصوّرات كامنة في هذا العالم، ومحكومة بوقائعه المتغايرة، وهي ضامنة التلوّث، ما دام التاريخ جماعات وأفراداً، يجعلان تفلّت أيِّ كان من شروط الوجود المادية أمراً مستحيلاً في الأحوال كافةً " [38].

وينظر "روبرت مورس لوفت" *(Robert Murice Loovt)* إلى الأدب باعتباره مسعى إنسانياً عاماً، في سبيل تكامل الحياة الإنسانية، وليس نتاجاً ذاتياً غريباً[39]؛ لذا فمصدر مادّته هي البشرية والتجربة الإنسانية، والمجتمع كذلك هو مصدر الحياة له وينبوعها[40].

وتتغلغل التجربة الجمالية –النابعة من الإبداع- في تيار الزمن؛ إذ الموقف الجمالي يختلف عن الإدراك العملي، الذي يخدم غرضاً لم يتحقق بعد، بل إن الوعي الجمالي يستقرّ لدى الموضوع، وفي صميم الزّمن، ولو لم تكن التجربة الجمالية زمانية لافتقرت إلى كثير من الحيوية

والإثارة[41]. ووعينا بما هو قبل وبعد، يعدّ جزءاً جوهرياً من التجربة، عبر تجلّي العمل الفني خلال الزمان، ولولا هذا الوعي، لكانت مفككة ومضطربة، وبفضل الذاكرة والخيال، يتأسس العمل في وعينا ويتوحّد، ويصبح له مغزى[42]. وعبر الحساسية أو الشعور العميق بالزّمن، تبدو اللغة –من خلال التجربة الفنية والجمالية- ليست مجرد علامات ساكنة، أو دلالات تنتظر –دون إدّعاء- حلول واقع أرقى، بل هي جزء جوهري من أجزاء الواقع ذاته[43]؛ فإن قراءة مقرّبة للنصّ الأدبي سوف تعيّن النصّ تدريجياً في زمانه، بما هو جزء من شبكة كاملة من العلاقات، تؤدّي تأثيراتها دوراً حيوياً ومكوّناً داخل النص[44]، ومن هنا فإن عقول الكتّاب "تتحوّل أفعالها إلى جزء من التاريخ البشري الشامل الذي يُصنع حولنا"[45].

وتتجلّى "الدنيوية" –صفةً لا تنفصل عن الإبداع ذاته- عبر العلاقة بين الذات والموضوع، أو بين النفس وعالمها[46]، وتتوقّف على الطريقة التي تتفاعل بها الذات مع الموضوعات والعالم[47]، وحين ينفصم هذا الوثاق، يتحقّق الانفصال بين الفكر والحس والقصد والدافع، وبالتالي تنحسر آفاق التجربة الإبداعية والجمالية[48]؛ لأنّ الفن –باعتباره خبرة- تنصهر فيه الواقعية والإمكان، أو المثالية والقديم والجديد، والمادّة الموضوعية والاستجابة الشخصية، والفردي والكلّي، والسطح والأعماق، والحس والمعنى، فتتحوّل كلّها عن المعنى الذي كانت عليه، حينما كانت منعزلة في التفكير[49]؛ إذ هو ثمرة لعملية منهجية منظّمة، داخلة في الزمان وتعبّر- بعمق عن الواقع[50]، بل هو "واقعة من وقائع الحضارة أو الثقافة بمعناها العام"[51].

ويتصل الأدب بالمعرفة عبر إنسانيته، من خلال التماثل بين الأثر والعالم، حيث الفنان يحاكي عملية الخلق؛ أي يصنع كياناً ذا مغزى، ويقدّم لنا العالم بمعناه وبنيته[52]، وتعي الذات –عبر تجربة الخلق- البعد الأنثروبولوجي للتجربة، وفي هذه الحالة لا تعود الذات ترى نفسها وحدة مطلقة، ولا ترى غيرها كما يريد أن تراه، بل عبر علاقة جوهرية مشتركة بينهما، وعبر انتمائهما الواحد والمشترك إلى البشرية باعتبار ما يكوّنها: الثقافة[53]، لذا فالاهتمام بالأحداث والظروف التي نجمت عن النصوص نفسها، والتي عبّرت عنها النصوص، يعدّ أمراً جوهرياً في كون الأدب ضرباً من المعرفة، فتلك الأحداث والظروف نصّية أيضاً، وهي محايثة للنصوص الأدبية بجوهرها الدنيوي؛ لأنها أحداث إلى حدّ ما، وهي جزء من العالم الاجتماعي والحياة البشرية، وجزء من اللحظات التاريخية التي احتلت مكانها فيها وفسّرتها، حتى عندما يظهر عليها التنكّر لهذا كلّه[54]، ومن هنا تكمن تاريخية النصوص الأدبية وواقعيتها، وبالتالي ثوريتها، عبر الالتحام بالعالم مادّة وصورة، لا بالانفصال عنه، ومن ثمّ قدرتها على إنجاز عملية التحرير والإطلاق[55]. فإذا كانت

الحقيقة الموضوعية تعدُّ ثمرة للمعرفة العلمية وتثويراً للواقع الطبيعي، فالحقيقة الفنية تتجه لمعرفة الواقع في الفن وهي تثوير للواقع الإنساني[56].

وتظهر "دنيوية النصوص الأدبية" ليس وصفاً لماهية خطابها الغارق في الزمنية والشرط التاريخي حسب، بل بوصفها نزعة متصلة بالواقعية التي تعدّ نقيضاً للنزعة الاسمية *(Nominalism)*[57]، والمفضية إلى "الإنسانوية"، التي ظهرت بوادرها في عصر النهضة عبر عملية إحياء النزعة الإنسانية الكلاسيكية، محاولة منح المسيحية طابعاً إنسانياً[58]، من خلال الاعتراف بالفرد كائناً إنسانياً نسبياً داخلاً في الظرفية والزمان.

وذكر "إرنست فيشر" *(Ernist Fischer)* أن جيوتو *(Giotto)* (حوالي 1266-1337)، الفنان والرسّام الفلورنسي كان من أوائل أقطاب النزعة الإنسانية الجديدة؛ إذ أصبح المسيح لديه ابن الإنسان بصورة حقيقية، وغدت الأحداث المقدّسة أحداثاً دنيوية، أي في الدنيا، وأمسى العالم الآخر عالماً بشرياً، وأضحى الذهب الرقيق الذي ترسم به هالات القديسين أشبه بالشذى النابع من إنسانية خالصة، ولم تعد اللوحات الحائطية تعلن عن عالم جامد غير قابل للتغيير، بل نرى كلّ شيء فيها يتحرّك، وكأنه لقاء الإنسان بالإنسان؛ دونما التفات إلى عرقه أو دينه أو لونه أو لغته أو شعبه الذي ينتمي إليه، ولم نعد بإزاء إلهام يتخطّى التاريخ ويقتضي التسليم المطلق، بل تظهر قصة المسيح وهي تروى قصّة واقعية[59]. لذا أصبحت دنيوية الفنّ متّصلة بالصيرورة والتغيّر والنزعة الإنسانية، ورصد الحركة الإنسانية في الدنيا، وعدم الثبات، ونسبية الحياة الإنسانية؛ إذْ لمّا تزل قوانين الفنون، وتقاليده الاصطلاحية، تمثّل مظهراً لاستحواذ الإنسان على المادّة، وذاكرة للخبرة البشرية، بل إنها النظام الضروري للفن والحياة[60]؛ لذا كان الفن في الواقع يجسّد عملية تحويل اجتماعية للذات؛ أي قولبة التجربة الخاصّة بجعلها مندمجة في العالم الذي يتغلغل فيه الجدل والصيرورة، وتظهر تلك التجربة أخيراً عملاً فنيّاً[61]، يجسّد نسبية الحياة الإنسانية وحراكها الأبدي[62].

وتتجلّى دنيوية النصوص الأدبية عبر علمانيتها، والفصل الحاسم بينها وبين الأخلاق بمفهومها العام؛ باعتبار أن هذه النصوص تنبثق من الواقعة المتعيّنة، وتكشف الاختلالات الموجودة في الواقع، وتتحدّث عمّا هو كائن، من خلال رؤية فكرية، ووعي جمالي باطن. ويقتضي ذلك الفصل بين مقصد الفنان والنتائج التي يفضي إليها عمله؛ ومثال ذلك المحاكمة الشهيرة للقاضي الأمريكي وولزي *(Woolsey)* في ديسمبر (1933) في قضية رواية يوليسيز *(Ulysses)* لجيمس جويس *(James Joyce)*، فيما إذا كانت هذه الرواية إباحية، وتدعو إلى الانحلال الأخلاقي أم لا؛ إذ كان من الواجب حماية الشعب الأمريكي، ورأى القاضي أن جويس لم يكتب

الرواية وفي ذهنه مقصد إباحي، فهناك فرق بين المقصد والنتائج. لقد كان مقصد جويس يتمثل في محاولته الأمينة بأن يكشف بدقّة نوعية الثقافة في أذهان شخصياته، وأن يعرّي الواقع تماماً، ويضعه في بؤرة وعي المتلقي؛ فالفن يرمي إلى تنمية حدّة الوعي بالواقع، وزيادة الحساسية والشعور؛ لذا كان المقصد نبيلاً وخيّراً، وكان حكم القاضي بأن القصّة عندما يقرؤها إنسان سويّ لا تؤدّي إلى إثارة غرائزه، ودفعه إلى الفوضى الجنسية، والأفكار الشهوانية، والقانون لا يهتم إلاّ بالشخص السويّ، لذا فقد كان من الممكن السماح بنشر (يوليسيز) في الولايات المتحدة الأمريكية[63].

ونلمح تجليّات للنزعة الدنيوية التي يتسم بها الشعر، عبر مسارات النقد العربي القديم؛ وفي ثنايا خطابه التأسيسي لهذا الشعر، فيما عرف قديماً بالعلاقة بين الدين والأخلاق من جهة، والشعر من جهة أخرى، فيحدّد الأصمعي (ت210هـ) طريق الشعر، ويؤكد دنيويته، فينأى به عن دائرة الأخلاق؛ لذا قال: "إذا أدخلته في باب الخير لان، ألا ترى أن حسان بن ثابت، كان علا في الجاهلية والإسلام، فلما دخل شعره في باب الخير من مراثي النبي ﷺ وحمزة وجعفر رضوان الله عليهما وغيرهم، لان شعره. وطريق الشعر هي طريق الفحول؛ مثل امرئ القيس وزهير والنابغة، من صفات الديار والرّحل والهجاء والمديح والتشبيب بالنساء، وصفة الخمر والخيل والافتخار، فإذا أدخلته في باب الخير لان"[64].

فالأصمعي قد وضع المركزية الجمالية للشعر بما هو خطاب إنساني في قلب الشؤون الدنيوية التي كانت سائدة في الجاهلية، والخير لديه متعلّق بالشؤون الدينية، ويقابل الدائرة الدينية، دنيوية الشعر، واتصاله بالجدل الإنساني، فالانحياز إلى الدائرة الأخلاقية مضاد للفحولة[65]. ويرى قدامة بن جعفر (ت228هـ) أن الغلوّ في الشعر أجود[66]؛ فالشعر إنما هو خطاب إنساني دنيوي، ينبثق من الشرط الإنساني ونسبيته، ويسعى إلى تقويض المفهوم التقليدي للأخلاق فيما يتعلّق بالشعر، أي أن الشعر يستند إلى معايير إنسانية، وحقيقة جمالية، إذ المبالغة في الشعر ليس المراد منها سوى التمثيل، لا حقيقة الشيء[67]، فإذا كان الهجاء –مثلاً- إنكاراً لإنسانية المهجوّ، صحّ أن نعيّره

بفقدان هذه القاعدة[68]، ويتصاعد هذا الخطاب لدى القاضي الجرجاني (ت 392هـ)، عبر الفصل الحاسم بين دائرة الدين، ومسار الشعر؛ فالناقد لا يمكنه أن يعيب الشاعر بسبب فساد عقيدته الدينية، ولا تكون الديانة عاراً على الشعر، ولا سوء الاعتقاد سبب لتأخّر الشاعر؛ لذا لا يمحى اسم أبي نواس من الدواوين، ولا يحذف ذكره من الطبقات؛ فالدين بمعزل عن الشعر[69]، وذهب هذا المذهب أبو منصور الثعالبي (ت 429هـ)[70]، وأكّد عبدالقاهر الجرجاني (ت471هـ)

أن الصدق والكذب في الشعر ليسا أخلاقيين؛ إذ الشعر يُبنى على الحساسية والخيال والانفعال وليس العقل وحده، منبعاً للشعر(71)، ويضيق ابن خفاجة ذرعاً بالنقاد الذين يؤاخذون الشاعر بكل ما يقوله، فهؤلاء يغفلون عن طبيعة الشعر، باعتباره نصوصاً دنيوية يتغلغل الزمن والشرط التاريخي والوجودي والإنساني في نسيجها وهويتها، والتخييل –لديه- يحلّ محلّ الصدق والكذب، أي محلّ الدائرة الأخلاقية، فيتحقّق مغزاه من كونه شعراً؛ ليس صدقاً ولا كذباً(72).

"الدنيوية" والمقاربة النقدية

ثمّة أشكال أربعة للنقد كما يصنفها إدوارد سعيد:**النقد العملي**، ونجده في مراجعة الكتب والصحف الأدبية، **والتاريخ الأدبي الأكاديمي**، وينحدر من الاختصاصات؛ كالأدب الكلاسيكي والفيلولوجيا وتاريخ الحضارة، **والتأويل من زاوية أدبية**، ويظهر فيه الأدب واللغة الرمزية ينطويان على سمات فريدة، من المحال تقليصها إلى موعظة أخلاقية أو سياسية بسيطة، بالإضافة إلى **النظرية الأدبية** كما تتجلّى في أعمال مثل أعمال والتر بنيامين *(Walter Benjamin)*، والفتى جورج لوكاش *(Georg Lukacs)*(73)، وإذا كان الأدب والدراسات الأدبية يمثلان نشاطاً إنسانياً قصدياً وواعياً؛ فينبغي أن يوجدا في صميم الثقافة، وإلى جانب الهموم السياسية والاجتماعية؛ أي أن يوجدا في الدنيا، ولابدّ من التلاحم بين الميدان الثقافي وخبرته، والنضال الخارجي (الاجتماعي والسياسي)، حفاظاً على الدور الخلاّق للثقافة عبر قوتها على تنمية الشعور النّبيل والنزعة الإنسانية، وحتى لا تخرج من العملية التاريخية، عندما يقذف بها خارج هويتها وماهيتها، فتتحول إلى خدمة تسدى وتباع للسلطة المركزية، وهذا يعني إضفاء مسحة الشرعية على مسلك السياسة الخارجية، كما يفعل الخونة من الكتبة المأمورين على حدّ تعبير جوليان بيندا *(Jolian Benda)* في العشرينيات من القرن الماضي(74)؛ إذ كيف يمكن لك أن تقرأ الآداب الرفيعة، وأن تقتل البشر وتشوههم في اللحظة ذاتها(75).

لقد قامت النظرية الأمريكية وحتى الأوروبية على مركزية النّصية، وصارت تتقبَل عدم التدخل دون تحفّظ، وطريقتها في اختيار موضوعها لا تعني أبداً أخذ أي شيء دنيوي أو ظرفي أو ملوّث اجتماعياً؛ فصارت النصية نقيضاً حقيقياً للتاريخ، بعد تنحيته والحلول محلّه، وعزلت النصية في أغلب الأحوال عمّا هو زمني(76)؛ أي عزلت النص عن التاريخ، والناقد الذي يرى ذلك، يعزل النص، باعتباره منجزاً ثقافياً، عن عملية النضال الاجتماعي والسياسي، أي الإنساني.وهذا ما ينتقده سعيد بشدة حين يعيد النص إلى الدنيا مركزًا على واقعيته وفاعليته، مقابل أولئك النقاد الذين عزلوا النص عن واقعه(77).

إنّ دنيوية النقد تتحقّق -بحسب سعيد- عبر تجلّيها في قلب الحياة الاجتماعية والسياسية، ففي عزوف النقد أو الناقد عن الدنيا يتخلّى عن جمهوره، عن المجتمع الحديث، الذي ترك تحت رحمة قوى السوق الحرّة، والشركات متعدّدة الجنسيات ومضاربات الشهوات الاستهلاكية؛ لذا ترعرعت الرطانة الثقافية، كي تحجب بتعقيداتها المرعبة الوقائع الاجتماعية، إن ممارسة النقد الحقيقي لا يمكن أن تعني أبداً إضفاء مسحة الشعرية على الوضع الحالي، أو الالتحاق بطبقة كهنوتية من البطاركة والميتافيزيقيين والدوغماتيين؛ لذا لا بدّ من تأكيد الترابط بين النصوص والوقائع الوجودية للحياة البشرية؛ إذ الوقائع المتعلقة بالقوة والسلطة، وضروب المقاومة التي يبديها البشر –عبر الحركات الاجتماعية والدينية- هي الوقائع التي تجعل من النصوص والنقد أمراً ممكناً؛ فما من قارئ قرأ كتاب "محاكاة" *(Mimesis)* "لإرخ أورباخ" *(Erich Auerbach)*– كما يؤكد سعيد باستمرار- إلا وأثارت مشاعره المعطيات التي أحاطت بالكتابة الفعلية لهذا الكتاب، وجعلته يمثّل نصاً نقدياً ممكناً دنيوياً؛ أي في الدنيا[78]. لقد مثل غياب المرتكزات الثقافية والسياسية والأدبية، بالإضافة إلى احتمال عدم الكتابة بسبب الحسّ المأساوي الناتج عن المنفى، بعيداً عن الجغرافيا والأمّة، وقائع وجودية لدى "أورباخ"، في إنجاز هذا العمل العظيم[79]. والأدب والدراسات الأدبية يمثّلان تجلّياً من تجلّيات الثقافة، التي تشير –من حيث ماهيتها- إلى بيئة وعملية وهيمنة مطمور فيها الأفراد –من خلال ظروفهم الخاصّة- وأعمالهم، تحت المراقبة بوساطة البنية القومية، ومن تحت بوساطة سلسلة كاملة من المواقف الميثودولوجية، وهي كتلة منهجية دنيوية؛ أي ذات دلالة سياسية واجتماعية وتاريخية، ولا يتم استخدامها رمزاً للهوية حسب، ولكن للمانعة كذلك؛ إذ هي تجيز وتهيمن، وتخفض وترفع[80]؛ لذا فهي منظومة من القيم التي ترشح إلى الأسفل كي تغمر بقطراتها كلّ شيء تقريباً، وإلى حدّ البلل. ومن هنا كانت المهّمة العظيمة لجهابذة الثقافة تتمثّل في سعيهم الدؤوب لنشر أفضل أفكار زمانهم، بالإضافة إلى تهذيب المعرفة، بغية إضفاء مسحة إنسانية عليها، وجعلها مُجْدية على حدّ تعبير ماثيو أرنولد *(Matthew Arnold)*[81].

وإذا كان النصّ –في كينونته الفعلية نصّاً- له وجود في العالم[82]، والكلام والواقع الظرفي/الزمني يوجدان بحالة حضور، في حين أن الكتابة والنصوص توجدان بحالة تعليق أي خارج الواقع الظرفي- إلى أن يُصار إلى تحقيقها كأمر واقع، وتلبس لبوس الحضور من قبل القارئ والناقد على حدّ تعبير بول ريكور *(Paul Ricoeur)*[83]، والنصوص لها طرق في الوجود بحيث تبدو في أسمى أشكالها فريسة الوقوع في الظرفية والزمان والمكان والمجتمع، وبالتالي فهي في الدنيا؛ أي دنيوية، وهي مثقلة بمناسبتها، أي بالوقائع التجريبية التي انبثقت عنها[84]، والنقاد قرّاء وكتاب في الدنيا[85]، فإن الوعي النقدي جزء من عالمه الاجتماعي الفعلي، وجزء من تلك الكتلة

الواقعية، التي يسكنها الوعي[86]، ومساره الحتمي هو الوصول إلى أي معنى دقيق لما تنطوي عليه القيم الإنسانية والاجتماعية والسياسية، التي تنجم عن قراءة النصّ، وإنتاجه ونقله، لذا فإن الوقوف بين الثقافة والمنظومة، يعني الوقوف قريباً من واقع مادي، مما يقتضي الإدلاء بالمواقف الاجتماعية والأخلاقية والسياسية، ويلزم –إن تعذّر ذلك- تعريته وفضح أسراره[87].

وتتجلّى المهمّة التاريخية للنقد –باعتباره دنيوياً- في التأمّل والفحص للعالم الدنيوي لا الروحاني- الذي تحدث فيه النصوص؛ أي الوجود اليومي المتمثّل بالحدث والسلطة، بالإضافة إلى الاهتمام بالمشكلات الخاصّة التي تعتور النظرية النقدية المعاصرة في مواجهتها أو تجاهلها القضايا المطروحة على بساط بحث النصوص من قبل العالم الدنيوي[88].

الدنيوية ونقد المركزية الغربية

يرى إدوارد سعيد أنّ ما ينشر الخراب والعذابات الإنسانية ثلاثة نماذج سلبية من الحماسة هي: القومية، والحماسة الدينية، والنزعة الاستئثارية المنبثقة عن الفكر الانتمائي[89]، وهذه الثلاثة تتحرّك –من خلال سيرورتها- عبر دائرتي المقدّس والمدنّس، فتسقط دائرة الدنيا؛ الزمنية النسبية والشرط التاريخي، أي الواقع، تحت أنقاض حالة الاستقطاب الحادّ، والنفي المتبادل بين هاتين الدائرتين.

وتتحول حالة التحرّك لهذه النماذج الثلاثة تدريجياً إلى حالة اختزال في دائرتي المقدّس والمدنّس نتيجة النزوع الأيديولوجي والدوغماتية، إيذاناً بنهاية العملية التاريخية التي تنشأ بفعل الجدل بين الزمان والأبدية، والضرورة والحرية، والنسبية والإطلاق، فيحلّ المطلق محلّ النسبي، فتظهر "المركزية"، تعبيراً عن تجلّي المطلق لا ليكون في حالة جدل مع النسبي –بل لينهض على أنقاض الشرط الإنساني والواقع معاً. وهذه "المركزية" –الناشئة بفعل النزعات الثلاث- تجسّد دائرة المقدّس، وتتحوّل إلى أصولية دينية من نوعٍ ما، بغطاء ثقافي، وشرعية تستند إلى القوّة والغلبة، لا إلى الحقيقة، وتنزع إلى نفي الآخر تماماً باعتباره مدنساً.

وتتجلّى "المركزية" عبر دورانها حول ذاتها- في نصوص مكتفية بذاتها، تؤدّي إلى تقليص النصّ، عبر عزله عن شرطه الزماني والمكاني والإنساني، وفي مقابل ذلك تنفتح على العرق أو التركيب الوراثي أو السيكلوجيا؛ لتقع في مركزية العرق أو الوراثة،ومدى القرب أو البعد عن هذا العرق، وما ينتج عن ذلك من غياب للملمح الإنساني[90].

وتحوّل هذا العالم الدنيوي، باعتباره جهداً بشرياً، دأب على إنتاج النصوص الدنيوية –إلى دائرة المقدّس- من خلال "المركزية" المنطوية على أصولية ثقافية، ليظهر هذا العالم الدنيوي أنه ليس بشرياً خالصاً، وليس من الممكن إدراكه تماماً من منطلق بشري، نتيجة زيادة في عدد

الاستغاثات بالسامي على البشري، والمجرّد الغامض، والمقدّس والملغّز والسرّي، والتعميمات الضخمة الزائدة عن المعقول؛ مثل الشرق أو الإسلام أو الشيوعية أو الإرهاب، مما يدلّ على قوّة تأثير هذه "المركزية"، وزحفها على العالم التاريخي الدنيوي[91]، من منظور استعلائي عرقي استعماري فوقي قائم على فكرة استحواذ الغالب على المغلوب.

لقد حمل الاسم الوطني الكبير للثقافة الأوروبية –بوصفها المعيار الأمثل– زمرة مرعبة من التفرّد والهيمنة والتمييز بين ما لنا وما لهم، والأعلى والأدنى، والأوروبي وغير الأوروبي، وهذه المركزية/الأصولية تظهر في علم اللغة، والتاريخ، ونظرية العرق، والفلسفة، والأنثروبولوجيا، وحتى البيولوجيا؛ وتجلّت أخيراً ثقافةً منتصرة على كلِّ الهويات[92].

وأتّت "المركزية" الغربية إلى حالة من الاستقطاب والتمحور حول فكرة بعينها في العالم: الفكرة الشرقية مقابل الفكرة الغربية، بالإضافة إلى الحدّ من اندفاعة النقد الدنيوي، وتداخلت مع الحماسة الدينية، لينتج عن ذلك إقصاء لما هو بشري من استقصاء ونقد وجهد، إذعاناً لما هو أكثر من بشري، وهذا أفضى إلى عواطف جماعية منظمة ذات نتائج مشؤومة فكرياً واجتماعياً في أغلب الأحيان[93].

إن المغالاة في النزعة "المركزية" الغربية، عبر تجسيدها للمطلق الثقافي الغربي باعتباره الأنموذج الأعلى – حوّل النصوص إلى كهنوت ثقافي، وأخرجه من الدنيا، ونتج عن ذلك حماسة لدى "المركزية" الغربية توازي الحماسة الدينية، مما هيّأ المناخ العام لحدوث تصادم الحضارات والثقافات.

و"المركزية" الناشئة عن الحماسة للنزعات الثلاث: القومية، والدينية، والاستئثارية الانتمائية، تسعى إلى تجسيد المطلق على حطام الواقع الإنساني بعد إلغاء نسبية الحياة الإنسانية، وشرطها التاريخي والوجودي؛ لذا فإن تفكيك هذه "المركزية"، وإعادة الخطاب النقدي إلى مشروع دنيوي يعدّ من أخطر الأسئلة على الإطلاق[94]، والبديل عن "الدنيوية" هو صدام الحضارات، والنتيجة الحتمية هي إفقار الرؤية، ولا يكون ذلك في صالح التنوير ولا في باب تقدّم المعرفة[95].

والمركزية الغربية تقف عقبة أمام تلك الإمكانية؛ لأن سردياتها المنحازة والمضلّلة للتاريخ، وافتراضاتها الاعتباطية عن الحضارة الغربية، ومحاولتها فرض نظرية وحيدة الوجهة للتقدّم، تقلّص، بدلاً من أن توسّع، إمكانية الشمولية الرحبة، والمنظور الكزموبوليتي (الأممي) للحياة والعالم[96].

والمشروع الدنيوي لا يتضمن دفاعاً عن تعددية ثقافية كسولة وترفيهيّة أو لامبالية، بل يقتضي قراءة فيلولوجية وفق نمط دنيوي وإدماجي، بالإضافة إلى مقاومة أنماط التفكير السائدة، والقائمة على الاختزال الكبير والمجابهة بين "نحن" و"هم"[97]؛ لذا فإن انبثاق المشروع الدنيوي من الواقع والشرط الوجودي والتاريخي للحياة الإنسانية، ومقاومته للظرفية العابرة، عبر المساحة المتاحة في شقوق الواقع، يحول دون أن ينغلق خطاب النقد على ذاته، ومن هنا تتجلّى نزعته الإنسانية؛ أو ما يسمّيه جورج سيميل *(Georg Simmel)* بالسيرورة الثقافية، التي بوساطتها تستولد الحياة أنماطاً لها على الدوام، وما أن تظهر هذه الأنماط في الوجود، حتى تطالب بشرعية تسمو على اللحظة، وشرعية قديمة من نبض الحياة، وهذا ما يجعل الحياة في تعارض أبدي مع النمط[98]. وهذا الوعي النقدي الدنيوي بمقدوره التواصل مع النصوص الأدبية –التي تستثنى من ميدان الأدب نتيجة الانحياز الأيديولوجي- من خلال فكرة التقرّب، وهذا يعدّ في صميم المهّمة الجوهرية للنقد الدنيوي[99].

وتقتضي الإستراتيجية العامّة للنقد الدنيوي التحوّل من البنوّة إلى التبنّي *(From Filiation to Affiliation)*[100]، وذلك من أجل خلق حالة تاريخية حقيقية من الجدل والحوار بين الثقافات والحضارات، بعيداً عن "المركزية"التي تهدّد بإسقاط المشروع الإنساني الأممي برمّته.

إنّ الأصولية الثقافية المنبثقة من "المركزية" الغربية، وما نتج عنها من حالة استقطاب حادّ بين "مركزية" تزعم تجسيد "المطلق" ونهاية التاريخ، والآخر الهامشي؛ هذه الحالة تضع الناقد ضمن مسؤوليته الأخلاقية والكونية- أمام خيارين: إمّا التواطؤ مع هذه "المركزية"، التي تعيش حالة تقوقع حول "القرابة"، وترفض "التقرّب"، وبالتالي يستبعد الشرقي/ اللاّغربي، باعتباره مدنّساً، أو أن يعمل على إعادة البناء الوجودي والتاريخي بين "القرابة" و"التقرّب"، ويوسّع من دائرة الانتماء الإنساني، وينتقل من الفضاء الإقليمي/الجغرافي إلى الفضاء الإنساني، ليصبح معظم العالم الاجتماعي والسياسي متاحاً له[101]؛ إذ ما مغزى أن يكون لدى الناقد وعي نقدي، دون أن يكون مغموراً في الدنيا عبر مساراته الثقافية، وبناه الاجتماعية والسياسية، ومقاوماً في الوقت نفسه لحالة التردّي؛ ليجسّد موقفاً دنيوياً ذا طبيعة إنسانية في هذا العالم.

والناقد يقف أمام ثقافتين، إما ثقافة "القرابة" المنبثقة من الولادة والانتماء القومي والمهنة، أو ثقافة "التقرّب" الناشئة عن التواصل بين الحضارات والثقافات، والتي تتجلّى في القناعة الاجتماعية والسياسية والظروف الاقتصادية والتاريخية، والجهد، والإرادة[102]، والمقاومة عبر وجود النقد في قلب عالمنا الإنساني اللاّعرقي وهو مدرك لذاته، ومقاوم للمفاهيم التجميعية،

وساخط على الأمور المجسّدة، ونافر من النقابات ذات المصالح الخاصّة، والإقطاعات ذوات الصبغة الإمبريالية[103].

لقد رأى "هانز جيورج جادامر" *(H.G.Gadamer)* أنّ "الهرمنوطيقا" تحمل خطاباً تأسيسياً، يتمثّل في سعيها الدؤوب إلى تجاوز اغتراب الوعي الإنساني، سواء أكان موضوعه الفنّ أو الدين أو التاريخ، أو أي ظاهرة إنسانية، لتصبح مألوفة في عالمنا؛ أي في الدنيا.

وعلى مستوى علم الجمال، تصبح مهمّة "الهرمنوطيقا"، تجاوز اغتراب الوعي الجمالي الذي أصبح ميالاً إلى عزل "الجميل" عن تجلّياته في التاريخ والواقع؛ أو في دنيا الحياة الإنسانية[104]؛ أمّا مهمتها الأخرى، فتتجلّى في تجاوز اغتراب الوعي التاريخي، عبر سعيها إلى الماضي وتراثه، باعتباره منتمياً إلى تاريخنا، وحاضراً فيه، وهذا التواصل يجعله يحيا معنا، مألوفاً ومندمجاً في عالمنا الدنيوي، عبر تلاحم الآفاق *Fusion of Horizons*[105]، أو ما يسمّى بفاعلية الوظيفة التاريخية في عملية تأويل أو تفكيك النص وصولاً إلى التحريفية الإيجابية له- إن جاز التعبير لغة- لعزله عن محوريته العرقية اللاإنسانية تلك.

الخاتمة

درس هذا البحث "الدنيوية" ومساراتها لدى "إدوارد سعيد" كما تجلّت في فكره النقدي، واتصلت الدنيوية بفكرة "القرب" و"البعد" في سياقاتها الدلالية، وتعاقبت "الدنيوية" و"العلمانية" وصفاً للنصوص الأدبية؛ الواقعة في شرك الظرفية، وشروط الواقع والنسبية؛ أي داخلة في الدنيا، ومنغمسة في المعرفة، عبر تجسيدها للخبرة والتجربة الإنسانيتين، بالإضافة إلى الفصل الحاسم بينها وبين الأخلاق بمفهومها العام.

وأدّت النزعات الثلاث المتمثلة بـ: القومية، والحماسة الدينية، والنزعة الاستئثارية أو الفكر الانتمائي، دوراً جوهرياً في تصدّع المشهد الثقافي والحضاري على مستوى العالم، عبر اختزالها التعدّد الثقافي والحضاري الأممي إلى دائرتي "المقدّس" و"المدنّس"، وأسقطت دائرة الدنيا أي النسبية والظرفية وشروط الواقع، وتحوّلت إلى "مركزية" ثم أصولية ثقافية ساهمت في خلق حالة الاستقطاب الحادّ بين الفكرة الغربية والفكرة الشرقية، وأذكت فكرة صدام الحضارات.

وتتجلّى "الدنيوية" إستراتيجية نقدية وثقافية، تضع النقد في قلب العالم السياسي والاقتصادي والاجتماعي؛ أي في قلب "الدنيا"، في مواجهة حالة التردّي التي يشهدها الواقع الأممي، بالإضافة إلى مقاومة "المركزية" الغربية عبر تفكيكها ثقافياً ونقدياً، وإعادتها إلى الدنيا، أي إلى الظرفية والزمنية وشروط الواقع والتاريخ، في سبيل المساهمة في إعادة بناء حوار

الثقافات والحضارات، وخلق حالة من التوازن في هذا العالم، عبر التحوّل من "البنوة" الثقافية إلى "التبني" الثقافي، ومن "القرابة" الثقافية، إلى "التقرّب" الثقافي.

The "Worldliness" of Literary text in the writing of Edward Sa`id: A reading of the Term

Jamal Maqableh and **Ali Asha,** *Arabic Language and Literature Department, Faculty of Art, The Hashemite University, Zarqa, Jordan.*

Abstract

This paper studies worldliness as a "term" which took various forms in Edward Sa`id's. "Worldliness" is related to the concepts of "Closeness" and "Distant" in their contextual connotation. The terms "Secularism" and "Non-religious" are used alternatively to describe the "literary texts" in their attempts to reveal the identity of these texts as they are texts included in time and conditions of reality, relativity, that is, the literary texts included in time and conditions of reality, relativity, that is, the literary texts exist in "the world". "Secularism" is related to knowledge, and it disconnects literary texts from ethics in their general concept. Furthermore, this paper tries to reveal the theme of "Secularism" as a critical and cultural strategy that is resistant to both the decline of reality and to the Western centralism and what resulated from it the state of sharp polarization between the Western idea and the Eastern idea.

This paper also attempts to identify a "Worldlinest" vision instead of the clash of civilizations through the transformation from the culture of filiation to affilation to contribute to reconstructing balance in the world.

قدم البحث للنشر في 2006/7/17 وقبل في 2007/7/12

الهوامش:

(1) بدوي، أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، ص370.

(2) المصدر السابق، ص370.

(3) فرحات، محمد نور: **البحث عن العقل، حوار مع فكر الحاكمية والنقل**، كتاب الهلال (560) القاهرة 1997، ص16.

(4) Said, Edward, Orientalism (London and Henley: Routledge and Kegan Paul, 1978), p. 226.

(5) سعيد، إدوارد: الاستشراق، ترجمة كمال أبوديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط 7، بيروت، 2005، ص234.

(6) المصدر السابق، ص234-259

(7) Said, Edward, The world, the Text, and the Critic (London and Boston, Faber and Faber 1983, 1984), p. 1, p. 290.

(8) سعيد، إدوارد: العالم والنص والناقد، ترجة عبد الكريم محفوض، اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2000، ص5، 352. وانظر: ستيل، ميلي: النفي أم التجذر: سياسات الاختلاف عند إدوارد سعيد وكورنيل ويست، ترجمة مصطفى بيومي، فصول العدد 64 صيف 2004، ص 163، حيث يترجم بيومي "Socular" بـ"دنيوي/مدني" وكذلك فعل بعلي، حفني: آفاق الأدب المقارن العالمية في تصور الناقد إدوارد سعيد، عالم الفكر، المجلد 3 عدد 4 سنة 2007، ص23-24.

(9) غزول، فريال جبوري: عرض كتاب: العالم والنص والناقد (1983) لإدوارد سعيد، فصول مجلد 64 صيف 2004، ص150، ص142، فيترجم "Socular" بـ"علماني" ثم يضع بعدها دنيوي بين هلالين.

(10) سعيد، إدوارد: الاستشراق... الآن، تمهيد لطبعة أغسطس 2003 احتفالا بمرور ربع قرن على صدور الكتاب، ترجمة حازم عزمي، فصول عدد 64 صيف 2004، ص185، فقد أرودها هكذا دنيوي/علماني وقد قدم المناصرة مثل ذلك إلا أنه جعلهما علماني (دنيوي) هكذا.

(11) ابن فالرس، أبو الحسين أحمد: **معجم مقاييس اللغة**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1991، ج2، ص303.

(12)سورة البقرة، آية 61.

(13)سورة السجدة، آية 21.

(14) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: **لسان العرب**، ط1، دار الفكر، بيروت، 1990، مادة (دنا).

(15)البعلبكي، منير: المورد، قاموس إنكليزي عربي، دار العلم للملايين، ط 40، بيروت 2006. (Secularism).

(16) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (علم).

(17) ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (دنا).

(18) وهبه، مجدي: **معجم مصطلحات الأدب**، مكتبة لبنان، بيروت، 1974، ص506.

(19) لؤلؤة، عبدالواحد (مترجم): **موسوعة المصطلح النقدي**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983، ج3، ص33.

(20) لؤلؤة: **موسوعة المصطلح النقدي**، ص33.

(21) المصدر السابق، ص 35.

(22) المصدر نفسه، ص 36.

(23) المصدر نفسه، ص 40.

(24) المصدر نفسه، ص 41.

(25) المصدر نفسه، ص 87.

(26) المصدر نفسه، ص 41.

(27) غزول، فريال جبوري: الثقافة بين الهيمنة والمقاومة، فصول عدد 64 صيف 2001 ص126. وانظر كذلك: سعيد: إدوارد: الاستشراق... الآن ترجمة حازم عزمي، حيث يؤكد سعيد أن الدنيوية تتصل اتصالا وثيقا بالإنسانية أو النقد الإنساني الذي يرى نفسه من أشد المدافعين عنه ويقصد بالنزعة الإنسانية "تلك الرغبة أو تحطيمه كافة الأغلال التي يصنعها العقل وتوظيف العقل على نحو تاريخي وعقلاني" ص 182.

(28) سعيد، إدوارد:**الأنسنية والنقد الديمقراطي**، ترجمة فواز طرابلسي، ط1، دار الآداب، بيروت، 2005، ص 46.

(29) المصدر السابق، ص 70.

(30) Ashcroft, Bill and Ahluwalia, Pal, Edward Said, Routledge Critical Tninkers, (London, Routledge, 2001) pp. 13-48.

(31) Scholes, Robert, Textual Power, Literary Theory and the Teaching of English (New Haven, Yale University press, 1985) pp. 74-85.

(32) سويف، مصطفى:**الأسس النفسية للإبداع الفني**، ط3، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص339-340.

(33) المصدر السابق، ص 341.

(34) Jung,C. G. Psychology and Literature, pp. 175-188 in: 20th Century Literary Criticism, Edited by David Lodge (London and New York, London 1994. وانظر: سويف، مصطفى، ص 324-343

(35) تليمه، عبدالمنعم: **مقدّمة في نظرية الأدب**، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1976، ص17.

(36) تليمه، عبدالمنعم: **مقدّمة في نظرية الأدب**، ص 123.

(37) المصدر السابق، ص97.

(38) سعيد: **الأنسنية والنقد الديمقراطي**، ص70-71.

(39) لوفت، روبرت مورس: الأدب والإيمان بالحياة، من كتاب **الأديب وصناعته**، اختارها وترجمها جبرا إبراهيم جبرا، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1983، ص9-10.

(40) المصدر السابق، ص 33.

(41) ستولنيتز، جيروم: **النقد الفني**، ترجمة فؤاد زكريا، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1981، ص 93-94.

(42) المصدر السابق، ص 99.

(43) سعيد: **الأنسنية والنقد الديمقراطي**، ص 81.

(44) المصدر السابق، ص 83.

(45) المصدر نفسه، ص 90.

(46) ديوي، جون: **الفن خبرة**، ترجمة زكريا إبراهيم، دار النهضة العربية، القاهرة، (د.ت)، ص487.

(47) المصدر السابق، ص 421.

(48) المصدر نفسه، ص 426.

(49) ديوي: **الفن خبرة**، ص 499.

(50) إبراهيم، زكريا: **مشكلة الفن**، مكتبة مصر، القاهرة، (د.ت)، ص 41.

(51) المصدر السابق، ص 107.

(52) فريسي، إيمانويل. وموراليس، برنار: **قضايا أدبية عامّة**، ترجمة لطيف زيتوني، سلسلة عالم المعرفة (300)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2004، ص 111.

(53) المصدر السابق، ص 136.

(54) سعيد، إدوارد: **العالم والنص والناقد**، ترجمة عبدالكريم محفوض، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000، ص 8.

(55) ديوي: **الفن خبرة**، ص 472.

(56) عبدالرحمن، نصرت: **في النقد الحديث**، ط1، مكتبة الأقصى، عمان، 1979، ص 87.

(57) ريد، هربرت: **معنى الفن**، ترجمة سامي خشبة، ط2، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص 153.

(58) المصدر السابق، ص94.

(59) فيشر، إرنست: **ضرورة الفنّ**، ترجمة أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971، ص 193.

(60) فيشر: **ضرورة الفنّ**، ص201.

(61) كودويل، كريستوفر: **الوهم والواقع** (دراسة في منابع الشعر)، ترجمة توفيق الأسدي، ط1، دار الفارابي، بيروت، 1982، ص 207.

(62) وهذا ما يذهب إليه سعيد في جوهر مشروعه القائم على دنيوية النص وعلمانية تحت وعي إنساني عميق، يجرد الإنسان من كل أشكال الوعي الزائف، ويجلي فيه بعده الحق والصادق، لذا صار هذا النقاد نموذجا للناقد الإنساني الحديث، فوقف دوماعلى حواف المجتمعات التي ينتمي إليها ليحافظ على جوهر إنسانية ودنيقية، لذلك بقي مصرًا على موقفه فقال بعد أن مضى على تأليف كتاب الاستشراق خمسة وعشرون عاما: "من أجل كل هذا توسلت في كتاب "الاستشراق" بأدوات النقد الإنساني، أملا مني في توسيع رقعة النضال المتاحة لنا، ولكي يحل فكر متأنٍ وتحليل مسهب محل نوبات العداء الهوجاء التي طالما تأسرنا وتشل تفكيرنا. وقد أطلقت على ما أحاول أن أقوم به هنا اسم "النزعة الإنسانية Humanism" وهو مفهوم ما زلت مصرًا على استخدامه برغم كل ما يتعرّض له اليوم من رفض وازدراء من قبل نقادنا الأجلاء دعاة ما بعد الحداثة" سعيد، الاستشراق... الآن، فصول ص 182.

ربما كان سعيد في كل منطلقاته ودفاعه عن الحق يعتد بهذه الرؤية الإنسانية أو الدنيوية أو العلمانية، ضمن وصف من كتبوا عنه بأنه صوت الحق يخاطب القوة* "سواء دفاعه عن فلسطين وقضيتها* وإيران وتغطيتها* أو عن الشرق الأوسط وصروته أو عن الغرب في بطشه الاستعماري*، وفككه بنفسه هو.

(63) ستولنيتز: **النقد الفنّي**، ص 550-552.

(64) المرزباني، أبو عبيدالله محمد بن عمران: **الموشّح**، تحقيق علي محمد البجاوي،دار الفكر العربي القاهرة، 1965، ص83؛ وانظر: الشريف المرتضى: **أمالي الشريف المرتضى**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1954، ج1، ص 569.

(65) عباس، إحسان: **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ط4، دار الثقافة، بيروت، 1983، ص50-51.

(66) ابن جعفر، قدامة: **نقد الشعر**، تحقيق س.أ. بونيباكر، ليدن، 1956، ص 26.

(67) المصدر السابق، ص 31.

(68) عباس: **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ص 197

(69) الجرجاني، القاضي علي بن العزيز: **الوساطة بين المتنبي وخصومه**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ط2، القاهرة، (د.ت)، ص64.

(70) الثعالبي، أبو منصور: **يتيمة الدهر**، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، 1954، ص 184.

(71) الجرجاني، عبدالقاهر: **أسرار البلاغة**، تحقيق هيلموت ريتر، استانبول، 1954، ص248، ص 253.

(72) ابن خفاجة الأندلسي: **ديوان ابن خفاجة**، تحقيق السيد مصطفى غازي، الإسكندرية، 1960، ص 10-11.

(73) سعيد: **العالم والنص والناقد**، ص 5.

(74) المصدر السابق، ص 6.

(75) المصدر نفسه، ص 7.

(76) سعيد: **العالم والنص والناقد**، ص9.

(77) Scholes, Texual Power, p. 74.

(78) المصدر السابق، ص 9. وانظر: تأملات في النفي، ص 304-308، والأنسنية ص109-38.

(79) المصدر نفسه، ص 10.

(80) سعيد: **العالم والنص والناقد**، ص 13.

(81) ويمكن تطبيق هذه الأفكار لإدوارد سعيد على نقده هو بوصف واحدا من المنفيين في العالم ومن الفنائية ومن النقاد الإنسانيين الدنيويين أو العلمانيين الذين يملكون حسا مرهفا. فعلى الرغم من أن بعض نقاده جعلوه صوت الحق يخاطب القوة فأن أخرين قالوا عنه "سعيد مخلوق رومانسي مغترب عن وطنه ونقده نابع من هذا المنطلق ليس أكثر" فصول (214) ويكفي أن ننظر في عنوانات بعض كتبه مثل البدايات، تأملات حول النفي، الأسلوب الآخر، سطور، لوم الضحية وغيرها حتى يتجلى لنا البعد الإنساني الدنيوي في نتاجه.

(82) المصدر نفسه، ص39.

(83) المصدر نفسه، ص40.

(84) لذلك فإن "جميع محاولات فصل النص عن الحقيقة الواقعية محكومة بالفشل". بعلي، آفاق الأدب المقارن، ص 14.

(85) المصدر نفسه، ص41.

(86) المصدر نفسه، ص21.

(87) فالنص كما يرى سعيد هو في جوهره "بنية وحدث" في آن واحد معا. العالم والنص والناقد، ص 45، وانظر: بكار، يوسف: "النص بنية وحدث" علامات في النقد، التاريخي الثقافي الأدبي بجدة ج 24 مج 6 سنة 1997، ص 167. وانظر: بعلي ص 26.

(88) المصدر السابق، ص32.

(89) سعيد: **الأنسنية والنقد الديمقراطي**، ص 72.

(90) سعيد: **العالم والنص والناقد**، ص41.

(91) المصدر السابق، ص 353.

(92) المصدر نفسه، ص 19.

(93) سعيد: **العالم والنص والناقد**، ص352.

(94) المصدر السابق، ص 355.

(95) سعيد: **الأنسنية والنقد الديمقراطي**، ص 73.

(96) المصدر السابق، ص 75.

(97) سعيد: **الأنسنية والنقد الديمقراطي**، ص 71.

(98) سعيد: **العالم والنص والناقد**، ص 24

(99) المصدر السابق، ص29. لقد رأى سعيد أن النقد الديني يتجلى بوضوح في النقد الغربي نقيضا للنقد الدنيوي/العلماني الذي يدعو إليه، وذلك بصور وتجليات عديدة منها الاتجاه الشكلي مثلا الذي وقف في محراب الكلمة وقدس النصوص. ومنها كذلك التعصب والتمركز الغربي، فهو قد أخذ على عاتقه تعرية هذه الأنماط من الثقة دون هوادة، ووقف نقيضا لها مع مجموعة من الإنسانيين الجدد الذين يراهم النقد الأفضل وبقي يحاول معهم تشكيل جبهة مضادة لنقد الديني الشكلي بكل أشكاله.

(100) المصدر نفسه، ص 24.

(101) سعيد: **العالم والنص والناقد**، ص 30.

(102) المصدر السابق، ص 30.

(103) المصدر نفسه، ص34-35.

(104) جادامر، هانز جيورج: **تجلّي الجميل**، ترجمة سعيد توفيق، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 1997، ص 32-33.

(105) جادامر، هانز جيورج: **فلسفة التأويل**، ترجمة: محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الجزائر، (د،ت)، ص 18.

المخاطر التي تواجه الإعلاميين في الشرق الأوسط

محمود شلبية *

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على آراء واتجاهات ووجهات نظر الإعلاميين العاملين في وسائل الأعلام الأردنية نحو المخاطر التي تواجه الإعلاميين بشكل عام وفي منطقة الشرق الأوسط بشكل خاص في ظروف الحرب والمنازعات والمخاطر وحالات الطوارئ والأزمات.

كما تهدف الدراسة إلى التعرف إلى أي مدى تؤثر هذه المخاطر على حرية الصحافة وحرية وسائل الأعلام وتحملها لمسؤولياتها.

والى أي مدى يلعب تخصيص المؤسسات الإعلامية دورا في دعم الإعلاميين وإعطائهم حرية أكبر للعمل في ظل المخاطر والمنازعات والأزمات والطوارئ والحروب وقد أظهرت الدراسة أن 79% من مجموع أفراد العينة يرون أن على الإعلامي أن يعمل في ظروف خطرة دائما أو أحيانا وأن 93.7% يرون أن العمل في ظروف الأزمات والطوارئ والمنازعات يؤثر على طبيعة العمل الإعلامي دائما وفي معظم الأحيان. وأن 88.4% من أفراد العينة يرون أن المخاطر التي تواجه الإعلاميين تؤثر على مصداقيتهم في هذه الظروف و89.5% من أفراد العينة يرون أن المخاطر والصعوبات التي تواجه الإعلاميين تجعلهم يعمدون إلى التعتيم على بعض الحقائق والأحداث أو طمسها وتضعف مصداقيتهم ويرى 67.4% أن جو المنافسة بين المحطات الفضائية والتغطيات الإخبارية الحصرية تساعد على المخاطرة من أجل تحقيق السبق الصحفي وأن 27.4% يرون أن ذلك يكون أحيانا و75.8% يرون أن العمل في مجال الأعلام لابد أن يكون مستقلا بعيدا عن أي مصالح أو تأثيرات داخلية أو خارجية.

ويرى 87.9% أن الأطراف المتنازعة في ظل الحروب والأزمات لا توفر حماية كافية للصحفيين والإعلاميين في التغطيات الميدانية، وأظهرت الدراسة أن 74.2% يرون ارتفاع عدد الصحفيين والإعلاميين الذين قضوا في الميدان في ظروف الحرب والأزمات مثل العراق وأفغانستان وفلسطين والمناطق الساخنة الأخرى في العالم. وأن 77.7% يرون أن إصابة الكثيرين من الإعلاميين في التغطيات الميدانية غالبا ما يكون متعمدا وليس بالخطأ دائما أو أحيانا وأن 81.6% يرون أن القوانين الإعلامية والصحفية التي تكفل حرية العمل الصحفي والإعلامي لا تفعل ولا تجنب الإعلاميين والصحفيين الاعتقالات والمساءلات والمحاكمات والسجون في كثير من الدول في ظروف الأزمات والطوارئ.

---

* قسم الصحافة، كلية الإعلام، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

المقدمة والإطار النظري

يشكل العمل في الإعلام مهمة لا يمكن الاستهانة بها، حيث يحرص العاملون في مجال الإعلام على الوصول إلى المعلومة وبالتالي نقلها إلى الجمهور، بطريقة سلسة تضمن لهذا الجمهور الوقوف على الحدث والحقائق.

ولا يعني ذلك أن الوصول إلى المادة الإعلامية عملية سهلة المنال فقد يواجه الإعلامي أحيانا خطورة معينة سواء كانت نفسية أو مادية، حيث يقع الإعلامي عادة بين طرفين كالحكومة والمواطن أو خلال الحروب والمنازعات بين الدول والطوائف المختلفة. ومن هنا تبرز صعوبة العمل داخل هذا الجو المحفوف بالمخاطر.

إن التقارير الدولية تشير إلى أن دول الشرق الأوسط من أعلى الدول التي يتعرض فيها الإعلاميون لمثل هذه المخاطر، وخصوصاً تلك الاعتداءات التي تصيب الإعلاميين العاملين في العراق في ظل الاحتلال الأمريكي والبريطاني[(1)].

فقد أعلن الاتحاد الدولي للصحافيين عن إطلاق حملة عالمية للتضامن مع الصحفيين في العراق في ظل القتل والأخطار التي يواجهونها بعد مقتل (130) صحافيا الأمر الذي يعد من أكبر المآسي التي تعرض لها الصحفيين في التاريخ وقد تم تنظيم الحملة في الخامس عشر من يونيو (2006). وكان ذلك في اليوم الوطني للصحافة في العراق - للتركيز على الأزمة التي تواجه الصحفيين في العراق واستهداف الصحافة من قبل مختلف الأطراف المتحاربة على الساحة العراقية.[(2)]

إن أعداد الصحفيين الذين قتلوا في العراق يفوق أعداد من قتلوا من الصحفيين في أي وقت من أوقات الأزمات والصراعات وقد تضمنت الحملة العديد من الإجراءات بما في ذلك عمليات التدريب لضمان سلامة الصحفيين ولتوفير الحماية لهم وتوفير الدعم الإنساني إلى جانب إطلاق حملة واسعة لوقف التدخلات السياسية في عمل الصحافة.

وأكدت الحملة على أن ما تحتاجه من الحكومات في بغداد وواشنطن ولندن هو الاعتراف بخطورة الأوضاع وبذل المزيد من الجهود لحماية الصحافة.[(3)]

وقد انتقدت لجنة حماية الصحفيين التي تتخذ من نيويورك مقرا لها الجيش الأمريكي لتقاعسه المستمر إزاء قتل الصحافيين في العراق بأيدي قوات أميركية وقالت إن وزارة الدفاع الأمريكية البنتاغون تفقد المصداقية نتيجة لذلك.

وقال تقرير لجنة حماية الصحافيين إن القوات الأميركية قتلت ثلاثة عشر صحفياً منذ بدء الحرب التي قادتها الولايات المتحدة في مارس آذار (2003) وأن أربعين آخرين على الأقل قتلوا في هذه الحرب. لقد سقط طارق أيوب برصاص القوات الأمريكية وسقط مازن دعنه وغيره - برصاص القوات الأمريكية وسقط نزيه دروزه برصاص القوات الإسرائيلية.

وقد ناشدت منظمة مراسلون بلا حدود الرئيس المصري حسني مبارك أن يقوم بتنفيذ الإصلاحات السياسية الهامة للديموقراطية وأن يستجيب للميثاق العربي لحقوق الإنسان في فترة رئاستة الخامسة، واستبعدت المنظمة ضمان حرية التعبير في مصر طالما استمر سجنه للصحفيين. كما دعت المنظمة إلى ضرورة تعديل قانون الصحافة كما وعد الرئيس مبارك بنفسه.

وفي الأردن رفضت نقابة الصحفيين الأردنيين بشدة إلغاء مبدأ إلزامية العضوية في النقابة وذلك طبقا للإستراتيجية الوطنية للشؤون الأردنية في مختلف المجالات. وقد أوضحت النقابة في بيان أصدرته بهذا الصدد أن من شأن إلغاء مبدأ إلزامية العضوية في نقابة الصحفيين يؤدي إلى الفوضى في ممارسة المهنة بغياب مرجعية معتمدة للصحفيين تحدد واجباتهم وحقوقهم ومسؤولياتهم وعلاقتهم ببعضهم وعلاقات الصحفيين بالآخرين وبالجهات الرسمية[4].

كما أقر مجلس النواب الأردني قانون المطبوعات والنشر الذي ينص على حبس الصحفيين في جرائم إبداء الرأي بالقول والكتابة دون الإلتفات لطلب الصحفيين بإعادة مناقشة القانون[5].

وفيما شهد العالم سقوط الأنظمة الشمولية خلال التسعينات كان الصحفيون العرب يمنون النفس أن يكون القرن الحادي والعشرين فاتحة عهد جديد للممارسة الإعلامية الحرة. ولكن من فلسطين إلى العراق مرورا بمعظم دول الشرق الأوسط لم يتغير السواد الذي ميز سنوات القمع وإنما أخذ يزداد. فقد ارتفع عدد القتلى من الصحفيين ممن سقطوا في ظروف الحرب كما ارتفع عدد السجناء من الصحفيين كما ارتفع عدد المطرودين من عملهم وزادت ممارسات تكميم الأفواه وانتهاك الحرية الصحفية في معظم الدول العربية[6].

وفي اليمن يبدو الوضع قاتما فقد تعرض الصحفيون إلى السجن والاختطاف والضرب والملاحقة وتشويه السمعة والتهديد بالقتل وقد أغلقت صحف معارضة وصحف أهلية صُودرت معداتها ومقراتها واستنزفت طاقات بعضها في عشرات من القضايا. فأزمة الصحافة اليمنية الراهنة بدأت وتصاعدت بسبب خلاف حول مشروع قانون جديد للصحافة والمطبوعات بين الساعيين لوضع مزيد من القيود على حرية الصحافة والساعين إلى توسيع مساحة الحقوق والحريات وتنامي مطالب الداخل والخارج بحريات أوسع[7].

وفي تقرير منظمة مراسلون بلا حدود حول حرية الصحافة في العالم العربي لعام (2004) فقد قتل واحد وعشرون صحافيا في منطقة الشرق الأوسط بما في ذلك العراق. وسجن أربعة عشر صحافيا بتهم التعدي على رئيس البلاد ونشر أخبار زائفة وغيرها من التهم. كل الدول العربية باستثناء لبنان جاءت في المراتب ما بعد المئة في ترتيب حرية الصحافة في العالم بالإضافة إلى زيادة الرقابة على الإنترنت في دول عديدة وملاحقة مستعملي الشبكة قانونيا وترابط المصالح بين وسائل الإعلام وأصحاب النفوذ المالي والسلطة في دول الخليج الأمر الذي يدفع الصحفيين نحو ممارسة متزايدة للرقابة الذاتية.[8]

فكيف يمكن تفسير تزايد الانتهاكات لحرية الصحافة في العالم العربي خلال السنوات الأخيرة.

يقول الصحافي نضال منصور رئيس مركز حماية وحرية الصحافيين: "نظرا لوجود مناطق ساخنة في المناطق العربية يزيد من فرص سقوط شهداء وضحايا في أوساط الصحافيين وتراجع حالة الصحافة وحرية الصحافة في العالم العربي. فعام (2004) لم يكن عاما أسودا فقط وإنما كان عاما داميا على الصحافيين والإعلاميين. ومنذ عام (1999) كان هو العام الأسوأ في تاريخ الصحافة في المنطقة العربية تحديدا".[9]

ولكن إلى أي مدى يتأثر واقع حرية التعبير داخل العالم العربي بتحولات خارجية كالحرب على الإرهاب والدعوات الأميركية؟

"إن أي مراقب منصف يستطيع أن يرى أن هناك تقدما في هامش حرية الإعلام في المنطقة العربية ولكن هذا التقدم ليس كما نريد ولا كما ينبغي أن يكون. ولكن في المقابل فإن الحرب على الإرهاب أيضا كان لها نتائج سلبية تحت ذريعة الحرب على الإرهاب وتم منع وصولهم إلى المعلومات تحت حجج واهية كذلك فإن الحرب على الإرهاب أعطت ضوءا أخضرا لكثير من الأنظمة العربية للانقضاض على حرية الإعلام وإصدار تشريعات مناهضة ومضادة لحرية الإعلام تحت ذريعة حماية الوطن من الإرهاب. فهناك عاملان الأول يتمثل في الإيجابيات التي تمت من خلال الضغط على الأنظمة العربية من أجل فتح بعض النوافذ لحرية الإعلام والعامل الثاني يتمثل في استخدام شعار الحرب على الإرهاب للبطش بالإعلاميين وبالمؤسسات الإعلامية".[10]

فقضية مكافحة الإرهاب ليس في العالم العربي فحسب بل في العالم كله يحاولون اليوم استعمال قضية مكافحة الإرهاب والحفاظ على الأمن القومي ليقمعوا الصحافة حتى الصحافة في فرنسا وحتى في أميركا.[11]

وقد أعربت منظمة مراسلون بلا حدود عن صدمتها بعد قرار الحكومة التونسية منع عقد المؤتمر التأسيسي لنقابة الصحفيين التونسيين الذي كان قد خطط لانعقاده في السابع من سبتمبر

- أيلول (2006)، وقالت المنظمة أن الأمم المتحدة كانت قد أعلنت موافقتها على عقد القمة العالمية لمجتمع المعلومات في تونس في نوفمبر من عام (2006). من أجل أن تعطي الفرصة للسلطات التونسية لتحسين مواقفها حول حرية التعبير. وطالبت مراسلون بلا حدود تونس رسميا بالسماح لنقابة الصحافيين بعقد مؤتمرها التأسيسي وفقا للدستور والقوانين المعمول بها.[12]

لا شك أن الإعلام يقدم رسالة محددة وفق معايير طرحه الاستراتيجي ومراده النهائي ولهذا نجد أن تكميم الأفواه هي أول هذه المخاطر وبحسب قوة الإعلام وقدرته على صياغة العقول وتوجيه الناس يأتي رد الفعل من الخصم[13].

البث الفضائي وحرية التعبير:

ويرى البعض أن الصورة في العالم العربي ليست كلها سيئة وأن هناك خطوات في بعض المجالات مثل البث الفضائي الذي فتح نوعا ما مجال حرية التعبير وبعض المحاولات الرائدة في الصحافة المكتوبة. يقول جويل كامبانيا مسؤول قسم الشرق الأوسط بلجنة حماية الصحفيين: "لقد ساهمت الفضائيات مثل الجزيرة والعربية في حرية الرأي في العالم العربي وخاصة في تغطية الصراعات والحروب فأظهرت بأنها تعمل على أسلوب أفضل المحطات الفضائية إذ غطت الأخبار وجاءت بالأخبار العاجلة واعتقد أن المنطقة العربية في صحفها المطبوعة أظهرت على أنها تمارس عملها بشكل مهني ومؤثر واعتقد أن جميع هذه الأشياء الإيجابية بدأت تخلق"[14]. ويقول جبران التويني "إن الوضع الإعلامي في العالم العربي تطور نحو الأفضل فتليفزيون الجزيرة كان السباق في كسر طوق الخوف والعقدة التي كانت موجودة في العالم العربي وهو الذي خلق نوعا ما الوسيلة الإعلامية المرئية المسموعة التي تنافس مصداقية بين مزدوجين الوسائل الإعلامية المرئية والمسموعة الغربية. وبعد تليفزيون الجزيرة رأينا أن هناك عدة دول تريد أن تؤسس لمحطات تليفزيونية مثل تليفزيون الجزيرة، ودخلنا في نوع من المنافسة حول من هو حر أكثر من الآخر أو من ينقل الحقيقة بين مزدوجين أكثر من الآخر.

وعلى مستوى الإعلام المكتوب نرى أن هناك وبمعزل عن السعودية نرى أن هناك تطورا أيضا في الإعلام المكتوب في العالم العربي ففي قطر وفي الكويت مثلا هناك صحف تابعة للقطاع الخاص وتحاول بشتى الطرق أن تخالف الصحف الخليجية كما اعتدنا عليها والتي كانت دائما تنشر في صفحاتها الأولى نوعا من التمجيد للحاكم أو أخبارا رسمية فقط لا غير.

إذا هنالك محاولات جدية مكتوبة وهنالك محاولات جدية على مستوى الإعلام المرئي والمسموع المشكلة تبقى في التعاطي مع الحكومات. ما زالت الحكومات العربية تعتبر أن لها الحق في أن تفرض الرقابة وأن أي مؤسسة لا تشاطرها الرأي هي مؤسسة عميلة لإسرائيل أو خائنه يجب إقفالها ويضيف جبران تويني: "لقد عانينا من ذلك في لبنان بالذات ورأينا أن الدولة اللبنانية

أقفلت محطة تيليفزيون (M.T.V) وحاولت أيضا إقفال محطة (New T.V) فمن الصعب على الدولة في لبنان أن تسكت الصحف لأن قانون المطبوعات في لبنان أفضل بكثير من قانون المرئي والمسموع وربما لأن هنالك جذور حقيقة لحرية الصحافة المكتوبة في لبنان وتنوع على مستوى حرية الصحافة المكتوبة التي خلقت نوعا من المناعة نوعا ما في وجه الحكومات اللبنانية، في وجه الأجهزة الأمنية وفي وجه كل من اعتبر أن العالم العربي يجب أن لا يكون حرا، في إعلامه"[15].

إن التطور في تكنولوجيا نقل المعلومات قد سلب صانعي القرار حقهم في التحكم في كم وطبيعة المعلومات التي يتم نقلها ويعرض صانعي القرار إلى مواجهة مواقف حرجة أمام الرأي العام الدولي. ففي عام (1994) فشلت الإدارة الأمريكية في التحكم في اللقطات والأنباء التي نقلتها وسائل الإعلام من هاييتي والتي تضمنت إدانة مباشرة للتصرف الأمريكي وفي أبريل (1995) سعت إسرائيل لتوظيف الإعلام واستخدامه كأداة للدعاية لدقة أسلحتها وذلك أثناء الهجوم المدفعي الذي شنته على جنوب لبنان في محاولة منها لإقناع الرأي العام الدولي بدقة المدفعية الإسرائيلية مؤكدة أن مدفعيتها لن تصيب سوى أعضاء حزب الله. لكن الأحداث جاءت مغايرة لهذا الاقتراض. ففي غضون ساعات قليلة انتشرت أخبار مصرع مائة لاجئ فلسطيني في مخيم "قانا" للأمم المتحدة بالمدفعية الإسرائيلية وبث القمر الصناعي صورا مروعة لهذه المأساة الإنسانية في جنوب لبنان.

ورغم محاولات إسرائيل المتعددة آنذاك في البحث عن مخرج لتبرئ نفسها من هذا العمل الوحشي، إلا أن بعض اللقطات التي التقطها أحد أفراد قوات الأمم المتحدة لإحدى الطائرات الإسرائيلية التي كانت تحوم فوق مخيم "قانا" في الوقت نفسه بدأت إسرائيل شن هجومها المدفعي على المخيم. قد أجبر المجتمع الدولي على إدانة إسرائيل وإجهاض محاولاتها[16] في الدفاع عن فعلها وإيجاد مبرر لذلك العمل اللاإنساني.[17]

إن وسائل الإعلام العربية تشكو ضعفا في الضوابط المهنية وتسقط أحيانا في إشاعة "وهم الديمقراطية" فغالبا ما يستخدم هامش حرية التعبير المسموح به من جانب السلطات العامة كبديل عن الديمقراطية، وفي إطار تطبيق الدول العربية نموذج التعددية المقيدة الذي لا يسمح بتداول السلطة ولكنه يتيح هامشا من حرية التعبير.[18]

لقد ظهرت مجموعة من المعطيات خارجة كليا عن فضاء الحرية ونابعة من انتعاش المنافسات بين أسر سياسية وتجارية ورؤوس أموال سياسية تستثمر في الإعلام وهذا يوحي بنوع من "التعددية والحراك" الذي يمكن أن يوجد وهما بديلا عن الديمقراطية والعمل السياسي.

كذلك فإنه لا يوجد سوق كاف لكل هذا الكم الهائل من المحطات الفضائية والصحف التي تنشأ يوميا في الفضاء الإعلامي العربي.

فالإعلام العربي لن يستطيع مهما تسلح بالإمكانيات ومهما استفاد من تقنيات عصر المعلومات أن يؤدي الدور المطلوب منه دون وجود عملية إصلاح جذرية وشاملة لواقعنا العربي. فعلى الإعلام العربي أن يكون أداة تنوير وتغير وليس وسيلة لتجاهل الحقائق أو طمسها وتزييفها.[19]

ميثاق حماية الصحافيين في مناطق الحروب

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية عقد مؤتمر دبلوماسي دامت مداولاته (4) أشهر، واعتمدت على أثره اتفاقيات جنيف الأربع عام (1949) التي عززت حماية المدنيين في أوقات الحرب، وأكملت هذه الاتفاقيات عام (1977) ببروتوكولين إضافيين.

لا يتم دائما ضمان سلامة الصحافيين ممن يؤدون مهام خطرة، وحتى إذا كان القانون الدولي ينص على الورق، على توفير حماية مناسبة، فإن الأطراف المتحاربة في هذه الأيام لا تبدي احتراما كافيا تجاه ذلك القانون، فالعاملون في مجال جمع الأنباء لا يحصلون على ضمان من المعتدين بأنهم سيجدون حماية كاملة، وبسبب المخاطر التي يواجهونها لتوفير المعلومات للرأي العام، فإنه يحق للعاملين في أجهزة الأعلام والصحافيين ومن يعاونونهم (إن كانوا من المتفرغين للعمل) أو الذين يعملون بالقطعة Free Lancers في مناطق الحرب أو المناطق الخطرة الحصول على الحماية والتعويض والضمانات الأساسية من مخدوميهم، على ألا يعني ذلك أن تخضع حمايتهم لإشراف السلطات العسكرية أو الحكومية المحلية، كما أن على مديري أجهزة الأعلام تحمل المسؤولية لبذل الجهود كافة لتطبيق المبادئ الثمانية التالية:

المبدأ الأول: الالتزام

على وسائل الإعلام والسلطات العامة والصحفيين أنفسهم السعي للتوصل إلى أساليب تمكن من تقييم المخاطر والتقليل منها في مناطق الحرب أو المناطق الخطرة وذلك عن طريق التشاور بعضهم مع بعض وتبادل المعلومات المفيدة، وأن المخاطر التي يواجهها الصحفيون العاملون في وسائل الإعلام وزملاؤهم المستقلون ومعاونوهم والموظفون المحليون وموظفو الإسناد إنما تتطلب الاستعداد والحصول على المعلومات والتأمين والمعدات المناسبة.[20]

المبدأ الثاني: الإرادة الحرة

تتضمن تغطية الحروب قبولا من جانب العاملين في وسائل الإعلام بالمخاطر المرتبطة بها، والتزاما شخصيا يعني أنهم يذهبون إليها على أساس تطوعي بحث، ويحق لهم بسبب تلك

المخاطر رفض القيام بمثل تلك المهام من دون إبداء أي تبرير ومن دون اعتبار تصرفهم بأنه غير مهني، ويمكن إنهاء المهمة في الميدان حسب طلب المراسل أو مسؤولي التحرير بعد التشاور بين الطرفين، مع أخذ المسؤولية المشتركة للطرفين بعين الاعتبار كما يجب على مسؤولي التحرير توخي عدم استخدام أي نوع من أنواع الضغط على المراسلين الخاصين للتعرض لمخاطر إضافية.

المبدأ الثالث: الخبرة

تتطلب تغطية الحرب مهارات وخبرات خاصة وعليه يجب على مسؤولي التحرير اختيار المراسلين أو الصحافيين المستقلين free Lancers ممن يتميزون بالخبرة ومن لديهم تجربة في مناطق الأزمات، والصحافيون ممن يغطون الحرب للمرة الأولى يجب عدم إرسالهم إلى هناك وحدهم بل يجب أن يكونوا في صحبة مراسل ذي خبرة أكبر.كما يجب تشجيع العمل الجماعي في الميدان، وعلى مسؤولي التحرير الاستماع لتجربة العاملين لديهم عند عودتهم وذلك للتعلم من تجربتهم.

المبدأ الرابع: الاستعداد

التدريب بصورة دورية على كيفية مواجهة الأخطار في مناطق النزاع أو التوتر من شأنه أن يحد من المخاطر التي يتعرض لها الصحافيون، ولذلك يتعين على إدارة التحرير أن تطلع الصحافيين العاملين لديها وكذلك الصحافيين المستقلين على أي دورات خاصة توعوية تنظمها هيئة مؤهلة لذلك محلية كانت أم دولية، وتسهيل مشاركتهم فيها.

ويتعين على كليات الصحافة المرموقة على الصعيد المهني أن تدخل في منهاجها برنامجا للتوعية بهذه القضايا.

المبدأ الخامس: التجهيزات

يجب أن تزود إدارة التحرير الموفد الخاص إلى المناطق الخطرة بعدة فعالة تضمن سلامته (سترة واقية وخوذة، مركبة محصنة إذا أمكن ذلك) وأجهزة اتصال (جهاز تحديد الموقع) وحقيبة الإسعافات الأولية بالإضافة إلى مواد غذائية يعتاش عليها.[21]

المبدأ السادس: التأمين

ينبغي أن يستفيد الصحافي والفريق المرافق له أثناء عمله في المناطق التي تشهد نزاعا أو توترا من تأمين وضمان يغطي المرض، والترحيل، والإعاقة والوفاة.

وعلى الإدارة في المؤسسات الإعلامية أن تتخذ التدابير اللازمة لتحقيق ذلك قبل تكليف العاملين لديها بمهمة خطرة أو توظيف متعاونين للاضطلاع بها. وعليها أن تحرص على تطبيق مقتضيات المواثيق والاتفاقات ذات الصلة بالمهنة بحذافيرها.

المبدأ السابع: الدعم النفسي

على الإدارات في المؤسسات الإعلامية أن تحرص على أن يستفيد الصحافيون وأفراد الفريق المعاون من الاستشارات النفسية فور عودتهم من العمل في مناطق الخطر أو بعد إجراء تحقيقات حول أحداث مؤثرة في حال رغبوا في ذلك.

المبدأ الثامن: الحماية القانونية

يعتبر الصحافي المكلف بمهنة خطرة شخصية مدنية طبقا للبند (79) من البروتوكول الإضافي الأول في مواثيق جنيف، شرط ألا يقدم على أي عمل أو يأتي أي سلوك قد يؤثر على هذا الوضع، وبخاصة المشاركة بشكل مباشر في العمل الحربي عن طريق حمل السلاح أو القيام بنشاط تجسسي، ويمثل الاعتداء المتعمد على الصحافي الذي يسبب وفاته أو يعرض سلامته الجسدية لأضرار خطيرة انتهاكا خطيرا للبروتوكول، أي جريمة حرب.

من هم الذين يحميهم القانون الدولي الإنساني؟

- اتفاقية جنيف الأولى (1949) تحمي أفراد القوات المسلحة الجرحى والمرضى في الميدان.
- اتفاقية جنيف الثانية (1949) تحمي أفراد القوات المسلحة الجرحى والمرضى والغرقى في البحار.
- اتفاقية جنيف الثالثة (1949) تحمى أسرى الحرب.
- اتفاقية جنيف الرابعة (1949) تحمي الأشخاص المدنيين.
- البروتوكول الإضافي الأول (1977) يعزز الحماية المكفولة لضحايا النزاعات المسلحة الدولية.
- البرتوكول الإضافي الثاني (1977) يعزز الحماية المكفولة لضحايا النزاعات المسلحة غير الدولية.[22]

ورشة عمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر مع وسائل الإعلام العربية: تحديات العمل الإنساني في ميادين الحروب بين السرية والحياد

على مدى يومين، نظم الصليب الأحمر الدولي ورشة عمل في بيروت كانت الأولى التي تجمع بين اللجنة الدولية وعدد من ممثلي وسائل الإعلام والفضائيات والصحف العربية، بهدف تعزيز الحوار والتعاون بين المنظمات الإنسانية ووسائل الإعلام في ساحات الحرب، وزيادة درجة التعارف فيما بينهم، حرصا على حماية ضحايا النزاعات المسلحة بشكل فعال.

ورغم أن أعمال الورشة وعنوانها "تحديات العمل الإنساني في ميادين الحروب" توزعت حول مواضيع عدة مختلفة، فإن محور النقاش في كل المواضيع كان المعلومات التي يتكلم عنها الصليب الأحمر، خصوصا المتعلقة ببعض السجون والمعتقلات، وامتناع هذه الهيئة عن تسريبها إلى الإعلام كما حدث في قضية الانتهاكات التي جرت في سجن أبو غريب في العراق.

ممثلو الصليب الأحمر جادلوا بأنهم يبقون معلوماتهم سرية كي يتمكنوا من مواصلة زيارة السجناء والمعتقلين، وبالتالي الضغط على الحكومات والجهات المعنية من دون اللجوء إلى الإعلام، وذلك من منطلق التقيد بالقانون الدولي الإنساني كمرجع أساسي للتغطية الإعلامية للنزاعات المسلحة، أما الصحفيون فقد حاججوا أن في ذلك إخفاء لحقائق وانتهاكات خطيرة لا بد أن يطلع الرأي العام عليها.

وعلى هامش هذا النقاش، جرت نقاشات أخرى حول مسائل لا تقل خطورة، وبدا واضحا جدا أن أيا من الطرفين لا يملك سياسة محددة تجاه الآخر، كما بدا واضحاً أن اللجنة الدولية ملمة بتفاصيل العمل الصحفي وتدرك جيدا أسلوب المخاطبة السليمة مع وسائل الإعلام، على العكس، فإن معظم الصحافيين المشاركين في الورشة بدوا من خلال ما طرحوه وسألوا عنه أنهم غير ملمين بأصول عمل المنظمات الإنسانية المستقلة، وأما الإعلاميون العرب فطرحوا رغبة في أن تتدخل اللجنة لدى رئاسات التحرير لإفساح مجال أوسع أمامهم للتواجد أكثر في النقاط الساخنة وتلك التي تشهد انتهاكا بحق الإنسان.

وبدلا من استغلال كل الوقت والنقاش للوصول إلى آلية عمل وتعاون مشترك حاول معظم المشاركين تسييس القضايا المطروحة، ومارسو اسقاطات معتقداتهم ومبادئهم وتجاربهم الخاصة، فيما بقي أعضاء اللجنة الدولية متمسكين بمبادئ عملهم "القانون الدولي الإنساني"، فهم ومن خلال تنظيم ورشة العمل هذه مارسوا النقد الذاتي بشكل صحيح وسليم مائة في المائة. وبطرحهم الاستعداد لتنظيم ورش عمل مماثلة، وزيارات ميدانية إلى ميادين الحروب وبعض المعتقلات وإقامة دورات تدريبية للصحافيين حول حقوق الإنسان وضعوا الكرة في ملعب وسائل الإعلام العربي للبدء بآلية عمل حديثة تفرد مساحات أوسع للاهتمام بقضايا الإنسان الإنسانية بشكل أفضل.[(23)]

أعقب المداخلات التي توزعت على أربع جلسات عمل (بمعدل جلستين كل يوم) حوار بين المشاركين والمنظمين طرح تساؤلات عدة حول موقع اللجنة الدولية للصليب الأحمر بين "الجلاد والضحية" وإمكانية استباق الأزمات الإنسانية.كما طرح الحوار تساؤلات حول تعامل الأنظمة العربية مع القضايا الإنسانية ومدى استقلالية الإعلام العربي.

ففي الشق الأول المتعلق بالموقع بين الجلاد والضحية، بدأ الإعلاميون العرب المشاركون متحدين، متفاهمين متفقين، حول ما يجري ضد بعض الشعوب العربية والإسلامية. واجمعوا على أنه "ظلم استبدادي وراءه مؤامرة امبرالية مدروسة".

وأعطوا مثالا ما جرى في سجن أبو غريب في بغداد من انتهاكات ضد حقوق المعتقلين العراقيين تمت على يد جلاد أمريكي. فهذا الحادث لاقى انسجاما شاملا بين المشاركين الإعلاميين وهو أمر ينسجم مع موقف عربي عام حيال التدخلات الأمريكية في المنطقة.

ويقابل ذلك حقيقة أخرى وهي أن الإعلام العربي يعيش حالة من التناقض حين يتعلق الأمر بانتهاكات قام بها عرب أو مسلمون. وهو أمر قاتم ومقلق وأبرز مثل على ذلك الانقسام الذي جرى بين المشاركين لمجرد طرح قضية عمليات الإبادة والتطهير العرقي التي جرت في دارفور (غرب السودان) بإقرار منظمات دولية عديدة. فبعيدا عن القصور الإعلامي العربي لجهة تغطية أحداث ومآسي القارة الأفريقية بشكل معمق، فإن محاولات بعض وسائل الإعلام الالتفاف على حقيقة أن جماعات عربية تقف وراء عدد من الانتهاكات أمر يدعو للتوقف والتأمل والمحاسبة الذاتية.

ففي حادثة أبو غريب نذكر أن وسائل الإعلام العربية لم تتناول الموضوع إلا بعد أن نشرت وسائل الإعلام الغربية الفضيحة مستندة إلى تقرير اللجنة الدولية للصليب الأحمر الذي تسرب إليها بطريقة ما.

كما أن نوعية الانتهاك الذي طال معتقلي أبو غريب –الاعتداء الجنسي - ساهم في تضخيم صورة الفضيحة في وسائل الإعلام - والدليل أنه عندما نشرت صور أخرى أيضا للانتهاكات ضد المعتقلين العراقيين بعد أشهر قليلة فقط (لم تكن ذات طابع فاضح)، لم يعرها الإعلام العربي الأهمية نفسها، فيما كان موقف اللجنة الدولية ثابت من الحادثين. فهي تركز في الدرجة الأولى على المبدأ "وهو حظر تصوير أو عرض صور لمعتقلين مهما اختلفت جنسياتهم وانتماءاتهم في أي ظرف وتحت أي طارئ".

وفي حين حاجج الصحفيون بكل ما يملكونه ودافعوا عن شرف وحرية وأمن المواطن العربي والإسلامي، متهمين اللجنة "بالتستر" تارة وبالتقصير والتحيز تارة أخرى، رد مندوبو اللجنة بحجج أقوى مستندين إلى مبدأ عملهم "القانون الإنساني الدولي" الذي يفرض عليهم العمل بسرية والوقوف عند مسافة متوازية بين طرفي أي نزاع، والامتناع عن تسمية من هو الجلاد ومن هو الضحية. ولم يكتف مندوبو اللجنة بهذا الحد بل أعادوا الكرة إلى ملعب وسائل الإعلام العربية خصوصا فسجن أبو غريب يقع في بلد عربي يضم مندوبا أو أكثر لكل وسيلة أعلام عربية بمن فيهم الصحافيون العراقيون، والمعتقلون الذين طالتهم الفضيحة لم يكونوا أول المسجونين ولا

آخرهم. ومع ذلك لم يبادر أي صحافي أو وسيلة أعلام عربية إلى تسليط الضوء على ما يجري داخل أبو غريب على سبيل المثال. ولو بادر أحد بإخبار اللجنة لتم تدخلها في وقت أبكر وبفعالية أكبر، مثلما حدث بداية الحرب على العراق عندما تلقت اللجنة تقريرا من عراقيين يفيد بأن القوات الأمريكية استخدمت قذائف انشطارية وعنقودية في أحياء سكنية وتمكنت من إيقاف ذلك في حينه. وقال آخر عرضت بعض الشاشات المتلفزة صور الجنود الأمريكيين الذين وقعوا أسرى بيد مسلحين عراقيين.

يومها سارع ذوو الجنود للاحتجاج لدى اللجنة والمعنيين لأنهم يدركون أن عرض صور أبنائهم وهم أسرى انتهاك لحقوقهم الإنسانية يحظره القانون الدولي. فيما لم يعترض أي من ذوي الأسرى العراقيين على عرض صور أبنائهم لأنهم ببساطة يجهلون هذا الحق، كما يجهله معظم الصحافيين العرب الذين تورطوا في عرض صور لأسرى عرب "كسبق صحفي" وتهمة الجهل تنطبق أيضا على الأسير نفسه.(24)

كان للجنة الدولية بعض المآخذ على وسائل الإعلام العربية. فاللجنة تتهم الإعلام العربي بتحريف تقاريرها أحيانا أو إهمالها إذا لم تتضمن ما يخدم تطلعاتها وأهدافها (السياسة قبل الإنسانية) كما تتهمها "بالتقاعس" عن ممارسة دورها في الإبلاغ عن التكلفة البشرية للحروب. وفي هذا الخصوص ردت على تساؤلات البعض "لماذا تقدم المعلومة إلى وسائل الإعلام الغربية قبل العربية بالقول "ببساطة لأنها لها تواجدا أكبر في ميادين الأحداث".

أما ما يخص "السرية" التي تتسلح بها اللجنة الدولية لحماية من تعمل معهم أولا ومن يعمل معها ثانيا وحرصا على تحقيق هدفها أخيرا، كان للإعلاميين موقف مغاير. فوسائل الإعلام من حيث المبدأ ضد السرية والحياد ويقوم عملها وأدواتها على رفض السرية وكل ما هو مغلق والإخبار العام به، كما أن المهنة ليست حيادية والالتزام بالعلنية والموضوعية مسألة رئيسية والسرية تفرض في العمل الصحفي لأسباب دكتاتورية فقط لا قانونية.وقد اجمع معظم المشاركين على ضرورة أن تعدل اللجنة من شروط السرية، كأن تضع حيزا للمساومة وخرق المبدأ عندما تكون الانتهاكات فاضحة بحجم ما جرى في أبو غريب ودارفور.

لا توجد سياسة متبادلة:

لا تملك وسائل الإعلام سياسة محددة تجاه المنظمات الإنسانية.ويظهر دور هذه المنظمات في وسائل الإعلام مع بروز أزمات محددة فيها معاناة واسعة. ثم يختفي هذا الدور في الحالات العادية مع أن دور هذه المنظمات أوسع بكثير بموازاة الأزمات المزمنة والمستمرة منذ عقود مثل القضية الفلسطينية.

وفي المقابل يبدو أن المنظمات الإنسانية لا تملك أيضا سياسة إعلامية واضحة ومستمرة وتعتمد بدورها المناسبات للإشهار عن نشاطاتها.

ومن المؤسف القول أن المنظمات التي تهتم بالإعلام حتى الآن إنما تغطي بهذا الاهتمام عدم قيامها بنشاط كاف في المجال الإنساني.وأن المنظمات الناشطة في مجال عملها لا تنشط إعلاميا مع أن الأمرين لا يتناقضان مع بعضهما البعض.

يجب الاعتراف بأن المعلومات عن الكثير من الأزمات في العالم ذات البعد الإنساني تأتينا عبر هذه المنظمات منها دارفور وغزة والمجاعات في القارة الإفريقية وانتهاك حقوق الإنسان في العديد من الدول مثل كولومبيا، ولكن من المؤسف القول أن أهم المعلومات الخاصة بالبلدان العربية والإسلامية تأتينا عن طريق وسائل الإعلام الغربية وكأن هناك خللا في العلاقة بين هذه المنظمات ووسائل الإعلام العربية.

وفي المقابل فإن اهتمام وسائل الإعلام العربية بالنشاطات الإنسانية وبقضايا حقوق الإنسان ضعيف وفقير مقارنة بالقضايا السياسية على سبيل المثال لا الحصر.

إشكالية ازدواجية المعايير:

خصصت الجلسة الأولى من اليوم الأول للقضايا والتحديات التي تواجه العمل الإنساني المستقل المحايد في الميدان، قدم العرض مندوب اللجنة الدولية في جنيف يحيى عليبي الذي قال "إن أخطر ما يواجهه العاملون في اللجنة اتهامات بازدواجية المعايير، أو متطلباتهم بأخذ موقف من النزاع الدائر، أي الوقوف إلى جانب طرف ضد آخر، وهذا ما يتناقض مع أسس وقوانين عمل اللجنة ألا وهي عدم التحيز والتزام الحياد"

وطرح شعبان عبد الرحمن (مجلة المجتمع – الكويت) إشكالية "استغلال العمل الإنساني لأسباب سياسية" وعرض الزميل احمد عبد المجيد (جريدة الزمان- العراق) في مداخلته "انعدام الأمن: أحد تحديات العمل الإنساني في الميدان" للحملة العسكرية الأمريكية المستمرة وأثارها على مختلف القطاعات في العراق. وقدم رضوان أبو عياش (هيئة الإذاعة الفلسطينية) مداخلة بعنوان "كيف يرى الإعلام العربي العمل الإنساني المستقل" أشار فيها إلى ضرورة التنسيق بين المؤسسات الإعلامية والمنظمات الإنسانية والسعي إلى تقديم الصورة الحقيقية للمنظمات، والرد على الدعايات المضادة التي تستهدفها.

تجارب ميدانية:

وتناولت الجلسة الثانية قضية "الإعلام والعمل الإنساني" فقدم حازم الأمين (جريدة الحياة- لبنان) توصية بتعديل مبدأ السرية في العمل الإعلامي للمنظمات الإنسانية الدولية. كما عرضت

المندوبة السابقة للجنة الدولية في العراق ندى دوماني "للتغطية الإعلامية للأزمة العراقية- تجربة الصليب الأحمر" وماجد سعيد (تلفزيون أبو ظبي- فلسطين) "للتغطية الإعلامية للنزاع بين إسرائيل وفلسطين" وأجرى كمال بن يونس (جريدة الصباح- تونس). مقارنة بين الإعلام في المشرق والمغرب، والتغطية الإعلامية للعمل الإنساني" ليختم مندوب اللجنة في لندن رولان هوجونين حول "أزمة دارفور ودور الإعلام".

السرية والحياد:

خصصت الجلسة الأولى في اليوم الثاني للورشة لمناقشة أسلوب عمل اللجنة الدولية للصليب الأحمر، فعرض مندوب منطقة الشرق الأوسط وشمال أفريقيا أماكن تواجد اللجنة في العراق وإسرائيل وفلسطين والصحراء الغربية، ومثال إتباع أسلوب الحياد والسرية في حادثة الانتهاكات التي جرت في سجن أبو غريب، في حين قدم طارق حسين (جريدة الأهرام- مصر) ورقة عمل حول "كيف ترى وسائل الإعلام منهجية السرية والحياد". وقدم مندوب اللجنة في بيروت أحمد كرعود عرضا عن التجربة الإعلامية لمنظمة العفو الدولية، وكانت الجلسة الثانية حول "القانون الدولي الإنساني كمرجع للتغطية الإعلامية" وكيفية حماية الصحافيين في مناطق الحرب وتوفير الأمان لهم. أما الجلسة الختامية فخصصت لمناقشة كيفية ملء الفجوة، ودور الإعلام في الإبلاغ عن التكلفة البشرية للحروب، وفي التعبئة والمؤازرة، وقدمت فاطمة الصمادي (جريدة العرب اليوم- الأردن) ورقة عمل في هذا الخصوص.[25]

الحريات الصحفية في العالم العربي الترتيب العربي والترتيب العالمي[26]

التسلسل	الدولة	الترتيب العربي	الترتيب العالمي
1	الكويت	1	85
2	قطر	2	90
3	الأردن	3	96
4	الإمارات	4	100
5	لبنان	5	108
6	المغرب	6	119
7	البحرين	7	123
8	الجزائر	8	129
9	فلسطين	9	132
10	السودان	10	133
11	اليمن	11	136
12	مصر	12	143
13	سوريا	13	145

التسلسل	الدولة	الترتيب العربي	الترتيب العالمي
14	تونس	14	147
15	المملكة العربية السعودية	15	154
16	العراق	16	157
17	ليبيا	17	162

أهمية الدراسة

تبرز أهمية الدراسة من خلال أثر المخاطر التي يواجهها الإعلاميون العاملون في مجال الإعلام سواء كان بالكتابات الصحفية والتغطيات الإخبارية المكتوبة والمسموعة والمرئية بما في ذلك البث على الهواء مباشرة من موقع الأحداث.

وتأتي هذه الدراسة للتعرف على أثر تلك المخاطر المادية والنفسية على الإعلاميين وعلى مهنية العمل الإعلامي، وقدرة الإعلام على نقل الحقائق والدقة والمصداقية في نقل المعلومات.

وتتمحور هذه الدراسة في مجالها العملي حول التعرف على رأي الإعلاميين الأردنيين في المخاطر، التي يتعرض لها العاملون في مجال الإعلام، ومدى التأثير الحاصل على مهنية العمل الإعلامي من حيث نقل الحقيقة كما هي، وعدم الانصياع إلى الضغوطات النفسية والسياسية والتي عادة ما تمارسها الحكومات في سبيل توجيه المادة الإعلامية لصالح سياساتها.

تعد هذه الدراسة من أول الدراسات في هذا المجال حيث لم يتسنى للباحث الحصول على دراسات سابقة حول هذا الموضوع، وبذا فيمكن اعتبار هذه الدراسة جديدة في مجال الإعلام.

مشكلة الدراسة:

يمكن حصر مشكلة الدراسة برأي، الإعلاميين الأردنيين والذين يشتغلون في مختلف القطاعات الإعلامية كالتحرير، والتصوير، والإعداد، والتقديم والإدارة وغيرها من المجالات.

كما تأتي هذا الدراسة لتجيب، على مدى تأثير المخاطر التي يتعرض لها العاملون في مجال الإعلام، على مهنيتهم ومدى التقيد بأسس العمل الإعلامي. ومدى الالتزام باتفاقيات جنيف الأربع التي عززت حماية المدنيين في أوقات الحرب وأكملت هذه الاتفاقيات ببروتوكولين إضافيين البروتوكول الأول (1977) يعزز الحماية المكفولة لضحايا النزاعات المسلحة الدولية والبرتوكول الإضافي الثاني (1977) يعزز الحماية المكفولة لضحايا النزاعات المسلحة غير الدولية.

أهداف الدراسة

1. تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أراء واتجاهات الإعلاميين العاملين في وسائل الإعلام الأردنية نحو المخاطر التي تواجه الإعلاميين بشكل عام في ظروف الحرب والمنازعات والمخاطر وحالات الطوارئ.
2. كما تهدف الدراسة إلى معرفة تأثير هذه المخاطر التي تواجه الإعلاميين على مصداقية العمل الإعلامي والدقة في نقل الوقائع والحقائق والمعلومات وحرية الرأي والتعبير والتعرف إلى أي مدى تؤثر هذه المخاطر على حرية الصحافة وحرية وسائل الإعلام وتحملها لمسؤولياتها.
3. التعرف على دور المنظمات الدولية والاتحادات الإعلامية ومؤسسات المجتمع المدني والأطراف المتنازعة في توفير الحماية للصحفيين والإعلاميين بشكل عام في ظروف الأزمات والمخاطر والحروب والمنازعات.
4. كذلك تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على الدور الذي يلعبه تخصيص المؤسسات الإعلامية (Privatization) في دعم الإعلاميين وإعطائهم حرية أكبر للعمل في ظل المخاطر والمنازعات والأزمات والطوارئ والحروب.
5. التعرف إذا ما كان الحرص على تحقيق السبق الصحفي (Scoop) والتغطيات الحصرية (Exclusive Coverage) والمنافسة القائمة بين المؤسسات الصحفية والمحطات الفضائية غير الرسمية تعتبر من العوامل الأساسية في تعريض الإعلاميين أنفسهم للمخاطر في ظروف الحرب والأزمات.

منهجية الدراسة:

استخدم في الدراسة أسلوب البحث العلمي الاستقرائي، وذلك بجمع المادة العلمية من خلال الإطلاع على، المصادر والمراجع والمقالات الموسوعية، التي أشارت إلى المخاطر الإعلامية وخطورة العمل في مجال الإعلام.

أما في المجال العملي فتم استخدام أسلوب المسح الميداني حيث، تم تصميم استبانة تم توزيعها على أفراد العينة، من الإعلاميين الأردنيين حيث بلغ عددهم (190)، تم الحصول على المعلومات منهم بواسطة الاستبانة، ومن ثم تم تفريغ المعلومات ومعالجة البيانات إحصائياً، ثم استخراج النتائج.

مجتمع وعينة الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من الإعلاميين الأردنيين العاملين، في القطاع الإعلامي في الأردن.

أما عينة الدراسة فقد تكونت من (190)، من الإعلاميين الأردنيين العاملين في وسائل الإعلام الأردنية ممن يعملون في مؤسسة الإذاعة والتلفزيون والمؤسسات الصحفية ووكالة الأنباء بترا الأردنية من رؤساء تحرير ومن محررين ومراسلين ومصورين وكتاب أعمده ومقالات صحفية ومدراء دوائر، حيث تم توزيع (200) استبانه، وتم استرجاع (190) تم تحليلها إحصائياً على برنامج (SPSS) الإحصائي، للوصول إلى النتائج.

تساؤلات الدراسة:

يمكن حصر تساؤلات الدراسة بالآتي:

1. هل تؤثر المخاطر التي يواجهها العاملون في مجال الإعلام على مصداقية العمل الإعلامي؟
2. هل تعمل الحوافز المادية والمعنوية والسبق الصحافي والإعلامي على تشجيع العمل الإعلامي في ظل المخاطر والأزمات؟
3. هل تشجع الحكومات العمل في المجال الإعلامي المحفوف بالمخاطر؟
4. ما تأثير التوسع في مجال التغطية الإعلامية على الإعلاميين العاملين في ظل المخاطر؟
5. هل يساعد تخصيص المؤسسات الإعلامية على دعم الإعلاميين وإعطائهم حرية اكبر للعمل في ظل المخاطر؟
6. هل تلعب الرقابة الذاتية دورا في عمل الإعلامي في ظل الأزمات والمنازعات وإعلان حالات الطوارئ؟
7. هل للتقدم التكنولوجي في وسائل الإعلام دور في دفع الإعلاميين للعمل في ظروف الحروب والأزمات؟
8. هل تقوم الأطراف المتنازعة في ظروف الأزمات والحروب بتوفير الحماية الكافية للصحفيين والإعلاميين؟
9. ما دور المنظمات الدولية واتحادات الإعلاميين ومؤسسات المجتمع المدني في توفير الحماية للصحفيين في ظروف الأزمات والمخاطر والطوارئ والحروب والمنازعات؟

الحصاد الميداني لنتائج التحليل الإحصائي

التوزيع الديموغرافي لأفراد العينة:

1. بحسب الجنس

الجنس	التكرار	النسبة
ذكر	86	45.3
أنثى	104	54.7
المجموع	190	100.0

وصلت نسبة أفراد العينة من الإناث (54.7%) وبتكرار وصل إلى (104) من أفراد العينة في حين أن (45.3%) من أفراد العينة كانوا من الذكور وبتكرار وصل إلى (86) من أصل (190).

2. بحسب العمر

العمر	التكرار	النسبة
20 - 24	8	4.2
25-29	46	24.2
30-34	89	46.8
35-39	24	12.6
40-44	4	2.1
45-49	7	3.7
50-54	5	2.6
55-59	7	3.7
المجموع	190	100.0

من خلال توزيع أفراد العينة بحسب العمر، نجد أن من هم في فئة (40 إلى 44) سنة كانت النسبة الأقل، حيث وصلت نسبتهم إلى (2.1%) بينما نجد أن الفئات العمرية التي هي (أقل من 30) سنة قد كانت متساوية تقريباً، وكان تكرارها (89) فرداً بنسبة (46.8%) وكانت هي النسبة الأكبر.

3. بحسب الخبرة العملية

الخبرة العملية	التكرار	النسبة
اقل من 5 سنوات	27	14.2
5-9 سنوات	30	15.8
10-14 سنة	120	63.2
15-19 سنة	5	2.6

الخبرة العملية	التكرار	النسبة
20-24 سنة	6	3.2
25 سنة فأكثر	2	1.1
المجموع	190	100.0

من خلال الجدول السابق نجد أن اغلب أفراد العينة، كانوا ممن خبرتهم أكثر من (5) سنوات، في حين أن النسبة الأقل كانت من تجاوزت خبرتهم (25) سنة، وكان تكرارهم (2) وبنسبة مئوية وصلت إلى (1.1) ويظهر الجدول أن (93.2%) من أفراد العينة تتراوح خبرتهم بين (5 - أقل من 15) سنة.

4. بحسب طبيعة العمل

طبيعة العمل	التكرار	النسبة
أستاذ أكاديمي	7	3.7
مدير دائرة	3	1.6
مدير أخبار	0	0
منتج	1	.5
مصور	20	10.5
معد برامج	1	.5
محرر	16	8.4
رئيس تحرير	2	1.1
مذيع أخبار	6	3.2
مندوب إخباري	12	6.3
مقدم برامج	26	13.7
فني أجهزة	8	4.2
فني مكساج/مونتاج	14	7.4
مخرج	4	2.1
فني إنارة	11	5.8
مهندس ديكور	12	6.3
فني ديكور	4	2.1
مراسل إخباري	7	3.7
مونتير	4	2.1
مدير تصوير	1	.5
مدير برامج	1	.5
كاتب صحفي)عمود/مقالة)	7	3.7
مذيع ربط	7	3.7
فني صوت	4	2.1

طبيعة العمل	التكرار	النسبة
مخرج منفذ	2	1.1
مذيع نشرة جوية	0	0
غير ذلك	10	5.3
المجموع	190	100.0

من خلال الجدول السابق نجد أن أغلب أفراد العينة كانوا، من المصورين والمحررين وفني المكساج والمونتاج ومقدمي البرامج، في حين أن اقل نسبة كانت (5%) بالتساوي للمنتج، ومعد البرامج، ومدير التصوير، ومدير البرامج.

5. بحسب المؤهل العلمي

المؤهل العلمي	التكرار	النسبة
ثانوية عامة	21	11.1
دبلوم متوسط	19	10.0
الشهادة الجامعية الأولى	101	53.2
دبلوم عالٍ	33	17.4
ماجستير	16	8.4
المجموع	190	100.0

من خلال الجدول السابق نجد أن حاملي الشهادة الجامعية الأولى، وصلت نسبتهم إلى (53.2%)، وهي تدل على ارتفاع المستوى التعليمي لأفراد العينة. في حين أن من يحملون شهادة الماجستير حصلوا على اقل نسبة وهي (8.4%)، وكان هناك تساوي في النسب تقريبا بين حملة شهادة الثانوية العامة، والدبلوم المتوسط.

إجابات أفراد العينة عن أسئلة الدراسة:

1. هل تعتقد أن العمل الصحفي والإعلامي تحفَه الكثير من الصعوبات والمخاطر؟

	التكرار	النسبة
نعم	109	57.4
لا	7	3.7
أحياناً	64	33.7
لا أدري	10	5.3
المجموع	190	100.0

من خلال إجابة أفراد العينة على السؤال هل العمل الصحفي والإعلامي تحفَه الكثير من الصعوبات والمخاطر، حيث كانت غالبية العينة التي وصلت نسبتهم إلى (57.4%)، تقر بأن العمل الإعلامي والصحفي تحفه الكثير من الصعوبات والمخاطر في حين أن من، ترددوا في الإجابة

بأحياناً وصلت نسبتهم إلى (33.7%). وهذا الأمر طبيعي لأن العمل الصحفي مبني على نقل الحدث، والعمل في ظل الظروف والأزمات وحالات الطوارئ والمنازعات والحروب.

2. هل ترى أن على الإعلامي أن يعمل في ظروف خطرة؟

	التكرار	النسبة
نعم	75	39.5
لا	30	15.8
أحياناً	75	39.5
لا أدري	10	5.3
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم (2) نجد أن (39.5%) من أفراد العينة أجابوا بالموافقة ونفس النسبة أحياناً، في حين من لم يوافقوا وصلت نسبتهم إلى (15.8%). وهذا يشير إلى أن رأي الإعلاميين انه لا بأس، من العمل في ظروف الخطر إذا اَمن الصحفي برسالته. وأن العمل الصحفي والإعلامي يشوبه الكثير من المخاطر وعلى الإعلامي أن يقبل بذلك.

3. هل ترى أن العمل في ظروف الأزمات والمنازعات والطوارئ يؤثر على طبيعة العمل الإعلامي؟

	التكرار	النسبة
نعم	115	60.5
لا	2	1.1
أحياناً	63	33.2
لا أدري	10	5.3
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال المتعلق أن العمل في ظل الظروف والأزمات والمنازعات والطوارئ، يؤثر على طبيعة العمل الإعلامي فقد كانت نسبة الموافقة قد وصلت إلى (60.5%)، بينما كانت نسبة عدم الموافقة، قد وصلت إلى (1.1%) فقط. وهذا الأمر يعزز القول بأن العمل في ظل هذه الظروف (الأزمات والمنازعات والطوارئ) يؤثر على العمل الإعلامي وعلى مصداقيته.

4. هل تؤثر المخاطر التي يواجهها الإعلاميون على مصداقيتهم في هذه الظروف؟

	التكرار	النسبة
نعم	84	44.2
لا	8	4.2
أحياناً	84	44.2
لا أدري	14	7.4
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال المتعلق بتأثير المخاطر على المصداقية، في العمل الإعلامي نجد أن هناك تساوياً في الإجابة بنعم وبأحياناً، من قبل أفراد العينة، وكانت هذه النسبة (44.2%). بينما النسبة الأدنى كانت في عدم الموافقة حيث وصلت إلى (4.2%). وهذا الأمر راجع إلى أن المصداقية في العمل في ظل الأزمات والمنازعات والطوارئ تتراجع وتفقد الحيادية.والموضوعية فيتجنب الكثير من الصحفيين تبني وجهات نظرهم الخاصة التي قد تلحق بهم الأذى. وقد لا يعرضون المعلومات كاملة وفي ذلك انتقاص من الحقيقة أو (الحقائق).

5. هل ترى أن المخاطر التي يواجهها الإعلاميون في عملهم في ظروف الحرب والأزمات تؤثر على طبيعة وشكل المادة الإعلامية المقدمة؟

	التكرار	النسبة
نعم	72	37.9
لا	18	9.5
أحياناً	100	52.6
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال الخامس حول تأثير المخاطر على طبيعة وشكل المادة الإعلامية، نجد نسبة موافقة عالية وصلت إلى (37.9%) بينما كانت نسبة الإجابة بأحياناً وصلت، إلى (52.6%). وهذا الأمر طبيعي لأن المخاطر التي يواجهها الإعلاميون لها تأثير على عملهم الإعلامي، وذلك بسبب وجود العمل غير المستقر وفقدان المصداقية أحياناً.

6. هل المخاطر والصعوبات التي تواجه الإعلاميين تجعلهم يعمدون إلى التعتيم (Black out) على بعض الحقائق والأحداث أو طمسها (Supress) وتضعف مصداقيتهم؟

	التكرار	النسبة
نعم	34	17.9
لا	14	7.4
أحياناً	136	71.6
لا أدري	6	3.2
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم (6)، نجد أن هناك إجابة بأحياناً وصلت إلى (71.6%)، أي أن (71.6%) من مجموع أفراد العينة يرون أن الإعلاميين يضطرون أحيانا إلى التعتيم أو طمس بعض الحقائق بسبب المخاطر والصعوبات الأمر الذي يؤثر على مصداقيتهم (Credibility) في حين الإجابة بلا كانت الأقل ووصلت إلى (7.4%) وهذا الأمر يدعم مصداقية

الإعلاميين، في نقل الحدث دون تعتيم أو تغيير في الحقيقة و الوصول إلى قلب الحدث دون مؤثرات تغير من وجهة رأيه.

7. هل تجد أن المردود المالي والحوافز المادية للعمل في الظروف الحرجة والصعبة وظروف الحرب والأزمات والمنازعات تحفز الإعلاميين على المخاطرة في تقديم المعلومة؟

	التكرار	النسبة
نعم	33	17.4
لا	11	5.8
أحياناً	144	75.8
لا أدري	2	1.1
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم (7)، نجد هناك إجابة بأحياناً وصلت إلى (75.8%)، بينما من لا يدري وصل إلى (1.1%). و(17.4%) من أفراد العينة يرون أن الحوافز المادية تدفع الإعلاميين إلى المخاطرة في تقديم المعلومة، وهذا الأمر يشير إلى أن المردود المالي يلعب دوراً مهماً أحياناً في تحفيز الإعلاميين للعمل في ظل الظروف الحرجة، وهذا مؤشر على حجم المخاطر ووجود عدد من الإعلاميين والصحفيين الذين، يهمهم عملهم الإعلامي لكسب لقمة عيشهم بصرف النظر عن المصداقية.

8. هل يعمل الدعم المعنوي للإعلاميين من خلال أبراز مواقفهم وأعمالهم على تشجيع العمل الإعلامي في ظل الأزمات والظروف الصعبة والحروب؟

	التكرار	النسبة
نعم	91	47.9
لا	8	4.2
أحياناً	75	39.5
لا أدري	16	8.4
المجموع	190	100.0

تشير الإجابات في السؤال رقم (8) إلى أن (47.9%) من أفراد العينة يرون أن الدعم المعنوي، له اثر كبير على الإعلاميين للعمل في ظل المخاطر، من خلال إبراز المواقف والأعمال، في ظل الظروف الصعبة والحروب، حيث أن هذا الأمر يدعمهم للعمل في ظل الظروف الصعبة. وفيه كسب للسمعة الحسنة والمهنية وتعزز مكانتهم وسمعتهم والعمل الإعلامي المتميز عند الجمهور في المكان الذي يتواجدون فيه.

9. هل يساعد جو المنافسة بين المحطات الفضائية والتغطيات الإخبارية الحصرية (Exclusive Coverage) على المخاطرة من أجل تحقيق السبق الصحفي (Scoop)؟

	التكرار	النسبة
نعم	128	67.4
لا	10	5.3
أحياناً	52	27.4
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم، (9) نجد أن الموافقة بنسبة (67.4%) على كون المنافسة بين المحطات الفضائية والتغطيات الإخبارية الحصرية تحفز هؤلاء الإعلاميين، على بذل أفضل الجهود في سبيل تحقيق السبق الصحفي (Scoop). وهذا يساعد الإعلاميين على التركيز على العمل الإعلامي المنافس. بحيث ينعكس نجاح المؤسسة التي يعمل بها الصحفي على نجاحه ويكسبه سمعة إعلامية ،على نطاق واسع في عالم الصحافة والإعلام بحيث يصبح مصدراً لجذب الجمهور إلى المؤسسة التي يعمل بها. ويزيد من حجم الاستماع والمشاهدة للمحطة الفضائية ويزيد من نسبة التعرض والمقروئيه للصحيفة التي دأبت على تحقيق السبق الصحفي وتعزز مكانتها وسمعتها الإعلامية.

10. هل تقوم الحكومات بتشجيع الإعلاميين للعمل في ظروف الأزمات وتتعاون معهم؟

	التكرار	النسبة
نعم	64	33.7
لا	33	17.4
أحياناً	69	36.3
لا أدري	24	12.6
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم، (10) نجد أن لدى أفراد العينة قناعة بنسبة (33.7%)، بأن الحكومات تقوم بتشجيع الإعلاميين للعمل في ظل الأزمات والذين أجابوا بأحيانا، كانت نسبتهم (36.3%)، ويعزي الإعلاميين حرص الحكومات على تشجيع الإعلاميين للعمل في ظروف الأزمات، بهدف نشر السياسات الحكومية ومن اجل أن تظهر بقوة أمام الحكومات الأخرى. وتعزيز مواقفها وتوجهاتها والحرص على كسب الرأي العام. والمناصرة السياسية (Political recruitment) من خلال التأكيد على مواقفها ومنجزاتها الإيجابية والحكمة في معالجة الأمور في الظروف الصعبة والأزمات.

11. هل ترى أن تشجيع الحكومات للإعلاميين للعمل في حال الأزمات يعمل على دعم الحريات الصحفية والإعلامية ؟

	التكرار	النسبة
نعم	73	38.4
لا	18	9.5
أحياناً	72	37.9
لا أدري	27	14.2
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم (11)، نجد أن الحكومات تشجع الإعلاميين بنسبة موافقة، وصلت إلى (38.4%)، وهذا يشير إلى دعم الحريات الصحفية والإعلامية وعدم لجم الحقيقة، من الوصول إلى الناس عبر الإعلاميين.

12. هل ترى أن العمل في مجال الإعلام لا بد أن يكون مستقلا؟

	التكرار	النسبة
نعم	105	55.3
لا	6	3.2
أحياناً	39	20.5
لا أدري	40	21.1
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم (12)، نجد أن هناك موافقة على انه يجب أن يكون العمل في مجال الإعلام مستقلاً بنسبة (55.3%)، وهذا يشير إلى أهمية الاستقلالية في العمل الإعلامي وعدم الانحياز لطرف على حساب الطرف الآخر، ورغبتهم (الصحفيين والإعلاميين) بعدم إتباع سياسة معينة في عملهم الإعلامي لصالح جهة معينة في الداخل أو الخارج بحيث لا تؤثر العوامل والمتغيرات المحيطة على استقلالية العمل الصحفي والإعلامي. فبرأيهم أن العمل الإعلامي لابد أن يكون مستقلا بعيداً عن أي هوى أو مصالح أو تأثيرات داخلية أو خارجية.

13. هل تجد أن التقدم التكنولوجي في مجال الإعلام والتغطيات الإخبارية من مواقع الأحداث مباشرة يساعد على العمل في ظل ظروف الأزمات والحروب ويقوم بكشف الحقائق ويعطي مصداقية للمحطة أو وسيلة الإعلام؟

	التكرار	النسبة
نعم	83	43.7
لا	21	11.1
أحياناً	76	40.0
لا أدري	10	5.3
المجموع	190	100.0

نجد أن هناك موافقة بنسبة (43.7%)، على أهمية استخدام التكنولوجيا في مجال الإعلام، حيث تساعد التكنولوجيا في نقل الحدث بسرعة وبمرونة مما يكسب المحطة السمعة الجيدة بين المحطات الأخرى، وتكون بذلك حققت هدف الإعلام القائم على الآنية (Immediacy) في نقل الحدث، كذلك تعمل التكنولوجيا على التخفيف من حدة المخاطر على الإعلامي في ظروف الأزمات من خلال الأجهزة الحديثة، التي تمكنه من نقل الحدث إلى الجمهور وهو بعيدا عنه.

14. هل ترى أن فتح مجال الحريات الصحفية الإعلامية يساعد على تقديم التغطية الملائمة للحدث تغطية إخبارية متوازنة تتسم بالصدق والمصداقية؟

	التكرار	النسبة
نعم	81	42.6
لا	27	14.2
أحياناً	80	42.1
لا أدري	2	1.1
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال (14)، نجد أن هناك نسبة موافقة وصلت إلى (42.6%)، حيث أن فتح مجال الحريات الصحفية والإعلامية يساعد على تقديم التغطية الملائمة والمتوازنه للحدث. في حين أن (14.2%) يرفضون فتح مجال للحريات الصحفية. قد يعود رفضهم لعدم فتح مجال للحريات الصحفية، إلى عدم إيمانهم الكافي برسالة الإعلام التي أساسها الدقة والصدق والموضوعية في نقل الحدث ربما يكون قصدهم أن وجود الحريات الصحفية لا يعني أنها توظف بالشكل الصحيح.

15. هل يساعد تخصيص المؤسسات الإعلامية على دعم الإعلاميين وإعطائهم حرية أكبر للعمل في ظل المخاطر وزيادة هامش الحرية وزيادة مصداقيتها من خلال الكشف عن الحقائق والمعلومات وثيقة الصلة بالحدث أو القضية أو موضوع المعالجة؟

	التكرار	النسبة
نعم	90	47.4
لا	3	1.6
أحياناً	82	43.2
لا أدري	15	7.9
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال (15)، نجد نسبة موافقة عالية وصلت إلى (47.4%)، حول كون تخصيص المؤسسات الإعلامية (Privatization) وعدم تابعيتها للحكومات يساعد على دعم العمل الإعلامي، وزيادة الحريات المعطاة للإعلاميين ناقلي الحدث، بعيداً عن التأثيرات الحكومية.فالإعلام الذي يقوم على أساس سياسة الحكومة يفقد في غالب الأحيان الاستقلالية والموضوعية والحيادية، التي يهدف لها الإعلامي في عمله ويصبح الإعلام أداة لتحقيق أهداف الحكومة ونشر سياستها وتبني مواقفها واتجاهاتها وسياساتها والتركيز على الإيجابيات والتعتيم على السلبيات أو طمسها.

16. هل ترى أن الأطراف المتنازعة في ظل الحروب والأزمات لا تعمل ولا توفر حماية كافية للإعلاميين والصحفيين في التغطيات الميدانية؟

	التكرار	النسبة
نعم	91	47.9
لا	16	8.4
أحياناً	76	40.0
لا أدري	7	3.7
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم (16)، نجد كذلك نسبة موافقة وصلت إلى (47.9%) في كون أن الأطراف المتنازعة، لا تلتزم بتوفير الحماية الكافية للإعلاميين والصحفيين. وربما يعود ذلك بحسب رأي الصحفيين إلى انشغال الأطراف المتنازعة بظروف الحرب الصعبة. وهذا مؤشر على أن حماية الصحفيين والإعلاميين تأتي في المرتبة الأخيرة من اهتمامات الأطراف المتنازعة في وقت الحرب.

17. هل تعتقد أن على الأطراف المتنازعة في ظل الحروب والأزمات يجب أن توفر الحماية الكافية للصحفيين والإعلاميين؟

	التكرار	النسبة
نعم	91	47.9
لا	17	8.9
أحياناً	77	40.5
لا أدري	5	2.6
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم (17)، نجد أن الموافقة بنسبة (47.9%)، على كون الأطراف المتنازعة يجب عليها توفير الحماية الكافية للصحفيين، وهذا يشير إلى رغبة الصحفي في الشعور بالأمن وهو يقوم بواجبة المهني الإعلامي. وهذا مطلب طبيعي للصحفيين والإعلاميين إذا ما أرادوا نقل الحقيقة للناس والقيام بواجبهم على أكمل وجه.

18. هل ترى أن إيمان الإعلامي برسالته وقناعته عاملان أساسيان في دفع الإعلاميين على تجشّم المتاعب والمصاعب والتعرض للأخطار؟

	التكرار	النسبة
نعم	75	39.5
لا	15	7.9
أحياناً	88	46.3
لا أدري	12	6.3
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم (18)، نجد أن نسبة الموافقة على أن الإعلامي الذي لديه إيمان وقناعة برسالته الإعلامية ليتحمل تجشم المتاعب والمصاعب، التي يتعرض لها بنسبة موافقة وصلت إلى (39.5%). في حين كانت الإجابة بأحياناً (46.3%). وهذا يشير إلى أن إيمان الإعلامي برسالته تكون حافزاً له على قرع الأخطار، والدخول إلى قلب الحدث والمخاطرة من اجل توفير المعلومة الصحيحة للناس والوقوف على الحقائق.

19. هل تعتقد أن الحرص على تحقيق السبق الصحفي والتغطيات الحصرية يعتبران عاملان أساسيان في تعريض الإعلاميين أنفسهم للمخاطر في ظروف الحرب والأزمات؟

	التكرار	النسبة
نعم	59	31.1
لا	17	8.9
أحياناً	104	54.7
لا أدري	10	5.3
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم (19)، نجد أن هناك تردداً بأحياناً في الإجابة وصلت إلى (54.7%)، وهذا يشير إلى انه ليس دائماً يكون السبق الصحفي والتغطية الحصرية عاملان للتعرض للمخاطر، وذلك لان هناك عوامل أخرى، تشجع الإعلامي على تعريض نفسه للمخاطر مثل إيمانه بالرسالة الإعلامية، أحياناً وتحقيق الربح المادي من جانب آخر.

20. هل تتدخل المنظمات الدولية واتحادات الإعلاميين والصحفيين ومؤسسات المجتمع المدني بشكل كافٍ لحماية الإعلاميين والصحفيين من المخاطر في ظروف الحرب والأزمات؟

	التكرار	النسبة
نعم	36	18.9
لا	42	22.1
أحياناً	91	47.9
لا أدري	21	11.1
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم (20)، نجد الإجابة بأحياناً بواقع (47.9%)، وبالإجابة بلا وصلت إلى (22.1%)، وذلك يدل على عدم إدراك الصحفيين والإعلاميين لحقيقة دور المنظمات الدولية، واتحادات الإعلاميين والصحفيين ومؤسسات المجتمع المدني، إذ ربما تقصر مثل هذه المؤسسات في توفير الحماية الكافية لهم. وهذا مؤشر واضح على عدم اهتمام المنظمات الدولية واتحادات الإعلاميين والصحفيين، بتفعيل مواثيق حماية الصحفيين والإعلاميين ووضع السياسات والتشريعات التي تكفل الحماية لهم.

21. نسبة الصحفيين والإعلاميين الذين قضوا أثناء عملهم في الميدان في ظروف الحرب والأزمات (مثل العراق وأفغانستان، وفلسطين، والمناطق الساخنة الأخرى في العالم) تعتبر عالية؟

	التكرار	النسبة
نعم	87	45.8
لا	3	1.6
أحياناً	54	28.4
لا أدري	46	24.2
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم (21)، نجد أن (45.8%) من أفراد العينة كانت إجاباتهم بنعم، حول ارتفاع نسبة عدد الصحفيين الذين قضوا أثناء عملهم في الميدان وهذا يشير، إلى سخونة وغليان الوضع السياسي في المنطقة في (فلسطين والعراق وأفغانستان) والتي شهدت حروباً متتالية شنتها الولايات المتحدة ضد هذه الدول بذريعة مكافحة الإرهاب، دون مراعاة لوضع الإعلاميين والصحفيين الذين أرادوا نقل الحدث للناس. عدا الصحفيين والإعلاميين الذين قضوا على يد القوات الأمريكية وقوات الاحتلال الإسرائيلية بطريقة متعمدة أو التذرع بالخطأ غير المقصود.

22. هل تعتقد أن إصابة الكثيرين من الإعلاميين والصحفيين في التغطيات الميدانية في ظروف الحرب والمنازعات غالباً ما يكون متعمداً وليس بالخطأ لعدم كشف الحقائق أو تقديم معلومات تضر بأحد الأطراف؟

	التكرار	النسبة
نعم	73	38.4
لا	15	7.9
أحياناً	75	39.5
لا أدري	27	14.2
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على سؤال رقم (22)، هناك موافقة حول كون إصابة أغلب الإعلاميين والصحفيين في التغطيات الإعلامية الميدانية في ظروف الحرب تكون متعمدة، بنسبة (38.4%)، وهذا يشير إلى أن هناك تعمداً في إصابة بعض الإعلاميين والصحفيين من قبل الفئات المتنازعة والمتصارعة، بسبب توجهات بعض الصحفيين أو محاولتهم في كشف حقائق تتعارض مع توجهات الفئات المتحاربة والمتنازعة. وهناك مؤشر أيضا انه يتم استهداف بعض الصحفيين ليس لذات الصحفيين وإنما، بهدف إلحاق الضرر ببعض المؤسسات الإعلامية التي ينتمي لها هذا الصحفي نظرا لتبني هذه المؤسسات وجهات نظر تتعارض مع توجهات وتطلعات جهات معينة.

23. تكفل القوانين الإعلامية والصحفية في الدول العربية حرية العمل الإعلامي وحرية الإعلاميين (حرية الرأي والتعبير) ولكن في الأزمات وحالات الطوارئ والحروب يبقى هذا الضمان للحريات حبراً على ورق ولا يفعَل؟

	التكرار	النسبة
نعم	63	33.2
لا	19	10.0
أحياناً	82	43.2
لا أدري	26	13.7
المجموع	190	100.0

من خلال السؤال رقم (23)، حول كفالة حرية العمل الإعلامي وحرية التعبير والرأي، من قبل القوانين الإعلامية نجد أن نسبة الموافقة على عدم وجود كفالة لحرية الرأي والتعبير بحسب أفراد العينة، قد وصلت إلى (33.2%)، بينما كانت الإجابة بأحياناً (43.2%)، وهذا يشير إلى ازدياد إيمان الصحفي بندرة وجود ضمانات للحرية الصحفية والإعلامية. مما يجعل الصحفي غير آمن على نفسه. الأمر الذي يعرضه لبعض المخاطر مثل الاعتقال والحبس على ذمة التحقيق أو المحاكمة والطرد من العمل أو التوقيف عن العمل.

24. القوانين الإعلامية والصحفية التي تكفل حرية العمل الصحفي والإعلامي لا تجنّب الصحفيين والإعلاميين الاعتقالات والمساءلات والمحاكمات والسجن في كثير من الدول وبشكل خاص في ظروف الأزمات والطوارئ؟

	التكرار	النسبة
نعم	109	57.4
لا	18	9.5
أحياناً	46	24.2
لا أدري	17	8.9
المجموع	190	100.0

من خلال الجدول رقم (24)، نجد أن نسبة الموافقة على السؤال (24)، كانت (57.4%) حول كون القوانين الإعلامية والصحفية لا تجنب الصحفيين والإعلاميين، الاعتقالات والمساءلات والمحاكمات والسجن في مختلف الدول، وهذا يدل على قصور هذه الدول في حماية الصحفيين والإعلاميين، وتفعيل الغطاء القانوني لهم.وهذا مؤشر على عدم إيمان الدول باستقلالية العمل الصحفي والإعلامي إذا ما تعارض العمل الصحفي والإعلامي مع سياساتها ومواقفها وتوجهاتها بأهمية الرسالة التي يقدمها الإعلامي في سبيل نشر الحقيقة، بصورتها الحقيقية دون تزييف.

25. يتعرض الصحفيون والإعلاميون في كثير من الدول للمساءلة والعقاب بطرق مختلفة إذا ما انتقدوا الأساسيات أو عارضوا الدولة أو عملوا على كشف الحقائق والمعلومات التي قد تسيء للمسؤولين في السلطة أو تسبب حرجاً للدولة وتضعف موقفها؟

	التكرار	النسبة
نعم	81	42.6
لا	14	7.4
أحياناً	78	41.1
لا أدري	17	8.9
المجموع	190	100.0

يشير السؤال رقم (25)، إلى موافقة تصل إلى (42.6%)، حول تعرض الصحفيين والإعلاميين للمساءلة إذا ما انتقدوا الأساسيات أو عارضوا الدولة، وهذا يعني أن نسبة كبيرة من الصحفيين والإعلاميين تعاني، من عدم قدرتها على ممارسة عملها الإعلامي بحرية كافية، في ظل الضغوطات التي تفرضها عليهم الدول. فيرى أن التزام الحياد أو مناصرة الدولة سياسيا هو الأسلوب الأمثل لضمان حياته واستمراره المهني.

26. يلجأ الصحفيون والإعلاميون غالباً إلى ما يعرف بالرقابة الذاتية أو تنفيذ سياسة الناشر/ الصحفية أو المحطة تجنباً للمساءلة أو العقاب أو المخاطرة؟

	التكرار	النسبة
نعم	74	38.9
لا	1	.5
أحياناً	94	49.5
لا أدري	21	11.1
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم (26)، نجد (38.9%)، من أفراد العينة يلجأون إلى الرقابة الذاتية وتنفيذ سياسة الناشر، وهذا السبب يجنبهم المساءلة والتعرض للأخطار. فتنفيذ سياسة الناشر تجنب الصحفي والإعلامي الخوف على مستقبله، وعلى مستقبل ذويه من التعرض للأخطار بسبب عمله في ظل الأزمات والمنازعات وحالات الطوارئ والاحتقانات السياسية والحروب، والرقابة الذاتية تجعل الصحفي ملزم بتطبيق الموضوعية والمصداقية في عمله الإعلامي، وتجعله مدرك لحجم الضرر المعنوي الذي قد يعاني منه إذا ما قامت رسالته الإعلامية، على الأهواء والمكاسب الشخصية وتزييف الحقيقة.

27. يسعى بعض الصحفيين والإعلاميين إلى تحقيق مكاسب شخصية وذاتية من خلال كتاباتهم وتغطياتهم الصحفية والمتعلقة بالمناصرة السياسية للدولة والتركيز على الايجابيات والجانب المشرق لمواقف وسياسة الدولة والابتعاد عن السلبيات والانتقادات؟

	التكرار	النسبة
نعم	70	36.8
لا	4	2.1
أحياناً	95	50.0
لا أدري	21	11.1
المجموع	190	100.0

من خلال الإجابة على السؤال رقم (27)، نجد أن هناك موافقة بنعم حول تحقيق المكاسب الشخصية والذاتية، من وراء العمل الإعلامي بنسبة (36.8%)، وهذا يشير إلى أن هناك عدداً كبيراً من الصحفيين والإعلاميين يهدفون من خلال العمل الإعلامي إلى تحقيق، مكاسب مادية لأجل المناصرة السياسية لأحد الأطراف على الآخر، حتى ولو كان ذلك على حساب الحقيقة ونقل المعلومة بأمانة. كما يشير الجدول إلى أن (50%) من أفراد العينة يرون أن بعض الصحفيين والإعلاميين يسعون أحيانا إلى تحقيق مكاسب شخصية وذاتية من خلال كتاباتهم وتغطياتهم الإعلامية من خلال مناصرة الدولة والتركيز على الإيجابيات وإبراز الجانب المشرق لمواقف الدولة وسياستها والابتعاد عن السلبيات والانتقادات، وأن (86.8%) يرون أن السعي لتحقيق المكاسب الشخصية يكون دائما أو أحيانا.

النتائج:

من خلال استعراض السابق لدراسة المخاطر التي تواجه الإعلاميين من وجهة نظر الإعلاميين الأردنيين توصلت الدراسة إلى النتائج التالية:

1. يرى الإعلاميون الأردنيون أن العمل الصحفي تحفه الكثير من الصعوبات و المخاطر وخاصة في الآونة الأخيرة نظرا لازدياد التوتر السياسي في المنطقة.
2. يرى الإعلاميون الأردنيون أن المخاطر التي تواجه الإعلاميين في ظل الحروب والأزمات تؤثر، على مصداقيتهم وعلى طبيعة المادة الإعلامية المنقولة إلى الجمهور، مع تأكيدهم أن هناك التزاماً يقع على عاتق الإعلامي في نقل الحقيقة كما هي دون تغيير أو تزييف أو محاباة للسلطات.

3. يسعى بعض الصحفيين والإعلاميين أحياناً إلى تحقيق مكاسب شخصية وذاتية، من خلال كتاباتهم وتغطياتهم الصحفية والمتعلقة بالمناصرة السياسية للدولة، والتركيز على الايجابيات والجانب المشرق لمواقف وسياسة الدولة والابتعاد، عن السلبيات والانتقادات.

4. إن الحرص على تحقيق السبق الصحفي والتغطيات الحصرية، لا يعدان عاملين أساسين في تعريض الإعلاميين والصحفيين أنفسهم للمخاطر.

5. إن إيمان الإعلامي برسالته وقناعته بها، عاملان أساسيان في دفع الإعلامي إلى الدخول في المعترك ومواجهة المخاطر لأجل نقل الحقيقة وبيانها للناس، غير مسيسة ولا منقوصة.

6. تلعب المنافسة بين المحطات الفضائية دورا كبيرا للمخاطرة من اجل تحقيق السبق الصحفي.

7. هناك عدد كبير من الإعلاميين الذين يعمدون إلى التعتيم على بعض الحقائق والأحداث، في ظروف الأزمات والمنازعات وحالات الطوارئ أو طمسها.

8. إن الدعم المعنوي للإعلاميين وتحقيق السمعة الحسنة والمكانة المرموقة في الوسط الإعلامي يحفزهم على المخاطرة في تقديم المعلومة وكشف الحقائق أكثر من الدعم المادي.

9. يرى الإعلاميون أن للحكومات دوراً كبيراً في تشجيع الإعلاميين للعمل في ظروف الأزمات من خلال دعمها للحريات الصحفية.

10. يرى الإعلاميون أن العمل الإعلامي لابد أن يكون مستقلا وأن التقدم التكنولوجي يعزز التغطيات الإعلامية من موقع الأحداث مباشرة والوقوف على التطورات أولا بأول وإطلاع الجمهور على آخر التطورات والمستجدات.

11. يرى الإعلاميون أن الأطراف المتنازعة لا توفر الحماية الكافية للصحفيين في ظروف الأزمات والحروب.

12. يرى الإعلاميون أن المنظمات الدولية، واتحادات الإعلاميين والصحفيين ومؤسسات المجتمع المدني لا تتدخل بشكل كاف لحماية الإعلاميين، والقوانين الإعلامية تبقى، في حالة الأزمات والطوارئ حبرا على ورق ولا تفعل.

13. ازدياد تعرض الإعلاميين للعقاب بطرق مختلفة إذا ما انتقدوا الأساسيات، أو عارضوا الدولة أو عملوا على كشف الحقائق التي تسيء للسلطة.

14. التزام عدد كبير من الصحفيين بتنفيذ سياسة الناشر أو سياسة المحطة الإذاعية والتلفزيونية تجنبا للمساءلة والعقاب.

15. يرى الإعلاميون أن هناك نسبة كبيرة من الصحفيين والإعلاميين، الذين قضوا أثناء عملهم في الميدان في ظروف الحرب والأزمات وخاصة في (فلسطين والعراق).

التوصيات:

1. العمل على تفعيل القوانين الإعلامية والصحفية، في سبيل حماية الإعلاميين والصحفيين أثناء الأزمات والحروب،حتى لا يكونوا أهدافاً سهلة للأطراف المتنازعة والمتحاربة.
2. العمل على إبراز الدور الحقيقي الذي يقوم به الإعلامي والصحفي، أثناء تغطية الأحداث الساخنة، مع مراعاة توفير الحماية لهم.
3. العمل مع مختلف مؤسسات المجتمع المدني من أجل توعية الناس، بدور الإعلاميين والصحفيين في إيصال الحقيقة للناس. والتأكيد على دور مؤسسات المجتمع المدني في توفير الحماية للإعلاميين والصحفيين.
4. ضرورة الاهتمام بأخلاقيات العمل الصحفي والإعلامي من أجل العمل على إيصال المعلومة كما هي بعيداً عن التركيز، على المكتسبات المادية والمعنوية التي يجنيها بعض الصحفيين والإعلاميين الذين يفضلون العمل في ظل الأزمات والحروب. والالتزام بمواثيق الشرف الصحفي والإذاعي والتلفزيوني وتفعيل مواثيق حماية الصحفيين والإعلاميين.
5. إلغاء عقوبة حبس الصحفي.
6. وضع قوانين دولية صارمة تمنع الاعتداء على الصحفيين أثناء عملهم في الميدان في ظروف الحروب والأزمات. أو منعهم أو تعطيلهم من القيام بدورهم المهني والإعلامي.

The risks facing the journalists and the communicators in the Middle East from the perspective of the Jordanian communication practitioners'

Mahmoud Shalabieh، *Department of Journalism, Faculty of Mass Communication, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The study aimed to identify the attitudes and the views of the Jordanian media practitioners towards the risks facing the communicators in general and in the middle east in particular, in the time of wars, conflict, emergency and risky circumstances.

Also the study aimed to identify to what extend these risks affect the freedom of the press and the mass media in general and its responsibilities, and to what extend the privatization of the media corporations support the communication practitioners and giving them larger margin of the freedom to enable them to work in the shade of the risks, conflict, crises, emergency and wars.

The study revealed that 79% of the sample of the study believe that communicators and the journalists must work in a risky circumstances.

93.7% of the respondents stated that working in emergency crises, conflict, cases affect the nature of the media work (always and sometimes).

88.4% of the sample said that the risks facing the communicators and the journalists, affect their credibility in these risky circumstances the study showed that 89.5% of the respondent stated that the dangerous coverages and the risks and difficulties facing the communication practitioners enforced them to blackout and suppress some facts and some events, and that weaken their credibility.

The study revealed that 67.4% of the sample said that the competition among the satellite channels and the exclusive news coverage assist and motivate the communicators to run the risk to attain news beat or scoop.

75.% of the sample said that the work in the media and communication aspects must be independent, faraway from the interests and from domestic, local and external effects.

87.9 believe that the conflicting part and fighting sides in the time of wars and crises are do not secure enough protection for the media practitioners in the news field coverages.

74.2% of the respondents referred to the increasing numbers of the journalists and the communicators who passed away and killed in the field, in time of wars conflict and crises (such as Iraq, Afghanistan, Palestine and the other hot areas in the world) and 77.7 believe that the causalities are on purpose and intentional and not by mistake always or sometimes.

81.6% of the respondents said that the press and communication laws which protect the freedom of the press and the communication work are not activated and do not avoid or protect the communicators from arrest or inquiry, trials, or jail in the crises and emergency cases.

قدم البحث للنشر في 2007/3/11 وقبل في 2008/1/29

الهوامش

1. مكاوي، ص 17، 2003.
2. htt://.dpc.org.-ae/ar/hews. 27-7-2006.
3. المصدر نفسه.
4. موقع الجزيرة نيت www.aljazeera.net
5. الرأي العدد 13303، الاثنين 5 آذار 2007 (ص 1، 2، 3).
6. المصدر نفسه.
7. مراد هاشم، الجزيرة نيت.
8. فيروز زياني، برنامج كواليسي، الجزيرة نيت (2005) حرية الصحافة عربيا وغربيا.
9. نضال منصور، رئيس مركز حماية وحرية الصحافيين الجزيرة نيت، برنامج كواليبي، (2005) حرية الصحافة عربيا ودوليا، Kawalees@aljazeera.net
10. المصدر نفسه.
11. جبران تويني، الجزيرة نيت، برنامج من واشنطن الديمقراطية في الشرق الأوسط وحرية الصحافة، (2004) تاريخ الحلقة (2004/1/2).
12. فيروز زياني، الجزيرة نيت، برنامج كوالسي، حرية الصحافة عربيا وغربيا، (2005).
13. عبد الرحمن الراشد، مجلة (المجلة)، 2006/7/27 http://ww.sandroses.com abbs/showthreael./ حوار أجرته مجلة المجلة عبد الرحمن الراشد مشرف (موقع الجهاز اون لاين).
14. جويل كامبانيا، مسؤول قسم الشرق الأوسط بلجيكية، حماية الصحفيين، برنامج من واشنطن الديمقراطية في الشرق الأوسط وحرية الصحافة، http://www.aljazera.net P.4 of 12
15. جبران تويني، المدير العام لصحيفة النهار اللبنانية، www.aljazera.net 2/1/2004 قضايا الساعة، عام 2003 وحرية الصحافة، الترتيب العالمي لحرية الصحافة.
16. طاهر عيد مسلم، جريدة الزمان Azzaman Newspaper - Issue 1548 - Date 5/7/2003 جريدة الزمان العدد، 1548، التاريخ 2003/7/5.
17. المصدر نفسه.
18. طاهر عبد مسلم، جريدة الزمان، 2003.
19. مكاوي، ص 25، 2003.

20. موقع جريدة القيس الكويتيتة، العدد 11907، الخميس 27/ يوليو / 2006.
http://www.alqabas.com. 27/7/2006.
21. المرجع نفسه.
22. المرجع نفسه.
23. المرجع نفسه.
24. المرجع نفسه (موقع جريدة القبس الكويتية).
25. المرجع نفسه.
26. الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان (الحريات الصحفية في العالم العربي)
http://www.hrinfo.net/mena/rsf/2005/pr116.shtm.

المراجع وثيقة الصلة بالموضوع

سرحان، قاسم، واقع الإعلام والإعلاميين وقضية المال والاحتلال في العراق الجديد، **مجلة كتابات** - 12 تشرين الأول 2005.

شومان، محمد، **الإعلام والأزمات: مدخل نظري وممارسات عملية**، القاهرة: دار الكتب العلمية، 2002.

عبد مسلم، طاهر، قراءة متعددة وأزمة واحدة - الإعلام العربي يعيش تحولات للانفتاح في واقع من الأزمات، **جريدة (الزمان)**، العدد 1548، ماليزيا، التاريخ 2003/7/5.

مقالة الإعلام العربي: تقنية حديثة وحرية أقل، **مؤتمر الإعلام العربي في عصر المعلومات**، قطر 2005.

مكاوي، حسن عماد، **الإعلام ومعالجة الأزمات**، الدار المصرية اللبنانية، 2003.

موسى، شاهيناز، أثر الإعلام على صناعة السياسة و إدارة الأزمات، **مجلة الباحث العربي**، 1997، العدد: 45 الصفحات: 54-57.

نادري، أسعد، الإعلام بين المسؤولية... و الحرية، **المؤتمرات العلمية لجامعة بيروت العربية:** المؤتمر العلمي السنوي لكلية الحقوق، المجموعة المتخصصة في المسؤولية القانونية للمهنيين، 2004، العدد: 34 الصفحات: 10 – 33.

التحيز الجنسي على مستوى ألقاب الوظائف في لغة الصحافة الأردنية

محمد أبو عيد *

ملخص

تسعى هذه الورقات إلى دراسة التحيز الجنسي على مستوى ألقاب الوظائف في لغة الصحافة الأردنية، وهي، إذ تسعى لذلك، تنطلق من فرضية أساسية، ترى أن لغة الصحافة الأردنية، وبوصفها جزءاً من اللغة العربية المعاصرة، قد تحررت من معظم قيود التحيز الجنسي، التي كانت اللغة العربية القديمة أسيرة لها، ويعود هذا التحرر، كما ترى الدراسة، إلى انعكاس الثقافة العربية المعاصرة على واقع اللغة العربية في العصر الحديث، فالثقافة العربية تميل إلى تحقيق المساواة الجنسية بين الذكر والأنثى، في كثير من البنيات الاجتماعية، مما كان له الأثر على البنية اللغوية، فراحت، هي الأخرى أي: البنية اللغوية تقاوم التحيز وتسعى لتحقيق المساواة الجنسية، وهو ما جعل الدراسة، عبر نتائجها النهائية، تثبت الفرضية، المنصوص عليها، أعلاه، والخروج، من ثمة، بمجموعة من النتائج والتوصيات.

تقديم

تعد موضوعة التأنيث والتذكير في العربية، من أعسر ما يواجه الباحث اللغوي من موضوعات[1]، فقد ظل هذا الموضوع شائك الدراسة، متشعب الجوانب، مضطرب الأفكار، متخالف المعاني، وليس ذلك حاله في العربية، وحدها، بل وفي كثير من اللغات[2].

ويأتي هذا البحث، في السياق نفسه، ليدرس موضوعاً لصيقاً بموضوع التأنيث والتذكير، ألا وهو التحيز الجنسي على مستوى ألقاب الوظائف في لغة الصحافة الأردنية.

الخلفية النظرية

التحيز الجنسي في اللغة "مصطلحاً ومفهوماً"

يعد مصطلح التحيز اللغوي (linguistic prejudice)، ومنه التحيز الجنسي (Sexual)، من المصطلحات المستخدمة من قبل اللسانيين الاجتماعيين؛ وهو عنصر مهم من عناصر التعامل الاجتماعي[3].

---

* قسم العلوم الأساسية، كلية إربد الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، إربد، الأردن.

ويدعو هدسن، أحد اللسانيين الاجتماعيين، الباحثين، إلى عمل شيء ما ضد هذا التحيز، إذ إن استمراره سيؤدي إلى مشكلات خطيرة، وذلك، على الرغم من أن هدسن لا يتوقع أن تتم إزالة التحيز، تماماً، بوصفه جزءا من التكوينة الاجتماعية العامة؛ ولكنه يتوقع أن تؤدي مقاومة التحيز إلى التخفيف من وطأته[4]، ومن ثم، فإن هذه الدراسة تأتي، لتنضاف للجهد العام، الذي تحدث عنه هدسن، والمسخر لمقاومة التحيز الجنسي في اللغة، بهدف التخفيف منه.

ومن المصطلحات الأخرى المرادفة للتحيز الجنسي"الجنسانية" "sexism"، ويقصد بها: هيمنة أحد الجنسين، والتحيز له في سائر البنى والمؤسسات؛ بسبب جنسه، فحسب[5].

التحيز الجنسي"لغويا" عبر الثقافات

تفترض بعض الدراسات المعاصرة أن التحيز الجنسي ليس هو الأصل، بل إن الأصل هو المساواة، أو إن المذكر والمؤنث كل منهما أصل قائم بنفسه؛ فليس من المعقول أن الأصل في اللغة هو التذكير، بمعنى أن ذلك هو الأصل الطبيعي، ولن يكون من المقبول أن الذكر، وحده، هو صانع اللغة وسيدها منذ البدء، إن ما هو طبيعي أن يكون البشر، إناثا و ذكورا،قد أسهموا في إنتاج اللغة وتوظيفها، وهم على قدر من المساواة في حقهم في اللغة الفطري الأولي، ولكن هذا الحق بدأ في التغير، مع اكتشاف الكتابة،التي كان الذكر سيدها، ومن ثم، لم يقدم التاريخ أمثلة وافرة عن وجود نسوي فاعل مع اللغة المكتوبة، وعليه، وجه الذكر مسار اللغة نحوه، لتصبح ذكورية، ومنحازة له، وهو أمر رسخ في ذاكرة الثقافة؛ ليصبح الحضور المذكر جوهر اللغة، وجوهر الثقافة[6].

وفي هذا الإطار، أوضحت إحدى اللسانيات أن اللغة تعالج العالم،كما يراه الرجل، لتصبح خبرة المرأة مهمشة[7]، فالقارئ تاريخ الإنسانية، يقرأ تاريخا مغرقا بالفحولة،والتحيز الجنسي للذكر، لغويا وثقافيا، وخير شاهد على ذلك، ميراث الثقافة الغربية؛ إذ هو منذ الإغريق، و بما يشتمل عليه من شعر وأساطير وأدب وشرائع قانونية ووعظ وخطاب ديني وتربوي، يقر بتهميش المرأة، وبالتحيز للرجل على المستويات الثقافية كلها، بما في ذلك اللغة[8]، وهو أمر ملحوظ على مستوى الثقافات الإنسانية، كلياً، ومنها الثقافة العربية[9].

أما لو كان الأمر على خلاف ذلك، فتيسر للمرأة أن تكتب تاريخ الزمان والأحداث وصياغة التاريخ، ولم يحتكر ذلك كله الرجل، لكان ثمة تاريخٌ مختلفٌ عن فاعلات وصانعات للحدث، ومن ثم، ستكون الأنوثة قيمة إيجابية، تقف إلى جانب الفحولة[10].

وعليه، فقد اكتسب التحيز الجنسي، في تدرجات الثقافة، وتراكماتها عبر العصور، شرعيات شتى، أولاها الشرعية الدينية، ثم الشرعية الطبيعية، ثم الشرعية التاريخية[11]، ليصبح، أي: "التحيز الجنسي" في اللغة، هو المعيار والأساس.

بل إن هذه الشرعيات الثلاث، جعلت التحيز الجنسي يتخذ شكل عبودية لغوية، أشبه ما تكون بالعبودية البشرية، وإذا كانت العبودية البشرية إنكاراً لإنسانية العبيد، فإن العبودية اللغوية تقوم على إلغاء التأنيث من الخطاب، وفي تسخيره، أي التأنيث،لخدمة الذكورة،أي إن التأنيث لن يظهر في الخطاب الذكوري، إلا لإكراهات بيولوجية، أو فسيولوجية، كأن يخص الموضوع المرأة، دون الرجل، كالحمل والرضاعة والأمومة[12]؛ ومن ذلك اشتمال الخطاب على كلمات، من مثل: طالق، طامث، حائض، حامل، وما إلى ذلك[13]. وهي كلمات خاصة بالعوالم الأنثوية، وإن عريت من علامة التأنيث، وظهورها في الخطاب، ليس إلا للإكراهات المنصوص عليها، سابقاً.

مقاومة التحيز الجنسي "لغويا"

إذا كانت الثقافة البشرية، ومنها العربية، قد وصلت،في هذا الإطار من التحيز،إلى مستوى العبودية اللغوية،فإن نفرا من الباحثين في حقول المعرفة المختلفة، أخذوا على عاتقهم التصدي لهذه العبودية،كما جرى، سابقاً، التصدي لأركان العبودية البشرية، وزلزلتها، مع الأخذ، بعين الاعتبار،أن التخلص من هذه العبودية اللغوية ليس عملية سهلة، ولا سريعة، باعتبار أن ذلك يقتضي زلزلة عدد من التابوات "المحرمات" والمسلمات التي تحمي التذكير[14].

إن أظهر الضربات التي تلقاها التحيز اللغوي،كانت على يد حركة تحرير المرأة،التي أنتجت مصطلحاً مضادا للتحيز اللغوي،هو مصطلح "النسوية" "Femenisim"[15]، الذي يستهدف التركيز على نظرة اللغة الدونية للمرأة، تلك النظرة التي انعكست على ألفاظها واستعمالاتها، والتي ظهرت في شكل أنماط من التحيز للذكر، مما جعل اللغة، حقا، لغة ذكورية[16].

لقد فتحت "النسوية" باب اللغة على مصراعيه أمام المعالجة النسوية،على مستوى الثقافات الإنسانية، عامة، وعلى مستوى الثقافة العربية، خاصة، فلقد قدرت عدد الدراسات المعنية باللغة والمرأة، واللغة والجنس في حقل الدراسات اللسانية والاجتماعية والنفسية بعدة آلاف، مكتوبة بغير العربية[17]، فمنذ السبعينات والثمانينات، تواترت الدراسات الدؤوبة التي تدرس الفوارق بين التعبيرات الذكورية والتعبيرات الأنثوية، من جهة المغزى والدلالة[18]، وكانت اللسانيات في الغرب، من أظهر الحقول المعرفية التي شهدت مداً نسوياً لافتاً للانتباه، إذ انبرى اللسانيون، وعلى تفرعاتهم المختلفة، لنقد التحيز الجنسي في اللغة، وذلك تمهيدا للتحرر منه[19].

أما على مستوى الثقافة العربية، فشهدت ساحة النقد الموجه للتحيز الجنسي في اللغة نشاطا ملحوظا، وإن كان هذا النقد لا يزال نادراً، فقد كتب عبد الله الغذامي كتاباً، نقد به غلبة الفحولة على الأنوثة في اللغة والثقافة العربيتين،وسيادة الروح الذكورية، وروح التحيز الجنسي الذكري، في لغة الخطاب الأدبي العربي، ويصف كاتب عربي آخر، هو أحمد مختار عمر، حالة اختلاف الجنسين الذكر والأنثى في اللغة، ويقف عند مواطن كثيرة للتحيز الجنسي، لا على مستوى العربية، فحسب، بل على مستوى كثير من اللغات.

وقد كتبت "نوال السعداوي" كتابها "الأنثى هي الأصل"، محاولة نسف مقولات ابن جني حول أصلية التذكير، وتبعية المؤنث للمذكر، ومن ثم، فإنها ترفض تهميش المرأة، وجعلها راسبا ثقافيا تابعا للرجل، وعليه؛ فإنها لا تكتفي بمحاولة وضع المرأة في مكان مساو لمكان الرجل، بل هي تسعى للإطاحة بالذكر، لتحل المرأة مكانه، أي إن الكتاب يشكل محاولة للانقلاب الثقافي واللغوي.

أما الصحافة الأردنية، والتي هي ميدان تطبيقي لهذه الدراسة، فلقد تتبع الباحث، بعناية، مجموعة من المقالات الصحفية للكاتبة "زليخة أبو ريشة"، نقدت فيها، بمرارة، ذلك التحيز الجنسي في العربية للذكر دون الأنثى، تقول الكاتبة: "فإذا محصت في اللغة، لم أجد الأمر مختلفا عن مشهد الحياة الذي تحتله الذكورة... ذلك أن المذكر صار هو الجنس المعياري فيها"[20].

ومن هنا، راحت الكاتبة تطلب من التجمعات الذكرية المثقفة أن تنظر إلى مسألة اللغة بعين جديدة، وأن تمارس شيئا من النقد الجاد والجذري، وأن تبذل جهودا ملحوظة، للتنازل عن مكتسباتها السلطوية في اللغة، وفي الواقع، وأن تفحص بأناة الفحولة الثقافية، وتفندها، وتقترح لها بدائل لائقة، بإخاء أنثوي ذكري[21].

وتأتي هذه الدراسة، في هذا السياق، لتحاول نقد التحيز الجنسي في لغة الصحافة الأردنية، وهي، أي: لغة الصحافة الأردنية، تنوع لغوي عربي، ذائع الشيوع على مستوى اللغة العربية الفصيحة المعاصرة، لتنتقل الدراسة من بعد النقد، إلى تعزيز المساواة اللغوية؛ لينعكس، من ثمة، أثر المساواة اللغوية على الفكر والثقافة والذاكرة، بما هي اللغة انعكاس للذاكرة والثقافة والفكر؛ وبما أن كل أولئك، أدوات ترتبط، معا، ارتباطاً جدلياً، كما يسلم بذلك اللسانيون الاجتماعيون، وكما سيرد تفصيله في العنوان الآتي.

اللغة والفكر والثقافة

يعد موضوع العلاقة بين اللغة والثقافة والفكر موضوعا مشتركا بين عدة علوم، منها ما يقع خارج إطار اللسانيات، كالأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع وعلم الثقافة[22]، ومنها ما هو داخل في

إطار اللسانيات، كاللسانيات الأنثروبولوجية واللسانيات الإثنولوجية واللسانيات النفسية واللسانيات الاجتماعية(23). أما الأخيرة، وهي اللسانيات الاجتماعية، فلعلها الأبرز عناية من بين هذه العلوم بالعلاقة الجدلية بين هذه الاصطلاحات الثلاثة. فلقد شغلت اللسانيات الاجتماعية نفسها، ومنذ ظهورها في الستينات باختلافات الجنس وتنوعات اللغة في السلوك اللغوي، وأدخلت في دراسة اللغة عوامل متنوعة، مثل: العرق والجنس والطبقة الاجتماعية والمركز الاجتماعي(24).

وإذا كانت اللسانيات الاجتماعية تنظر إلى اللغة على أنها ظاهرة اجتماعية، فإنها تنطلق من هذه النظرة لمعالجة هذه العلاقة الجدلية بين اللغة والثقافة والفكر، ومن ثم، فإن الخلاف قد دب بين الباحثين حول ما الأكثر تأثيرا في الآخر، أهو اللغة أم الثقافة أم الفكر(25).

وبناء على المعلومات الوافدة من اللسانيات الاجتماعية، وبغض الطرف وصرف النظر عما هو الأكثر تأثيرا، ومع التسليم بوجود التأثر والتأثير بين اللغة والثقافة والفكر،فإن ما هو متوقع أن تأتي اللغة العربية القديمة ذكورية منحازة، تبعا لذكورة الثقافة العربية القديمة وانحيازها. ولعل شواهد كثيرة تشير إلى ذلك النمط الذكوري السائد في اللغة العربية، والذي يتجلى عبر ملامح لغوية كثيرة، منها مخاطبة جمع من الإناث بينهن ذكر واحد بصيغة ذكورية؛ ومنها نقاء جمع المذكر السالم واختصاصه بالذكور "أعلاما وصفات"، في مقابل استباحة المؤنث السالم من قبل المذكر، ومنها هيمنة الذكورة على الضمائر.

إن أظهر ما يشير إلى حالة الذكورة الغالبة على اللغة العربية، ما رسخته العقلية اللغوية العربية من أصلية التذكير وفرعية التأنيث، أو غلبة التذكير على التأنيث(26)، وهي فكرة رسخها الأقدمون، واستمرت عند المعاصرين، حتى إن بعض أولئك حاول أن يسبغ على هذه الفكرة شرعية دينية، اتكاء على تفسيرات معينة لنصوص دينية(27).

إن الفكرة القائمة على غلبة المذكر على المؤنث، واعتبار التذكير أو التحيز الجنسي هو الأصل، هي التي أباحت للعرب المعاصرين، عندما يكتبون بلغتهم المعاصرة أن يكتفوا بلفظ "مهندس، طبيب، أستاذ مساعد، عميد، طيار..." وما إلى ذلك، للإشارة إلى كلا الجنسين الذكر والأنثى، فهو إذ يستعمل ألقاب الوظائف تلك، وغيرها، بصيغتها الذكورية، ويشير بها إلى الأنثى، في ميدان العمل، لا يخامره شعور بأنه يمارس تهميشا للمرأة، أو تحيزا جنسيا لغويا ضدها، بقدر ما يخامره شعور بأنه يسير على الأغلب اللغوي والأصل، بل ليس من المبالغة القول إنه يسير على الأفصح والمعيار. فهذا مجمع اللغة العربية في القاهرة، في دورته الرابعة والأربعين، يجوز أن يوصف المؤنث بالتذكير، فيقال: فلانة أستاذ أو عضو أو رئيس، استنادا إلى ما نقله ابن السكيت عن الفراء أن العرب تقول: عاملنا امرأة، وأميرنا امرأة، وفلانة وصي، وفلانة وكيل فلان،

وإنما ذكر، لأنه إنما يكون في الرجال أكثر مما يكون في النساء، فلما احتاجوا إليه في النساء أجروه على الأكثر[28].

ومن ثم، فإن المرأة العربية تدخل مملكة الفصاحة، كما يصفها أحد الباحثين، إذا تخلت عن تاء التأنيث، كما في كلمة زوج، التي تطلق على الرجل والمرأة، وهذه مسألة تمر في الممارسة اللغوية، دون ملاحظة، لأنها صارت هي الطبع، وهي حقيقة اللغة[29]، ومن ثم، وجريا وراء الأغلب والأصل والأفصح، تخلت المرأة عن تاء التأنيث، حال دخولها مجال العمل الوظيفي، ودخلت سياق التذكير، فهي عضو، وهي مدير، وهي رئيس الجلسة، وهي أستاذ مساعد، ومحاضر، وبلغة أخرى، خضعت المرأة، حال دخولها للعمل الوظيفي، لتحيز جنسي لغوي.

فرضية الدراسة

تقوم فرضية الدراسة على أن لغة الصحافة الأردنية، التي هي جزء من اللغة العربية المعاصرة، قد تحررت من معظم قيود التحيز الجنسي، التي كانت اللغة العربية القديمة أسيرة لها. ويعود هذا التحرر إلى العلاقة الجدلية بين اللغة والثقافة؛ إذ إن الثقافة العربية المعاصرة تسعى إلى تحقيق المساواة الجنسية، ومقاومة التحيز، في كل البنيات الاجتماعية، مما يتوقع أن ينعكس على البنية اللغوية، والتي هي بنية اجتماعية، أساساً، وعلى وجه التعيين، سينعكس على لغة الصحافة الأردنية، والتي تمثل جزءاً مهماً من اللغة العربية الفصيحة المعاصرة.

منهجية الدراسة التطبيقية

وتتحدد منهجية الدراسة التطبيقية بالعناصر الثلاثة الآتية:

- **عينة الدراسة**: وقعت عين الدراسة على نماذج منتقاة من الصحف الأردنية اليومية والأسبوعية الآتية: الرأي – الدستور- العرب اليوم – الأنباط – الهلال- شباب وجامعات – الإخبارية – المحور – اللواء - البيداء.
- **الفترة الزمنية**: وقد تتبع الباحث هذه الصحف في الشهور التسعة الأولى من العام 2007م.
- **الفنون الصحفية**: أما الفنون الصحفية، التي اقتبست منها الدراسة نصوصها، فتوزعت على الأخبار الصحفية والإعلانات.

التحيز الجنسي على مستوى ألقاب الوظائف في لغة الصحافة الأردنية "الدراسة التطبيقية"

ينطوي الآتي من الصفحات، على دراسة لألقاب الوظائف في لغة الصحافة الأردنية، وهي دراسة تحاول الكشف عن حالة تلك الألقاب اللغوية، من جهة الذكورة والأنوثة، ومن ثم، الكشف عن مدى التحيز الجنسي في تلك اللغة، في ضوء ما تم طرحه من أفكار في فرضية الدراسة،

وستُوزع هذه الألقاب على مجموعات، كل مجموعة منها تشتمل على عدد من الألقاب الوظيفية المتآلفة، والمتقاربة قدر الإمكان.

كشاف الألقاب الوظيفية

أ. الألقاب السياسية

- ناشط، سجل استخدام "ناشطة"، كما في: ناشطة بيئية ونسائية (الإخبارية، 28 شباط 2007، ص4)، وكذلك، استخدم جمع المؤنث من اللفظ نفسه، للإشارة إلى جمع من النساء، كما في: ناشطات من العمل التطوعي النسائي (المحور، 8 شباط 2007، ص5).

- وزير، سجل لفظ "وزيرة"، على نحو واسع جدا، كما في: وزيرة الخارجية الأمريكية (الدستور، 20 أيلول 2007، ص21)، وزيرة الخارجية الإسرائيلية (الإخبارية، 28 شباط 2007، ص8)، استقالة أول وزيرة للتنمية الكويتية (العرب اليوم، 26 آب 2007، ص13)، وزيرة التخطيط والتعاون الدولي سهير العلي (الأنباط، 6 آذار 2007، ص14).

من جهة أخرى، مورس التحيز الجنسي باستخدام لفظ "الوزير"، للإشارة للأنثى، كما في: وزير التخطيط والتعاون الدولي سهير العلي (الدستور، 20 أيلول 2007، ص3)، أما في ما يتعلق بالإشارة إلى الجمع، فقد كانت الإشارة، دائماً، بالصيغة الجمعية الذكورية، مع اشتمال الوزراء ومجلسهم على "وزيرات" (الدستور، 20 أيلول 2007، ص16).

- رئيس، لوحظ ظهور "رئيسة"، على نحو موسع، كما في: سمو رئيسة رابطة اللاعبين الأردنيين الدوليين (العرب اليوم، 25 أيلول 2007، ص36)، وكوثر خلفات رئيسة اتحاد المرأة الأردنية بالزرقاء (الدستور الرياضي، 23 أيلول 2007، ص8)، ورئيسة ملتقى سيدات الأعمال والمهن الأردني وجدان التلهوني (العرب اليوم، 23 أيلول 2007، ص26). وإزاء ذلك كله وفي حالات قليلة سجل لفظ "رئيس"، بصيغته الذكورية، للإشارة للأنثى، كما في:

رئيس تحرير اتحاد المرأة الأردني (الإخبارية، 14 آذار2007، ص18)، ورئيس الاتحاد النسائي العام (الإخبارية،14 آذار 2007، ص18)، وسمو الأميرة سمية بنت الحسن رئيس مجلس أمناء جامعة الأميرة سمية للتكنولوجيا (شباب وجامعات، 6 آذار 2007، ص9)، ولميس ناصر رئيس الملتقى الإنساني لحقوق المرأة (الإخبارية، 21 شباط 2007، ص4).

- نائب رئيس، وقد ورد "نائبة رئيس"، كما في: نائبة رئيس تايون ترد: لست حثالة (الإخبارية، 14 آذار 2007، ص15).

- العين، ولم يرد اللقب إلا ذكورياً، كما في: العين مي أبو السمن (الإخبارية، 28 شباط 2007، ص9).

- عضو، لم يعثر على هذه الكلمة مستخدمة، ولو لمرة واحدة بالصيغة الأنثوية "عضوة"، وإنما استخدمت، دائما، بالصيغة الذكورية، للإشارة للأنثى (العرب اليوم، 15 آذار 2007، ص15)

- النائب، وعلى نحو واسع، ظهر لفظ "نائب" بصيغته الذكورية، للإشارة إلى الأنثى، كما في: النائب أدب السعود (الإخبارية، 14 آذار 2007، ص18)، والنائب ناريمان الروسان (الإخبارية، 14 آذار 2007، ص2)، والنائب إنصاف الخوالدة (الإخبارية 21 شباط، ص 5)، والنائب حياة المسيمي (الإخبارية، 14 آذار 2007، ص8). وفي موضع آخر، ورد اللفظ بصيغة أنثوية في خبر على هذا النحو: أكدت النائبة الروسان... (الهلال، 28 آذار 2007، ص3).

ب- الرتب العسكرية

- حافظت الرتب العسكرية على صيغتها الذكورية، على نحو مضطرد، كما في الرتب: الرقيب والملازم والنقيب والرائد والمقدم والعقيد والعميد وما إلى ذلك، وهي الألقاب العسكرية المشيرة للذكر والأنثى، معاً، كما في قول الصحافة الأردنية: مدير إدارة شؤون الشرطة النسائية العقيد كفى هلسة (العرب اليوم، 15 آذار 2007، ص7).

ج. الألقاب الاقتصادية

- رجل أعمال، و قد استعمل لفظ "سيدة أعمال"، كما في: جلسة حوارية تناقش تسهيل وصول سيدات الأعمال إلى مصادر التمويل من البنوك (الدستور الاقتصادي، 23 أيلول 2007، ص3)

د. الألقاب الأكاديمية

- الأكاديمي، وورد "الأكاديمية" على نحو واسع، (الإخبارية، 28 شباط 2007، ص14).

- عضو هيئة تدريس، هذه الصيغة، على هذا النحو، وبحالتها الذكورية الجمعية، أعضاء هيئة التدريس، تستخدم في لغة الصحافة الأردنية، لتشير للمذكر والمؤنث، في كل سياق، أينما وردت (شباب وجامعات، 6 آذار 2007، ص4).

- باحث، ومثله "باحثة" و"باحثات" (اللواء، 13 آذار 2007، ص32).

- مدرس، ترد "مدرسة" و"مدرسات" في كل مكان، كما في: المدرسات أفضل، لتعليم التلاميذ الذكور القراءة (العرب اليوم، 26 آب 2007، ص20).

- معلم، يرد استخدام "معلمة" و"معلمات" في مقابل "معلم" و"معلمون"، على نحو مضطرد (الرأي، 12 أيلول 2007، ص53)، ومن جهة أخرى، يسجل استخدام الصيغة الجمعية الذكرية "معلمون"، للإشارة لكلا الجنسين، كما في: النقص 130 معلماً، بسبب الاستنكافات (الدستور، 20 أيلول 2007، ص13).
- مساعد عميد، وورد بصيغته الذكورية، للإشارة للأنثى، كما في: د. فاطمة حمدي مساعداً لعميد كلية التمريض (الدستور، 25 أيلول 2007، ص34).
- رئيس قسم، وقد ورد، للإشارة للأنثى، كما في: د. زهرية عبد الحق قائم بأعمال رئيس قسم تربية الطفل (الدستور، 23 أيلول 2007، ص 36)، وفي سياق آخر، ورد اللفظ بصيغة أنثوية، "رئيسة"، كما في: رئيسة قسم اللغة الإنجليزية (شباب وجامعات، 19 شباط 2007، ص12)، ورئيسة قسم الإعلام في جامعة الزرقاء الأهلية (شباب وجامعات، 1 شباط 2007، ص19).
- عميد، ورد عميدة، كما في: عميدة كلية عجلون الجامعية (الدستور، 20 أيلول 2007، ص31)، وعميدة كلية الآداب والفنون (شباب وجامعات، 19 شباط 2007، ص7) وعميدة كلية التمريض (شباب وجامعات، 22 كانون ثاني 2007، ص10)، وعميدة كلية الزرقاء الجامعية (شباب وجامعات، 22 كانون ثاني 2007، ص10).

هـ. الألقاب الأدبية و الفنية

- كاتب، وسجلت "كاتبة" في كل مكان، كما في: هيا صالح كاتبة أردنية... (الرأي الثقافي، 28 أيلول 2007، ص8).
- مصمم، وقد سجلت "مصممة" كما في: مصممة المجوهرات الأردنية ناديا الدجاني (الدستور الاقتصادي، 25 أيلول 2007، ص8).
- المغني، ويستخدم، على نحو مضطرد، "المغنية" (العرب اليوم، 26 آب 2007، ص 19).
- المؤلف، و مثله "المؤلفة " (الهلال، 4 نيسان 2007، ص10).
- الفنان، ومثله "الفنانة"، وترد على نحو مضطرد (العرب اليوم، 26 آب 2007، ص18).
- الروائي، ويقابله "الروائية" (العرب اليوم، 26 آب 2007، ص16).
- عارض أزياء، و قد سجلت "عارضة أزياء"، أينما وردت (الرأي، 22 أيلول 2007، ص32).
- الشاعر، ومثله "الشاعرة" (اللواء، 27 شباط 2007، ص28).

- الممثل ومثله "الممثلة" (العرب اليوم، 15 آذار 2007، ص40).
- القاص، ومثله "القاصة"، كما في: القاصة الصينية بيون لي، (العرب اليوم، 15 آذار 2007، ص15).
- المطرب، ومثله "المطربة" (العرب اليوم، 15 آذار 2007، ص18).
- النجم ومثله "النجمة" (العرب اليوم، 15 آذار 2007، ص18).

و. الألقاب الرياضية

- الرياضي، ومثله "الرياضية" (شباب وجامعات، 22 كانون ثاني 2007، ص22).
- بطل، وقد سجلت "البطلة"، كما في: البطلة رولا منصور (الدستور الرياضي، 20 أيلول 2007، ص3)، وبطلة دورة بالي الأندونيسية (الدستور الرياضي، 23 أيلول 2007، ص5).
- اللاعب، وقد قيدت "اللاعبة" و"اللاعبات"، كما في: الرابطة العالمية للاعبات التنس المحترفات (الدستور الرياضي، 25 أيلول 2007، ص3)، ومن جهة أخرى، لوحظ استعمال اللفظ "لاعبين"، وبصيغته الذكورية، عندما يكون الخطاب موجها لكلا الجنسين، كما في هذا الخبر: الفوج الرابع لرابطة اللاعبين الدوليين يغادرن إلى مكة الليلة (العرب اليوم 25 أيلول 2007، ص36).
- الناشئ، وسجلت "الناشئة" و"الناشئات" (شباب وجامعات، 22 كانون ثاني 2007، ص22).
- العداء، وسجلت "العداءة"، وذلك بنص: العداءة الأثيوبية أبيبي تولا (الأنباط، 6 آذار 2007، ص11).
- المصنف، وقيدت "المصنفة"، من مثل: مارتينا هينغيس، المصنفة ثالثة من الدور ثمن النهائي (العرب اليوم، 15 آذار 2007، ص 39).
- هداف: ومثله "هدافة البطولة" (شباب وجامعات، 22 كانون ثاني 2007، ص22).
- حارس مرمى: ومثله "حارسة مرمى"، كما في: استحقت لقب أفضل حارسة مرمى (شباب وجامعات، 22 كانون ثاني 2007 ص22).
- الفرسان، وسجل اللفظ بصيغته الجمعية الذكورية، للإشارة لفرسان الرياضة من الإناث والذكور (الرأي، 30 تموز 2007، ص92).

ز. الألقاب الطبية

- أخصائي، وورد "أخصائية"، كما في: أخصائية بدكير ومنكير (الرأي، 12 أيلول 2007، ص59).
- مساعد صيدلي، جاء استعمال "مساعد صيدلي"، للإشارة للذكر والأنثى، معا، في حالتي الإفراد والجمع (الرأي 12 أيلول 2007، ص53). وجاء، في حالات قليلة، استعمال: مساعدة صيدلاني، للإحالة للأنثى (الرأي 30 تموز 2007، ص 98).
- الدكتور، و يقابلها، "الدكتورة "، أينما وردت، كما في: الدكتورة ردينا الرفاعي (الدستور 20 أيلول 2007، ص5).
- ممرض: وورد "ممرضة"، كما في مطلوب ممرضة، للعمل في منزل، (الرأي، 30 تموز 2007، ص98)، مع الإشارة إلى أن الاسم المعتمد للنقابة، ليس فيه شيء من التحيز الجنسي، فهو يأتي على هذا النحو: نقابة الممرضين والممرضات والقابلات القانونيات (الدستور، 20 أيلول 2007، ص9).
- طبيب، وقد سجلت "طبيبة"، على نحو واسع جدا، من مثل: مطلوب طبيبة نسائية، للعمل في عيادات الديرة الطبية (الرأي، 30تموز 2007، ص98)، ويظهر التحيز الجنسي في هذا اللفظ على مستوى الجمع، إذ يستخدم "الأطباء"، للإشارة للذكور والإناث، كما في: مطلوب أطباء أسنان (الرأي، 12 أيلول 2007، ص53)، ونقابة الأطباء (الدستور، 20 أيلول 2007، ص8).

ح. الألقاب المهنية

- مهندس، سجلت "مهندسة" كثيراً، من مثل: شركة رائدة تعلن عن توفر الشواغر التالية: مهندسة تصميم (الرأي، 12 أيلول 2007، ص53)، وقد استخدم اللقب "مهندس"، بصيغته الذكورية، للإشارة لكلا الجنسين، كما في: مطلوب مهندس (الرأي، 12 أيلول 2007، ص53)، واستخدمت الصيغة الجمعية "المهندسون" للإشارة للمذكر والمؤنث، من مثل: مقتل عشرات المهندسين الإيرانيين (الدستور،20 أيلول 2007، ص21).
- الإعلامي، استخدمت "الإعلامية" في إشارة للأنثى، كما في: الإعلامية هالة سرحان (الإخبارية، 14 آذار 2007، ص21)، وكانت الصيغة الجمعية الذكورية قد استخدمت للإشارة للإناث، كما في: إعلاميون عرب يصوتون للبتراء (الهلال، 4 نيسان 2007، ص4)، من جهة أخرى، ورد الخطاب باستخدام الجمع المؤنث، كما في: مركز الإعلاميات العربيات (شباب وجامعات، 1 شباط 2007، ص11).

- الصحفي، و قد استعملت "الصحافية" في كل سياق (اللواء، 27 شباط 2007،ص28)، وفي حال الجمع، تم الانحياز للصيغة الذكورية، من مثل: احتجاج الصحفيين باللغة الإنجليزية رسالة إلى من (البيداء 25 شباط 2007، ص2).
- الزميل، و قد سجل لفظ "الزميلة"، على نحو واسع، كما في: الزميلة النشيطة صبا منصور من مركز حماية وحرية الصحفيين (الإخبارية، 21 شباط 2007، ص4).
- موظف مبيعات، وقد قيدت "موظفة مبيعات"، كما في: مطلوب موظفة مبيعات (الرأي، 30 تموز 2007، ص98)، واستعمل الجمع الذكوري ليحيل لكلا الجنسين، كما في: مطلوب موظفو مبيعات (الرأي، 14 آب 2007، ص46)، مع الإشارة إلى ورود حالات سجل فيها استخدام جمع المؤنث لذات اللفظ، كما في: مطلوب موظفات مبيعات (الرأي، 14 آب 2007، ص46).
- سكرتير، ولعل لقب "سكرتيرة " هو اللقب صاحب السبق في الظهور، بالصيغة الأنثوية، في لغة الصحافة الأردنية، وقد يتأتى ذلك، من أن هذه المهنة اصطبغت بالصبغة الأنثوية، مؤخرا، حتى أصبحت محسوبة على عالم الأنوثة، أكثر منها على عالم الذكورة، وعليه، ليس ثمة من داع لسرد الأمثلة الوافرة التي وقعت عليها عين الدراسة، والتي جاءت كلها بصيغة أنثوية (الرأي، 12 أيلول 2007، ص 53).
- الكوافير، ومثله "الكوافيرة" (العرب اليوم، 17 حزيران 2007، ص29).
- مساعد كوافير، واستعمل على نحو من المساواة، كما في: مطلوب للعمل مساعدين ومساعدات كوافير (الرأي، 20 تموز 2007، ص98).
- خبير، وقد ورد "خبيرة"، كما في: مطلوب خبيرات تجميل (الرأي، 12 أيلول 2007، ص53).
- رسام، وسجلت "رسامة"، كما في: شركة رائدة تعلن عن توفر الشواغر التالية: 1- رسامة أوتوكاد (الرأي،12 أيلول 2007، ص53).
- مدرب، وتظهر "المدربة" و"المدربات" من مثل: مدربات أجهزة لياقة وأيروبكس، ومدربات سباحة (الرأي، 12 أيلول 2007، ص59).
- المترجم، ومثله "المترجمة" (اللواء، 27 شباط 2007، ص 28).

ط. ألقاب عامة

- ممثل شركة، وقد سجل "ممثلة شركة"، كما في: ممثلة الشركة الهندسية (العرب اليوم، 15 آذار 2007، ص24).

- منسق، ومثله "منسقة"، من مثل منسقة جائزة سمو الأمير الحسن للشباب (العرب اليوم، 15 آذار 2007، ص29)، ومنسقة لدائرة المستودعات والمشتريات (الرأي، 30 تموز 2007، ص98).

- مدير، ورد استعمال "مديرة" في أمثلة متعددة، من مثل: المديرة الإقليمية لصندوق الأمم المتحدة الإنساني للمرأة الدكتورة هيفاء أبو غزالة (شباب وجامعات، 19 شباط 2007، ص4)، ومديرة مكتب الملك عبد الله الثاني للتنمية والإرشاد المهني (شباب وجامعات، 19 شباط 2007، ص10)، ومدير مكتب البريد (شباب وجامعات، 19 شباط 2007، ص10)، ومديرة سكن الطالبات (شباب وجامعات، 19 شباط 2007، ص10)، ومديرة البنك الأردني الكويتي (شباب وجامعات، 19 شباط 2007، ص11)، ومديرة الشركة المنظمة (الأنباط، 13 حزيران 2007، ص6). ومن جهة أخرى، ظهر التحيز الجنسي، عندما استعمل لقب المدير، للإشارة للأنثى، كما في: يعلن مستشفى الجامعة الأردنية عن حاجته للوظائف التالية: - مدير دائرة خدمات فندقية حسب الشروط التالية: ومن الشروط أن يكون أردنيو الجنسية غير مطلوبين لخدمة العلم بالنسبة للذكور، ومن ثم، فإن الإعلان يفهم منه أنه يستهدف الذكور والإناث، رغم أن الصيغة ذكورية (الرأي، 12 أيلول 2007، ص59). ومن مثل: ربى البطاينة المدير العام التنفيذي لشركة الخبراء للدعاية والإعلان (العرب اليوم، 29 أب 2007، ص6)، وماري كلود مدير الصندوق العربي للثقافة والفنون (الدستور، 20 أيلول 2007، ص38)، ود. جاي نوت، مدير الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (الدستور الاقتصادي، 23 أيلول 2007، ص3).

- موظف، واستعملت "موظفة"، على نحو واسع (الرأي، 12 أيلول 2007، ص53)، أما عندما كانت الإشارة للمجموع من كلا الجنسين، فقد كان أمام لغة الصحافة عدة خيارات: فتارة مارست التحيز الجنسي للذكورة، كما في: مطلوب موظفون سكرتير – سكرتيرة (الرأي 12 أيلول 2007، ص59)، وماكدونالدز الأردن تكرم موظفيها الناجحين بالتوجيهي (الدستور، 20 أيلول 2007، ص12). وتارة أخرى، وإذا ما كان الإعلان يستهدف فئة الإناث، فإن الجمع جاءَ فقط، بالصيغة الأنثوية، كما في: مطلوب موظفات استقبال (الرأي، 12 أيلول 2007، ص59).

- مشارك، واستعملت "مشاركة" و"مشاركات"، على نحو موسع، كما في: المشاركات في معسكرات عيون الأردن (الرأي، 30 تموز 2007، ص93).

- مساعد مدير، وظهرت "مساعدة مدير"، كما في: مساعدة مدير مكتب الرئيس، (شباب وجامعات، 19 شباط 2007، ص4).

نتائج الدراسة

استعرض الباحث قرابة ستين لقباً وظيفياً، وهذه الألقاب الوظيفية كانت موزعة على مستويات مختلفة ومتنوعة من الوظائف العليا والدنيا والمتوسطة، وقد توصل الباحث إلى النتائج التالية:

- تجاوزت لغة الصحافة الأردنية، إلى حد كبير، حدود التحيز الجنسي، وإن ظلت بعض مظاهره متغلغلة فيها، فقد وضعت لمعظم الألقاب الوظيفية المذكرة ما يقابلها من الألقاب المؤنثة، مثل: (أديب، أديبة)، (طبيب، طبيبة)، (ناشط، ناشطة).
- إن بعض هذه الألقاب الوظيفية المؤنثة بقي غير مفعل، أو مغيباً عن بعض السياقات، كما في الألقاب: (نائبة، مديرة، وزيرة).
- حافظت اللغة الصحفية الأردنية على ذكورة بعض الألقاب، واستخدمتها كما هي، بصيغتها الذكورية، للإشارة إلى الأنثى، ومثال ذلك، (عضو، عضو هيئة تدريس، العين، الرتب العسكرية (العقيد، المقدم، الملازم).
- استخدمت لغة الصحافة الأردنية صيغة جمع المؤنث السالم في بعض الحالات، للإشارة إلى جمع من الإناث، ممن يتلقبن بلقب وظيفي محدد، وذلك في مقابل استخدام جمع المذكر السالم، في الإشارة إلى الذكور، ممن يتلقبون باللقب نفسه، ومثال ذلك: (ناشطات، معلمات إعلاميات).
- تستخدم الصحافة الأردنية الجمع الذكوري، للإشارة، غالباً، إلى كلا الجنسين، وهو الصيغة المهيمنة على لغة الصحافة الأردنية.
- لم تستخدم الصحافة الأردنية، في بعض الحالات، جمع المؤنث السالم، مفضلة استخدام جمع المذكر من اللفظ المذكر، وفي كل السياقات، كما في: (الوزراء، الأعضاء، أعضاء هيئة التدريس).
- كانت لغة الصحافة الأردنية، التي وقعت عليها عين الدراسة، على مستوى متماثل من جهة التعامل مع الصيغة الأنثوية، والتحرر من حدود التحيز الجنسي.
- ظهر التحرر من التحيز الجنسي في كل من الأخبار الصحفية، والإعلانات على نحو متماثل، وهو ما يؤكد وحدة اللغة الصحفية الأردنية، في الإتجاه نحو التحرر من قيود التحيز الجنسي.
- يمكن أن نعد لغة الصحافة الأردنية لغة تشارك بالمجهود العام الثقافي، الذي دعا إليه هدسن، والذي يقصد إلى إحداث تغيير في اللغة، ومقاومة التحيز، فما تثبته الأوراق التي تم عرضها، أنها لغة مقاومة للتحيز، ولغة تضع اللقب الأنثوي في مقابل اللقب الذكوري، سعياً

منها وراء المساواة الجنسية، التي تجري على أرض الواقع المعيش، ومن ثم، فإن النتائج التي توصلت إليها الدراسة، تثبت الفرضية الأساسية، التي انطلقت منها فكرة البحث.

توصيات الدراسة

- إذا كانت لغة الصحافة الأردنية تسير بطريق مقاومة التحيز الجنسي، وتحقيق المساواة في اللغة، عامة، مع التنبه ما لذلك من انعكاس على الثقافة، بوجه عام، فإن المطلوب من المجامع اللغوية، ومن اللغويين، تدعيم مثل هذه الخطوات، باعتبار لغة الصحافة تصل إلى القطاع الأوسع من الجماهير، أو هي تمثل مساحة كبرى، تكتب بالعربية الفصحى المعاصرة.

- إذا كان مجمع اللغة العربية في القاهرة، في دورته الرابعة والأربعين، جوز أن يوصف المؤنث بالتذكير، فيقال: فلانة أستاذ، أو عضو، أو رئيس، استنادا إلى ما نقله ابن السكيت عن الفراء، أن العرب تقول: عاملنا امرأة، وأميرنا امرأة، وفلانة وصي، وفلانة وكيل فلان...[30] فإن الدراسة ترى أن من حقها أن تختلف مع المجمع اللغوي، ومن ثم، ترى أن يعزز اللغويون الاتجاه نحو وضع لقب وظيفي مؤنث، في مقابل كل لقب وظيفي مذكر، مع الإشارة، هنا، إلى ضرورة استخدام هذا اللقب المؤنث الموضوع في كل السياقات، ومن ثم، أن يجري استخدام الجمع المؤنث منه في مقابل الجمع المذكر. وهنا، تصبح الأنوثة أصلاً لغوياً، يقف بإزاء الأصل الذكوري، ويجاريه[31].

- إن ما يعزز هذه التجربة الأردنية، نحو مقاومة التحيز الجنسي، وتحقيق المساواة، أن أمما أخرى كانت لغتها تحفل بضروب التحيز الجنسي، ثم ما لبثت أن تخلصت منه، وحققت مستوى رفيعاً من المساواة، وخير شاهد على هذه اللغات، الإنجليزية، إذ هي واحدة من اللغات التي اشتملت على مظاهر التحيز الجنسي على مستوى ألقاب الوظائف، كما في الألقاب: Fireman, Chairman, Postman من جهة، ومن جهة أخرى Tealaday, Cleaninglady، وعليه، فقد انبرى اللغويون والمثقفون الإنجليز لوضع كلمات أخرى بديلة، فكانت الكلمات: "Post Person, Chair, Fire person fighter, Cleaner"[32]. وعليه، فإن التجربة الإنجليزية، وما اطلعت عليه الدراسة من أمر تجربة لغة الصحافة الأردنية، مع النظر إلى الإطار اللغوي النظري العام، والذي يقول إن التطور في ظاهرة التأنيث والتذكير يتجه في معظم اللغات نحو الصلة العقلية المنطقية بين الأسماء ومدلولاتها[33]، كل أولئك يعززون اتجاه البحث نحو تعزيز فكرة المساواة ومقاومة التحيز الجنسي على مستوى ألقاب الوظائف، لا في لغة الصحافة، فحسب، بل في اللغة العربية عامة.

Sexual Partiality over the level of Position Title in the Language of Jordanian Press

Mohammad Abu-Eid, *Basic Science Department, Irbid University College, Al-Balga Applied University, Irbid, Jordan.*

Abstract

These papers attempt to study the sexual partiality over the level of position title in the language of Jordanian press, which starts from an essential hypothesis that consider that the language of Jordanian press is a part of the Modern Arabic Language, that had freed from some of sexual partiality bonds, that the Traditional Arabic Language was captured by, the slip as the study views come from the reflection of Modern Arabic Culture on the reality of Arabic Language in the Modern Age. Arabic Culture leans toward achieving sexual equality between males' and females' in many social structures that effected the lingual structure, and the last went along in resisting the partiality and attempting to achieve sexual equality, where the study with its final results proved the mention hypothesis and coming out with a set of results and recommendation.

قدم البحث للنشر في 2007/8/9 وقبل في 2008/1/29

الهوامش:

(1) عمايرة، إسماعيل، ظاهرة التأنيث في العربية، ص 5.

(2) بركات، إبراهيم، التأنيث في اللغة العربية، ص 5.

(3) هدسن، علم اللغة الاجتماعي، ص 326.

(4) المصدر نفسه، ص 326.

(5) الخولي، يمنى، أنثوية العلم، ص 40.

(6) الغذامي، عبد الله، المرأة واللغة، ص 26- 27.

(7) الخولي، يمنى، أنثوية العلم، ص 32.

(8) المصدر نفسه، ص 13.

(9) عمايرة، إسماعيل، ظاهرة التأنيث في العربية، ص 24.

(10) الغذامي، عبد الله، المرأة واللغة، ص 11.

(11) أبو ريشة، زليخة، الرأي الثقافي، صحيفة الرأي الأردنية، ص 4.

(12) المصدر نفسه، ص 8.

(13) الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج 2، ص 758.

(14) أبو ريشة، زليخة، الرأي الثقافي، صحيفة الرأي الأردنية، ص 8.

(15) إدريس، نجمة عبد الله، مأزق المرأة الشاعرة، ص 182، و الخولي، يمنى، أنثوية العلم، ص10 – 11.

(16) عمر، أحمد مختار، اللغة واختلاف الجنسين، ص 17.

(17) المصدر نفسه، ص 8.

(18) الخولي، يمنى، أنثوية العلم، ص 33.

(19) المصدر نفسه، ص 32.

(20) أبو ريشة، زليخة، الرأي الثقافي، صحيفة الرأي الأردنية، ص 8.

(21) المصدر نفسه، ص4.

(22) بشر، كمال، علم اللغة الاجتماعي، ص 41-42.

(23) هدسن، علم اللغة الاجتماعي، ص 12.

(24) عمر، أحمد مختار، اللغة و اختلاف الجنسين، ص 33.

(25) هدسن، علم اللغة الاجتماعي، ص 178، وبشر، كمال، ص 240، ووافي، علي عبد الواحد، ص 162، و بركات، إبراهيم، ص 6.

(26) ابن الأنباري، أبو بكر، المذكر والمؤنث، ص181، سيبويه، الكتاب. ج3، ص 268، الثعالبي، فقه اللغة وسر العربية، ص327، ابن فارس، الصاحبي، ص194، ابن هشام، أوضح المسالك، ص433، ابن جني، الخصائص، ج2، ص245.

(27) بركات، إبراهيم، التأنيث في اللغة العربية، ص 35.

(28) الغذامي، عبد الله، المرأة واللغة، ص 21.

(29) المصدر نفسه، ص 21- 22.

(30) المصدر نفسه، ص21.

(31) المصدر نفسه، ص 12.

(32) تراسك. ر.ل، أساسيات اللغة، ص 99 -100.

(33) أنيس، إبراهيم، من أسرار اللغة، ص 161.

المراجع:

ابن الأنباري، أبو بكر، **المذكر والمؤنث**، تحقيق: عبد عوني الجنابي، بغداد، مطبعة الوافي، ط1، 1978.

ابن جنيّ، أبو الفتح، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط4، 1990.

ابن فارس، أحمد، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، تحقيق: عمر الطباع، بيروت، مكتبة المعارف، ط 1، 1993.

ابن هشام، جمال الدين، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، بغداد، د. ت. دار إحياء العلوم العامة، ط 1، 1990.

أبو ريشة، زليخة، اللغة بين تذكير العالم و تأنيث الخطاب، **صحيفة الرأي الأردنية**، الرأي الثقافي، العدد 12821، الجمعة، تشرين أول، 2005 م، الأردن، عمان.

أبو ريشة، زليخة، اللغة بين تذكير العالم وتأنيث الخطاب، **صحيفة الرأي الأردنية**، الرأي الثقافي، العدد 12833، الجمعة، 11 تشرين ثاني 2005، سنة 35، عمان، الأردن.

إدريس، نجمة عبد الله، مأزق المرأة الشاعرة، قراءة في الواقع الثقافي، **عالم الفكر**، المجلد 34، العدد 2، 2005.

الأنباري، أبو البركات، **الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين**، د.ط، دار الفكر.

أنيس، إبراهيم، **من أسرار اللغة**، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط6، 1978.

بركات، إبراهيم، **التأنيث في اللغة العربية**، المنصورة، دار الوفاء، ط1، 1988.

بشر، كمال، **علم اللغة الاجتماعي**، القاهرة، دار غريب، ط3، 1997.

تراسك. ر.ل، **أساسيات اللغة**، ترجمة: رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2002.

الثعالبي، أبو منصور، **فقه اللغة وسر العربية**، تحقيق مصطفى السقا وآخرون، دار الفكر، ط3، د.ت.

الخولي، يمنى، **أنثوية العلم**، من مقدمتها لكتاب ليندا جين شيفرد، أنثوية العلم، ترجمة: يمنى الخولي، مطابع السياسة، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، ط1، أغسطس. 2004.

سيبويه، أبو بشر، **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1988.

عمايرة، إسماعيل، **ظاهرة التأنيث في اللغة العربية واللغات السامية، دراسة لغوية تأصيلية**، عمان، مركز الكتاب العلمي، ط 1، 1986.

عمر، أحمد مختار، **اللغة واختلاف الجنسين**، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1996.

الغذامي، عبد الله، **المرأة واللغة**، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط2، 1997.

هدسن، **علم اللغة الاجتماعي**، ترجمة: د. محمد عبد الغني عياد، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1987.

وافي، علي عبد الواحد، **اللغة والمجتمع**، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ط، د.ت.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد5 العدد 2، 2008، ص ص 357- 378

النسق الإعرابي وأثره في انسجام النص

عبد المهدي الجراح* و إبراهيم الكوفحي**

ملخص

يتناول هذا البحث العلامة الإعرابية من منظور علم لغة النص، سعياً إلى إبراز أثرها في تماسك النص واتساقه، والانتقال بها من منظور نحو الجملة إلى منظورعلم النص، وهو المنظور الأوسع والأشمل، وهو ثمرة الدراسات اللسانية الحديثة.

تناول البحث بداية علم اللغة النصي، والاتساق النصي، ثم انتقل لبحث المدى الدلالي للعلامة الإعرابية عبر النص، ثم بحث طبيعة التفاعل بين الحركة الإعرابية والمحددات البراجماتية اللغوية.

خلص البحث إلى أن العلامة الإعرابية تشكل نظاماً يتفاعل مع المعطيات النصية والبراجماتية، لتكوين الوحدة النصية، كما أن العلامة الإعرابية تسهم في خلق الروابط النصية المختلفة محدثة بذلك الاتساق النصي، كما أن منظور علم لغة النص وتصوراته تثبت قيمة العلامة في ربط أجزاء الخطاب الواحد.

* **الكلمات الدالة:** العلامة، الإعراب، الربط، النص.

مقدمة:

درس النحويون القدماء العلاقات النحوية دراسة مستفيضة، تدلّ في كثير من جوانبها على عمقها وأصالتها. لكن ورغم هذا العمق بقيت دراستهم لها مرتبطة بنحو الجملة، فلم تتعدها إلى النص. وقد كثرت الآراء حول الغرض الذي تأتي لأجله العلامات الإعرابية في المنظومة التركيبية. وكانت نتيجة ذلك أن انشغلوا عن أهم ملمح، بل أكبر أثر للنسق الإعرابي في انسجام النص وتماسكه، إذا ما تعدّى الملفوظ به حدود الجملة الواحدة.

فالبحث التقليدي للحركة الإعرابية كان يركز على إبراز مسألة العمل الإعرابي ضمن حدود الجملة الواحدة ،دون النظرإلى العلاقة الإعرابية بين الجملة وغيرها من الجمل عبر نسيج نصي قوامه التماسك والانسجام؛ إذ انصب البحث على السبب الذي يجعل هذا الاسم منصوبًا أو مرفوعاً أو مجروراً؛ أي العلاقات التي تربط الأسماء أو الألفاظ على مستوى الجملة.

* قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم والآداب، جامعة العلوم والتكنولوجيا الأردنية، إربد، الأردن.

** قسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الهاشمية، الزرقاء، الأردن.

تأتي هذه الدراسة لتحقيق جملة من الأهداف وهي:

أولاً: إظهار الأثر التكاملي للنسق الإعرابي في تماسك النص من منظور علم اللغة النصي الذي قوامه نحو النص (Textology)، فهذا من شأنه أن يضع العلاقات النحوية في إطارها النصّي، لا أن تبقى في إطار نحو الجملة وقواعده.

ثانياً: الانتقال بالنسق الإعرابي: دراسة وبحثاً من حَيز الدوران في رحى النقولات التي تتمثل بالبحث في الآراء التي قيلت في ظاهرة الإعراب، إلى حيّز التطبيق الفعلي لآثار هذه الظاهرة في تماسك النص.

ثالثاً: إعادة صلة القربى بين الدراسات الأدبية، والدراسات النحوية؛ لأنه "لا يوجد أي دليل على قصر النحو على الجملة فقط. إنّ العدد المحدود من نماذج النصوص (مثل إمكانيات التركيب والارتباط بين الجمل في أثناء التتابع) يسوغ قبول آلية إنتاج مجموعة غير نهائية من النصوص، فدراسة تركيبات النص تسهل الوصول إلى الفهم العميق لتركيب الجمل الفردية"[(1)].

رابعاً: الإفادة من معطيات أحدث العلوم اللسانية، وهو: نحو النص، في إبراز جماليات النسق الإعرابي عبر النص.

خامساً: تحقيق الأهداف السالفة الذكر، يجعلنا نحقق هدفاً مهماً آخر وهو: دحض بعض الادعاءات التي نسجت حول أثر الإعراب في المعنى، ويكون هذا بوساطة تقديم أدلة نصيّة، لا تاريخية، لأن الباحثين المحدثين، قاموا بدحض مسألتي: التشكيك بالإعراب، وإنكاره من تصورات تاريخية ضمن حدود نحو الجملة[(2)].

ولتحقيق الأهداف السابقة الذكر؛ ذهب الباحث إلى التعريف بالنسق الإعرابي، ثم بعلم اللغة النصي الذي قوامه نحو النص، وكذلك الاتساق النصي والمدى الدلالي للنسق الإعرابي. وقد تم التركيز على تنوع الشواهد ممثلة بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ونماذج من المقامات، وذلك لغرض التنويع في عملية الاستشهاد، ولفت النظر إلى أهمية ذلك.

أولاً: النسق الإعرابي- مفهومه وأهميته

مصطلح النسق الإعرابي مركب من عنصرين: العنصر الأول هو النسق، والثاني هو الإعراب، ويقصد بالنسق نظام العلاقات النحوية القائمة بين الكلم داخل الامتداد التركيبي، أما الاعراب فهو "تغير أواخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظًا أو تقديراً"[(3)] أي أن الإعراب: هو الأثر الذي تحدثه العوامل في أواخر الكلمات، وهذا من شأنه أن يفصح عن المعاني المقصودة بدقة

ووضوح، فيتعين الهدف من مسألة إنشاء التركيب أساساً، وقد كان ابن منظور محقاً حينما قال "والإعراب الذي هو النحو إنما هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ"(4)

بناءً على ما سبق، ما المقصود بالنسق الإعرابي؟

يفهم من بحث النحويين للإعراب، وللنظام النحوي العربي وجود مجموعة من العلاقات النحوية، تقوم بين أجزاء التركيب الواحد، مشكلة مجموعة من الأنساق التركيبية، التي تعطي النص صورته النهائية. ووفقاً لذلك يكون النسق الإعرابي مجدموعة من الروابط بين أجزاء التركيب الواحد أو بين التراكيب عبر النص، أي أن النسق الإعرابي هو الأداة التي تحدث الترابط بين أجزاء التركيب الواحد، وبين التراكيب الممتدة عبر البنية النصية جميعها، ويكون هذا وفقاً لمقصدية المتكلم، وسيتم بحث هذا الأمر –إن شاء الله تعالى-بالتفصيل عند الحديث عن المدى الدلالي للنسق الإعرابي وأثره في الربط.

ويعد بحث النسق الإعرابي على مستوى النص من قبيل البحث النحوي للنص، أي: بحث في النسق الإعرابي وأثره في بناء نحو النص، وهذا ما يذهب البحث إليه، وما يمثل رؤيته، وقبل الشروع بذلك، يرى البحث أنه لا بد من بحث بعض المفاهيم المرتبطة بهذا الموضوع وهي: إعطاء لمحة عن علم اللغة النصي، والاتساق النصي.

ثانياً: مفهوم علم اللغة النصي

يقوم علم اللغة النصي على البحث في نحوية النص، و تُعدّ المهمة الأساسية لنحو النص وصف التنظيم الداخلي للنص، بحثاً في أدوات انسجام النص واتساقه، وتماسكه، وتعزى إلى هارفنج (Harfetng) أول محاولة جادة لوصف التنظيم الداخلي للنص، فقد تحدث عن بعض العلاقات التي تسوده، وذلك كعلاقة الإحالة، والاستبدال، التي فصل فيها القول، ووقف عند التكرار، والترادف، والعطف، والترتيب، والتتابعات الجملية، وهذا كله مما يقع في دائرة الترابط والاتساق الداخلي للنص(5).

والعلاقات السابقة الذكر يعجز نحو الجملة عن تفسيرها والإحاطة بها إذا ما تجاوز الملفوظ حدود الجملة الواحدة، ولكن هذا لا يعني أن نحو الجملة ليس مهماً، إنّه مهم جداً، بل بقيت كثيراً من تصورات نحو الجملة ماثلة في كثير من تصورات نحو النص(6)، كما أن العلاقات السابقة الذكر تؤدي إلى توحيد المعايير الضابطة للنصوص(7). وإذا توحّدت المعايير التي تحلل النصوص بناءً عليها، تحقق الفهم الصحيح للنص(8)، وإذا تحقق الفهم الصحيح للنص فإن الرسالة التي يقصدها الكاتب، أي كاتب، هي رسالة ناجحة، تدلّ على أن النص ينطوي على نحوية، وكفاءة لغوية عاليتين(9). ولقد ربط بول دي مان إمكانية النص للإنجاز بنحو ذلك النص ربطاً صريحاً(10).

وبناءً على ما تقدم فنحو النص ليس وصفاً شكلياً للمنظومة اللغوية؛ إنَّه وصف وتحليل. ويظهر من أعمال جميع علماء لغة النص أمثال: فان ديك Vandijk، ودرسلر Dressler، ودي يوجراند Debeaugrande ، وبتوفي Petofi ، أن الظواهر التركيبية التي يبحثها نحو النص تكون مرتبطة إما بالسياق اللغوي، أو السياق غير اللغوي، أي: المقام وما شابه ذلك[11]، وكل هذا يكون كشفاً عن أدوات الاتساق والتماسك.

ثانياً: الاتساق النصّي

يذهب هاليداي Halliday ورقية حسن Ruqaya Hasan إلى أن النص "وحدة دلالية، وليست الجمل إلا الوسيلة التي يتحقق بها النص". كما أنّ الاتساق هو شرط أساسي للتعرف على ما هو نص مما هو ليس كذلك[12]. والأداة المثلى للاتساق هي التماسك، فما هو التماسك؟

يرى دي يوجراند أن التماسك (coherence) "يتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي (conceptual connectivity) واسترجاعه، وتشمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص (class inclusion) معلومات عن تنظيم يتصل بالتجربة الإنسانية ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص (text presented knowledge) مع المعرفة السابقة بالعالم"[13]. أي أن التماسك يتطلب ربط النص بما هو خارجه مثل المقام، ونظرية المعرفة (المعارف السابقة عن النص)، إضافة للعلاقات العليّة الداخلية.

أما الانسجام (cohesion) فهو مصطلح نحوي يُعنى بكيفية ترابط مكوّنات البنية النصّية الصغرى (السطحية)[14]، وهذا يعني أن النص مكون من مجموعة من الجمل، هذه الجمل تترابط فيما بينها بروابط نحوية ظاهرة ومتعددة، ومن هذه الروابط:

1. الهيئة النحوية للمركبات.
2. التراكيب والجمل.
3. التكرار.
4. الألفاظ الكنائية.
5. الاحالة المشتركة.
6. الحذف.
7. الروابط الملفوظة.
8. الروابط الذهنية السياقية.

ويقوم النسق الإعرابي بربط التراكيب بعضها بعضاً على مستوى النص، إذ تتعدى وظيفته الربط الجزئي، أي ربط أجزاء التركيب الواحد بعضها بعضاً، فيقوم بربط مجموعة من التراكيب عبر البنية النصّية الكبرى، لذا فهو أداة من أدوات الاتساق النصّي، وهو النظام الذي يتفاعل مع المعطيات النصّية والبراجماتية؛ لتكوين الوحدة النصّية، وبحث المدى الدلالي للنسق الإعرابي عبر النص يثبت صدق ما نتوجه إليه.

وما تقدم ذكره وتقريره يمثل منهجاً واضحاً في النظم اعتمده البحث لتحليل العلاقات القائمة بين المعاني الإعرابية عبر الامتداد النصي، وهذا يسهم في جعل العلاقات الإعرابية تتعدى الجملة الواحدة إلى النص، وبالتالي تحدث العلاقة بين العلامة الإعرابية والمحددات البراجماتية؛ لأن العلامة الإعرابية المحدثة للعلاقات النسقية، تكون خاضعة للسياقات اللغوية وغير اللغوية، وهذا ما يمثل رؤى البحث وفلسفته.

ثالثاً: المدى الدلالي للنسق الإعرابي وأثره في الربط

يبدو للقارئ البسيط أن المدى الدلالي للنسق الإعرابي لا يتعدى الجملة الواحدة، إلا أن التحليل اللغوي لأجزاء الخطاب الواحد يثبت فشل هذه النظرة وسطحيتها، فالمدى الدلالي له يتسع في كثير من الأحيان ليغطي مساحات واسعة من جسم الخطاب، وهذا الامتداد هو الذي يحدث الاتساق واللحمة للنص، ولتأكيد ذلك نذكر قول الله عزوجل: **(قل من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدىً وبشرى للمؤمنين*من كان عدوا لله وملئكته ورسله وجبريل وميكل فإن الله عدو للكفرين)**(15)

تتمثل السلطة النصية للنسق الإعرابي بإحداث مجموعة من الروابط التركيبية الواضحة في هذا النص القرآني، ويأتي هذا عبر مرحلتين: تتمثل المرحلة الأولى بالترابط الحاصل بين كلمات التركيب الواحد، ففي التركيب: (نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدىً وبشرى للمؤمنين)، يحدث الترابط بين الكلمات لوجود علاقات السببية والعطف، إذنزله الله على قلب النبي –صلى الله عليه وسلم- من أجل التصديق لما بين يديه (مصدقاً)، فأساس وجود التنزيل هو التصديق، يضاف إلى ذلك الترابط الحاصل بين بشرى وهدى بفعل حرف العطف، الذي هو علاقة من العلاقات التي التي يستدعيها النسق الإعرابي أساساً، ويعمل على تفعيلها. ومثل ذلك أيضاًالترابط الحاصل بين المعطوفات (لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل). ولعل ما يعزز قيم الترابط هو مسألة التغاير أو المغايرة في الوصف أيضاً، فإن إفراد الآية الكريمة للملكين جبريل وميكائيل بالذكر؛ يعود لفضلهما، كأنهما من جنس آخر، وهو أن التغاير في الوصف في حقيقته ينزل منزلة التغاير في الذات.

أما المرحلة الثانية فتتمثل بالعلاقات التركيبية التى استدعاها النسق الإعرابي، ممثلة بأسلوب الشرط، أو ما يسمى بظاهرة التعليق الشرطي، ولا توجد رابطة أقوى من هذه الرابطة النسقية، وهي تمثل بعداًنصياًواضحاً، والحديث هنا ليس حديثاًعن علاقة لفظة بأخرى، وإنما علاقة تركيب بآخر، فعل الشرط بجوابه، وهذا كله يسير وفقا ًللنسق الإعرابي المقصود.

يثبت التحليل اللغوي النصي، وجود أدلة تؤكد صدق ما يتوجه به البحث، تتمثل في أدوات الامتداد الدلالي للنسق الإعرابي، وتتمثل بـ: الربط التبعي، والربط الموازي، والربط الزمني، والربط السببي، وفيما يلي بحث لها بما يفيد.

أ. الربط التبعي

يقوم النسق الإعرابي بالهيمنة على غير تركيب بواسطة الربط التبعي، الذي يمثله في الغالب أسلوب العطف في لغتنا، فالعطف إشراك للمعطوف في حكم المعطوف عليه[16]، وهذا يعني أن العطف بجميع أدواته يتطلب ربطاً محكماً للمفردات والجمل، والذي يتحكم بهذا الربط هو التركيب الأول أو حركة التركيب الأول، أي: النظام النحوي المسيطر على التركيب الأساسي، وقد أطلق على هذا النوع من الأنظمة (الوصل الإضافي)، وهذا النوع من الوصل يقوم على مقصدية ثابتة قائمة في ذهن المرسل[17]. وفي الحديث النبوي التالي استخدامات إبلاغية عظيمة لأسلوب العطف، وللأثر الذي يحدثه النسق الإعرابي في ربط التراكيب والملفوظات عبر النص:

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة، ويباعد بي عن النار، قال: "لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيْمٍ، وإنَّه ليسيرُ على مَنْ يَسَّرَه الله تعالى عليه: تَعْبُدُ الله لا تُشْرِكُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ، وتؤتي الزكاة، وتصومُ رمضان، وتحج البيت. ثم قال: ألا أدلُّكَ على أبواب الخير: الصومُ جُنَّةُ، والصدقةُ تطفيء الخطيئةَ كَمَا يُطْفِيء الماءُ النارَ، وصلاةُ الرجلِ في جوفِ الليلِ، ثم تلا: (تَتَجافَى جُنُوبُهُم عن المضاجع) حتى بَلَغَ "يَعْمَلوُن" ثم قال: ألا أخبُرك برأسِ الأمر وعموده وذروةِ سنامه؟" قلت: بلى يا رسول الله. قال "رأسُ الأمر الإسلامُ، وعمودُ الصلاةُ، وذورةُ سنامه الجهادُ" ثم قال: "ألا أخبُرك بملاك ذلك كلِّه؟" قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه قال: (وكفّ عليك هذا) قلت: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال: "ثكلتك أمكِ يا معاذُ، وهَلْ يَكُبّ الناسَ في النارِ على وجوههم – أو قال: على مَنَاخِرِهِم – إلاّ حصائِدُ ألْسِنتهِم؟" صدق الرسول العظيم[18].

يشكل هذا الحديث الشريف نصاً كاملاً يضم مجموعة من الخطابات، وتحديداً أربعة خطابات، الخطاب الأول: يتضمن إجابة النبي – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ، وتتضمن الإجابة تركيباً أساسياً وهو (تعْبُدُ الله لا تشرك به شيئاً) ثم مجموعة من التراكيب المعطوفة التي التزم

بها بالحركة الإعرابية نفسها، وهي على درجة كبيرة جداً من الإبلاغية، أما الخطاب الثاني: فيتضمن التفصيل في أبواب الخير، ويتكون الخطاب من مجموعة من التراكيب الإسنادية الاسمية المعطوفة. ويتضمن الخطاب الثالث إجمال أسس العقيدة الإسلامية، بوساطة تراكيب إسنادية اسمية معطوف بعضها على بعض، والخطاب الأخير يتضمن تراكيب إسنادية تقوم الحركة الإعرابية، بأثر فاعل في تحديد ماهية المخاطب، وفي هذا إثبات وتأكيد لأثر الحركة في تنظيم النسق الكلي للنص. كما أنّ الذي يعمّق هذا الأثر وجود أحداث كلامية حقيقية لا متخيلة، فهناك حوار يقوم على مبدأ "القولبة القولية" وهذا يشكل حواراً صريحاً مؤثراً[19]، فهناك سؤال ثم بعد ذلك جواب، ثم سلسلة نصائح وإنارات منبثقة من الإجابة. وكل هذا يسير وفق حركة التركيب الأول لكل خطاب.

ب. الربط الزمني

يُلْحَظُ من تتابع الأفعال في الحديث النبوي الشريف، أنّ النسق الإعرابي ينهض بمهمة تنظيم التتابع أو التوالي الزمني، فالأفعال المعطوفة على الفعل المضارع – على سبيل التمثيل – كلها مضارعة مرفوعة مثله، ولو حدث تخالف، لأصبح في النص نشاز، يصرف العقول إلى جوانب غير منطقية تبعثر الدلالة.

إذن تبقى حركة التركيب الأول مسيطرة على حركة التراكيب الأخرى، وهذا يجعل العلاقة التي تحكم التراكيب (الأحداث التركيبية) داخل النص هي علاقة التوافق لا التخالف[20]. وهي الأكثر استعمالاً[21]، والأكثر تنظيماً للنص[22]. وهذا يثبت أن النسق الإعرابي يشكل نظاماً يتفاعل مع النص، والجوانب البراجماتية، كالبنية الحوارية والتتابعات الزمنية، كونها أحداثاً كلامية.

ويشير الأزهر الزناد إلى أن الأزمنة خارجية وداخلية، أما الخارجية فهي التي تمثل زمن التلفظ بالفعل، أما الداخليق فهي "الأزمنة المتوفرة في عالم الخطاب، وتدل عليها صيغ الأفعال التامة والناقصة وكذلك ظروف الزمان وبعض البنى التركيبية الأخرى في الجملة، ولكن الأفعال تبقى أوفر تلك الوسائل دقة واستعمالاً"[23]، كما أنها تعزز أثر النسق الإعرابي داخل البنية النصية في بناء الاتساق النصي، ويؤكد هذا قول الله عزوجل: **(يأيها النبي اتق الله ولا تطع الكفرين والمنفقين إن الله كان علیماًحكيماً*واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيرا*وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً)** [24]. إذ تتتابع سلسلة الأفعال الدالة على الزمن وهي: (اتق، وتطع، وكان، واتبع، ويوحى، وكان، وتعملون، وتوكل، وكفى)، وهذا التتابع محكوم بالنسق الإعرابي، أي بالعلاقات النحوية التي تنظم التتابع الدلالي لهذه الآيات. كما أن هذا التتابع يعكس السلطة النسقية للإعراب في تنظيم عالم النص؛لأنه يوفر مقومات عنصر الانسجام.

والربط الزمني هو جزء من الربط التبعي، إلاّ أنّه يتميز عنه كونه يختص بحركات الأفعال، لا الأسماء. أي أنّه يهتم بالدوائر الإسنادية الفعلية لا الاسمية، وهو يمثل إشعاراً بالعنصر الثالث من عناصر الامتداد الدلالي للنسق الإعرابي، ألا وهو الربط الموازي.

ج. الربط الموازي (paralleleism connect)

يقوم في ذهن المرسل – في غالب الأحيان – هيمنة نسق إعرابي من أول الفقرة إلى آخرها، وتقوم الحركة الإعرابية كبنية نظامية بصنع هذا النمط من العلاقات، وهو نمط من علاقات التوازي. وقد درس علماء لغة النص علاقات التوازي كاملة دون الإشارة لا من قريب ولا من بعيد، إلى الأثر الذي تحدثه الحركة الإعرابية في خلق التوازي، مع أنّ هذا يمثل في كثير من الأحيان ظاهرة تستحق الدراسة. والتوازي مظهر نحوي يحكمه النظم، يقول ياكوبسون Jacobson: "ففي الشعر يملي النظم نفسه بنية الموازاة، وتحدد البنية العروضية عموماً والوحدة الموسيقية، وتكرار البيت ومكوناته الوزنية تحدد جميعها التوزيع المتوازي لعناصر النحو والدلالة اللفظية، وينظم الصوت بالضرورة المعنى. . . . "[25].

وكلامه هذا دقيق، فالعلاقة التي تقوم بين النحو وباقي البنى والوحدات هي علاقة التوازي، التي تُؤسِّسُ بناءً على المعطيات النظمية، وهو يختلف فيما يقرره عما قرّره الجرجاني حينما قال: "واعلم أنّ ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت فلا تخل بشيء منها، وذلك أنا لا نعلم شيئاً يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه"[26]. وسبب هذا الاختلاف أن الجرجاني تناول الجانب الذهني للنحو، لا الجانب المادي الملموس.

والنظم عند ياكوبسون مرتبط بمقصدية ثابتة تجعل الحركة الإعرابية عنصراً نحوياً مؤسساً لظاهرة التوازي، يقول الله عزوجل: **(فسبحن الله حين تمسون وحين تصبحون*وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون*يخرج الحيّ من الميت ويخرج الميت من الحي ويحى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون)** [27]

يلحظ في هذا النص وجود مجموعة من التراكيب الموازية؛وذلك لسيطرة نسق إعرابي واحد من البداية وحتى النهاية، وهذه التراكيب هي: (تمسون، وتصبحون، وتظهرون، وتخرجون) و(يخرج الحي، ويخرج الميت، ويحيي الأرض)، إذ يستدعي النسق الإعرابي أن نعطف التراكيب الموازية لبغضها بعضاً، وهنا تظهر سلطة النسق الإعرابي واضحةفي بناء النص ونجاح مقصديته، ولا بد من الإشارة إلى أن هذا الاستعمال يدفع المستقبل، إلى المتابعة والانفعال الصادق، مما يضمن نجاح الهدف.

والنظر في الحديث النبوي الشريف الآتي يؤكد أيضاً ما سبق ذكره: "عن أبي عبد الرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: "بُني الإسلامُ على خمس: شهادةِ أنْ لا إلهَ إلاّ الله وأنّ محمداً رسولُ الله، وإقامِ الصلاةِ، وإيتاءِ الزكاةِ، وحجِّ البيتِ، وصومِ رمضان"[28].

التركيب الأساسي في هذا الحديث هو (بني الإسلام على خمسٍ)، وهو يمثل أيضاً الجملة المحورية (kernel sentence)، وجميع التراكيب التالية له تتبعه بالحركة الإعرابية وتحديداً تتبع كلمة (خمس). وهي تراكيب موازية له، كونها ترتبط معه بعلاقتين، الحركة نفسها، إضافة لعلاقة التوازي الذروي، ويقصد بالتوازي الذروي (climactic parallelism) عدم تمام فكرة في أول الخطاب إلا بأخرى في آخره[29].

وهذا يعني أنَ التركيب الأساسي الذي تتبعه التراكيب الأخرى، التالية له والمكملة له، يمثل دائرة غير مكتملة، تكتمل بوساطة التراكيب اللاحقة له، وإذا تغيرت حركتها فإن هذا يخلق نوعاً من النشاز النصّي، ويجعل العلاقة بين هذه التراكيب والتركيب السابق تخالفية لا توافقية. وهذا يدلّ أيضاً على أن أسلوب التبعية أيضاً يعّمق الربط، ويعمق أثر الحركة الإعرابية في تماسك النص واتساقه. وقد يقول البعض: قد تُعطف بعض التراكيب، فما الذي يحْدُثُ لو غيرنا بحركة الإعراب كيفما شئنا؟. ولكننا نقول: إنّ التغيير بالحركة الإعرابية كيفما شئنا يعني أننا سنحطم ثلاثة عناصر:

- إخراج الكلام والحديث من حيّز النظم.
- جعل الكلام غير مقبول منطقياً؛ لأنه فقد الصحة القواعدية.
- تحطيم بنية التوازي، لأن الانسجام هو شرط التوازي.

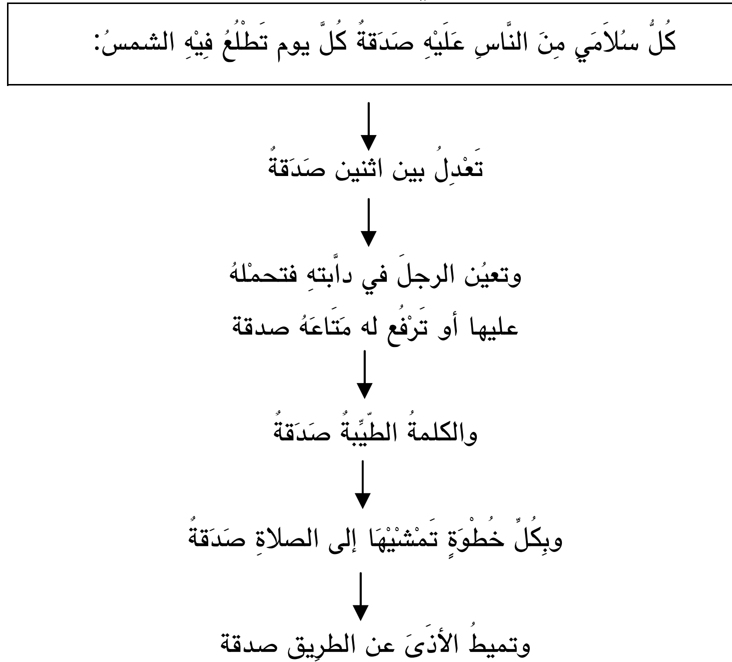
د. الربط السببي.

ويقصد بالربط السببي أنّ التراكيب الإسنادية تترابط بينها بفعل التشابه في الأوضاع النسقية: الحركة والتشابه في الفكرة. ويكون ذلك بأن تتتابع مجموعة من التراكيب الإسنادية المعطوفة أو غير المعطوفة، يقول لوناكري longacre: "قد تتشابه مجموعة من المسندات عبر البنية النصّية، ويكون لهذا التشابه أهمية فاعلة في عملية وصل التراكيب بعضها ببعض، وبخاصة إذا كانت تدور حول فكرة واحدة"[30].

وقد عَمق هذا الاتجاه وأزكاه وينفرد كرمبي Crombie في حديثه عن "علاقات الربط"[31]. (the bonding relation)، وهذا يعني أن الحركة الإعرابية تحدد أن هذا التركيب مكوَن مثلاً من مسند ومسند إليه، مبتدأ أو خبر، أو مفعول به لفعل متأخر. . . الخ. وهناك فرق واسع بين

الجملة الاسمية والفعلية؛ بناءً ودلالة، ولعل التناوب والتخالف في بناء التراكيب فيه بلاغة وإبلاغ، وفيه درجة عالية من الربط، كأن يبدأ النص بجملة اسمية ويتبع بجملة فعلية وهكذا، فهذا من شأنه أنْ يخفف من حدّة الرتابة والتواتر اللذان يضعفان من إبلاغية النص. وتوضيحاً لذلك نأخذ قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كُلُّ سُلاَمَي مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ كُلَّ يوم تَطْلُعُ فِيْهِ الشمسُ: تَعْدِلُ بين اثنين صَدَقَةٌ، وتعيُن الرجلَ في دابَّتهِ فتحمْلهُ عليها أو تَرْفُع له مَتَاعَهُ صدقة، والكلمةُ الطَّيِّبةُ صَدَقَةٌ، وبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشَيْهَا إلى الصلاةِ صَدَقَةٌ، وتميطُ الأذَىَ عن الطريق صدقة"[32]. صدق الرسول الكريم.

يتكون هذا النص من مجموعة من التراكيب المترابطة فيما بينها بفعل الحركة الإعرابية؛ لأنها هي التي أسهمت في تأسيس التوافق بين الدوائر الإسنادية المكونة لهذا النص، كما أنها تراكيب متخالفة في النوع، وهذا له دلالته وأهميته في الربط، ويمكن توضيح الترابط الحاصل فيما بين التراكيب والدوائر الإسنادية على النحو التالي:



وقد اقتضت مقصدية التفصيل بعد الإجمال أن يبتدأ بكلمة (كُلُّ) مرفوعة لا منصوبة؛ لأنّها لو كانت منصوبة لاختل المنطق الإعرابي والدلالي للتتابع الجملي، وأهم شرط من شروط البناء

النصّي هو المقبولية (acceptability)[33]؛ لأنها هي التي تجعل النص قابلاً للقراءة والتحليل، وتبني له قاعدة نصية قوية[34]، والحركة الإعرابية هنا هي التي توفر هاتين الخاصتين للنص.

رابعاً: التفاعل بين الحركة الإعرابية والمحددات البراجماتية

يعزِّز الاتجاه البراجماتي الأثر الحقيقي للحركة الإعرابية في اتساق النص وانسجامه؛ لأن البراجماتية اللغوية أول ما تنصرف إليه هو "تحديد هوية العلاقة بين اللغة وسياقاتها، والذين يصنعون هذه السياقات، ألا وهم الناطقون باللغة، وليست هذه العلاقة سهلة بل هي مركب معقد من الثوابت والمتغيرات التي تدخل فيها عوامل نفسية، واجتماعية، ومنطقية، ومن هنا، كان تلازم البراجماتية اللغوية، وعلم النفس، والمجتمع، وعلم الاجتماع، وعلم المنطق أمراً ملحوظاً في كل الدراسات البراجمالغوية"[35].

وبهذا الفهم فإن البراجماتية اللغوية مسؤولة عن تنظيم لعبة السياقات، ودراستها دراسة حقيقية هادفة؛ لأن هذا يضمن تحقيق عنصرين أساسيين:

1. الهدف الذي لأجله تنشأ السياقات.
2. أعراض المنطوق كحدث كلامي.

فالهدف لغوي تداولي، وما دام الأمر كذلك، فلِمَ تنشأ الحركة الإعرابية وما الذي يحددها؟

تنشأ الحركة الإعرابية؛ لأغراض مقصدية كثيرة، والسياق وحده هو الذي يحدد نوع الحركة، ومن هنا قام ستيفن ليفنسون (Stephen Levinson) بتحديد البراجماتية اللغوية بقوله: "هي دراسة العلاقات بين اللغة والسياق الذي يعدّ فهمه ضرورياً وأساسياً في عملية فهم اللغة"[36]. وهذا ينسحب على الحركة الإعرابية في علاقاتها السياقية والدلالية؛لأن العلاقة التي تربطها بالسياق هي علاقة التفاعل لا السكون والجمود، أي أن السياق يُشكلها ولكنها تقوم بتثبيته ودعمه؛ من هنا يحدث التفاعل بين الحركة والمحددات البراجماتية، والمقصود بالمحددات البراجماتية: العناصر الفاعلة في البنية النصية، مثل: السياق بنوعيه: اللغوي وغير اللغوي، وأثر الملفوظات كأحداث كلامية في السياق النصّي، وأثر السياق في تشكيل الدلالة النصّية، لأن هذا كله كما يُصرح "فان ديك" يعزز العلاقة بين القاعدة والسياق[37]؛ مما يؤدي إلى الفهم الصحيح للنص[38].

والعربية لغة غنية بالسياقات المحددة لنوع التركيب، وهناك نماذج كثيرة تثبت ذلك منها:

أ. الأساليب الإبلاغية

والمقصود هنا بعض الأساليب التي يتخطى المرسل فيها مرحلة الإخبار، أي: يتخطى الجانبين الموضوعي والفكري للكلام. ويتخطى عملية إيصال الوقائع والأفكار عن طريق الإخبار والإعلام[39]، ونضرب مثالاً على ذلك أسلوب التعجب القياسي في اللغة العربية وتحديداً صيغة (ما أفَعْلَ)، فالسياق هو الذي يحدد أسلوب التعجب، وهو فِعْلٌ إنساني نفسي، لأنَك لا تنشئ أسلوب التعجب إلاّ إذا كنت قاصداً، إظهار الانفعال، فهو "شعور داخلي تنفعل به النفس حين تستعظم أمراً نادراً، أو لا مثيل له، مجهول الحقيقة، أو خفي السبب ، ولا يتحقق التعجب إلا باجتماع هذه الأشياء كلها"[40].

ويُحْدِث أسلوب التعجب الربط من جهتين:

1. أنَه يلفت نظر المستقبل إلى حقيقة مهمة في النص، تقع في حدود دائرة الانفعال.
2. أنَه يزيد من العمق الدلالي لبعض التراكيب النصَية الأخرى.

وهذان الأمران يسهمان في تحقيق مبدأ الاتساق من جملة مجموعة العناصر النصّية الأخرى.

ولو جئنا إلى الصيغة القياسية الثانية للتعجب لظهر لنا البعد الإدراكي العميق لهذه الصورة، فهي تفترق عن الصيغة الأولى، فأنت حينما تقول: أَقْبِحْ بالظلم!، فإنك أمام مجموعة من الحقائق التي تسهم في بناء النسق النصي، وهذا يجعل النسق الإعرابي يتجاوز قوة الصوت إلى قوة البعد الإدراكي الذهني، وهذه الحقائق هي:

1. وجود سياق تواصلي بين المتحدث والسامع، أي: وجود اتفاق حول الانصات والاستماع إلى قضية محددة وثابتة وهي: (أقبحَ الظلم، أي: صار ذا قبح).
2. تم إخراج التركيب من حيز الخبر إلى حيز الأمر؛ لإفادة التعجب.
3. هذا التعجب يعمل على تمتين العلاقة بين التركيب ومدلولاته، إذ يفتح المجال واسعاً لعمليات إدراكية تصورية، تعمل على تعزيز العلاقة بين الدلالات النصية، والتراكيب النحوية المتضمنة لها.

وهناك أساليب كثيرة أيضاً لا تتضح هويتها بدون الحركة الإعرابية، مثل: التحذير والإغراء، وأمره واضح.

ب. القولبة الإبلاغية

نطرح بداية السؤال التالي: ماذا يقصد بالقولبة؟ وما علاقتها بالجانب الإبلاغي؟

القولبة تعني حضور قالب لغويّ محددة في ذهن المرسل أو المبدع، وتكون الحركة الإعرابية دالة على هذا الحضور؛ لأنها تعمل على تثبيت السياق. وفي الغالب يمتد هذا الحضور ليغطي مساحات نصّية واسعة محدثاً بذلك التماسك والاتساق للنص.

وتبرز علاقة الحضور لهذا القالب اللغوي بالجانب الإبلاغي بالنظر إلى الأثر الذي تحدثه الحركة الإعرابية في تتابعاتها النصّية – فيكون حضور الحركة لا لغرض الإخبار والإعلام، وإنّما لأغراض الإبلاغ أي: التأثير في نفسية المتلقي؛وتوضيحاً لذلك لنستمع جميعاً إلى الفقرة التاليةوالتي تتضمن نصيحة رجل لأبنه وهو في مقتبل العمر: "يا بُنَي اتَّقِ الله، لا تَغْضَبْ، لا تَجْعَلِ الشَّيْطَانَ يُطَارِدُك، لا تَقْتَرِبْ من الفاحشة. . . . " لو نظرنا إلى هذه التراكيب المتباعدة لوجدنا أن القالب المسيطر عن مقصدية تامة هو أسلوب النهي، وحركة الجزم هي علامة دالة على هذا الحضور، أي هي حضور يدل على حضور ووعي، فالرجل قام في ذهنه قبل أن يصدر هذه الأحداث الكلامية والتراكيب الفعلية هذا القالب.

ويظهر للباحث أنّ هذا النمط من القولبة الإبلاغية، ينطوي على درجة كبيرة من الربط والتماسك، لأنه جعل المرسل في غنى عن حضور حرف العطف في بداية كل جملة، وصولاً إلى الربط بالقران (الوصل الذهني)، ومعلوم أن الربط بالقران من الطرق الشائعة؛ وفيها درجة كبيرة من الاتساق والتماسك(41)، فتكون الحركة الإعرابية ممثلة للدال على الوصل الذهني في غياب الرابط اللفظي.

وحضور القولبة الإبلاغية في ذهن المرسل يعيدنا إلى المرتكزات القواعدية عند فان ديك (grammatical strategies) التي تنص على أن المرسل هو الذي يختار القواعد بحسب السياقات المعرفية أو الخلفية المعرفية، إلاّ أن النحو وقوانينه، يقوم بتخصيص البنى الدلالية(42)، وكلامه هذا يجعل الحركة الإعرابية جانباً من جوانب تخصيص وتحديد البنى النصّية التي تتعالق فيما بينها لتشكيل النص ونحوه.

ج. القولبة الأسلوبية

هناك أساليب إبلاغية، وهناك قوالب أسلوبية، والأساليب الإبلاغية هي جزء من القوالب الأسلوبية، ثم تحديد المقصود بالأساليب الأبلاغية، وصلتها بالحركة الأعرابية، أما القوالب الأسلوبية فيقصد بها أن يختار المرسل نمطاً أو شكلاً من أبنية الكلم ويهيمن هذا الشكل أو النسق على مساحات واسعة من جسم النص، وعلاقة ذلك بالحركة الإعرابية، أنها تكون دالة على الشكل أو القالب الأسلوبي، مرتبطة به، والتغير فيها يؤدي إلى تغير في الشكل أو القالب الأسلوبي كاملاً.

ويُعد تكرار هذا القالب ظاهرة أسلوبية لافتة للنظر في النصوص على اختلاف أجناسها يقول االله[43] عزوجل : **(وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ * حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ * وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ * وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ)**

فالتراكيب التكرارية المتتابعة عبر النص القرآني وهي: (وهو الذي أنشأ لكم. . . وهو الذي ذرأكم في الأرض. . . وهو الذي يحيي ويميت. . .)؛ نابعة من رغبة ثابتة لتوكيد نعم الله ودلائل وحدانيته وتحديدا ًكفار مكة، فالله –عز وجل– يخاطب سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– فيقول: لو رحمنا هؤلاء المشركين الذين كذبوك، ورفعنا عنهم البلاء والقحط؛ لاستمروا وتمادوا في الظلم والظلالة، ولكن ابتليناهم بالمصائب الشداد: الجوع والقحط، ومع ذلك لم يخضعوا لجلال الله – عز وجل – بل استمروا في طغيانهم وعتوهم وتكبرهم، فإذا جاءتهم أهوال الآخرة، وأتاهم عذاب الله بما لم يكونوا يحتسبوا أيسوا من كيل خير. وهي تثبت أثر النسق الإعرابي في حمل التتابعات الدلالية وتنظيمها عبر النص. إذن هناك قصد واضح من وراء اختيار هذا النسق المكون من مجموعة من العلاقات الإسنادية المتتابعة.

ومن ذلك ما نجده في مقامات بديع الزمان الهمذاني، إذ يقول في في المقامة البغدادية: "وقلت لصاحب الحلوى: زنْ لأبي زيد من اللوزينج رطلين فهو أحرى في الحلوق، وأمضى في العروق، وليكن ليليَ العمر، يوميّ النشر، رفيق القشر، كثيف الحشو، لؤلؤي الدهن، كوكبي اللون، يذوب كالصمغ، قبل المضغ، ليأكله أبو زيد هنياً. . . . "[44].

يلحظ أن الهمذاني هنا قصد تكرار قالب الإضافة، المضاف والمضاف إليه، وهذا التكرار يمثل ظاهرة لافتة للنظر لا في هذه المقامة وفي هذا الموقف تحديداً وإنّما في مواقف ومقامات أخرى أيضاً والهدف هنا التمثيل والإيضاح لا غير.

ونهاية نستطيع القول: إنّ الحركة الإعرابية تؤسس المعنى والدلالة، كما أنّها تعمل على تثبيت السياق ودعمه وتقويته، كما أنّ كل ما تقدّم ذكره يثبت أن الحركة الإعرابية تشكل نظاماً ذهنياً يتفاعل مع المعطيات البراجماتية والنصّية؛ لتشكيل الوحدة النصّية.

وبعد كل ما تقدّم ذكره نقول: إنّ التدقيق في العلامة الإعرابية ووظيفتها النصّية، يثبت فشل مذهب من ذهب إلى أنها تأتي لأغراض صوتية، ويثبت فشل دعوى من يذهب إلى التشكيك والإنكار لأثر الحركة الإعرابية في المعنى وتوجيهه[45].

النتائج والتوصيات:

يخلص البحث إلى تقرير الحقائق التالية:

1. يتعدّى أثر الحركة الإعرابية في الربط الجملة الواحدة؛ ليشمل مجموعة من الجمل عبر البنية النصية، محدثاً بذلك الاتساق النصي.
2. الحركة الإعرابية تشكل نظاماً يتفاعل مع المعطيات النصية والبراجماتية؛ لتكوين الوحدة النصية.
3. يتسع المدى الدلالي للحركة الإعرابية، ليغطي مساحات واسعة من جسم الخطاب ربطاً واتساقاً.
4. تسهم الحركة الإعرابية بطريقة مباشرة، بأحداث الروابط التبعية والزمنية والموازية والسببية، وهذا له أثره في اتساق النص وانسجامه.
5. التفاعل بين الحركة الإعرابية والمحددات البراجماتية اللغوية تؤثر تأثيراً مباشراً في خلق الاتساق وتثبيته.

ويوصي الباحث بما يلي:

1. تطوير النظرة إلى الحركة الإعرابية، بحيث لا نحصرها في نحو الجملة، بل تنقل بها إلى حيّز النص ونحوه، لنتلمس جمالياتها وأثارها في بناء نحو النص.
2. عدم تجزئة النظرة تجاه الحركة الإعرابية، بل لابد من الانطلاق من منظور كليّ تكاملي، يعكس قدرتنا على الصوغ والتحليل، وإعادة بناء النصوص.
3. النظر إلى الحركة الإعرابية على أنّها بنية ذهنية ونظام يتبعان من مقصدية ووعي من قبل المرسل، وهذا الأمر له دلالته وأهميته، إذ يدل على أن العربي أو المرسل عموماً حينما ينطق باللفظ مضبوطاً فإنّه يصدر بذلك عن نظام ووعي.

The Inflectional Coherence and Its Effect in the Text Harmony

Abdulmahdi Al-jarrah, *Department of Humanities, Faculty of Science and Arts, Jordan University of Science and Technology, Irbid, Jordan.*

Ibrahim Kofahi, *Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arts, The Hashemite University, Al-Zarqa, Jordan.*

Abstract

This research aims at analyzing the inflectional sign i.e. the ending vowel pertaining to its effect on the components of discourse. This comes to be explicit in the process of making the text coherent. Accordingly, ending vowels are more than just making the sentence coherent.

The research starts by discussing the concepts of discourse analysis and cohesion. Then it discusses the semantic scope of ending vowels through the text and the nature of interaction between ending vowels and some pragmalinguistic components.

The research concludes that ending vowels have a great effect on the unity and cohesion of the text.

Key Words: signs, *Inflectional signs, coherent, text*

قدم البحث للنشر في 2007/6/27 وقبل في 2008/1/29.

الهوامش:

(1) شبلنر، برند، **علم اللغة والدراسات الأدبية**، ترجمة: محمود جاد الرب، الدار الفنية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1987، ص 17.

(2) انظر: ناصف، علي النجدي، **من قضايا اللغة والنحو**، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، (د. ت)، ص ص (4-35). وانظر كذلك: أبو المكارم، علي، **الظواهر اللغوية في التراث النحوي الظواهر التركيبية**، القاهرة، ط1، 1968، ص 116. وحسن، عباس، **اللغة والنحو بين القديم والحديث**، دار المعارف، القاهرة، ط3، ص 261.

(3) الصبان، محمد بن علي: **حاشية الصبان على شرح الأشموني ومعه شرح الشواهد للعيني**، تحقيق: بركات يوسف هبود، بيروت: دار الكتب العلمية، 72/1.

(4) ابن منظور، جمال الدين: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، مادة: (عرب).

(5) انظر: خليل، ابراهيم، **الأسلوبية ونظرية النص**، الموسوعة العربية للدراسات والنشر، بيروت، توزيع دار الفارسية، الاردن، عمان، 1997م، ص 261.

(6) انظر: بحيري، سعيد، **علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات**، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، مكتبة لبنان، ط1، 1997، ص 133.

(7) انظر: الزناد، الأزهر، **نسيج النص (بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً)**، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1993، ص 17.

(8) انظر: Van Dijk, Teun (A) & Kintsch, Walter. *Strategies of Discourse Comprehension*. Academic Press Subsidiary of Harcourt Jovanovich, 1983, PP 6-11.

(9) انظر: Papegaaij, Bart & Klaus Schubert. Text *Coherence in Translation*, Dordrecht, Foris Pub, 1988, P 149.

(10) انظر: وليم راي، **المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية**، ترجمة: يوئيل عزيز، بغداد، دار المأمون، ط1، 1987، ص 268.

(11) انظر: بحيري (مرجع سابق)، ص 136.

(12) Halliday M. A. K Hasan, Rugaya. *Cohesion in English*, Longman Group L. t,d, 1983, P 2 .

(13) دي بوجراند، روبرت، **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسّان، القاهرة، عالم الكتب، ط1، 1998م، ص 103.

(14) انظر: Van Dijk & Kintsch. P 150 and Debeagraude & Dressler. *Iutroduetion to Text Liuguistics*, N. Y. Longman Inc. 1994, P. 3.

(15) البقرة: 97-98

(16) انظر: أبو بكر ابن السراج (ت 316هـ)، **الأصول في النحو**، م3، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1983، 305/2. الصبّان، محمد بن علي، **حاشية الصبّان على شرح الأشموني ومعه شرح الشواهد للعيني**، (4م)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1997، 125/3.

(17) انظر: Halliday and Hasan, PP 242-248.

(18) الإمام أحمد بن حنبل، **المسند**، م5، المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت، (د. ط)، (د. ت)، 231/5.

(19) انظر: مفتاح، محمد، **دينامية النص تنظير وإنجاز**، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط1، 1987، 1م، ص 116.

(20) انظر: Crombie, Winifred, *Process and Relation in Discourse and Language* learning. Oxford University Press, 1986, PP. 17-19.

(21) انظر: الزناد (مرجع سابق)، ص 87، دي يوجراند، وروبرت، **النص والخطاب والإجراء**، ص 35.

(22) انظر: دي يوجراند (مرجع سابق)، ص 35.

(23) الزناد، الأزهر: 87

(24) الأحزاب: 1-3.

(25) ياكوبسون، رومان، **أفكار وآراء حول اللسانيات والأدب**، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ص 108.

(26) عبد القاهر الجرجاني. **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تصحيح وطبع: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (د. ت)، ص 64.

(27) الروم: 17-19.

(28) أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت 204هـ). **صحيح مسلم**، رقم كتبه وأبوابه وفقاً للمعجم المفهرس، وصنع فهارسه، محمد بن نزار تميم ورفيقه، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط1، 1999م، ص 38.

(29) عريف، محمد خضر، "الخطاب العربي: سماته وخصائصه"، في غسان، عبد الخالق (محرراً): تحليل الخطاب (بحوث مختارة)، **المؤتمر العلمي الثالث لكلية الآداب**، جامعة فيلادلفيا، الأردن، 1997م، ص 47.

(30) انظر: Longacre, Robert, *The Grammar of Discourse*. N. Y. , Plenum Press, 1983, P 82.

(31) انظر: Crombie, Winifred, P. 23.

(32) **صحيح مسلم**، ص 450.

(33) انظر: Van Diji, Teun (A) Kintsch, Walter. *Strategies of Discourse* Comprehension, , P. 74

(34) Ibid: p 76

(35) انظر: استيتية، سمير، **منازل الرؤية، (منهج تكاملي في قراءة النص)**، دار وائل للنشر، عمان، 2003م، ص 70. و Levinson, Stephen, Progmatics, Cambridge University Press, 1985, P. 21.

(36) انظر: Van Dijk, Teun. (A) Introduction Level and Dimension of Discourse Analysis. Van Dijk, In Teun. (A) (Editor): *Hand Book of Discourse, Analysis.* Vol. 2, P. 2.

(37) انظر: Ferrara, Allessandra. Pragmatics. In Van Dijk (Editor): Hand *Book of Discourse Analysis*, Vol. 2. PP. 142-143.

(38) وانظر كذلك: *Strategies of Discourse Comprehension*, PP. 6-11.

(39) دمشقية، عفيف، الإبلاغية فرع من الالسنية ينتمي إلى علم أساليب اللغة، **الفكر العربي**، العددان المزدوجان (8-9)، 1979م، ص 20.

(40) حسن، عباس، **النحو الوافي**، (4م)، 339/3.

(41) كوهن، جان، **بنية اللغة الشعرية**، ترجمة: محمد الولي ومحمد العمري، الدار البيضاء، دار توبقال، 1986م، ص 158.

(42) انظر: Van Dijk & Kintsch, , P. 73.

(43) المؤمنون: 75-81.

(44) الهمذاني، **بديع الزمان**، مقامات بديع الزمان الهمذاني، تحقيق: فاروق سعد، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1982م، ص 70.

(45) انظر مثلاً: أبو القاسم عبد الرحمن الزجاجي (ت 337هـ)، **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق: مازن المبارك، دار النفائس، بيروت، ط4، 1982، ص70. وابن مضاء القرطبي، **الرد على النحاة**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، ط3، (د. ت)، ص 76، وافي، وعلي عبد الواحد، **فقه اللغة**، دار نهضة مصر، القاهرة، (د. ت)، ص 210، والصالح، صبحي، **دراسات في فقه اللغة**، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1986م، ص 124، وأنيس، إبراهيم، **من أسرار اللغة**، ص 220.

المصادر والمراجع

أ. المصادر والمراجع العربية:

ابن السراج، أبو بكر (ت 316هـ). **الأصول في النحو**، (3م)، (ط1)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، 1983م.

ابن حنبل، الإمام الحافظ أحمد، **المسند**، (5م). المكتب الإسلامي، دار صادر، بيروت، لبنان (د. ت).

ابن مضاء القرطبي. **الرد على النحاة**، (ط3)، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف.

أبو المكارم، علي. **الظواهر اللغوية في التراث النحوي الظواهر التركيبية**، ط1، القاهرة، 1968م.

استيتية، سمير. **منازل الرؤية منهج تكاملي في قراءة النص**، دار وائل للنشر، عمان، 2003م.

أنيس، إبراهيم. **من أسرار اللغة**، (د. ت).

بحيري، سعيد. **علم لغة النص: المفاهيم والاتجاهات**، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر والتوزيع، لونجمان، مكتبة لبنان، 1997م.

الجرجاني، الإمام عبد القاهر. **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، (1م)، تصحيح وطبع: السيد، محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت، (د. ت).

حسن، عباس. **النحو الوافي**، (4م)، (ط5). مصر، دار المعارف، (د. ت).

خليل، إبراهيم. **الأسلوبية ونظرية النص**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، توزيع دار الفارس، الأردن، عمان، 1997م.

دمشقية، عفيف. الإبلاغية فرع من الألسنية ينتمي إلى علم أساليب اللغة، **الفكر العربي**، العددان المزدوجان، (8-9)، 1979م.

الزجاجي، أبو القاسم محمد. **الإيضاح في علل النحو**، (ط4)، تحقيق: مازن المبارك، بيروت، دار النفائس، 1982م.

الزناد، الأزهر. **نسيج النص: بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً**، (ط1)، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 1993م.

الصالح، صبحي. **دراسات في فقه اللغة**، (ط6)، بيروت، دار العلم للملايين، 1976م.

الصبان. محمد بن علي. **حاشية الصبان على شرح الأشموني ومعه شرح الشواهد للعيني،** (4م)، (ط1)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، بيروت، 1997م.

عريف، محمد خضر، "الخطاب العربي سماته وخصائصه"، في عبد الخالق، غسان (محرراً): تحليل الخطاب (بحوث مختارة)، **المؤتمر العلمي الثالث لكلية الآداب،** جامعة فيلادلفيا، الأردن، 1997م.

مسلم، الإمام الحافظ أبي الحسين ابن الحجاج القشيري (ت 261هـ)، **صحيح مسلم**، رقم كتبه وفقاً للمعجم المفهرس وتحفة الأشراف، ووضع فهارسه، محمد بن نزار تميم ورفيقه، (ط1)، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، 1999م.

مفتاح، محمد. **دينامية النص تنظير وإنجاز** (ط1)، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1987م.

ناصف، علي النجدي. **من قضايا اللغة والنحو**، القاهرة، مكتبة نهضة مصر.

الهمذاني، بديع الزمان. **مقامات بديع الزمان الهمذاني**، تحقيق: فاروق سعد، بيروت، دار الآفاق الجديدة، 1982م.

ب. المصادر والمراجع الإنجليزية:

المراجع المترجمة:

دي بوجراند، روبرت. **النص والخطاب والإجراء**، (ط1)، ترجمة: تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب، 1998م.

راي، وليم. **المعنى الأدبي من الظاهراتية إلى التفكيكية**، (ط1)، ترجمة: يوئيل عزيز، بغداد، دار المأمون للترجمة والنشر والتوزيع، 1987م.

شبلنر، برند. **علم اللغة والدراسات الأدبية**، دراسة الأسلوب والبلاغة وعلم اللغة النصي، ترجمة: محمود جابر الرب، الدار الفنية للنشر، 1987م.

ياكوبسون، رومان، **أفكار وآراء حول اللسانيات والأدب**، بغداد، دار المأمون، 1987م.

المراجع غير المترجمة:

Brown, Gillian & Yule, George. *Discourse Analysis* Cambridge University Press, 1987.

Crombie, Winifred. *Process and Relation in Discourse and Language Learning*. Oxford University Press, 1986.

De Beaugrande, Roberbt & Dressler, Wolfgang. *Introduction to Text Linguistics*, Longman. Inc, 1994.

Halliday, M. A. K. & Hassan, Rugaiya, *cohesion in English*, Longman Group, Ltd, 1983.

Longacre, Robert E. *The Grammar of Discourse*, N. Plenum Press, 1983.

Papegaaij, Bart & Schubert, Klaus. *Text Coherence in Translation*, Dordrecht, Forislpub, 1988.

Van Dijk, Teun. A. & Kintsch, Walter. *Strategies of Discourse Comprehension*. Academic Press, Subsidiary of Harcourt Brace Jovanovich, 1983.

Van Dijk, Teun. A. *Hand Book of Discourse Analysis*, Academic Press (A. P). Harcourt Brace Javohovich, London L. T. D. Vol. 2. 3, 1985.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد5 العدد 2، 2008، ص ص 379- 410

إخراج الصحف الأردنية اليومية في فترة ما بعد الاستقلال (1946-1967م)

صحيفة "فلسطين" انموذجاً: "دراسة كيفية"

علي نجادات*

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على الصحافة الأردنية اليومية في فترة ما بعد الاستقلال، ومدى تطورها من الناحية الفنية، وأثر الظروف العامة التي أحاطت بنشأة هذه الصحف، والأحداث التي مرّت بها المنطقة، وطبيعة العلاقة بين هذه الصحف والسلطات آنذاك، على تطور الصحافة اليومية في تلك المرحلة.

وهذه الدراسه من نوع الدراسات الوصفية، وقد استخدم فيها الباحث المنهج التاريخي الذي يركز على دراسة الماضي، من أجل فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل، كما استخدم أيضاً منهج المسح الذي يعدّ من أبرز المناهج المستخدمة في مجال الدراسات الإعلامية، وتطبيقاً لذلك فقد لجأ الباحث إلى أداة "تحليل الشكل" لدراسة الطريقة التي تمّ تقديم المضمون بها إلى جمهور القراء.

وقد ارتأى الباحث أن يختار جريدة "فلسطين" كممثلة لصحف هذة المرحلة، نظراً للمسوغات التي وردت في هذه الدراسة. وقد توصل الباحث إلى أن إخراج "فلسطين" تميّز بعدم ثبات الهيكل الأساسي، ممثلاً بالصفحة الأولى منها، وبعدم ثبات موقع اللافته والاذنين والعنق وشكل وحجم الحرف المستخدم في نصوص الموضوعات. إلا أنها استطاعت أن تختط لنفسها شخصية مستقلة من خلال استخدامها للعناوين الترويجية والعناوين العريضة والصور بأشكالها.

المقدمة

ما أن وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها، حتى راح سمو الأمير عبدالله بن الحسين، يذكّر الانجليز والفرنسيين بوعودهم، لتحقيق استقلال الاقطار العربيّة الواقعة تحت نفوذهم، لاسيما الأردن وسوريا، "وحمّل حكومته مهمة إرسال مذكرات بهذا الصدد إلى الحكومة البريطانية. وفي 16 حزيران 1945م، تلقت الحكومة الأردنية جواباً من بريطانيا على هذه المذكرات، وقد وعدت فيه بالنظر في موضوع منح شرق الأردن استقلاله وعقد معاهدة معه"[1].

* قسم الصحافة، كلية الإعلام، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

وعلى اثر هذه المراسلات والزيارات التي قام بها سمو الامير ورئيس وزراءه للمملكة المتحدة، "انتهى عهد الانتداب، وتمّ الاحتفال بالاستقلال والمناداه بالأمير عبدالله بن الحسين ملكاً للمملكة الاردنية الهاشمية يوم 25 ايار 1946م"[2].

وبعد استقلال الأردن بحوالي سنتين، وقعت نكبة فلسطين التي أدت إلى احتلال اليهود لجزء كبير من الأراضي الفلسطينية، بما فيها القدس الغربية، وتهجير وتشريد عشرات الآلاف من أبناء فلسطين إلى الأردن وبعض الأقطار العربية الأخرى. وعن الآثار التي ترتبت على هذه الأحداث يقول مروّة: "وقد ظل الحال كذلك، والصحافة في الأردن لا تتمتع إلا بقسط ضئيل من الحرية، حتى وقوع مأساة فلسطين، واحتلال اليهود لها، وطرد أهلها العرب، الذين نزحوا في أكثريتهم إلى الأردن، وانضمّ ما تبقى من بلادهم إلى المملكة الأردنية الهاشمية"[3].

وقد نزحت مع أهالي فلسطين صحفهم الرئيسة، التي كانت تصدر في حيفا ويافا، وأخذت تصدر من القدس أو من عمّان. "وبالنظر لارتفاع نسبة المتعلمين بين الفلسطينين، سرعان ما شهدت البلاد نهضة صحافية مرموقة. وخطت الصحافة الأردنية من جرّاء هذا التفاعل خطوات واسعة إلى الأمام. وأخذنا نشهد صحفاً كبيرة الحجم متنوعة المواضيع، في القطر الأردني، لا تقل في مستواها الفني والمهني عن صحافة البلدان العربية الأخرى"[4].

إزاء هذه التطورات التي حدثت في نهاية فترة الأربعينيات، صدر قانون لتنظيم حركة المطبوعات في الأردن بتاريخ 10 أيار 1948م، باسم (نظام مراقبة المطبوعات)، "وقد تميز بالعديد من التحذيرات والتشديدات، لما يجب أن تتقيد به الصحيفة عند صدورها، وكذلك قواعد تنظيمية لمراقبة المطبوعات، وصلاحيات أمنية، يحق لمراقب المطبوعات بموجبها اتخاذ الاجراءات اللازمة بحق المخالفين للانظمه والقوانين"[5]. ويعتقد أن التركيز على شرح هذه المحظورات، جاء نابعاً من ظروف الحرب العالمية الثانية، التي أرخت بظلالها على المنطقة آنذاك.

أما عقد الخمسينيات من هذه المرحلة فيطلق عليه بعض المفكرين (فترة ولادة الصحافة الأردنية الحديثة)، لأنها دخلت المرحلة النقابية، إذ تأسست لأول مرة في الأردن نقابة للصحفيين الأردنيين في 17 آذار 1953م، بالإضافة إلى أن فكرة إصدار الصحف والمجلات أخذت تتبلور وتتضح أكثر في عقلية القارىء والكاتب.

كما شهد الأردن في هذا العقد الكثير من الأحداث المحلية والعالمية، التي تأثرت بها الصحف من حيث المواضيع وطبيعة الصدور، كقرار الوحدة بين الضفتين، إثر مؤتمر أريحا عام 1950م، الذي على أثره شهدت الصحافة نقلة كبيرة، حيث تحولت مدينة القدس وقتئذ إلى مركز صحفي مهم بصدور عدد من الصحف اليومية فيه؛ كصحيفتي *"فلسطين"* و*"الدفاع"*، اللتين

واصلتا صدورهما في القدس بعد نكبة فلسطين، وقد صدرت إلى جانبهما جريدة *"الجهاد"* اليومية(6).

كما شهدت هذه الفترة أيضا صدور قانونين للمطبوعات؛ الأول في أيلول 1953م، والثاني في آذار 1955م. ومما يميز هذين القانونين "اتصافهما بالتساهل والحرية، إذ لم يشترطا رأس المال الكبير لإصدار الصحف، كما أنهما نصا على التقاضي أمام المحاكم في حالة رفض منح الرخصة، أو لدى قيام الحكومة بتعطيل الصحيفة لأكثر من ثلاثة أيام"(7).

وقد استغلت الأحزاب(*) أجواء الحرية التي وفرتها الأنظمة والقوانين آنذاك، "فاتّسمت كثير من صحف هذه الفترة بالطابع الحزبي، الأمر الذي جعل من بعضها، صحافة أحزاب لا صحافة جماهير، ولذلك كانت إجراءات توقيفها ومصادرتها ثمرة طبيعية، ورد فعل لجنوح تلك الصحف التي لم تكن أردنيّة الهوى والمشرب، وإنما كان ولاؤها لعقائد خارجية مستوردة، ونظريات دخيلة على المجتمع الأردني"(8).

وفي عقد الستينيات وقعت الحرب العربية الإسرائيلية الثانية عام 1967م، والتي نجم عنها هجرة الصحف والصحفيين إلى شرقي الأردن، مما ساعد في رفد الصحافة الأردنية بخبرات الصحفيين الفلسطينين. وقد تميز هذا العقد بصدور أعداد كبيرة من الصحف اليومية في مدينتي عمان والقدس، "فقد صدر في مدينة القدس، صحيفتا "الشعب" و"المنار" عام 1960م، وصحيفة "القدس" عام 1967م، أما في مدينة عمان، فقد صدرت فيها صحيفة "أخبار اليوم" عام 1962م، وصحيفة "الدستور" عام 1967م. كذلك شهد هذا العقد صدور صحيفتين ناطقتين بالإنجليزية في مدينة القدس، وكان ذلك في عام 1967م"(9). وهاتان الصحيفتان هما: *"The Jerusalem Star"* و*"The Palestine Daily News"*.

وخلال هذا العقد خضعت الصحافة الأردنية لبنود قانون المطبوعات لسنة 1955م بكافة صلاحياته وإجراءآته، واستمر العمل ببنود هذا القانون، إلى أن تم استصدار قانون الصحافة والمطبوعات المؤقت رقم (16) في الأول من شباط عام 1967م، والذي اشترطت الحكومة بموجبه على جميع الصحف إعادة الترخيص من جديد، مع وجوب دمج الصحف مع بعضها البعض.

(*) وافقت الحكومة الأردنية عام 1947م، على الترخيص لحزبين سياسين هما: حزب النهضة العربية وحزب الشعب الأردني، وأصدر كل منهما صحافته التي تعبر عن أفكاره، وفي وقت لاحق ظهرت أحزاب سياسية أخرى مثل: حزب التضامن الأردني، والحزب الحر المعتدل، وحزب اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشعب الأردني.

وهكذا فقد دمجت جريدتا "فلسطين" و"المنار" معا في شركه واحدة هي "الشركه الأردنية للصحافة والنشر"، وصدر عنها جريدة "الدستور" في مدينة عمان، وكذلك دمجت جريدتا "الدفاع" و"الجهاد" معا في شركة أخرى، هي "شركة القدس للصحافة والنشر"، التي صدر عنها جريدة "القدس" في المدينه المقدسة. ونتيجة لعملية الدمج "فقد دخلت الحكومة شريكا في هاتين الشركتين، وذلك بالمساهمة بمبلغ 25 ألف دينار في رأسمال كل شركة منهما، مما أعطاها الحق في انتداب ممثل لها في مجلس إدارة الشركتين الجديدتين"[(10)].

مشكلة الدراسة وأهميتها

بعد استقلال الأردن، استمرت صحيفة "الجزيرة" اليومية بالصدور، وصدر بعد هذا التاريخ عدد لا بأس به من الصحف اليومية الأخرى، حتى وصل إلى (13) صحيفة. إلا أن أياً منها، لم يحضَ بالدراسة والبحث من الناحية الإخراجية، لذا فإن هذه الدراسة تحاول الكشف عن التطور الإخراجي للصحف اليومية لمرحلة ما بعد الإستقلال، لاسيما ما يتعلق منها بالمعالجة الجرافيكية والتيبوغرافية للعناصر الإخراجية، التي تبنى منها صفحات الصحف.

أما فيما يتعلق بأهمية الدراسة، فإن صحافة ما بعد الاستقلال. بشقيها: اليومي والأسبوعي، لم تحض بالاهتمام الكافي من قبل الباحثين، اذ تركزت الدراسات القليلة والنادرة لصحف هذه المرحلة على الناحية التأريخية البحتة، لذا فإن هذه الدراسة تكتسب أهميتها لكونها من الدراسات القلائل، إن لم تكن الأولى التي تتناول بالدراسة والتمحيص، الصحافة الأردنية اليومية في فترة ما بعد الإستقلال، لا سيما من الناحية الفنية.

أهداف الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الهدف العام والمتمثل بالتعرف على الصحافة الأردنية اليومية في فترة ما بعد الإستقلال، ومدى تطورها الفني، وسوف يتم تحقيق هذا الهدف من خلال مجموعة من الأهداف الخاصة، والمتمثلة بما يلي:

- الظروف العامة التي أحاطت بنشأة الصحف الأردنية اليومية في فترة ما بعد الاستقلال.
- الأحداث التي مرت بها المنطقة، وأثرها على الصحافة الأردنية اليومية في هذه الفترة.
- طبيعة العلاقة بين هذه الصحف والسلطات الأردنية، وذلك من خلال القوانين الناظمة للمطبوعات والنشر.
- استمرارية صدور هذه الصحف وعوامل توقفها.
- التطور الاخراجي للصحف الاردنية اليومية في هذه المرحلة، وذلك من خلال التعرف على:
  - شكل منطقة رأس الصفحة الأولى.

- مساحة الصفحة وعدد أعمدتها.
- مدى استخدام هذه الصحف للصور والرسومات.
- الإتجاهات الإخراجية المطبقة على الصفحة الأولى في هذه الصحف.
- مدى استخدام هذه الصحف لأنواع العناوين المختلفة.
- مدى استخدام هذه الصحف للتتمات.
- مدى استخدام هذه الصحف للاعلانات.
- مدى استخدام هذه الصحف للافتتاحيات والزوايا الاخرى.

أسئلة الدراسة

تسعى هذه الدراسة للاجابة على مجموعة من الأسئلة، والتي تتمثل بما يلي:

- ما مدى تأثير الأحداث والظروف العامة التي مرت بها المنطقة على الصحف الأردنية اليومية في فترة ما بعد الاستقلال؟
- ما مدى تأثير قوانين المطبوعات والنشر، التي صدرت في تلك الفترة، على الصحف الأردنية اليومية؟
- كيف تطور انتشار الصحف الأردنية اليومية، لاسيما ما يتعلق بكثرة هذه الصحف، مقارنة بالمرحلة التي سبقتها؟
- ما هو متوسط عمر الصحف في هذه المرحلة؟
- ما هو الحجم (القطع)، الذي كانت تصدر به صحف هذه المرحلة؟
- ما هي الاتجاهات الإخراجية المطبقة في صحف هذه المرحلة، مع كل ما يتبع ذلك من استخدام للعناصر الإخراجية فيها؟

نوعية الدراسة ومنهجها

تعد هذه الدراسة من نوع الدراسات الوصفية. لذا قام الباحث بالتعرف على الصحافة الاردنية اليومية، في فترة ما بعد الاستقلال، بهدف تقديم وصف دقيق عنها حيث أن الدراسات الوصفية تحاول "تصوير الوضع الراهن وتحديد العلاقة التي توجد بين الظواهر والاتجاهات التي تسير في طريق النمو او التطور والتغيير، وانطلاقا من هذا التصوير والتحديد للعلاقات يمكن وضع التنبؤات على الاوضاع المقبلة"(11).

وقد استخدم الباحث المنهج التاريخي الذي يركز على دراسة الماضي من اجل فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل، "ويستخدم كذلك في دراسة الحاضر من خلال دراسة ظواهره وأحداثه

وتفسيرها، بالرجوع إلى أصلها وتحديد المتغيرات والتطورات التي تعرضت لها ومرت عليها، والعوامل والأسباب المسؤولة عن ذلك والتي منحتها صورتها الحالية"[12].

كما استخدم أيضا منهج المسح، الذي يعد من أبرز المناهج المستخدمة في مجال البحوث الإعلامية. لهذا فقد لجا الباحث إلى استخدام أداة تحليل الشكل (Form Analysis)، لدراسة الطريقة التي تم تقديم المضمون بها إلى جمهور القراء.

مجتمع الدراسة وعينتها

يتكون مجتمع الدراسة من كافة الصحف الأردنية اليومية التي صدرت بين عامي 1946م - 1967م، وهي الفترة التي شهدت بداياتها استقلال الأردن، وشهدت نهاياتها وقوع حرب حزيران عام 1967م، والتي أدت إلى فرض الأحكام العرفية على البلاد. وقد ارتأى الباحث أن يختار صحيفة "فلسطين"، كممثلة لصحف هذه المرحلة، بهدف دراسة تطورها من الناحية الإخراجية، نظرا لأنها تعدُ من أطول صحف هذه المرحلة عمراً، حيث صدرت في عام 1911م، وتوقفت عن الصدور في عام 1967م. ولأنها كانت منافساً قوياً لأقوى صحيفتين موجودتين على الساحة الأردنية خلال تلك المرحلة وهما: "الجهاد" و"الدفاع"، حتى أنها اعتبرت بحق من أقوى الصحف الأردنية وأوسعها انتشاراً. وقد شهدت " فلسطين" تطوراً ملحوظاً، من الناحيتين التحريرية والإخراجية، حتى أصبحت تستخدم الألوان في عنونة بعض موضوعاتها. وقد استمرت "فلسطين" بالصدور دون توقف نسبياً، حتى صدر قرار دمجها مع "المنار"، ليصدر عنهما جريدة "الدستور" عام 1967م، والتي مازالت تصدر حتى الآن.

وسوف يعرض الباحث، فيما يلي، لجميع الصحف اليومية، التي صدرت خلال تلك المرحلة، والتي استمرت أكثر من عشرين عاما، وذلك حسب زمن صدور كل منها.

جريدة "النسر"

يرجع تاريخ هذه الجريدة إلى 20 أيار 1947م، حيث صدرت في بادىء الأمر أسبوعية، ثم تحولت بعد عام واحد تقريباً إلى صحيفة يومية. ويذكر مروة "أن جريدة "النسر" كانت سياسية اجتماعيه تقدمية، أسسها المحامي جلال القطب وتولى رئاسة تحريرها منيب الماضي"[13]. أما الموسى فيرى "أن صحيفة "النسر"، هي الصحيفة اليومية الوحيدة التي كانت تصدر في الأردن أثناء حرب 1948م. وقد ارتفع توزيعها أثناء الحرب، فباتت تطبع (16 - 18) ألف نسخة، مقابل أقل من ألف نسخة، كانت تطبعها عند التأسيس، ويرجع ذلك إلى انها عينت مراسل لها في القدس، يوافيها بالأخبار بوساطة الهاتف أولاً بأول، ولهذا السبب عمد المراسلون الصحفيون المتواجدون في عمّان، إلى اعتمادها كمصدر رئيس لأخبار الحرب، وكان للصحيفة مكاتب في بيروت والقدس،

ومراسل في دمشق، وآخر في إربد. وقد توقفت "النسر" عن الصدور في 6 حزيران 1950م، بعد أن صدر منها (573) عدداً ما بين أسبوعي ويومي"[14].

جريدة "الأردن"

تعد "الأردن" من الصحف التي نشأت في بادىء الأمر بفلسطين، حيث تأسست في الثامن من تشرين الأول 1923م، في مدينة حيفا، لصاحبيها خليل نصر وباسيلا الجدع، ويذكر العقاد "أن هذه الصحيفة سياسية أسبوعية مستقلة، وفي سنة 1923م، انتقل خليل نصر إلى عمان حيث أصدرها منفرداً، وصدر العدد الأول منها في شهر حزيران من ذات السنة، وواصلت الصدور أسبوعياً حتى سنة 1949م، ثم أصبحت يومية. وبعد وفاة خليل نصر، تولى ورثته مهمة الإستمرار في إصدارها حيث تسلم ابنه "أنيس" رئاسة التحرير، في حين تولى ابنه الثاني "حنا" إدارة شؤونها، يساعده في ذلك أخواه "سمير وإبراهيم"[15].

ومن الواضح أن "الأردن" لم تكن منتظمة الصدور، وقد احتجبت لفترات طويلة غير معروفه التاريخ تماماً، ولكن يرجح أن آخرها كان استجابة لقانون المطبوعات المؤقت رقم (16) لعام 1967م، الذي أُلغى تراخيص كل الصحف القائمة واشترط لمن أراد ان يواصل الصدور، الحصول على ترخيص جديد.

ويذكر حماد أن "الأردن" "عاودت الصدور في 26 شباط 1970م من عمّان، كجريدة يومية سياسية، صاحب الامتياز ورئيس التحرير فيها خليل نصر، وتكونت من ثماني صفحات، وكان ثمنها آنذاك (20) فلساً، وظهر عنوان الصحيفة وشعارها، الذي يمثل قبة الصخرة المشرفة، على خلفية باللون الازرق. ومنذ بداية عام 1975م، وحتى توقفت عن الصدور عام 1982م، اتجهت مساحة صفحتها نحو القطع النصفي، وذلك بسبب ارتفاع أسعار الورق"[16].

جريدة "الدفاع"

تأسست جريدة "الدفاع" سنة 1933م، لصاحبها إبراهيم الشنطي في مدينة يافا، حيث كانت تصدر أهم الصحف الفلسطينية. وقد صدر العدد الأول منها في شباط 1934م، وعند انتهاء الإنتداب، ووقوع الكارثة في فلسطين، صدر آخر عدد من أعدادها، بينما كانت العصابات الصهيونيه تدق أبواب مدينة يافا.

وفي شهر آب 1948م، عادت "الدفـاع" إلى الصدور في القاهرة، حيث كانت تُحرر وتُطبع وتُرسل بالطائرة إلى الأردن، "وقد واصلت عنايتها بشؤون فلسطين، والنتائج التي أسفرت عنها النكبة. وبما أن أكثر قرائها كانوا من الأردن بضفتيه، ومحور أخبارها يدور حول الأردن ومواطنيه واللاجئين إلى ربوعه، فقد انتقلت إلى القدس في مطلع عام 1949م واخذت تطبع على مطابع دار

الأيتام الإسلامية، وهي المطابع التي كانت مؤهلة لطباعة الصحف في ذلك الحين. وصدر الامتياز باسم صادق الشنطي بينما تولى شقيقه إبراهيم رئاسة تحريرها"(17).

وقد توقفت جريدة "الدفاع" في آذار 1967م، وذلك صدوعاً لما انطوى عليه قانون الصحافة والمطبوعات المؤقت رقم (16)، إلا أنه وبعد هزيمه حزيران 1967م، وعندما لم يحقق قانون المطبوعات أهدافه، سمح لجريدة "الدفاع" ان تعاود الصدور مرة أخرى وذلك في الثاني من تموز1967م، كصحيفة يومية سياسية تصدر من عمان، وقد كان امتيازها باسم صادق الشنطي الذي تولى فيها منصب المحرر المسؤول، بينما تولى رئاسة التحرير إبراهيم الشنطي.

ومن الجدير بالذكرأن جريدة "الدفاع" عند عودة صدورها لم تبدأ من العدد رقم (1) وإنما أكملت ما توقفت عنده... وقد صدرت في ست صفحات. وبعد منتصف عام 1969م صدرت في ثمان صفحات، "ومنذ مطلع عام 1968م فتحت جريدة "الدفاع" صفحاتها للمقاومه الفلسطينية... وقد أشادت "الدفاع" بالمقاومة، ودعت إلى الإلتحاق بالعمل الفدائي والثوره الفلسطينية، واقتصرت موضوعاتها على تمجيد البطولات والتضحية والفداء. وخلال عام 1971م، وعلى أثر خروج قوات المقاومة الفلسطينية من الأردن، بدت "الدفاع" كمن وقع بين نارين، حيث كانت تؤيد العمل الفدائي من جهة، وتنشر ما يصرح به الناطق الرسمي الأردني، الذي يهاجم قيادة الكفاح المسلح وأعمال الفدائيين من جهة أخرى. وقد توقفت "الدفاع" عن الصدور بقرار من مجلس الوزراء في 27 أيار 1971م، حتى إشعار آخر، وذلك نتيجه ما جاء في افتتاحيتها في عيد الاستقلال ويوم الجيش من عبارات الإستهانه بالجيش الأردني"(18).

جريدة " النهضة"

صدرت هذه الجريدة في عمّان، لتنطق بلسان حزب النهضة العربية، الذي رخصت له الحكومة بتاريخ 7 أيار 1947م، ويذكر مروه "أن العدد الأول من هذه الصحيفة، صدر في السادس من حزيران 1949م، وقد استمرت في الصدور يومياً، حتى نهاية آب 1950م. وقد تولى رئاسة تحريرها أكرم الخالدي لفترة من الزمن، ثم أعقبه في رئاسة التحرير المعتصم بالله البلبيسي، وجدير بالذكر أن صاحب امتياز الجريدة إسماعيل البلبيسي هو نفسه رئيس حزب النهضة العربية"(19).

ويذكر الموسى "أن الملك المؤسس عبد الله بن الحسين، وجه كلمة نشرت في صدر الصفحة الأولى من العدد الأول جاء فيها: "حزب النهضة وأنعم برجاله، فانهم أول من انتبه من غفلة، ودعا إلى ترك الجفوة، وفكر بالواجب، وأسس بنيانه ودعوا لرفعته...". ثم تحدث الملك عن رؤيته لما يجب ان تكون عليه الصحافة، فقال: "... وإنّا لنرجو أن تكون جريدة "النهضة"

تنصح بالخير، وتنهى عن الضرر، وتسلك مسلك المشير الصالح، والصديق الحميم، وتذكر من الأخبار ما قارب الحقيقة، فلا تمدح إلا بحق، الذم بعيد عنها، ولكنها تشير إلى موجبات الذم، وتأمر بترك ما لا يليق، فتكون الصديقه للشعب وللدولة، وتكون الشاهد الحاضر، والمرجع في المستقبل إن شاء الله"[20].

جريدة "الدفاع"

"جريدة يومية سياسية "صدرت في عمان في 2 تموز 1949م، [وهي غير "الدفاع" الفلسطينية التي صدرت بادىء الأمر في يافا، وانتقلت بعد النكبة إلى القدس، وعاودت الصدور بعد النكسة في عمان]، لتحل محل جريدة "النسر" أثناء فترة تعطيلها. وصاحب امتيازها ممدوح القطب، وتولى رئاسة تحريرها منيب الماضي، ومجموع ما صدر منها (43) عدداً. ثم توقفت عن الصدور في 25 آب 1949م، حين استأنفت جريدة "النسر" صدورها. وكانت رسالتها -كما جاء في افتتاحية العدد الأول- التكتل ومحاربة الدسّاسين والنفعيّين[21].

جريدة "فلسطين"

انتقلت جريدة "فلسطين" اليافاوية الشهيرة من فلسطين إلى الأردن في عام 1950م، واستأنفت صدورها في مدينه القدس، محافظة على اسلوبها وطابعها الذي عرفت به، وهي من أقدم الصحف الفلسطينية... وقد توالى على رئاسة تحريرها بعد انتقالها إلى الأردن، عبد الله الريماوي وحمدي فريز ورجا العيسى[22].

وتعد جريدة "فلسطين" من أمهات الصحف الفلسطينية اليومية، وقد اعتبرت المدرسة الأولى للصحافة العربية الفلسطينية، ففيها عمل ومنها تخرج عدد كبير من ألمع وأقدر الصحفيين الذين عرفتهم الصحافة الفلسطينية[23].

وكانت "فلسطين" قد تأسست في كانون الثاني 1911م على يد المرحوم عيسى العيسى، حيث بدأت بالصدور مرتين في الأسبوع، ثم ثلاث مرات، ومن ثم يومية حتى إعلان الحرب العالمية الأولى، حيث أوقفتها الحكومة العثمانية عن الصدور، وأبعدت صاحبها إلى الأناضول. وفي عام 1921م، عاد عيسى العيسى إلى يافا، وواصل إصدار جريدته "فلسطين"، حتى حلول النكبة عام 1948م، حين انتقلت إلى عمان، ومن ثم إلى القدس، حيث واصلت صدورها هناك حتى عام 1967م، حين دمجت [بموجب قرار الحكومة] مع صحيفة "المنار"، وصدرت عنهما جريدة "الدستور"، التي ما زالت تصدر في عمان حتى يومنا هذا[24].

ويُذكر أن "فلسطين"، كانت أول من نبه إلى خطر الصهيونية والعمل على مقاومتها، ولهذا لقيت الصحيفة وصاحبها كثيراً من المقاومة والاظطهاد من السلطات البريطانية، فقُدّم صاحبها

للمحاكمة مرات عديدة، وعُطلت الصحيفة مرات أخرى، ولكنها بقيت تسير في الطريق الذي اختطته لنفسها، غير عابئة بالأظطهاد.

وفي عام 1930م أصدرت "فلسطين" جريدة اسبوعية باللغة الأنجليزية، كان الغرض منها شرح وجهة النظر العربية في قضية فلسطين للأجانب، وخصوصاً البريطانيين، وكانت هذه الجريدة، تُرسل كهدية إلى أعضاء مجلس العموم البريطاني وغيرهم من المتنفذين في الأوساط البريطانية. وقد اضطرت الخسائر المتلاحقة التي أصابت "الجريدة الإنجليزية"، إلى اتخاذ قرار بتوقيفها عن الصدور عام 1933م، بعد أن سجلت خطوة واسعة في ميدان الإعلام العربي[25].

جريدة "الجهاد"

"جريدة يومية سياسية مصورة"، أسسها في القدس محمود أبو الزلف وسليم الشريف ومحمود يعيش، وذلك سنة 1953م... وقد أصبحت من أقوى الصحف الأردنية اليومية، وأوسعها انتشاراً، وقد خطت خطوات جبارة في ترقية الفن الصحفي في الأردن، وأصبحت تطبع بالألوان"[26]. وفي هذا يقول أبو عرجة "إن صحيفة "الجهاد" استطاعت أن تشق طريقها بنجاح، إلى جانب الصحيفتين اليوميتين الراسختين، اللتين انتقلتا من يافا إلى القدس، وهما "فلسطين" و"الدفاع"، وقد أصبحت "الجهاد" من أقوى الصحف الأردنية، وأوسعها انتشاراً، الأمر الذي خلق جواً من المنافسة المحمومة مع جريدتي "الدفاع" و"فلسطين"، فأدى ذلك إلى تطور التحرير والإخراج الفني، والصراع على اجتذاب كبار الكتاب، للإسهام في تحرير الصحف اليومية الثلاث. وكان من ثمرات هذه المنافسه الصحفية، ظهور صحيفتين يوميتين مسائيتين في الأردن، أصدرت الجهاد إحداهما والتي عُرفت باسم "الشعب" وذلك في مطلع عام 1960م"[27].

ويذكر الموسى "أن صحيفة "الجهاد" كانت تفتح صفحاتها للأقلام الناشئة، وتنشر الأخبار الطريفة والقصص المسلية، وتعتمد المانشيت الأحمر، فنجح أسلوب الإثارة هذا في اجتذاب القراء إليها، فازداد توزيعها وفاق غيرها من الصحف"[28]. وقد استمرت "الجهاد" في الصدور بانتظام منذ تأسيسها عام 1953م، وحتى عام 1967م، حين دمجت [بموجب قرار الحكومة]، مع صحيفة "الدفاع"، وصدر عنهما جريدة "القدس"، التي ما لبثت أن توقفت عن الصدور بسبب الاحتلال.

جريدة "الوطن"

"جريدة يومية سياسية مصورة، أصدرها في عمان صاحبها ومحررها المسؤول صبحي زيد الكيلاني، في 5 آذار 1959م، وقد صدر منها (42) عدداً، وتوقفت عن الصدور بتاريخ 24 نيسان 1959م"[29]. وقد جاء في افتتاحية العدد الأول منها "أن سياستها في كل ما تكتب

وتنشر ستكون مستوحاة من الضمير الوطني الحي، ومستلهمة من الرغبة في خدمة قضايا الشعب الأردني العزيز، وبث الدعاية الواسعة لما بلغ في عهد صاحب الجلالة الملك الحسين المعظم، من مظاهر الرقي والتقدم والدعة والاستقرار"[30].

جريدة "المنار"

جريده يومية سياسية صدرت في القدس بتاريخ 15 حزيران 1960م، أصدرها كامل الشريف، مساعد السكرتير العام لمكتب المؤتمر الإسلامي العام، بالاشتراك مع أخيه محمود. وحول ظروف إصدار "المنار" يقول محمود الشريف: "لقد أحسست بعد بضعة شهور من عملي في المطبوعات، بضيق الصدر من العمل الحكومي، لما فيه من رتابة وما يفرضه من انضباطية، فقدمت استقالتي في عام 1959م، ولم يكن في ذهني هدف معين أو عمل محدد أقوم به. ويوما ما، انقدحت في ذهني أنا والأخ جمعه حماد، (وكلانا من أبناء صحراء سيناء، وقد شردتنا السياسة معاً)، فكرة إنشاء جريدة. وهكذا أنشأنا جريدة "المنار" في القدس، وكان معنا شقيقي كامل الشريف، وقد صدر أول عدد من "المنار" في حزيران عام 1960م، وكانت بالنسبة لي بداية حقيقية لاحتراف الصحافة. وقد كان إقدامنا على هذه الخطوة، نوعاً من المغامرة، فلم نكن نعرف شيئا عن عملية إصدار الصحف، غير أننا ظللنا نكافح، ونتعلم من أخطائنا، حتى أحطنا بأسرار المهنه، وفهمنا أصول الإدارة، والتحرير والتوزيع والإعلان"[31].

وقد واصلت صحيفة "المنار"، الصدور من القدس حتى عام 1966م، ثم انتقلت بعد ذلك إلى عمان، حيث توقفت عن الصدور، أثر دمجها مع جريدة "فلسطين"، ليصدر عنهما جريدة "الدستور" في نهاية شهر آذار 1967م.

جريدة "أخبار اليوم"

"جريدة يومية سياسية أدبية اقتصادية، صدرت في عمان عام 1962م، صاحب امتيازها عرفات حجازي، ومدير إدارتها محمد سعيد اشكنتنا، وانضم إليهما جمعة حماد عام 1963م، وقد أمرت الحكومة طبقا لنص المادة (62) من قانون المطبوعات لعام 1955م، بتعطيل الجريدة لمدة ثلاثة أشهر، اعتباراً من 3 تشرين الأول 1963م، ثم أعاد مجلس الوزراء النظر بقراره، وسمح للجريدة باستئناف الصدور حتى توقفت عام 1964م"[32].

جريدة "جروسالم ستار" "The Jerusalem Star"

"جريدة يومية سياسية، صدرت في مدينه القدس باللغة الإنجليزية، وقد صدر عددها الأول في بدايه عام 1966م، وصدر عددها الأخير قبل نهاية العام نفسه، حين توقفت عن الصدور بسبب قلة الإعلانات. ويذكر أن امتيازها يعود لمحمود الشريف ورجا العيسى"[33].

جريدة "بالستاين ديلي نيوز" "The Palestine Daily News"

"جريدة يومية صدرت في القدس باللغة الإنجليزية، في نهاية شهر آذار 1967م، عن الشركه الأردنية للصحافة والنشر، محررها المسؤول رجا العيسى، ويذكر أن العيسى كان آخر رئيس تحرير لجريدة "فلسطين"، بعد عملية دمج الصحف، وقد أغضبه ذلك القرار، وبناء عليه فقد رفض العمل، وطلب التقاعد، وأثناء زيارة الشريف عبد الحميد شرف -وزير الإعلام آنذاك- للعيسى قال له: اعرف انك غاضب بسبب اسم الجريدة "فلسطين"، ولهذا قررنا أن تصدر جريدة بالإنجليزية، اسمها "بالستاين نيوز"، لتبقى رئيساً لتحريرها في القدس. ووافق العيسى، وشكر الوزير، وصدرت "بالستاين نيوز" لمدة أربعين يوماً، حتى كانت حرب حزيران عام 1967م، فتوقفت كل الصحف عن الصدور"[34].

جريدة "القدس"

"جريدة يومية سياسية، صدرت في مدينة القدس، في نهاية آذار 1967م، عن شركه القدس للصحافه والنشر (أصحاب جريدتي "الدفاع" و"الجهاد" سابقا)، وذلك بعد قرار دمج الصحيفتين المذكورتين، وقد توقفت عن الصدور، إثر حرب حزيران 1967م"[35].

ولعل ما يميز صحافة هذه المرحلة عن سابقتها والمراحل التي تلتها، صدور ما يسمى بالصحافة اليومية المسائية مثل؛ صحيفة "آخر ساعة" عام 1953م، وصحيفتي "الشعب" و"المساء" عام 1960م، وأن استمرارية صدور معظم صحفها اليومية كان قصيراً حيث أن فترة صدور البعض منها لم تتجاوز العام الواحد، مثل صحيفة "القدس" وصحيفة "الجروسالم ستار"، والبعض الآخر لم يعمر أكثر من سنتين، مثل صحيفة "أخبار اليوم".

ومن الجدير بالذكر أن جميع الصحف التي صدرت في تلك المرحلة، توقفت كلياً، وذلك بسبب قانون المطبوعات المؤقت رقم (16) لعام 1967م، وبسبب نكسة حزيران عام 1967م، إضافة إلى قرار الحكومة في عام 1957م، بوقف نشاطات جميع الأحزاب، وإغلاق الصحف الناطقة باسمائها. كما سمح لبعض صحف المرحلة الأولى (صحافة الإمارة)، والتي استمرت في الصدور طيلة مرحلة ما بعد الاستقلال، بمعاودة الصدور ثانية بعد نكسة حزيران عام 1967م، وتمثلت هذه الصحف بصحيفة "الدفاع " التي عاودت الصدور في 12 تموز 1967م.

التطوّر الإخراجي لجريدة "فلسطين"

تعود بدايات جريدة "فلسطين" إلى عام 1911م، حيث كانت فلسطينية المنشأ، وبعد مؤتمر أريحا، - وما تلاه من أحداث أدت إلى اجتماع مجلس الأمة الأردني الممثل للضفتين، ليوافق على قرار الوحدة بين ضفتي النهر، الشرقية والغربية وذلك في 24 نيسان 1950م-،

أصبحت هذه الصحيفة من الصحف الأردنية اليومية، التي تصدر من مدينه القدس. وقد لعبت دوراً كبيراً في رقي الفن الصحفي الأردني وتطوره. وبذلك يمكن القول أن العدد الصادر في 25 نيسان 1950م، والذي كان يحمل الرقم (48-7553)، من السنه (35)، هو العدد الأول لجريدة "فلسطين" الأردنية، انظر الشكل رقم (1).

ولما كانت هذه الدراسة تتناول صحيفة "فلسطين" كنموذج لصحف مرحلة ما بعد الاستقلال، فإن الباحث سوف يعرض لتطورها الإخراجي من خلال العناوين الفرعية التالية:

أولاً- منطقة رأس الصفحة

ونظرة متفحصة إلى العدد الذي صدر بعد قرار الوحدة مباشرة، (الشكل رقم 1)، على اعتبار أنه العدد الأول من جريدة "فلسطين" الأردنية، يلاحظ أن منطقة رأس الصفحة جاءت بعمق (3) بوصات، وجاءت اللافتة "فلسطين" في المنتصف تماما، وعلى يمينها مستطيل طولي كتب به سعر الجريدة وعلى يسارها مستطيل طولي مشابه تماماً يحمل نفس المعلومات. أما على يمين المستطيل الأول فقد كتبت بعض المعلومات الإدارية، وعلى يسار المستطيل الثاني أيضاً كتبت بعض المعلومات المتعلقه بعنوان الجريدة والإعلانات، وفي أقصى يمين اللافتة هناك مربع كتب فيه تاريخ العدد ورقمه بالعربية، وفي أقصى اليسار مربع مشابه كتب به تاريخ العدد ورقمه، ولكن بالإنجليزية، وقد كان يعلو هذه العناصر جميعاً عنوان إشاري باتساع رأس الصفحة بالكامل.

وفي بدايه عام 1955م، حصل تغير بسيط في منطقة رأس الصفحة، تمثل باستخدام المستطيل الذي على يمين "اللافتة"، ليكتب فيه عدد صفحات الجريدة، بينما استخدم المستطيل الذي على يسارها ليكتب فيه سعر العدد، واستمر هذا التغيير فترة بسيطة، ثم عادت الأمور إلى وضعها الأصلي. أما في عام 1956م، فقد أصبحت الصحيفة تضع مكان الاذن اليسرى، إعلاناً عن سلعة ما، وأحياناً أخرى تشغل هذه المساحة بخبر قصير. وبقي الأمر على هذا الحال حتى بدايات عام 1962م، حين تم التخلص من المستطيلين اللذين يحملان سعرالصحيفة، وتم تضمين السعر للأذن اليمنى التي تحوي تاريخ صدور العدد بالميلادي والهجري، وبالإنجليزية أيضاً. وقد احتلت منطقة رأس الصفحة مساحة كبيرة قدرت بعمق خمس بوصات، وذلك نظراً لكبر حجم الخط الذي كان يكتب به السطر الثاني من "العناوين الترويجية ""Teasers" فوق اللافتة.

ومع بدايه عام 1965م، طرأ تغيّر واضح على منطقة رأس الصفحة تمثل بكثرة العناوين الإشارية فوق منطقة رأس الصفحة واحتلالها لمساحة كبيرة، مما حدا بالمخرج لتغيير مكان اللافتة وزحزحته إلى الأسفل قليلاً. كما تمثل هذا التغيير بظهور كشاف (فهرست) "Index" بأهم الموضوعات المنشورة على الصفحات الداخليه، احتل كل مساحة الأذن اليمنى، وجزءاً لا بأس به من مساحة العمود الأول على موازاة امتداد الأذن اليمنى إلى الأسفل، حيث احتل هذا الفهرست

ما طوله (10-15) سم، وإن كان يضيق هذا الكشاف أحياناً ليصبح بمساحة الأذن اليمنى فقط. أما الأذن اليسرى فقد بقيت على حالها حيث كان يشغلها أحياناً خبر قصير، أو إعلان بنفس مساحة هذه الأذن.

واحتلت اللافتة "فلسطين" منتصف المسافه من رأس الصفحة، وكتب على يمينها معلومات تتعلق بهوية الصحيفة، من حيث هي يومية سياسية مصورة، إضافة إلى معلومات أخرى، متعلقة بصاحب الجريدة ومؤسسها ورئيس تحريرها. أما على يساراللافتة، فقد كتبت بعض المعلومات المتلعقة بالإعلانات وبمكاتب الإدارة وعنوانها، أما العنق فقد امتد على شريط افقي ضيق وبعرض الصفحة ليفصل بين جسم الصفحة وبين منطقة الرأس. ونظرة على شكل الصفحة الجديد بعد هذه التغيرات التي طرأت عليها، نرى أن ما تبقى من مساحه الصفحة للمادة التحريرية أقل بكثير من المعتاد، انظر الشكل رقم (2).

مما سبق يتبين أن رأس الصفحة الاولى بجريدة "فلسطين" تميز بعدم الثبات، علما بأن الثبات في الإخراج (لاسيما في إخراج الصفحة الاولى)، يعد من العوامل الرئيسة التي تساعد على ايجاد هوية مميزة للصحيفة. كما أن منطقة راس الصفحة وما تحويه من عناصر تيبوغرافية وجرافيكية تعد من اكثر الاجزاء ثباتا في الصحيفة كلها، لانه الجزء الوحيد الذي يميز الصحيفة عن غيرها[36].

ثانياً- مساحة الصفحة وعدد أعمدتها

أما عن حجم الصفحة (مساحتها)، في جريدة "فلسطين"، فهو من النوع العادي "Standard Size"، وقد قُسّمت إلى سبعة أعمدة بعرض (13) كور[*]، وقد استخدمت الخطوط الطولية، للفصل بين الأعمدة، والخطوط العرضية للفصل بين الموضوعات. وفي وقت لاحق، عمدت هذه الصحيفة، إلى تغيير عرض العمود في بعض الموضوعات المنشورة، وتأطير البعض الآخر، وذلك لإضفاء التباين وطرد الملل عن القارىء، على الرغم من لجوئها إلى تنفيذ صفحاتها وفقا لمبدأ التوازن الشكلي الدقيق أو الشكلي التقريبي. وقد جمعت الصحيفة نصوص أخبارها بحجم (12) بنط.

ومع نهاية عام 1959م، أصبحت مقدمة الموضوع الرئيس على الصفحة، تجمع بحجم أكبر، لأن اتساع السطر أصبح عريضاً (بمقدار عمودين أو أكثر أحياناً)، بينما بقيّة جسم الخبر، كان يجمع بالاتساع العادي للعمود. وفي العدد الصادر في 19 نيسان 1961م، حدث تغيّر واضح في

(*) الكور: وحدة قياس طولية، تستخدم لقياس إتساع السطر (عرض العمود)، وتساوي ما مقداره (0٫4216 سم).

إخراج الصفحة، تمثل في تقسيمها إلى ثمانية أعمدة، بدلاً من سبعة، وباتساع مقداره (11) كور للعمود الواحد، مع بقاء حروف المتن تجمع بحجم (12) بنط، انظر الشكل رقم (3).

ومن الجدير بالذكر أن تقسيم الصفحة من الحجم العادي الى ثمانية اعمدة، لا يحقق معدلات عالية من القراءة، نظرا لأن اتساع الجمع (عرض العمود) في مثل هذه الحالة يعد قليلاً، ولا يقترب مما يسمى بالاتساع الامثل للسطر (The Optimum Line Length)، الذي يؤدي عادة الى تحقيق معدلات عالية من القراءة. وقد تنبهت الصحف الامريكية الى هذا الامر، مما دفعها وفي منتصف السبعينيات الى تقسيم الصفحة من الحجم العادي الى ستتة أعمدة عوضاً عن ثمانية، لاسيما بالنسبة للصفحة الاولى، لا بل إن البعض منها ذهب الى تقسيم الصفحة الى خمسة اعمدة، مما يزيد من المساحات البيضاء بين الاعمدة، بحيث تبدو الصفحة مريحة اكثر، ومقروءة بصورة أسهل[37].

ثالثاً- الصور والرسومات

دأبت هذه الصحيفة ومنذ العدد الأول على نشر الصور بأنواعها المختلفة على صفحاتها، وبأحجام كبيره نسبيا، كما دأبت على إحياء النصف السفلي من الصفحة، عن طريق العناوين الممتدة، التي كانت تصل أحياناً إلى خمسة أعمدة، مع وجود الصور في بعض هذه الموضوعات.

وفي بداية عام 1955م، حصل تغيّر على إخراج الصفحة الأولى في هذه الفترة، تمثل بكثره عدد الصور المنشورة، والذي كان يصل في أحيان كثيرة إلى أكثر من خمس صور، بالإضافة إلى استخدام ما يسمى "بالصور المستقلة"، التي تنشر بمفردها، مع وجود تعليق بسيط وقصير عليها، دون مصاحبتها لأي من موضوعات الصفحة، وقد اتخذ هذا النوع من الصور مكاناً ثابتاً - إلى حد ما- على الصفحة، تمثل في الجهة اليسرى من صدر الصفحة، وتحت عنوان المانشيت مباشرة، ولذلك أصبحت هذه الصحيفة تميل إلى استخدام "المذهب التركيزي" "Focus" في إخراج الصفحة الأولى، وذلك من خلال إبراز الموضوع الرئيس بالمانشيت، الذي كثيراً ما كان يتألف من ثلاثة سطور أو أكثر، مع مصاحبة الصور له، أو توظيف الصورة المستقلة لخدمة غرض إبراز الموضوع الرئيس على الصفحة، انظر الشكل رقم (4).

وقد استخدمت "فلسطين" الصور الخطّية للمرة الأولى، وذلك في العدد الصادر في 26 تموز 1955م، عنما نُشرت صورة اللواء محمد نجيب مع الخبر الذي يؤكد على عدم اعتقاله، وانما فرض الإقامة الجبرية عليه في منزله، انظر الشكل رقم (5).

كما استخدمت "فلسطين" الخارطة، على صفحاتها للمرة الأولى، في 16 أيار 1958م، حين نشرت خارطة فلسطين بشكل مستقل، وكتبت عليها عبارة "إننا لعائدون"، وتكرر ذلك في الثاني من أيلول 1959م، عندما نشرت خارطة لهضبة التبت المتنازع عليها بين الهند والصين في ذلك

الوقت، ثم نشرت خارطة لدولة "لاوس"، إثر اشتداد المعارك فيها بين قوات الحكومة والشيوعيين المدعومين من فيتنام، وذلك في 23 آذار 1961م، انظر الشكل رقم (6).

وقد كانت "فلسطين" تلجأ بين الحين والآخر إلى نشر الصور بمساحات كبيرة، لا سيما في بعض المناسبات الدينية والوطنية والقومية، كنشرها صورة المسجد الأقصى المبارك بمساحة ضخمة فوق منطقة رأس الصفحة، وذلك بمناسبة توافد الألوف من المصلين إليه لأداء صلاة الجمعة الأخيرة من رمضان، انظر الشكل رقم (7).

إن استخدام "فلسطين" للصور والرسومات باعداد كثيرة، وبمساحات كبيرة أحيانا، يعد أمراً مستحسناً لأن الصور الكبيرة تساعد على كسر حدة الرمادية في الصفحة، كما تساعد على جذب انتباه القارئ الى الموضوع الذي تصاحبه، لانها تزيد من اهميته على بقية الموضوعات الاخرى المنشورة[38].

رابعاً- الاتجاه الإخراجي

سيطر الاتجاه العمودي على إخراج الصفحة الأولى في جريدة "فلسطين"، وذلك من خلال كثرة عدد الموضوعات والأعمدة على الصفحة، إضافة إلى قلّة عدد الصور وصغر مساحاتها أحياناً، وخلو الصفحة منها أحياناً أُخرى. كما أن الصحيفة كانت تلجأ في بعض الأوقات إلى مبدأ التوازن الشكلي في إخراج موضوعاتها، علاوة على توضيبها لمعظم هذه الموضوعات بشكل رأسي.

ومما زاد في سيطرة الاتجاه العمودي على الصحيفه، لجوءها أحياناً إلى تأطير بعض موضوعاتها باطر (أسيجة) سميكة، كما هو الحال مع الخبر المتعلق بتشييع جثمان مؤسس الجريدة "الأستاذ عيسى العيسى" وغيرها من الأخبار، وخلو الصفحة من الصور، وكثرة عدد الموضوعات عليها، واللجوء إلى الإخراج غير المنتظم "Irregular Layout" في أحيان كثيرة، انظر الشكل رقم (8).

وعلى الرغم من سيطرة الاتجاه العمودي على إخراج الصفحة الأولى، واستمراره بوضوح في إخراج الصحيفة، حتى توقفت عن الصدور في الثلث الأخير من آذار 1967م، إلاّ أن الاتجاه الأفقي كان يتسلل أحياناً إلى الصفحة من خلال بعض الموضوعات، ويبدو ذلك واضحاً من خلال لجوء الصحيفة إلى استخدام العناوين الممتدة، والصور المستقلة، والمذهب التركيزي في الإخراج الصحفي.

ويرى الباحث ان تسلل الاتجاه الحديث في الاخراج الصحفي إلى صفات جريدة "فلسطين" في النصف الثاني من ستينيات القرن الماضي، يعد أمراً محموداً، لا سيما بالنسبة لصحيفة عربية

ذات إمكانات متواضعة، إذ أن هذا الاتجاه لم يتم تبنيه في الغرب قبل ذلك التاريخ بوقت طويل، لا بل إن الصحف الامريكية بدأت بتيني مواصفات هذا الاتجاه في نهاية الاربيعينيات من القرن العشرين.

خامساً- العناوين

تميز العدد الأول من جريدة "فلسطين" الأردنية، (والذي صدر بعد قرار الوحدة)، والأعداد اللاحقة، بكثرة العناوين العمودية وقلة العناوين الممتدة، مع وجود العنوان العريض "المانشيت" أحياناً في صدر الصفحة، وبعض العناوين الترويجية "الإشارية" فوق اللافتة. ويعدُ استخدام العنوان الإشاري "الترويجي"، أو ما يعرف بال "Teaser" فوق اللافتة، فتحاً جديداً في عمر الصحافة الأردنية، حيث أنه من سمات الاتجاهات الحديثة في الإخراج الصحفي. ومع مرور السنوات أصبحت العناوين الترويجية، والعناوين العريضة "المانشيت" من السمات شبه اليومية لجريدة "فلسطين".

وقد شهد عام 1956م، تأطير العناوين الترويجية، بالرغم من عدم الحاجة إلى ذلك من الناحية التيبوغرافية، وبدأت الصحيفة تفصل بين سطور العناوين الترويجية، وسطور العنوان العريض، بخطوط عرضيّة رفيعة، مع أن استخدام حجم البنط في العنوان، للقيام بمهمة الفصل بين السطور، افضل بكثير من استخدام مثل تلك الخطوط. واستمرت الصفحة الأولى في جريدة "فلسطين" في استخدامها للصور الكبيرة والعناوين العريضة والترويجية، مع أن العناوين الترويجية كانت تربك القارىء لعدم ذكر الصفحة الداخلية التي تحوي تفصيلاتها، حيث كان القارىء بحاجة إلى البحث عن ذلك، إذا كان يود متابعة موضوعات أحد هذه العناوين.

وفي عام 1959م، أصبحت "العناوين الترويجية" تظهر فوق اللافتة وتحت منطقة رأس الصفحة، وظهرت العناوين الفرعية "Subhead" داخل متون الموضوعات الطويلة. وفي نيسان 1962م، اُستخدم اللون الأحمر في المانشيت والعناوين الترويجية وبعض العناوين التي كانت تظهر باستمرار، ولكنها ليست ثابتة في مكان محدد، مثل عنوان "آخر ساعة". وفي نهاية عام 1963م، صاحب العناوين الترويجية بعض الصور، وفي أحيان أخرى كان يظهر فوق اللافتة شريط مصور، يمتد بعرض الصفحة بالكامل، إضافة إلى العناوين الترويجية الأخرى. وحتى بداية عام 1965م، أبقت الصحيفة على العناوين الترويجية فوق اللافتة، وألغت العناوين العريضة "المانشيت" من الصفحة، انظرالشكل رقم (9).

وحيث أن شخصية الصحيفة ترتبط في ذهن القارئ باشكال معينة من العناوين، فان العناوين الترويجية تلعب دوراً بارزاً في تكوين شخصية الصحيفة، بحيث يستطيع القارئ ان يتعرف على

الصحيفة بمجرد رؤيتها[39]. من هنا فان استخدام "فلسطين" للعناوين الترويجية فوق منطقة اللافتة، ساهم بشكل أساسي في إيجاد هوية مميزة لها.

سادساً- استخدام التتمات

يمكن القول إن استخدام الإخراج العمودي في توضيب موضوعات الجريدة، وكثرة عدد الموضوعات المنشورة على الصفحة، أدى إلى وجود ما يُسَمَّى بالتتمات لمعظم الأخبار المنشورة على الصفحة الأولى للجريدة، ومع استمرار استخدام التتمات، فإن العثور عليها من قِبَل القارىء أصبح أكثر سهولة، وذلك من خلال ذكر صفحة التتمة، ورقم العمود المنشورة عليه، ويرى الباحث أن هذا الإجراء يعد محموداً، لأنه يريح القارىء أثناء البحث عن تتمة الخبر.

ومن خلال قراءات الباحث ومطالعاته، يرى أن استخدام التتمات يمثّل معضلة بالنسبة للقارىء من حيث صعوبة العثور عليها، وقطعها لحبل أفكاره، وعدم عودته لقراءة الصفحات التي تسبق صفحة التتتمات في بعض الأحيان، مما حتّم على المهتمين البحث عن مخرج لهذه المعضلة، والذي تمثّل باللجوء إلى الإتجاهات الحديثة والمحدثة في الإخراج الصحفي والتي لا تؤمن باستخدام التتمات، وتكتفي بنشر الأخبار والموضوعات الصحفية المهمة مكتملة على الصفحة الأولى، وترحيل الموضوعات الأقل في الأهمية إلى الصفحات الداخلية. إلاّ أن استخدام "فلسطين" للإتجاه التقليدي (العمودي) في الإخراج الصحفي، والذي كان شائعاً إبّان تلك الفترة التي صدرت فيها "فلسطين"، حتّم عليها اللجوء إلى التتمات.

ومع أن هناك من يرى أن ترحيل بعض بقايا موضوعات الصفحة الأولى إلى الصفحات الداخلية، إجراء ثبت انه مزعج للقراء، لإنه يدعو اغلبهم الى الانصراف عن قراءة بقية الخبر مهما تكن اهميته[40]. إلا أن صحيفة "فلسطين" سبقت غيرها من الصحف، وذلك بالاشارة الى رقم الصفحة ورقم العمود المنشور عليه التتمة، وهذا ما لم تتبعة الصحف اليومية الاردنية حتى في يومنا هذا.

سابعاً- الإعلانات

ظهرت الإعلانات على الصفحة الأولى من الصحيفة منذ بداياتها، وعلى شكل شريط افقي ضيق في قاع الصفحة، وقد تطور ذلك إلى ظهور إعلانات مصورة بالعربية والإنجليزية، مع ازدياد المساحة المخصصة لها، حيث وصلت في أحيان كثيرة إلى أن تشغل نصف الصفحة الأولى تماما. إلاّ أن نصيب الصفحة الأولى من الإعلانات بقي ضئيلاً، حيث احتفظت بكمٍ قليل من الإعلانات، على شكل شريط ضيق في قاع الصفحة، إلى أن توقفت عن الصدور، بعد قرار الدمج عام 1967م، انظر الأشكال ذوات الأرقام (2-11).

وجدير بالذكر أن الكثير من التيبوغرافيين والمشتغلين بالإخراج الصحفي، لا يفضلون نشر الإعلانات على الصفحة الأولى، ذلك لأنهم يؤمنون بوجوب أن تكون هذه الصفحة تحريرية خالصة، حيث يتوقع القارىء أن يقرأ فيها كل ما هو مهم وساخن من الأخبار، وعند نشر الإعلانات بمساحات كبيرة على الصفحة الأولى، فإن المساحة المتبقية للمادة التحريرية ستكون قليلة وغير كافية، مما يضطر المخرج إلى ترحيل بعض الأخبار المهمة إلى الصفحات الداخلية. إلا أن أسعار الأعلانات على الصفحة الأولى، هو الذي يدفع بالقائمين على الجريدة، إلى نشر الإعلانات عليها، دون الإلتفات إلى النتائج المترتبة على ذلك.

ومن الجدير بالذكر ان نسبة من لا يفضلون نشر الاعلانات على الصفحة الاولى من قراء الصحف الاردنية اليومية بلغت (41.9%)، بينما بلغت نسبة من يفضلون ذلك (9.3%) فقط. ولهذا فمن غير المعقول أن تنشر الاعلانات على الصفحة الاولى بمساحات كبيرة، ولكن لا بأس من أن تكون الاعلانات قليلة العدد، وثابتة المساحة والموقع[41].

ثامناً- الافتتاحية والزوايا الأخرى

مع نهاية عام 1950م، ظهرت على الجهة اليمنى من الصفحة الأولى، زاويه اسمها (حديث اليوم) باتساع العمودين الأول والثاني، وقد كان ما يكتب بها يعبّر عن وجهة نظر الصحيفة تجاه الأحداث الجارية، بمعنى أنها جاءت لترسي ما يُسَمى بتقليد الافتتاحية في الصحافة الأردنية، على الرغم من عدم انتظام ظهورها بشكل يومي في البدايات. وبقي الحال بالنسبة للافتتاحية على ما هو عليه حتى عام 1955م، حين أصبحت زاوية "حديث اليوم" معلماً رئيساً من معالم الصفحة الأولى لجريدة "فلسطين"، إذ نادراً ما كانت تغيب عن الصفحة، وفي حال غيابها كان يظهر مكانها زاوية أُخرى تحت عنوان "منبر الرأي الحر" لكنها بنفس مضمون الافتتاحية، انظر الشكل رقم (10).

وبين عامي 1964 - 1965م، شهدت الصفحة غياب الافتتاحية التي عنوانها "حديث اليوم"، واستبدلت بافتتاحية أخرى تظهر كل سبت تحت عنوان "حديث الأسبوع"، ثم تغيب الثانية وتظهر الأولى... وهكذا. وفي 4 شباط 1967م، ظهرت على الصفحة زاوية يومية على العمود الثامن حملت اسم "صباح الخير" وبتوقيع "بشار" واستمرت هذه الزاوية إلى جانب الافتتاحية بالظهور يومياً حتى اغلاق الجريدة في 22 آذار 1967م، انظر الشكل رقم (11).

واعتمادا على كل ما سبق، يمكن القول إن عدم انتظام ظهور الافتتاحية بشكل يومي على الصفحة الاولى، وظهور زاوية اخرى مكانها عند غيابها، واستبدالها بزاوية ثالثة تظهر بشكل اسبوعي عوضا عن الظهور اليومي، يتنافى مع أبسط قواعد الاخراج الصحفي والمتمثلة بثبات الهيكل الاساسي للصفحة، والذي يساعد بدوره على اعطاء هوية مميزة للصحيفة[42].

خلاصة وملاحظات عامة

- يمكن القول إن فترة الخمسينيات من هذه المرحلة، هي فترة ولادة الصحافة الأردنية الحديثة لأنها دخلت المرحلة النقابية، وأنها فترة الازدهار الصحفي، حيث شهدت هذه الفترة، ولادة العديد من الصحف والمجلات والدوريات في مواضيع مختلفة. كما شهدت صدور قانونين للمطبوعات، الأول في أيلول 1953م، والثاني في آذار 1955م، وقد تميز هذان القانونان بالتساهل والحرية في تعامل موادهما مع الصحف. كما أن بنودهما نصّت على التقاضي أمام المحاكم في حال نشوب نزاع بين هذه الصحف والحكومة. غير أن الطابع الحزبي والعقائدي الذي كان يغلب على البعض من هذه الصحف والدوريات في فترة الأربعينيات والخمسينيات، أدى إلى غيابها عن الساحة الصحفية الأردنية، نتيجة موقف الحكومة من الأحزاب والصحف التي كانت تمتلكها.

- شهدت فترة الخمسينيات أيضاً العديد من الأحداث الجسام، تمثل أهمها بقرار الوحدة بين الضفتين، والذي تحولت على إثره مدينة القدس إلى مركز إعلامي مهم، تمثل بصدور العديد من الصحف اليومية مثل "فلسطين" و"الدفاع" و"الجهاد". كما شهدت هذه الفترة صدور الدستور الأردني، وذلك عام 1952م، الذي شكّل لبنة أساسية لقيام صحافة حرّة، وضَمِنَ عدم تعطيل الصحف أو إلغاء امتيازها، إلاّ وفق أحكام القانون.

- أما في عقد الستينيات، فقد شهدت الأردن والمنطقة أحداثاً خطيرة كانت لها انعكاساتها على الصحافة الأردنية، وكان من أبرزها حرب حزيران عام 1967م، والتي على إثرها اُحتلّ ما تبقى من فلسطين، ونزح العديد من أبنائها مع صحفهم إلى الضفة الشرقية من الأردن. وقد خضعت الصحافة الأردنية خلال هذا العقد، لقانون المطبوعات الصادر عام 1955م، واستمر العمل بهذا القانون إلى أن صدر قانون المطبوعات المؤقت رقم (16) لعام 1967م، والذي بموجبه اشترطت الحكومة على جميع الصحف الصادرة، إعادة الترخيص من جديد. وبناءً على ذلك قامت الحكومة بسحب تراخيص جميع الصحف، وأعادت ترخيصها من جديد، شريطة دمج صحيفتي "فلسطين والمنار" ليصدر عنهما صحيفة "الدستور" من عمان، ودمج صحيفتي "الدفاع والجهاد" ليصدر عنهما صحيفة "القدس" من مدينة القدس، وقد تمت عملية الدمج بالفعل على الرغم من عدم القناعة بجدوى هذه العملية.

- تميزت هذه المرحلة عن سابقتها، بكثرة عدد الصحف والمجلات والدوريات الصادرة، وبلغ مجموع ما صدر من الصحف اليومية خلال هذه المرحلة (13) صحيفة، وقد يعود السبب في ذلك إلى وقوع كامل فلسطين تحت الاحتلال الصهيوني، وما نتج عنه من نزوح العديد من أبناء فلسطين، مع صحفهم إلى الضفة الشرقية من الأردن. كما أن صحافة هذه المرحلة،

تميزت عن مثيلتها في المرحلة السابقة والمراحل التي تلتها، بظهور ما يسمى بالصحف اليومية المسائية مثل؛ صحيفة "آخر ساعة" التي صدرت في عام 1953م، وصحيفتي "الشعب" و"المساء" اللتان صدرتا عام 1960م. كما لوحظ أن العمر الزمني لمعظم هذه الصحف كان قصيراً.

- أما من الناحية الفنية، فقد تميزت صحف هذه المرحلة، بأنها امتداد لصحف المرحلة السابقة من حيث التشابه في موقع اللافتة والأذنين والعنق، وأن العنوان العريض أصبح من السمات اليومية لهذه الصحف، بالإضافة إلى لجوء هذه الصحف في بعض الأحيان إلى استخدام العناوين الترويجية، علاوة على كثرة عدد الصور المنشورة وكِبَر مساحاتها. إلاَ أنه وفي وقت لاحق يمكن القول أن الاتجاه الأفقي قد تسلل إلى صفحات هذه الصحف، وذلك من خلال ظهور العناوين الممتدة والصور المتوسطة المساحة والكبيرة أحياناً، إضافة إلى استخدامها للألوان في العناوين، وفي الإعلانات التي برزت بشكل واضح، على الصفحة الأولى من صحيفة "فلسطين".

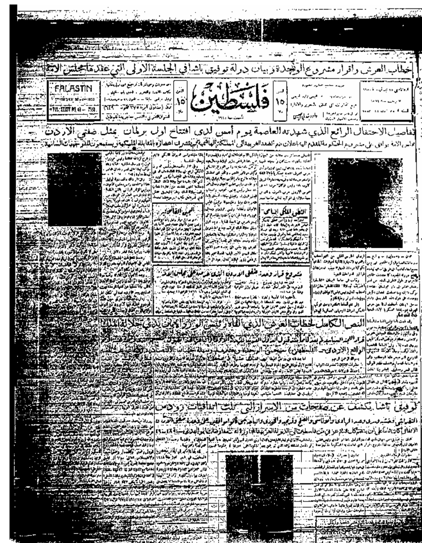
- ومن خلال دراسة التطوّر الإخراجي لصحيفة "فلسطين" كممثلة لصحف هذه المرحلة، يمكن القول إن إخراجها تميّز بعدم ثبات الهيكل الأساسي للصحيفة، ممثلاً بالصفحة الأولى منها، وبعدم ثبات موقع اللافتة والأذنين والعنق، وشكل وحجم الحرف المستخدم في جمع نصوص الأخبار وعناوينها، وعدد الأعمدة واتساعاتها. إلا أن هذه الصحيفة استطاعت أن تختط لنفسها شخصية مستقلة من خلال استخدامها للعناوين الترويجية "الإشارية" والعنوان العريض بشكل يكاد يكون يوميّاً، لاسيما في البدايات، إضافة إلى استخدامها للصور بنوعيها الظلية والخطية، واستخدامها أيضاً للصور المستقلة والخرائط الجغرافية.

- إلاَ أن ما يؤخذ على إخراج هذه الصحيفة أنها ارتكبت بعض الأخطاء الإخراجية، تمثّل معظمها في إخراج الصورة الصحفية، من حيث: عدم شرح بعض الصور، وفصل الصورة لسياق النص الواحد، وفصلها للعنوان عن بداية النص في أحيانٍ قليلة، علاوة على اتجاه نظر صاحب الصورة إلى خارج الموضوع أو الصفحة أحياناً، وتضارب الصور (بمعنى نشر صور لموضوعين مختلفين ولكن بجانب بعضهما بعضاً)، بحيث لا يستطيع القارئ، أن يميز فيما إذا كانت هذه الصورة تتبع للموضوع الأول أو الثاني.

- بالرغم من أن استخدام التتمات يعد مشكلة تواجه القارئ إلا أن "فلسطين" تفوقت على مثيلاتها حتى في الوقت الحاضر، وذلك بتسهيل مهمة الوصول إلى التتمات بالنسبة للقارئ، من خلال الإشارة إلى رقم العمود الذي يحوي التتمة، إضافة إلى رقم الصفحة، ويا حبذا لو تنبهت الصحف الأردنية اليومية إلى هذا الأمر لأنه يزيد من إقبال القراء على قراءة التتمات.

- إن تقسيم الصفحة في جريدة "فلسطين" إلى ثمانية أعمدة، ربما لا يحقق معدلات عالية من الانقرائية، نظراً لقلة اتساع العمود وكبر حجم الحرف، ولذلك كان لابد من أن تتنبه "فلسطين" إلى هذا الأمر، وتقسّم الصفحة إلى عدد أقل من الأعمدة، وبما يتناسب مع شكل الحرف المستخدم وحجمه، حتى تصل إلى ما يسمى بـ "الاتساع الأمثل للسطر"، الذي يتحقق معه اكبر قدر من يسر القراءة.

- إن استخدام الخطوط الطولية للفصل بين الأعمدة، والخطوط العرضية للفصل بين الموضوعات، على الصفحة الأولى في جريدة "فلسطين"، يعد أمراً تقليدياً، وكان الأولى بالجريدة أن تلجأ عوضاً عن ذلك إلى استخدام الفراغات البيضاء، للفصل بين أعمدة الصفحة وموضوعاتها، وذلك كما فعلت جريدة "الجزيرة" الأردنية التي صدرت عام 1939م، حيث تخلصت من أدوات الفصل التقليدية عندما عادت للصدور بعد توقفها عام 1953م، وعندها بدت الصفحة الأولى من الصحيفة المذكورة، نظيفة ومريحة أكثر لعين القارئ(43).


فلسطين
FALASTIN

شكل (1): العدد الأول من جريدة فلسطين الأردنية، الصادر في 1950/4/25م.


المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة
العراق قد يدعو الجامعة
قائمة تنقلات كبار موظفي الداخلية - نص قواعد الميزانية الجديدة
اتفق أيوب خان و شاستري على معاهدة عدم اعتداء بين الهند و باكستان
فلسطين

شكل (2): التغييرات التي طرأت على رأس الصفحة الأولى، العدد الصادر في 1966/7/1م.


قرار مشروع المحافظة على ممتلكات اللاجئين في المنطقة المحتلة باغلبية كبيرة
فلسطين

شكل (3): تقسم الصفحة إلى ثمانية أعمدة، العدد الصادر في 1955/7/10م.


فلسطين

شكل (4): ظهور الصورة المستقلة على صدر الصفحة الأولى، العدد الصادر في 1961/4/19م.



فلسطين

زعماء العرب يؤكدون تفاؤلهم من نتائج مؤتمر الاربعة الكبار

عبد الناصر ينفي انباء اعتقال اللواء محمد نجيب ويؤكد ان الاقامة الجبرية مفروضة عليه فقط في منزله

مصر تصر على استعمال حقها في مياهها الاقليمية

شكل (5): استخدام الصور الخطية، العدد الصادر في 1955/7/26م.



ديغول يعرض استعداده لحكم فرنسا - بدء المعارك في شوارع باريس

اليوم السابع لاضطرابات لبنان - مضاعفة الاسطول الاميركي بالمتوسط - تصريحات لتيمور شمعون

فلسطين

عودة الملك الى الشطر الاردني وبرقية جلالته الى اخيه الفيصل

الحسين يقول: ان العراق والاردن يستوحيان في بداية عهد الاتحاد رسالة العرب الخالدة بالوحدة

الرفاعي يعلن بعد عودته ان الاجراءات الدستورية لقيام حكومة الاتحاد وتاليف وزارة الاتحاد ومجلس الاتحاد ستكمل في الايام القليلة القادمة

اضطرابات لبنان دخلت يومها السابع ولا تزال مستمرة

مواصلة القاء المتفجرات في شوارع بيروت والاجتماعات بين المسؤولين بلبنان

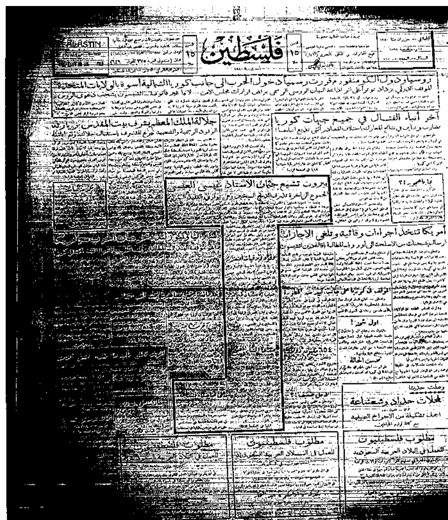
انقلاب الجزائر!

شكل (6): ظهور الخارطة على الصفحة الأولى، العدد الصادر في 1958/5/16م.



فلسطين

شكل (7): صورة السجد الأقصى المبارك بمساحة ضخمة، العدد الصادر في 1965/1/30م.



فلسطين

آخر أنباء القتال في جميع جبهات كوريا

جلالة الملك المعظم يتشرف بيت المقدس بزيارته

بيروت تشيع جثمان الاستاذ عيسى العيسى

أمريكا تتخذ اجراءات وقائية وتلغي الاجازات

شكل (8): سيادة الاتجاه العمودي على إخراج الصفحة الأولى، العدد الصادر في 1950/6/30م.


تشكيلات كاسحة في المناصب الكبرى

الاتجاهات والخلافات في المجلس الوطني

فلسطين

شكل (9): التغييرات التي كانت تطرأ على منطقة رأس الصفحة الأولى، العدد الصادر في 1965/6/3م.

شكل (10): ظهور الافتتاحية على الصفحة الأولى، العدد الصادر في 1950/11/28م.


فلسطين تحتجب من اليوم

فلسطين

شكل (11): العدد الأخير من جريدة فلسطين، الصادر في 1967/3/21م.

Jordanian Daily Newspapers Layout (1946-1967)
"Analytical study"

Ali Nejadat, *Department of Journalism, Faculty of Mass Communication, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The study aims to highlights the technical developments of daily newspapers since independence of Jordan till 1967. This includes the study of the impact of the social, political, and cultural events associated with such development during the studied period. The impact of government press-relations on the development of daily press will be outlined.

The study is a descriptive one and the historical methodology is used to understand the status of the studied newspapers, survey method is also used to tackle this issue.

The research applied "form analysis" to study the method used to introduce contents to readers. "*Philistine*" newspaper is selected to represent the print media in the post-independence era.

The study concludes that the layout of "*Philistine*" newspaper is distinguished by its non-permanent basic design and the non-fixed of the nameplate, ears, date line, the shape of body type and its size. But in the same time, it maintained an independent personality from its uses of teasers, banner headlines and photos.

قدم البحث للنشر في 2007/2/15 وقبل في 2008/1/29

الهوامش:

1- ضبيان، تيسير. (1967). **الملك عبدالله كما عرفته.** المطبعة الوطنية ومكتبتها/ عمان، ص 148.

2- موسى، سليمان. (1992). **صفحات من تاريخ الاردن الحديث: اضواء على الوثائق البريطانية 1946-1952م.** مكتبة الراي (6)، الموسسة الصحفية الاردنية عمان، ص20.

3- مروّة، أديب. (1961). **الصحافة العربية: نشأتها وتطوّرها**، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 346.

4- المرجع السابق، ص346.

5- شريم، أميمة بشير. (1984). **الصحافة الأردنية وعلاقتها بقوانين المطبوعات والنشر (1920 -1983م)**. جمعية عمال المطابع التعاونية/عمان، ص41.

6- أبو عرجة، تيسير. (1996). الصحافة الأردنية المعاصرة: دراسة في نشأتها وتطوّرها، **مجلة البصائر**، المجلّد (1)، العدد (1)، منشورات جامعة البنات الأردنية، عمان. ص213.

7- الموسى، عصام سليمان. (1988). خصائص الصحافة الأردنية الحديثه ممثلة بصحيفة "الرأي" اليومية، **مجلـة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد (4)، العدد (1)، منشورات جامعة اليرموك، ص98.

8- وزارة الإعلام/دائرة المطبوعات والنشر. (بدون تاريج). **الصحافة الأردنية: نشأتها وتطوّرها**. الدارالعربية للموسوعات/ بيروت، ص30.

9- شريم، أميمة بشير. **الصحافة الاردنية وعلاقتها بقوانين المطبوعات والنشر (1920-1983)**، مرجع سابق، ص86.

10- الموسى، عصام سليمان. (1989). الصحافة الأردنية: دراسة نقديّة لتطوّرها وقوانينها "1920-1988م". **مجلّة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد (5)، العدد (1)، منشورات جامعة اليرموك، ص243-244.

11- العتابي، جبر مجيد حميد. (1991). **طرق البحث الإجتماعي**. دار الكتب للطباعة والنشر/ الموصل، ص54.

12- عليان، ربحي مصطفى. وغنيم، عثمان محمد. (2000). **مناهج وأساليب البحث العلمي: النظرية والتطبيق**. دار صفاء للنشر والتوزيع/ عمان، ص37.

13- مروة، اديب، **الصحافة العربية: نشأتها وتطورها**. مرجع سابق، ص251-252.

14- الموسى، عصام سليمان، **الصحافة الأردنية: دراسة نقدية لتطورها وقوانينها: 1920-1988**. مرجع سابق، ص239.

15- العقاد، أحمد خليل. (1966). **الصحافة العربية في فلسطين: 1876-1988م**. مطبعة الوفاء/ دمشق - بحصه/ سوريا، ص172.

16- حماد، نعيم اسماعيل. (1992). تطور الصحافة اليومية الأردنية "1967-1987". **رسالة ماجستير غير منشورة**، كليّة الإعلام - جامعة القاهرة، ص87.

17- مروة، أديب، **الصحافة العربية: نشأتها وتطورها**. مرجع سابق، ص354.

18- حماد، نعيم اسماعيل. تطور الصحافة اليومية الأردنية "1967-1987". مرجع سابق، ص81.

19- مروة، أديب، **الصحافة العربية: نشأتها وتطورها**. مرجع سابق، ص355.

20- الموسى، عصام سليمان، **الصحافة الاردنية: دراسة نقدية لتطورها وقوانينها "1920-1988"**. مرجع سابق، ص238.

21- مروة، أديب. مرجع سابق، ص355.

22- مروة، أديب. مرجع سابق، ص353.

23- العقاد، أحمد خليل. (1966). **الصحافة العربية في فلسطين: 1876-1988م**، مرجع سايق، ص136.

24– شريم، أميمة بشير. **الصحافة الاردنية وعلاقتها بقوانين المطبوعات والنشر"1920-1983"**. مرجع سابق، ص83-84.

25- وزارة الاعلام/ دائرة المطبوعات والنشر. (بدون تاريخ). **الصحافة الاردنية: نشأتها وتطورها**، مرجع سابق، ص14.

26- مروّة، أديب. **الصحافة العربية: نشأتها وتطوّرها**، مرجع سابق، ص360.

27- أبو عرجة، تيسير. **الصحافة الأردنية المعاصرة: دراسة في نشأتها وتطوّرها**. مرجع سابق، ص213.

28- الموسى، عصام سليمان. **الصحافة الأردنية: دراسة نقديّة لتطوّرها وقوانينها "1920-1988"**. مرجع سابق، ص241.

29- مروّة، أديب. **الصحافة العربية: نشأتها وتطوّرها**، مرجع سابق، ص36.

30- موسى، سليمان. (1959). الصحافة الأردنية في أربعين عاماً، **مجلة رسالة الأردن**، العدد (6)، ص15.

31- أبو عرجة، تيسير. **الصحافة الأردنية المعاصرة: دراسة في نشأتها وتطوّرها**. مرجع سابق، ص213-214.

32- حماد، نعيم إسماعيل، تطور الصحافة الأردنية اليومية "1967-1987". مرجع سابق، ص26.

33- شريم، أميمة بشير. **الصحافة الاردنية وعلاقتها بقوانين المطبوعات والنشر: 1920-1983**. مرجع سابق، ص99.

34- أبو عرجة، تيسير. **الصحافة الأردنية المعاصرة: دراسة في نشأتها وتطوّرها**. مرجع سابق، ص215.

35- وزارة الاعلام/ دائرة المطبوعات والنشر. (بدون تاريخ). **الصحافة الاردنية: نشأتها وتطورها**، مرجع سابق، ص34.

36- الصاوي، أحمد حسين. (1965). **طباعة الصحف وإخراجها**، الدار القوميه للطباعه والنشر/ القاهرة، ص127.

37 - Conover, Theodore, E. (1985). *Graphic Communication Today*. West Publishing Company. St.Paul, MN, p.266.

38 - Wanta, W. (1988). The Effect of Dominant Photographs: An Agenda Setting Experiment, *Journalism Quarterly*, 65, PP (107-111).

39- اللبان، شريف. (1995). **فن الإخراج الصحفي**. الطبعه الأولى، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة.

40 - Moen, Darly, R. (1989). *Newspaper Layout and Design*, 2nd ed. Iowa State University Press/Ames, p.14.

41- نجادات، علي عقله. (2000). العوامل المؤثرة في تحديد الإتجاهات الإخراجيه في الصحف الأردنية اليومية خلال التسعينات، **رسالة دكتوراه غير منشوره**، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، ص346.

42- علم الدين، محمود. (1989). **الإخراج الصحفي**، العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، ص15.

43- نجادات، علي عقله. (2007). الصحافة الأردنية اليومية في عهد الإمارة وتطوراخراجها (1921-1946) "صحيفة الجزيرة"أنموذجاً. دراسة تحليلية. **مجلة أبحاث اليرموك**، المجلد (123) العدد (3). ص881-904.

قائمة المراجع العربية:

جريدة فلسطين، العدد الصادر في 25/ 1950/4م.

جريدة فلسطين، العدد الصادر في 1950/6/30م.

جريدة فلسطين، العدد الصادر في 1950/11/28م.

جريدة فلسطين، العدد الصادر في 1955/7/10 م.

جريدة فلسطين، العدد الصادر في 1955/7/26 م.

جريدة فلسطين، العدد الصادر في 1958/5/16 م.

جريدة فلسطين، العدد الصادر في 1961/4/19 م.

جريدة فلسطين، العدد الصادر في 1965/1/30 م.

جريدة فلسطين، العدد الصادر في 1965/6/3 م.

جريدة فلسطين، العدد الصادر في 1966/7/1 م.

جريدة فلسطين، العدد الصادر في 1967/3/21 م.

أبو عرجة، تيسير. (1996). الصحافة الأردنية المعاصرة: دراسة في نشأتها وتطوّرها، **مجلة البصائر**، المجلّد (1)، العدد (1)، ص207-243، منشورات جامعة البنات الأردنية، عمان.

حماد، نعيم إسماعيل. (1992). تطور الصحافة اليومية الأردنية (1967-1987). **رسالة ماجستير غير منشورة**، كليّة الإعلام - جامعة القاهرة..

شريم، أميمة بشير. (1984). **الصحافة الأردنية وعلاقتها بقوانين المطبوعات والنشر (1920 -1983م)**. جمعية عمال المطابع التعاونية/عمان.

الصاوي، أحمد حسين. (1965). **طباعة الصحف وإخراجها**، الدار القوميه للطباعه والنشر، القاهرة.

ضبيان، تيسير. (1967). **الملك عبدالله كما عرفته**. المطبعة الوطنية ومكتبتها/ عمان.

العتابي، جبر مجيد حميد. (1991). **طرق البحث الإجتماعي**. دار الكتب للطباعة والنشر/ الموصل.

العقاد، أحمد خليل. (1966). **الصحافة العربية في فلسطين (1876-1988م)**، مطبعة الوفاء، دمشق - بحصه/ سوريا.

علم الدين، محمود. (1989). **الإخراج الصحفي**، العربي للنشر والتوزيع/ القاهرة.

عليان، ربحي مصطفى؛ وغنيم، عثمان محمد. (2000). **مناهج وأساليب البحث العلمي: النظرية والتطبيق**. دار صفاء للنشر والتوزيع/ عمان.

اللبان، شريف. (1995). **فن الإخراج الصحفي**. الطبعه الأولى، العربي للنشر والتوزيع/ القاهرة.

مروّة، أديب. (1961). **الصحافة العربية: نشأتها وتطوّرها**، منشورات دار مكتبة الحياة/ بيروت.

موسى، سليمان. (1959). الصحافة الأردنية في أربعين عاماً، **مجلة رسالة الأردن**، العدد (6)، ص ص:1- 19.

موسى، سليمان. (1992). **صفحات من تاريخ الاردن الحديث، اضواء على الوثائق البريطانية 1946-1952م**. مكتبة الراي (6)، الموسسة الصحفية الاردنية عمان.

الموسى، عصام سليمان. (1988). خصائص الصحافة الأردنية الحديثه ممثلة بصحيفة "الرأي" اليومية، **مجلـة أبحاث اليرموك، سـلسلة العلوم الإنسانية والإجتماعية**، المجلد (4)، العدد (1)، ص ص:81-115، منشورات جامعة اليرموك.

الموسى، عصام سليمان. (1989). الصحافة الأردنية: دراسة نقديّة لتطوّرها وقوانينها (1920-1988م). **مجلّة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية**، المجلد (5)، العدد (1)، ص ص: 227 – 266، منشورات جامعة اليرموك.

نجادات، علي عقله. (2000). العوامل المؤثرة في تحديد الإتجاهات الإخراجيه في الصحف الأردنية اليومية خلال التسعينات. **رسالة دكتوراه غير منشوره**، كلية الإعلام، جامعة القاهرة.

نجادات، علي عقله. (2007). الصحافة الأردنية اليومية في عهد الإمارة وتطوراخراجها (1921-1946) "صحيفة الجزيرة أنموذجاً". دراسة تحليلية. **مجلة أبحاث اليرموك**، المجلد (123) العدد (3). ص881-904.

وزارة الإعلام/دائرة المطبوعات والنشر. (1980). **الصحافة الأردنية: نشأتها وتطوّرها**. الدارالعربية للموسوعات/ بيروت.

وزارة الإعلام/دائرة المطبوعات والنشر. (بدون تاريخ). **الصحافة الأردنية: نشأتها وتطوّرها**. الدارالعربية للموسوعات/ بيروت.

قائمة المراجع الأجنبية:

Conover, Theodore, E. (1985). *Graphic Communication Today*. West Publishing Company. St.Paul, MN.

Moen, Darly, R. (1989). *Newspaper Layout and Design*, 2nd ed. Iowa State University Press/Ames.

Wanta, W. (1988). The Effect of Dominant Photographs: An Agenda Setting Experiment, *Journalism Quarterly*, 65, P.P(107-111).

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد5 العدد 2، 2008، ص ص 411- 451

الإعجاز البياني في قصة مؤمن آل فرعون

ماجد بن محمد الماجد *

ملخص

يتناول هذا البحث الإعجاز البياني في قصة مؤمن آل فرعون؛ الذي ورد خبره في سورة "غافر" حين انتصر لدعوة موسى – عليه السلام – أمام فرعون، لما هم الطاغية بقتل موسى – عليه السلام -، فبادر المؤمن للنصرة ولبيان حقيقة الدعوة التي جاء بها موسى – عليه السلام -، وضلال ما يصنع فرعون، والعاقبة السوء التي يقود قومه إليها، وقد اشتملت قصة المؤمن على ألوان عديدة من الإعجاز البياني العظيم، يستقصي كل مستويات النص المعجز في ألفاظه وتراكيبه ودلالاته، وهو ما يعنى به هذا البحث، الذي يعرض بالبيان لملامح الإعجاز القرآني في قصة من أعظم قصص القرآن الكريم، موضحا العناية البالغة في تخير ألفاظه، وإعجاز تراكيبه، وروعة صوره، وتناسب آياته.

مقدمة:

سورة غافر مكية، وهي تُعنى بأمور العقيدة كشأن سائر السور المكية، ويكاد يكون موضوع السورة البارز هو المعركة بين الحق والباطل، والهدى والضلال، ولهذا بدت أجواء السورة مشحونة بطابع العنف والشدة، وكأنه جو معركة رهيبة يكون فيها الطعن والنزال، ثم تسفر عن مصارع الطغاة فإذا بهم حطام وركام.

وقد ابتدأت السورة الكريمة بالإشادة بصفات الله الحسنى، وآياته العظمى، ثم عرضت لمجادلة الكافرين في آيات الله، فمع وضوح الحق وسطوعه، يجادل فيه المجادلون، ويكابر فيه المكابرون، ثم عرضت السورة لمصارع الغابرين وقد أخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، فلم يفلت منهم أحدا.

وتحدثت السورة عن بعض مشاهد الآخرة وأهوالها، فإذا العباد واقفون للحساب، بارزون أمام الملك الديان، تغمرهم رهبة وخشوع، وإذا القلوب لدى الحناجر تكاد لشدة الفزع والهول تنخلع، وفي ذلك الموقف الرهيب، واليوم العصيب، يلقى الإنسان جزاءه إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

* قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، السعودية.

ثم يأتي الحديث عن قصة الإيمان والطغيان، ممثلة في دعوة موسى عليه السلام لفرعون الطاغية الجبار، ففرعون يريد -بكبريائه وجبروته- أن يقضي على موسى وأتباعه خشية أن ينتشر الإيمان بين الأقوام، وتبرز في ثنايا هذه القصة حلقة جديدة، لم تُعرض في قصة موسى من قبل، ألاَ وهي ظهور رجلٍ مؤمنٍ من آل فرعون يُخفي إيمانه، يَصدع بكلمة الحق في تلطفٍ وحذر، ثم في صراحةٍ ووضوح، وتنتهي القصة بهلاك فرعون الطاغية الجبار بالغرق في البحر مع أعوانه وأنصاره، وبنجاة الداعية المؤمن وسائر المؤمنين.

ثم تعرض السورة لبعض الآيات الكونية، الشاهدة بعظمة الله، الناطقة بوحدانيته وجلاله، وتضرب مثلاً للمؤمن والكافر بالبصير والأعمى، فالمؤمن على نور من الله وبصيرة، والكافر يتخبط في الظلام.وتختتم السورة الكريمة بالحديث عن مصارع المكذبين، والطغاة المتجبرين، ومشهد العذاب يأخذهم وهم في غفلتهم سادرون.

وقد سميت السورة بـ"غافر" (لأن الله تعالى ذكر هذا الوصف الجليل - الذي هو من أسماء الله الحسنى - في مطلع السورة الكريمة: ﴿**غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ**﴾ غافر:3، وكرر ذكر المغفرة في دعوة الرجل المؤمن ﴿**...وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ**﴾ غافر: 42، كما تسمى سورة "المؤمن" لذكر قصة مؤمن آل فرعون فيها. وقد كانت الغاية السامية التي تسعى آيات هذه السورة نحوها هي التذكرة بأسماء الله الحسنى لتزداد النفوس العامرة بالإيمان عرفانا بربها الكريم، و لتتم الحجة على الكافرين.

وتبدأ قصة المؤمن مع قصة موسى - عليه السلام - إلى مواقف ومناظر، تبدأ من موقف عرض الرسالة على فرعون وملئه وتنتهي هنالك في الآخرة، وهم يتحاجون في النار[1] ويمكننا القول إن قصة المؤمن وما يتصل بها تتموضع في ستة مشاهد حوارية أولها المشهد الممهد للقصة ومواجهة المؤمن لفرعون وقومه، وآخرها مشهد المآل الأخروي حين يدخل فرعون وقومه النار جزاء تكذيبهم.

(1) مفتتح النص الممهد للمشهد الحواري بين دعوة الايمان ودعوة الكفر بين التوحيد والشرك، بين معسكري: الايمان والكفر، الايمان وفيه الداعي الحدب الحريص على تبليغ الدعوة ونجاة المدعوين، ومعسكر الكفر وفيه الطاغي بجبروته وتكذيبه، المعجب بسلطانه، المغتر بزخرف الملك وأبهة السلطان. وتكون البداية بالحوار بين رأسي الفريقين وزعيمي القبيلين، الرسول موسى – عليه السلام – والملك فرعون:

أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿**21**﴾ **ذَلِكَ**

بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿22﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿23﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿24﴾﴾، غافر: 21- 24

وقد ابتدأ الله – عز وجل – الآية الكريمة باستفهام إنكاري فقال: ﴿**أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً...**﴾ مرشدا المخاطبين إلى الاعتبار بغيرهم، فإن الذين مضوا من الكفار كانوا هم أشد منهم قوة من هؤلاء الحاضرين وأقوى، ثم فرع[2] ما تقدم من الأمر بالاعتبار في قوله: ﴿**أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ...**﴾ وما أورد بعده من قصة موسى و مآل أمر المستكبرين المجادلين بالباطل و نصره تعالى للحق و أهله. والمعنى: إذا كان الأمر على ذلك فاصبر على إيذاء المشركين ومجادلتهم بالباطل إن وعد الله حق وسيفي لك، وقد جاءت قصة موسى - عليه السلام – إثر الدعوة إلى السير في الأرض والاعتبار من عاقبة السوء للمكذبين، وربط الآيتين الكريمتين باسم الإشارة "ذلك" وما تعنيه من الإحالة إلى الأقوام السابقين الموصوفين (**بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ...**) ثم حسن الإجمال بالتفصيل[3]، وذكر المثل وهو قصة موسى وفرعون ليعتبروا فقال - سبحانه -: (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ**) عاطفا السلطان المبين على الآيات وهو من باب "ذكر الخاص بعد العام".[4] وقد أفردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات إفراد جبريل وميكال مع دخولهما في الملائكة عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿**مَن كَانَ عَدُوّاً لِّلَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ**﴾ البقرة:98[5]. وقيل: (تفخيماً لشأنها، فهو من قبيل عطف الخاص على العام).[6]

ومن الخطاب المتضمن لفن التعريض[7] المرتكز على التلميح دون التصريح قوله تعالى: ﴿... **إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾ إذ فيه تعريض وتحذير مبطن لمشركي قريش، فالذي أهلك أولئك قادر على إهلاككم ومعاقبتكم قال الطبري: (وهذا وعيد من الله مشركي قريش، المكذبين رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم، يقول لهم جل ثناؤه: فاحذروا أيها القوم أن تسلكوا سبيلهم في تكذيب محمد - صلى الله عليه وسلم -؛ وجحود توحيد الله ومخالفة أمره ونهيه، فيسلك بكم في تعجيل الهلاك لكم مسلكهم).[8] ومن حسن المناسبة[9] هنا أنه – سبحانه - لما سلى رسوله – صلى الله عليه وسلم - بذكر الكفار الذين كذبوا الأنبياء قبله وبمشاهدة آثارهم، سلاه أيضاً بذكر موسى - عليه السلام-[10]. ومن حسن النظم في الكتاب العزيز أن في قوله: (**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا...**) تناصا مع آية أخرى هي قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ...**﴾

الإسراء:101، فنرى التعالق بين آيات الفرقان المبين. ثم جمع المولى – عز وجل - بين التفصيل بعد الإجمال، والإيجاز بحذف المبتدأ في قوله:﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ. إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ...**﴾ غافر:23-24، فحذف "هو" في قوله تعالى: "**فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ**".

(2) مشهد التكذيب والعناد ورفض الدعوة، والتهديد بقتل الداعية، ووأد الدعوة، غير أن موسى – عليه السلام – يعوذ بربه من بطش المتكبر الكافر بيوم الحساب:

فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿25﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿26﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿27﴾ غافر: 25-27

ومن البلاغة انه لما أجمل أمره كله في الآيتين السابقتين (شرع في تفصيله فقال: ﴿**فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ...**﴾ مشيراً إلى ممارستهم إلى العناد من غير توقف أصلاً التي أشَّر إليها حذف المبتدأ والاقتصار على الخبر الذي هو محط الفائدة)[11]. ومن العدل تقييد الوصف في بيان أن فرعون إنما أمر بقتل أبناء من آمن من بني إسرائيل لا غير.ومن البيان المعجز ذكر قارون في سياق توعدهم بالقتل لمن آمن من بني اسرائيل؛ ليخرج قارون من الوعيد، وليشعر السامع أن من القائلين قارون أووافقهم عليه لعداوته و بغضه موسى- عليه السلام- و المؤمنين من قومه.

وقد اختص – جلا وعلا – فرعون وهامان وقارون بالذكر؛ لأن مدار التدبير في عداوة موسى كان عليهم، ففرعون الملك وهامان الوزير وقارون صاحب الأموال والكنوز فجمعه الله معهما، (لأن عمله في الكفر والتكذيب كأعمالهما، لما عجزوا عن معارضته حملوا المعجزات على السحر)[12]، ولمكانتهما في الكفر، ولأنهما أشهر أتباع فرعون.[13]، وقيل: (خصهما بالذكر،لأن الإرسال إليهما إرسال إلى القوم كلهم لكونهم تحت تصرف الملك والوزير،تابعين لهما والناس على دين ملوكهم.. و"قارون" خص بالذكر لكونه بمنزلة الملك من حيث كثرة أمواله وكنوزه.)[14]

ومن بلاغة تخير المفردات مجيء الوصف على صيغة المبالغة إمعانا منهم في تكذيب رسولهم وردِّ ما جاء به **(فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)**، فيتخير المولى – عز وجل - صيغة المبالغة "فعَّال" في قوله تعالى: **(فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ)** فـ (الكذاب الذي عادته الكذب بأن يكذب مرة بعد أخرى، ولم

يقولوا: "سحَار"، لأنهم كانوا يزعمون أنه ساحر، وأن سحرتهم أسحر منه)[15]. كما قالوا: **{يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ }** الشعراء:37.[16]، ومن دقائق النظم المعجز قوله – سبحانه – "آمنوا معه" ولم يقل "آمنوا به" (إشارة إلى مظاهرتهم موسى في دعوته ومناصرته، وليس الاكتفاء بمجرد الإيمان بصدق رسالته فحسب).؟[17]، وقد تخير الله كلمة "ذروني" كناية عن خطر ذلك العمل وصعوبة تحصيله، لأن مثله مما يمنع المستشار مستشيره من الإقدام عليه، ولذلك عطف "وليدع"، لأن موسى خوفهم عذاب الله وتحداهم بالآيات التسع[17].

وفي قوله تعالى "ذروني" ما يدل على عدم تمكن المنفذ من تنفيذ ما يريد، قال أبو حيان: (فليست هذه من ألفاظ الجبابرة المتمكنين من إنفاذ أوامرهم)[18]، فبدا فرعون كمن يطلب من ملئه الإذن له بقتل موسى – عليه السلام -، وفي الفعل نفسه ما يومئ إلى أن بعض ذلك الملأ يعارض قتل موسى، و(الظاهر من أمر فرعون أنه لما بهرته آيات موسى انهدَّ ركنه واضطربت معتقدات أصحابه، ولم يفقد منهم من يجاذبه الخلاف في أمره، وذلك بين من غير ما موضع في قصتهما)[19]، ويتناص هذا الاختلاف في الرأي حول موسى – عليه السلام –، مع ما ورد في آيات كريمات أخر مثل قوله تعالى: **(قَالُوا أَرْجِهِ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ)**. الشعراء: 36، ففيها التصريح بالاختلاف الذي ثنى فرعون عن قتله وصار إلى المواجهة بين موسى – عليه السلام – وسحرة فرعون، وفي تعالق الآيات القرآنية حيث آية "الشعراء" تتعالق مع آية "غافر " مظهر لطيف من مظاهر البيان القرآني المشرق. كما لم تخل الآية الكريمة من المطابقة[20] بين القتل والاستحياء مع ما تتضمنه من الإلماح إلى طغيان فرعون وقومه بافتئاتهم على مقام الخالق – سبحانه – واهب الحياة، ومقدر الممات، ويظهر التناص القرآني بين ما ورد في سورة "غافر"، وما ورد في سورة الأعراف، ففي غافر يرد الأمر بقتل الأبناء واستحياء النساء: ﴿**فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** ﴾ غافر: 25، وفي "الأعراف" توعد بالقتل والاستحياء: ﴿**وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَونَ أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ**﴾ الأعراف:127، ويلحظ هنا أن فرعون أراد من الأمر بقتل قوم موسى – عليه السلام– إهانة هذا الشعب، ولكي يتشاءموا بموسى - عليه السلام-.[21]. وهنا إيماء إلى شكوى بني إسرائيل وتذمرهم من اتباع موسى – عليه السلام - في قوله تعالى على لسانهم: ﴿**أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِينَا وَمِن بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾ الأعراف: 129. ثم يأتي التعقيب الرباني على هذا الطغيان الفرعوني بقوله: ﴿**وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ** ﴾ أي كل "الكافرين" وليس

فرعون وقومه خاصة وهو من الأساليب البلاغية حين يوضع الظاهر في موضع الضمير[22]، فـ "الكافرين" بدلاً من"هم" لتعميم الحكم والدلالة على العلة[23].

ومن أسرار الإعجاز في الآية الكريمة أن قوله: ﴿**قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاء الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءهُمْ...**﴾ تلا قوله: ﴿**فَلَمَّا جَاءهُم بِالْحَقِّ مِنْ عِندِنَا...**﴾، فكان التداعي بينهم بالقتل دليلا على نكوصهم وعجزهم فلم يقارعوا الحجة بالحجة، وإنما فعلو ما يفعله صاحب (الطغيان الغليظ كلما أعوزته الحجة وخذله البرهان وخاف أن يستعلي الحق، بما فيه من قوة وفصاحة ووضوح.[24]

وبأسلوب الأمر المراد به الاستهزاء[25]، يسخر فرعون من الرسول موسى – عليه السلام – فيقول"**وَلْيَدْعُ رَبَّهُ** "(على سبيل الاستهزاء يعني أني أقتله فليقل لربه حتى يخلصه مني)[26]،بل وفيها (التسوية وعدم الاكتراث)[27].

كما أن في قوله "**وَلْيَدْعُ رَبَّهُ** " محذوف مقدر إذ يدل على أنه قيل لفرعون: إنا نخاف أن يدعو عليك فيجاب، فقال: "**وَلْيَدْعُ رَبَّهُ** " أي:(لا يهولنكم ما يذكر من ربه فإنه لا حقيقة له وأنا ربكم الأعلى)[28]، وقال الزمخشري: (والظاهر أن فرعون- لعنه الله - كان قد استيقن أنه نبيٌ، وأن ما جاء به آيات وما هو بسحر، ولكن الرجل كان فيه خبٌ وجربزة وكان قتالاً سفاكاً للدماء في أهون شيء، فكيف لا يقتل من أحسّ منه بأنه هو الذي يثل عرشه ويهدم ملكه ؟!، ولكنه يخاف إن همّ بقتله أن يُعاجل بالهلاك،...وكان قوله: "**ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى...**" تمويها على قومه وإيهاما أنهم هم الذين يكفّونه، وما كان يكفُّه إلا ما في نفسه من هول الفزع) [29]

ومن بلاغة التقديم والتأخير[30] أن قدم فرعون الدين على الأنفس والأموال وعلى كل ما يتهدد المرء لبيان خطر موسى على قومه في زعمه فقال (**إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ**...) قال الرازي: (لما كان حب الناس لأديانهم فوق حبهم لأموالهم لا جرم بدأ فرعون بذكر الدين فقال: "**إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ...**" ثم أتبعه بذكر فساد الدنيا فقال: "**أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**")[31]، ومن التناسب في الأسلوب أنه في قوله تعالى على لسان فرعون: ﴿**إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ**﴾ غافر: 26، أسند الفعل إلى موسى في قوله:"**يُبَدِّلَ**" فكذلك في "**يُظْهِرَ**"؛ ليكون الكلام على نسق واحدٍ. [32]

ومن التناص الخفي أن قوله تعالى"**ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى...**" دلالة على أن هناك مانعا يمنعه ولا يعرف فرعون كنهه، وهذا إلماح لقوله تعالى: (**وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا**) القصص: 153، وسبب عياذ موسى بربه المذكور، أن فرعون قال لقومه "ذروني أقتل موسى"... إنما هو عياذ من فرعون وفي العياذ ههنا تناص وتعالق مع آية كريمة أخرى، فما ذكره – جل وعلا – في آية المؤمن هذه، من عياذ موسى بالله من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب كفرعون وعتاة قومه، ذكر نحوه في سورة الدخان في قوله تعالى عن موسى مخاطبا فرعون وقومه: {**وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ**} الدخان:20 [33].

وفي قول موسى – عليه السلام – في رده على فرعون: "**... إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**" غافر: 27، مقابلة منه لفرعون في قوله: "**وَلْيَدْعُ رَبَّهُ...**" حيث خص فرعون ربوبية الله بموسى، فأشار موسى بقوله:"**عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم...**" أي أنه تعالى ربهم كما هو ربه، نافذ حكمه فيهم كما هو نافذ فيه، ومن هنا يظهر أن الخطاب في قوله: (**وَرَبِّكُم...**) لفرعون ومن معه دون قومه من بني إسرائيل. وقوله: "**من كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ...**" يشير إلى فرعون وكل من يشاركه في صفتي التكبر وعدم الإيمان بيوم الحساب ولا يؤمن من اجتمعت فيه الصفتان. وتأتي صفة العموم "من كل" حَيْدَةً عن ذكر اسم فرعون ومواجهته بما ينفره حين يستعيذ موسى من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب، و(لم يذكر فرعون في هذا الدعاء، لأنه كان قد سبق له حق تربية على موسى من بعض الوجوه، فترك التعيين رعاية لذلك الحق.)[34]، أي أن موسى – عليه السلام – يتعوذ من فرعون في الآية بأسلوب التعريض لا التصريح[35] (ليكون على طريقة التعريض فيكون أبلغ)[36]، ويظهر التعريض جليا في قوله: (**...كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**) فهو يشير به إلى فرعون وكل من يشاركه في صفتي التكبر وعدم الإيمان بيوم الحساب. قال الزمخشري: (لتشمل استعاذتُه فرعونَ وغيره من الجبابرة). [37]

ويرد أسلوب الخبر الطلبي[38] في قوله: "**إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم...**" فقد (صدر الكلام بـ "إن" تأكيداً وإشعاراً على أن السبب المؤكد في دفع الشر هو العياذ بالله وخص اسم الرب؛ لأن المطلوب هو الحفظ والتربية) [39]، كما تضمنت الآية لونا من الإطناب، ففي قوله: (**...كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ**) عطف للخاص على العام، فالتكذيب بيوم الحساب معطوف على التكبر، وفيه التناسب بين الأمر وما يفضي إليه، فالتكبر يهدي إلى التكذيب بيوم القيامة، قال الزمخشري: (إذا اجتمع في الرجل التجبر والتكذيب بالجزاء وقلة المبالاة بالعاقبة، فقد استكمل أسباب القسوة

والجراءة على الله وعباده)[40]. ومن تناسب المعاني[41] في النص أنه (لما أعلم بمقالة العدو، أتبعه الإعلام بقول الولي).[42]

ومن الإعجاز في تخير المفردات أنه في قوله تعالى "**بِرَبِّي وَرَبِّكُم...**" (خص اسم الرب لأن المطلوب هو الحفظ والتربية وإضافته إليه وإليهم للحث على موافقته في العياذ به تعالى والتوكل عليه.)[43]. أي أن موسى – عليه السلام – يريد من قوله: "**بِرَبِّي وَرَبِّكُم...**"، أن يعلمهم أن ربه وربهم واحد هو "الله" - جل وعلا – لا فرعون، فكأنه يستحثهم على ذلك من أجل التربية والتعود على ذلك، وعصيان الإله الكاذب وعدم اللجوء إليه، وفي استعاذة موسى بالله من فرعون تناص مع قوله تعالى في موضع آخر من الكتاب العزيز: ﴿**وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ. أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ. وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ. وَإِنْ لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ** ﴾ الدخان:17 -21

(3) انتهى حوار الرؤساء موسى - عليه السلام - وفرعون، وبدأ مشهد ثالث هو حوار الأتباع، وأولى جولاته أن المؤمن يحاور قومه بما فيهم فرعون كاتما إيمانه ومبتعدا عن القطع بصدق موسى، وجامعا بين التذكير بنعمة الملك والظهور والتخويف بالعذاب وبأس الله لكن فرعون الجبار يفسد عليه الأمر بغطرسته زاعما أن الحق والرشد فيما يراه وحده:

﴿**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ. يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ** ﴾ غافر: 28-29

فها هو المشهد يستهل بحوار دعوي بين المؤمن وقومه، قال البقاعي: (ولما انقضى كلام الرأسين... قال تعالى مخبراً عن كلام بعض الأتباع في بعض ذلك: "**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ**")[44]، وفي الآية شاهد على التقديم للتشريف[45]، ففي قوله: "**وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ...**" قدم الأول أعني "مؤمن" لكونه أشرف الأوصاف"[46]، ويذكر المؤمن موسى – عليه السلام - في بصيغة التنكير[47]، فيقول " **أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا...**" (ولم يذكر اسمه بل قال رجلاً ليوهمهم أنه لا يعرفه، ثم قال "**أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**" ولم يقل رجلاً مؤمناً بالله أو هو

نبيُ الله، إذ لو قال ذلك لعلموا أنه متعصب ولم يقبلوا قوله)[48]. ومن بلاغة تخير المفردات أن المؤمن اختص اسم "الله" بالذكر (لأنه الذي ذكره موسى ولم يكن من أسماء آلهة القبط)[49].

ومن بديع النظم القرآني في كلام المؤمن أنه أوجز "إيجاز قِصَر"[50]، حين قال: "**وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ**" ويقصد: "بعصاه وبيده" وقوله مسرف وهو يقصد: الإسراف في الشرك وقتل الأنفس.[51]. ومن بلاغة الإشارة والإلماح[52]، في الآية الكريمة أن في قول المؤمن: "**رَبِّيَ اللَّهُ** " إشارة إلى التوحيد، وقوله: ﴿**وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ**﴾ إشارة إلى الدلائل الدالة على التوحيد، مع ما تتضمنه من ارتقاء في الحج بعد أن استانس في خطاب قومه بالكلام الموجه فارتقى إلى التصريح بتصديق موسى بعلة أنه جاء بالبينات[53]، وفيها تناص مع ما ورد في قوله تعالى: ﴿**قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ طه:50. ويعمد المؤمن إلى أسلوب الاستدراج[54] حين يستشهد على صدق رسالة موسى – عليه السلام - في قوله تعالى: "**وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ...**" بصيغة الجمع فهي (عدة بينات لا بينة واحدة، وأتى بها مُعرَّفة، أي: البينات العظيمة التي شهدتموها وعرفتموها على ذلك، ليلين بذلك جماحهم، ويكسر من سورتهم، ثم أخذهم بالاحتجاج بطريق التقسيم، فقال: لا يخلو من أن يكون صادقاً أو كاذباً، فإن يك كاذباً فضرر كذبه عائد عليه. أو صادقاً فيصبكم، إن تعرضتم له، بعض الذي يعدكم)[55].

وترد في حديث المؤمن ألوان من الأساليب البلاغية، فمنها فن الاستدراج فالمؤمن قال: "**مِن رَّبِّكُمْ...**"، وهو استدراج لهم إلى الاعتراف به، وليلين بذلك جماحهم، ويكسر من سورتهم)[56]. ومنها الاستفهام الإنكاري[57] في قوله: (**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**...) قال الرازي: (استفهام على سبيل الإنكار، وقد ذكر في هذا الكلام ما يدل على حسن الاستنكار، وذلك لأنه ما زاد على أن قال: "**رَبِّيَ اللَّهُ** ". وجاء بالبينات وذلك لا يوجب القتل البتة)[58]، ومنها التقسيم[59]، ففي قوله تعالى: (**أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**...)، قال الرازي: (وهي حجة مذكورة على طريقة التقسيم، فقال: إن كان هذا الرجل كاذباً كان وبال كذبه عائداً عليه، فاتركوه وإن كان صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم)[60]. وتقدير الكلام أن المؤمن يقول لقومه: لا حاجة بكم في دفع شر موسى أن تقتلوه بل يكفيكم أن تمنعوه عن إظهار هذه المقالة ثم تتركوا قتله فإن كان كاذباً فحينئذٍ لا يعود ضرره إلا إليه، وإن يك صادقاً انتفعتم به.

ومن فنون البلاغة في النص: "القصر"[61] في قوله: "**رَبِّيَ اللَّهُ**".. وهو في الدلالة على القصر مثل: "صديقي زيد"[62]. ومن فنونها أيضا: استدراج المخاطب، فالمؤمن يخاطب قومه

بقوله: **(وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ)**، أي: إن كان كاذباً في دعوى الرسالة فضرر كذبه لا يتعداه، قال القرطبي: (ولم يكن ذلك لشكٍ منه في رسالته وصدقه، ولكنْ تلطفاً في الاستكفاف، واستنزالاً عن الأذى...) "**وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ...** (أي إن لم يصبكم إلا بعض الذي يعدكم به هلكتم)[63]. فالمؤمن يستدرج قومه ويتنزل لهم في المخاصمة بالاكتفاء على أيسر التقادير وأقلها كأنه يقول: وإن يك صادقا يصبكم ما وعدكم من أنواع العذاب و لا أقل من إصابة بعض ما يعدكم مع أن لازم صدقه إصابة جميع ما وعد[64]. وفي تلك الطريقة نوع خفاء من النصرة فالمؤمن ينصر موسى ولكن بطريق غير مباشر حتى لا يثير عليه قومه، وتوصل المؤمن لهذا بالتنزل والاستدراج، و(هذا نوعٌ من أنواع علم البيان يُسمَّى "استدراج المخاطب" وذلك أنه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى، والقوم على تكذيبه، أراد الانتصار له بطريق يخفى عليهم بها أنه متعصب، ولم يقبلوا قوله ثم أتبعه بما بعد ذلك فقدم قوله: **"وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا..."** موافقة لرأيهم فيه ثم تلاه بقوله "**وَإِن يَكُ صَادِقًا...**" ولو قال: هو صادق في كل ما يعدكم به لعلموا أنه متعصب... ثم أتبعه بكلام يفهم منه أنه ليس بمصدق وهو قوله: "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**")[65] وفيه تعريض بفرعون، إذ هو في غاية الإسراف والكذب على الله، إذ إدعى الألوهية والربوبية[66].

ويلحظ هنا أن المؤمن قدم احتمال كذب موسى على صدقه لأنه أقرب لنفي تهمة الإيمان بموسى عنه، قال البقاعي: (ولما كان كلامه هذا يكاد يصرح بإيمانه، وصله بما يشككهم في أمره ويوقفهم عن ضره فقال... مقدّمًا القسم الذي هو أنفى للتهمة عنه وأدعى للقبول منه**: "وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ**")[67]. وتقديم الكاذب على الصادق هنا، متناسب والأسلوب القرآني في تقديم ما يسر به المخاطب، ويميل إليه، كما في قوله تعالى حين قدم احتمال أن تكون امرأة العزيز صادقة على احتمال صدق يوسف – عليه السلام -: "**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ. وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِن الصَّادِقِينَ"** (يوسف:26-27)**.** فكذب يوسف المحتمل أقرب إلى نفس المخاطب عزيز مصر، كما أن كذب موسى أقرب إلى نفس فرعون، ولذا (قدم الشاهد أمارة صدقها على أمارة صدق يوسف، وإن كان الصادق هو يوسف دونها، لرفع التهمة وإبعاد الظن، وإدلالاً بأن الحق معه، ولا يضره التأخير لهذه الفائدة، وقريب من هذا التصرف لإبعاد التهمة، ما في قصة يوسف مع أخيه، إذ بدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه)[68].

فالمؤمن لا يدع لقومه حجة فإنه أخذهم بالاحتجاج على طريقة التقسيم، فقال: لا يخلو هذا الرجل من أن يكون كاذبا فكذبه يعود عليه ولا يتعداه، أو يكون صادقا وإن يكن صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم إن تعرضتم له، فقال "**يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ**" وهو يعلم أن موسى نبي صادق وأن كل ما يعدهم به لا بد أن يصيبهم، لا بعضه، لكنه احتاج في مجادلة قومه، أن يسلك معهم طريق الإنصاف والملاطفة في القول، ويأتيهم من جهة المناصحة، ليكون أدعى إلى سكونهم إليه، فجاء بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله، وأدعى إلى قبول نصحه فقال: (**وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ...**" وهو كلام المنصف في مقابلة المشتط، وذلك أنه حين فرضه صادقا فقد أثبت أنه صادق في جميع ما يعد به، لكنه أردف بقوله: "**يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ**" ليهضمه بعض حقه في ظاهر الكلام، فيريهم أنه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا، فضلا عن أن يتعصب له، وتقديم الكاذب على الصادق من هذا القبيل، كأنه يوافقهم في صدر الكلام على ما يزعمونه لئلا ينفروا منه،وكذلك قوله في آخر الآية ﴿**إِن اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**﴾ "أي هو على الهدى، ولو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة، ولا عضده بالبينات، وفي هذا الكلام من خداع الخصم واستدراجه ما لا خفاء به وقد تضمن من اللطائف الدقيقة ما إذا تأملته حق التأمل أعطيته حقه من الوصف"[69].

وتختتم الآية الكريمة بالتعريض ففي قوله: (**إِنّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ...**) تعريضٌ بفرعون (أنه مسرفٌ في عزمه على قتل موسى، كذَّاب في إقدامه على ادعاء الإلهية، والله لا يهدي من هذا شأنه وصفته، بل يبطله ويهدم أمره)[70]. كما أن في خاتمة الآية رمزاً وتعريضاً يتضمن وعدا خفياً بالانتصار وحسن العاقبة لموسى – عليه السلام ومن معه. فالمسرف الكذاب له الخسران والخيبة. ويقابل هذا (إشارة إلى علو شأن موسى - عليه السلام - على طريق الرمز والتعريض)[71]. وصاحبَ الاحتجاجَ لونٌ خفيٌ من الإعجاز حين قدم كونه كاذبا (وفيه مبالغة في التحذير وإظهار للإنصاف وعدم التعصب ولذلك قدم كونه كاذباً أو يصيبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا وهو بعض مواعيده كأنه خوفهم بما هو أظهر احتمالاً عندهم)[72]. ومن تخير المفردات أن المؤمن قال: "مسرف" بدلا من "مسرفين". (وإنما جاز إبدال الجمع إلى المفرد لأنه في معنى الجمع كأنه قال: "كل مسرف")[73].

وعلى أسلوب العرب في إقامة الجزء مقام الكل ترد لفظة "بعض" بدلا من "كل" في قول المؤمن (**وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ...**) جريا على أسلوب العرب في مجازاتهم فـ(البعض قد يستعمل في موضع الكل تلطفاً في الخطاب وتوسعاً في الكلام، كما قال الشاعر[74]:

قد يُدرِكُ المتأني بَعضَ حاجَتِهِ   وقد يكونُ مع المُستَعجِلِ الزَّلَلُ

ومجيء "بعض" هنا من أسرار النظم وإعجازه؛ لأن المؤمن سلك معهم طريق المناصحة لهم والمداراة، فجاء بما هو أقرب إلى تسليمهم، وأدخل في تصديقهم له، ليسمعوا منه ولا يردوا عليه نصيحته)[75]، ونظيره قوله تعالى: (وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين). [76]

ويتضمن التعريض في مختتم الآية الكريمة (**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**) اتجاها تأويليا ذا بنية متضادة، الأول: أن يكون المقصود "موسى" – عليه السلام - فهو "مسرف" على نفسه "كذاب" على ربه، ويكون هذا من قول المؤمن. والآخر: أن يكون المقصود "فرعون" فهو "مسرف" في عناده كذاب في ادعائه، ويكون هذا من قول الله تعالى[77]، أي أن النص مبني على التورية (فأوهم فرعونَ أنه أراد بقوله: "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**" أنه يريد موسى وهو إنما كان يقصد به فرعون، لأن المسرف الكذاب هو فرعون... فلما قال "فرعون": "**ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى**" أزال الكتمان وأظهر كونه على دين موسى، وشافه فرعون بالحق)[78].

ومن تناسب المعاني في كلام المؤمن، تناسب الحكم و دليله، فحين قال: "**وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**" (ذكر لهذا مثلاً، وهو أن يوسف لما جاءهم بالبينات الباهرة، فأصروا على الشك والشبهة، ولم ينتفعوا بتلك الدلائل)[79]، وقد تضمنت الآية الكريمة أنواعاً من الاحتجاج البلاغي، فالأول في قوله (**وَقَدْ جَاءكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ**...) فقد أضاف "رب" إليهم (بعد ذكر البينات احتجاجاً عليهم واستدراجاً لهم إلى الاعتراف به ثم أخذهم بالاحتجاج من باب الاحتياط فقال: "**وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ**...")[80]، وقال: ("وإن يك كاذبا" قاله تلطفا ولم يقله شاكا) [81]. وفي المراد بقوله "البينات" قولان: (أن المراد بالبينات قوله: "**{يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}** يوسف:39". والثاني: المراد بها المعجزات، وهذا أولى)[82]

ويبدو التعريض لازمة أسلوبية في غالب كلام المؤمن، فهاهو يعرِّض في خاتمة الآية بفرعون فيقول: "**إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ**". ذلك أن فرعون، "مسرف" حيث قتل الأبناء بلا جرم، "كذاب" حيث ادعى الألوهية، ولذا لا يهديه الله سبيل الصواب[83]. ولا تعارض بين هذا، وبين أن يكون في الخاتمه تورية أي: (عني بالمسرف موسى وهو يعني به فرعون)[84]. وذهب بعضهم إلى أن تلك التورية مؤقتة اضطر إليها المؤمن إلى حين، ثم أعرض عنها وأفصح عن مقصوده (فأوهم فرعون أنه أراد بقوله: "**إِنَّ اللَّه لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ**" أنه يريد موسى وهو إنما كان يقصد به فرعون، لأن المسرف الكذاب هو فرعون.... فلما قال فرعون:

"**ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى**" أزال الكتمان وأظهر كونه على دين موسى، وشافه فرعون بالحق)[85]، ومما يؤكد التعريض بفرعون في الآية الكريمة أن المؤمن يقول لقومه: لو كان موسى مسرفاً كذاباً لما هداه الله إلى البينات، ولما عضده بتلك المعجزات...، وأن من خذله الله وأهلكه فلا حاجة لكم إلى قتله ولعله أراد به المعنى الأول وخيل إليهم المعنى الثاني لتلين شكيمتهم وعرض به لفرعون بأنه مسرف كذاب[86]، ومن بلاغة حديث المؤمن أنه (لما توسم نهوض حجته بينهم وأنها داخلت نفوسهم، أمن بأسهم وانتهز فرصة انكسار قلوبهم فصارحهم بمقصوده من الإيمان بموسى)[87].

ثم صدّر المؤمن تذكيره ببيان حسن حال قومه، ونعمة الملك والظهور فقال: ﴿**يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ...** ﴾، ثم وعظهم وذكرهم ﴿**فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءنَا...**﴾ (ولما خيلهم بهذا الكلام الذي يمكنه توجيهه، شرع في وعظهم إظهاراً للنصيحة لهم والتحسر عليهم)[88]. ومن لطيف المعاني أن المؤمن نسب إليهم وحدهم ما يسرهم من الملك والظهور في الأرض إليهم خاصة، وأدخل نفسه معهم فيما يسوؤهم من مجيء بأس الله تعالى تطبيباً لقلوبهم وإيذاناً بأنه ناصح لهم. [89]

وعلى أسلوب الإطناب يكرر المؤمن نداءه البليغ: "**يَا قَوْمِ**" نصحا وتلطفا لقومه، ليكون أوقع في نفوسهم، ثم تخير ضمير الجمع فجعل نفسه واحدا منهم قال الزمخشري: (وقال "**يَنصُرُنَا**" و"**جَاءنَا**" لأنه منهم في القرابة، وليعلمهم بأن الذي ينصحهم به هو مساهم لهم فيه)[90]، وفي الآية تحول أسلوبي هو "الالتفات"[91]، حين انتقل من ضمير الخطاب "**لَكُمُ**" إلى ضمير التكلم "**يَنصُرُنَا**" فقال: "**فَمَن يَنصُرُنَا مِن بَأْسِ اللَّهِ...**" و(هذا كلام قريب شفيق ولأن بني اسرائيل حينئذ كانوا أذلاء بحيث لا يتكلم أحد منهم بمثل هذا الكلام) [92]

ومن بلاغة التناسب في المعاني، أن المؤمن جمع بين التذكير بالدلائل والتخويف بعذاب الله، قال الرازي: (اعلم أن مؤمن آل فرعون لما أقام أنواع الدلائل على أنه لا يجوز الإقدام على قتل موسى، خوفهم في ذلك بعذاب الله فقال: "**يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ...**")[93]. وفي الكلام تعريض خفي فا: "المقصود تخويف فرعون من زوال ملكه، ولكنه جعل الملك لقومه، لتجنب مواجهة فرعون بغرض زوال ملكه[94]. كما أن في كلام فرعون ما يدل على خوفه من قوة بيان المؤمن فقاطعه، وقد (علم فرعون ظهور حجته فقال: "ما اريكم إلا ما أرى...")[95]. ويرد أسلوب الفصل[96] في قوله: "ما أريكم إلا ما أرى" (لحكاية كلام فرعون عقب كلام مؤمن ال فرعون بدون عطف بالواو في قوله "قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى...")[97]. وظاهر أن علة مجيء كلام فرعون على

أسلوب: الفصل بلا عاطف هو (تفطن فرعون إلى أنه المعرَّض به في خطاب الرجل المؤمن قومه، فقاطعه كلامه... ولكون كلام فرعون صدر مصدر المقاطعة لكلام المؤمن جاء فعل قول فرعون مفصولا غير معطوف، وهي طريقة حكاية المقاولات والمحاورات)(98). ويقرر لسامعيه مَنْ هو الناصر لهم من بأس الله، وهذه الأقوال تقتضي زوال هيبة فرعون، ولذلك استكان فرعون ورجع يقول: "ما أريكم إلا ما أرى"(99).

ومن أساليب الإطناب التي تشيع في قصة المؤمن: التكرار في نداء قومه، لما يتضمنه التكرار من إظهار حدبه وحرصه على قومه، ثم مضى في التذكير بالآيات منصرفاً عن موسى ودعوته؛ لأنها لا تقبل الجدل لصحتها، ولا أجدى من ذكر المعاقبين الغابرين، قوم نوح وعاد وثمود، وفق سرد يتناسب والترتب الزمني بادئا بالأقدم فالأقدم، وهو ما يتضمن إشارة جلية إلى ثقافة تاريخية سائدة بين تلك الأمم الغابرة رغم تباعدهم زمانا ومكانا، ذلك أن المؤمن لن يخاطب قومه إلا بما يعرفون ليتم المقصود. ويكرر المؤمن النداء أخرى: "**وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ**" لكنه في هذه المرة يتجه نحو المستقبل، إلى يوم القيامة في حركة مضادة لاتجاهه الأول الماضي "التاريخ" ليتم التقابل الخفي بين النداءين: نداء الماضي، ونداء المستقبل، فتم بلاغ التحذير بما قد وقع وبما سيقع. ويرتبط "التناد" في كلام المؤمن بعلاقة تناصية مع التنادي الوارد في مواضع أخرى من القرآن الكريم، قال الثعالبي: (واختلف في التنادي المشار إليه فقال قتادة: هو نداء أهل الجنة: {**فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً...**} الأعراف:44، وقيل: هو النداء الذي يتضمنه قوله تعالى: {**يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ...**} الإسراء:71)(100). وتتضمن صورة التحذير المبين من يوم القيامة تعريضا خفيا بفرعون في قول المؤمن: "**مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ**" أي أن فرعون لن ينفعكم. ثم أعقبها بخاتمة فيها التعريض الآخر بالبراءة من فرعون وضلاله: "**وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**". ومن تناسب المعاني في كلام المؤمن أن اختص يوسف - عليه السلام - بالذكر بعد التحذير؛ للمناسبة بينه وبين موسى – عليه السلام -، فمن التناسب بين يوسف وموسى- عليهما السلام-: وحدة المُرسِل – جل جلاله -، ووحدة الرسالة، ووحدة المِصْر. ثم توسع فجعل مجيء يوسف – عليه السلام - إلى الآباء مجيئاً إلى الأبناء.

ومن الإعجاز البياني في كلام المؤمن، عنايته بالإيقاع الصوتي حين يكرر الكلمة معرفة بـ "أل" في الأولى "الأسباب"، وبالإضافة في الأخرى "أسباب السموات"، في قوله تعالى على لسان فرعون: "**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ...**" غافر:36-37.

وتم إعجاز البيان بورود التكرار دون عطف مضيا على أسلوب الفصل بين الجملتين، وقد حسن الفصل هنا، لأن الجملة الثانية بيان وشرح للجملة الأولى.[101] . ومثل ما هو معجز خواتيم الآي الكريمات، تختتم هذه الآية ببلاغة التعقيب الرباني وهو من البديع البلاغي المسمى بالتذييل[102]: في قوله: "**وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ**" غافر: 37، فالخاتمة مناسبة لمضمون الآية قبلها، ومؤكدة لمعناها.

ومن التناص بين ما ورد في قصة المؤمن وآي القرآن الكريم أن في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا**﴾ غافر: 36-37 تناصا وتعالقا مع قوله سبحانه: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحاً لَّعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ**﴾ القصص: 38. (ولما قال فرعون بمحضر من ملئه "فأطلع إلى إله موسى" اقتضى كلامه الاقرار بإله موسى، فاستدرك ذلك استدراكا قلقا بقوله: "وإني لأظنه كاذبا")[103]

(4) ويتوافر المشهد الرابع على الجولة الثانية من دعوة المؤمن وحواره مع قومه بعد أن كذب فرعون وأعرض عن نصيحة المؤمن، يلجأ المؤمن إلى معان أخرى مغايرة لما استهل به كلامه، فلا ذكر للمُلْك وسلطانه بل هو التذكير بعقاب الأمم المكذبة وفق ترتبها الزمني، ضاما إليه التخويف بعقاب الآخرة، مستشهدا بتاريخ قومه ودعوة يوسف – عليه السلام - من قبل: (**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿30﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿31﴾ وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿32﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿33﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿34﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿35﴾.**

ويرد ذكر "المؤمن" هنا معرفاً بالاسم الموصول[104]، لا الاسم الصريح، إشارة إلى العناية بالقول لا القائل في قوله تعالى:(**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ...**) لعدم الحاجة إلى ذكر اسمه وإن كان معلوماً عنده سبحانه. ويتلمس البقاعي صلة بين الوصف بالاسم الموصول وحال الموصوف فيقول: (ولما ظهر لهذا المؤمن - رضي الله عنه- أن فرعون ذل لكلامه، لم يستطع مصارحته، ارتفع إلى أصرح

من الأسلوب الأول فأخبرنا -تعالى- عنه بقوله مكتفيًا في وصفه بالفعل الماضي؛ لأنه في مقام الوعظ الذي ينبغي أن يكون من أدنى متصف بالإيمان بعد أن ذكر عراقته في الوصف لأجل أنه كان في مقام المجاهدة والمدافعة عند الرسول "**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ...**")[105]. ويلحظ في مخاطبة المؤمن قومه شدة حدبه عليهم، وتلطفه معهم حين يقول: (**اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ.**) في مقابل قول فرعون للمخاطبين أنفسهم: (**مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى...**) وفرق شاسع بين الخطابين، كما يكرر المؤمن النداء المشفق بـ "قومِ" فيما لم يزد فرعون على خطاب التعنيف والتجبر بلا نداء ولا إشفاق.

ومن بلاغة تخير الألفاظ أن المؤمن أفرد "يوم" في قوله (**مِّثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ...**)**:** قال البقاعي: (ولم يأت بصيغة الجمع "أيام"، وإفراده أروع وأقوى من التخويف وأفظع في الإشارة إلى قوة الله – تعالى -، وأنه قادر على إهلاكهم في أقل زمان"[106]، وفي المفرد "يوم" ميزتان ليستا في الجمع "أيام"، هما (خفة لفظه، واختصاره، وليس ها من باب الاكتفاء بالواحد عن الجمع)[107]. وقيل: (مثل أيامهم، لأنه لما أضافه إلى "الأحزاب" وفسرهم بقوم نوح وعاد وثمود، ولم يلبس أن كل حزب منهم كان له يوم دمار، اقتصر على الواحد من الجمع؛ لأن المضاف إليه أغنى من ذلك.)[108]. كما اشتملت الآية الكريمة على أسلوب من الإطناب هو التفسير بعد الإبهام[109]، حين يأتي تفسير "الأحزاب" بقوله: (**مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ...**"، وفي الآية إلماح إلى التناسب المعنوي أو ما يعرف بـ "المناسبة المعنوية"[110]، بين قوم نوح وقوم فرعون لاتحادهما في العذاب المنزل بهم وهو الإغراق، قال البقاعي: (ولما أجمل فصل وبيَّن، أو بدَّل بعد أن هوَّل، فقال بادئاً بمن كان عذابهم مثل عذابهم، ودأبهم شبيهاً بدأبهم: "**مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ..**" ولما كان هؤلاء أقوى الأمم، اكتفى بهم وأجمل من بعدهم فقال: "**وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ...**")[111]. ومن دلالة اللفظ البليغ تنكير كلمة "ظلما" في اختتام الآية الكريمة "وما الله يريد ظلما للعباد" غافر: 31، لتفيد العموم والشمول لكل ظلم كبر أم صغر[112]. كما أن (نفي النكرة أشمل إذ معناه: لا يريد شيئا من الظلم خصوصا)[113].

وتمضي جمل المؤمن في تعالقها وتناصها مع آيات أخرى في الذكر الحكيم، فقوله: (**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ**) (غافر: 32) تناص مع قوله تعالى: (**وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ**) الأعراف: 44. قال النسفي: (وهو ما حكى الله تعالى في سورة الأعراف: "**وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ...**")[114]. ويعمد المؤمن إلى الخبر

الطلبي[115]، فيؤكد جملته بـ "إنّ" لخوفه على قومه من يوم القيامة، قال البقاعي: (لما كانوا منكرين للبعث أكد فقال: "**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ...**") غافر:32. و(من بديع البلاغة ذكر هذا الوصف لليوم في هذا المقام ليذكرهم أنه في موقفه بينهم يناديهم بـ "ياقوم" ناصحا ومريدا خلاصهم ومن كل نداء مفزع يوم القيامة، وتأهيلهم لكل نداء سارّ فيه)[116].

وكما صدّر الآيات السابقة بالنداء "يا قوم" هاهو يكررها في صدر هذه الآية، ثم يمضي على أسلوب التقابل[117] في التذكير والموعظة، فيقابل بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، قال أبو السعود: (خوفهم بالعذاب الأخروي بعد تخويفهم بالعذاب الدنيوي)[118]، ووفق أسلوب الفصل[119]، تتوالى جمل المؤمن حين يؤكد جملة: "**يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ**" بجملة: "**مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ**" قال الرازي: (ثم أكد التهديد فقال: "**مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ**"[120]، وتتناسب خاتمة الآية مع مضمونها حين يختتمها بقوله: "**وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**" فيحملها شعوره المر بعدم استجابته لنصحه، ولعله: (قاله لما أيس من قبولهم)[121].

ومن وجوه الإعجاز البياني، التناسب الخفي بين كلام المؤمن وكلام فرعون، فالمؤمن لا يفتأ ينقض كلام فرعون ويرد عليه ضلالاته، ففي قول المؤمن: "**وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**" إشارة خفية إلى قول فرعون: "**وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**"، وتلميح بأن الهدى هدى الله، وأن من أضله الله فلا هادي له. والله يعلم من حالة الناس وحقيقتهم من يستحق الهدى ومن يستحق الضلال[122]. ومن التناسب في حديث المؤمن أنه أعقب نصحه ووعظه لقومه بذكر يوسف – عليه السلام – قال الرازي: (اعلم أن مؤمن آل فرعون لما قال: "**وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**" ذكر لهذا مثلاً، وهو أن يوسف لما جاءهم بالبينات الباهرة فأصروا على الشك والشبهة، ولم ينتفعوا بتلك الدلائل)[123]. وترد "ومن يضلل الله فما له من هاد" حين (أحس منهم الإعراض ولم يتوسم فيهم مخائل الانتفاع بنصحه وموعظته)[124].

ومن بلاغة تخيّر المفردات قول المؤمن عن يوسف – عليه السلام -: "**حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ...**"، ولم يقل: "مات" أو "توفي" مع أن "هلك" لا تتناسب ومقام الأنبياء، قال البقاعي: (وكأنه عبر بالهلاك إيهامًا لهم أنه غير معظم له، وأنه إنما يقول ما يشعر بالتعظيم لأجل محض النصيحة والنظر في العاقبة)[125]. ومن بلاغة الإطناب في قصة المؤمن فن "الاحتراس"[126]، فوصف المجادلة في قوله: "**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ...**" لم تكن

مطلقة بل قيدت بـ "**بِغَيْرِ سُلْطَانٍ**"، قال الرازي: (في ذمه لهم بأنهم يجادلون بغير سلطان، دلالة على أن الجدال بالحجة حسن وحق، وفيه إبطال للتقليد)[127].

ومن الإعجاز البياني في قصة المؤمن أن يتناسب ما جاء فيها مع مطلع السورة وهو جانب من الوحدة الفنية التي تسم الأسلوب القرآني المعجز، فقول المؤمن: "**الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا**" يتناسب وقوله سبحانه في مطلع السورة: ﴿**مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَادِ**﴾ (غافر: 4)[128]. ومضيا على أسلوب الالتفات[129]، انصرف المؤمن عن ضمير الخطاب إلى ضمير الغائب رغبة عن مواجهة قومه، وعطفا لقلوبهم، قال أبو حيّان: (ويكون الواعظ لهم قد عدل عن مخاطبتهم إلى الاسم الغائب، لحسنِ محاورته لهم واستجلاب قلوبهم، ولا يفجأهم بالخطاب)[130]. وتخير المضارع في "يجادلون" لإفادة تجدد مجادلتهم وتكررها وإنهم لاينفكون عنها، وهذا صريح في ذمهم، وكناية عن ذم جدالهم الذي أوجب ضلالهم)[131]. وفي الآية خبر يراد به التعجب[132] قوله "كبر مقتا" قال الزمخشري: (وفي "كبر مقتا" ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم والشهادة على خروجه من حدِّ إشكاله من الكبائر)[133]. ومن بلاغة التناسب بين المفردات أن ترد لفظتي: "متكبر جبار" مقترنتين في قوله تعالى: "**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**"؛ لتشمل قسمي المضادة للخالق والخلق، فالتكبر (كالمضاد للتعظيم لأمر الله، والجبروت كالمضاد للشفقة على خلق الله)[134]. ومن بلاغة التراكيب التي تظهر في "التذييل "[135] الذي ختمت به الآية الكريمة: ﴿**كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ**﴾ غافر: 35 أنه قدم "كل" على "قلب"من أجل (استغراق أفراد القلوب ممن اتصف بهذا الوصف، ومن المقطوع به أن آحاد القلوب موزعة على آحاد الأشخاص لأنه لا يكون لشخص أكثر من قلب بخلاف ما إذا قدم القلب فإنه قد يدعى أن الشخص الواحد، وأن السور لأجل جمعه لأنواع الكبر والجبروت)[136]. ويلحظ هنا أنه وصف القلب بالتكبر والتجبر، (لأنه مركزهما ومنبعهما، كما تقول: "رأت العين، وسمعت الأذن"، ونحوه قوله تعالى: "**فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ** " البقرة: 283 وإن كان الآثم هو الجملة) [137].

(5) في المشهد الخامس يعلن فرعون إصراره على التكذيب، ويحيد عن الحوار، ويتوارى خلف السلطة وبهرج الملك، ويصدر القرار بالقتل والإبادة لموسى وأتباعه، مجسدا كل معاني الكفر والاستهزاء والغطرسة، وتحدي الإله الحق، وعندها يصرح المؤمن أمام هذه الغطرسة والتكبر أنه هو من يدل على الرشاد لا فرعون، ولكن دون أن يحصر الرشاد فيه كما زعم فرعون، ويفرِّع المؤمن تذكيره لقومه ببيان حقيقة الدنيا والآخرة مقارنا بين الدارين الفانية

والباقية، ومطمعا في ثواب الباري – جل وعلا -، متعجبا من دعوى الفريقين، دعوته هو، ودعوة قومه، وهل بين الدعوة إلى الجنة، والدعوة إلى النار تماثل أو تكافؤ؟! أم بين نعيم الإيمان والتوحيد، وشقاء الكفر والشرك تدان او تشابه:

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴿36﴾ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴿37﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ﴿38﴾ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴿39﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴿40﴾ وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴿41﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴿42﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴿43﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴿44﴾

ويحيد فرعون عن حوار المؤمن هروبا من مواجهة الحق، متدرعا ببهرج السلطة وخيلاء الملك فيقول لوزيره: ﴿**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَاذِبًا...**﴾ غافر:36-37 أي أن فرعون خاطب "هامان" وانصرف عن المؤمن معرضاً عن جوابه؛ لأنه لم يجد فيه مطعناً[138]، ويبدو أن منطق الرجل المؤمن وحجته كانت من شدة الوقع بحيث لم يستطع فرعون ومن معه تجاهلها فاتخذ فرعون لنفسه مهرباً جديداً[139].

ويعمد فرعون إلى أسلوب التمني البلاغي[140] في قوله تعالى: ﴿...**لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ...**﴾ ليلبس على قومه ويوهم عليهم الأمر قال البقاعي: (وتعليله بالترجي الذي لا يكون إلا في الممكن دليل على أنه كان يلبس على قومه وهو يعرف الحق)[141]. قال أبو حيان: وبلوغ أسباب السماوات غير ممكن، لكنّ فرعون أبرز ما لا يمكن في صورة الممكن تمويهاً على سامعيه)[142].
أي أن مجيء "لعل" في التركيب يفيد معنى التمني لشيء محبوب لا يرجى حصوله لاستحالة أو لبعد تحقيقه[143]، ويجتمع في قوله تعالى (...**لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى**...) أسلوبان بلاغيان، الأول هو الفصل، حين ترد الآية غير معطوفة على سابقتها؛ لأنها متعالقة مع الآية السابقة، بيانا وتوضيحا لها. والآخر: تضمنها لأسلوب الإبهام و(المعنى

المقصود إذا ورد في الكلام مبهما فإنه يفيد بلاغة ويكسبه إعجابا وفخامة، وذلك لأنه إذا قرع السمع على جهة الإبهام فإن السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب)[144]، فقد أبهمت الآية الأسباب ثم أوضحتها، (وفي إبهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفتها)[145]، وقد جعل ابن الأثير الآية الكريمة من شواهد الإبهام ثم التفسير، فقال: (ومما يجري هذا المجرى قوله تعالى: "**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ. أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى**" فإنه لما أراد تفخيم ما أمّل فرعون من بلوغه أسباب السموات أبهمها أولاً ثم فسرها ثانيا، ولأنه لما كان بلوغها أمرا عجيباً أراد أن يورده على نفس متشوقة إليه، ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوف إليه نفس هامان ثم أوضحه بعد ذلك)[146].

كما أن في تكرار "أسباب" معرفة بـ "ال" مرة ومضافة أخرى، تفخيما لشأنها، فإنها أسباب تحوي أسرار السموات وحقائق الكون المهيب. قال الزمخشري: (إذا أبهم الشيء ثم أوضح كان تفخيما لشأنه فلما أراد تفخيم ما أمل بلوغه من أسباب السموات أبهمها ثم أوضحها ولأنه لما كان بلوغها أمرا عجيبا أراد أن يورده على نفس متشوفة إليه ليعطيه السامع حقه من التعجب فأبهمه ليشوف إليه نفس هامان ثم أوضحه)[147]. ومن لطائف البيان أن يرد أمر فرعون ببناء الصرح أثناء محاجته الذي آمن و بعد انصرافه عن قتل موسى، ولذلك وقع ذكره بين مواعظ الذي آمن واحتجاجاته.[148]

وتتناص خاتمة الآية الكريمة مع آي أخر في الكتاب العزيز حين تتوعد الخاسرين المكذبين بـ "التباب"، ومنه قول الله تعالى: ﴿**وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لِّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ**﴾ هود: 101، وقوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ المسد: 1 ومن أوجه تناسب المعاني في الآية الكريمة، الجمع بين السبب والمسبب، في قوله تعالى (**فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى**...) فإنه (لما ذكر هذا السبب، ذكر المسبب عنه. فقال: "**فَأَطَّلِعَ إِلَى**" أي فلعله يتسبب عن ذلك ويتعقبه أني أتكلف الطلوع... تنبيها على أن ما أبرزه الخبيث في عداد الممكن إنما هو تمني محالٍ غير ممكن في العادة)[149].

ومن بلاغة التركيب اجتماع الحذف والذكر في الآية الكريمة، فقد حذف الفاعل في قوله تعالى: ﴿**...وَكَذَلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ**﴾ غافر: 37، فإنه (لما كان الضار هو التزيين لا المزين الخاص، بناه للمفعول فقال: "**زُيِّنَ**" أي: زين المزين النافذ الأمر، وهو لله تعالى حقيقة بخلقه وإلزامه"[150]. وأما الذكر ففي تكرار "فرعون"، قال البقاعي: "فإنه" أعاد الاسم ولم يضمره لئلا يخص بحيثية من الحيثيات فقال:

"فرعون")[151]. ويجتمع التكرار والتعريض في الآية التالية: ﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ غافر: 38، فقد جمعت الآية بين لونين بلاغيين، الأول: تكرار النداء "يا قوم" في صدر الآية وما يفيده التكرار من حدب المؤمن على قومه وحرصه على هدايتهم، والآخر: التعريض بفرعون في قول المؤمن: (**وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**) رداً على قول فرعون الذي قال: ﴿**...مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ غافر: 29. وتكرار (النداء يدل على غفلة المنادَى والاهتمام بالنصيحة المنادَى لها بتكرارها إجمالا وتفصيلا والتوبيخ لجعلهم لا يفيد فيهم، ولا يسمعهم نداء واحد)[152]. ويرتب المؤمن كلامه على أسلوب تقديم الإجمال ثم تعقيبه بالتفصيل، فابتدأ بقوله: "اتبعون أهدكم سبيل الرشاد"، وسبيل الرشاد مجمل وهو على إجماله مما تتوق إليه النفوس...وأعاد النداء تأكيدا لإقبالهم إذ لاحت بوارقه، فأكمل مقدمته بتفصيل ما أجمله يذكرهم بأن الحياة الدنيا محدودة بأجل غير طويل، وأن وراءها حياة أبدية[153].

ومن بلاغة النظم القرآني التفات المؤمن عن خطاب فرعون، ليخاطب قومه في قوله: "**يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ**..."، قال البقاعي: (لما كان فساد ما قاله فرعون أظهر من أن يحتاج إلى بيان، أعرض المؤمن عنه تصريحا، ولوح إلى ما حكاه الله عنه من أنه محيط به الهلاك تلويحاً في قوله منادياً قومه ومستعطفا لهم ثلاث مرات: الأولى على سبيل الإجمال في الدعوة، والأخريان على سبيل التفصيل)[154]. غير أن المؤمن يرد على فرعون تلميحا في قوله: "**أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**" ومعرضا بزعم فرعون حين قال: ﴿**مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ**﴾ غافر: 29. ومن تناسب المعاني المختوم بالتعريض في كلام المؤمن هنا أنه (افتتح بذم الدنيا، وتصغير شأنها.... وثنى بتعظيم الآخرة الاطلاع على حقيقتها، وأنها هي الوطن والمستقر، وذكر الأعمال سيئها وحسنها وعاقبة كل منهما ليثبط عما يتلف، وينشط لما يزلف، ثم وازن بين الدعوتين: دعوته إلى دين الله الذي ثمرته الجنة، ودعوتهم إلى اتخاذ الأنداد الذي عاقبته النار، ...وفيه تعريض شبيه بالتصريح أن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي)[155].

ومن بلاغة تخير المفردات، مجيء الفعل "آمن" في قوله تعالى: ﴿**وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ...**﴾ غافر:38 حيث (عبر بالفعل إشارة إلى أنه ينبغي لأدنى أهل الإيمان أن لا يحقر نفسه عن الوعظ) [156]. وينتظم قول المؤمن: ﴿**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**﴾ غافر: 39 في سياق الآيات السابقة وفق علاقة التفسير بعد الإبهام، ففي الآية السابقة أبهم المؤمن ثم فسر، فـ (الآخرة هي دار القرار. أي طريق الصواب الذي ترشدون إذا أخذتم فيه

وسلكتموه ثم أشار إلى تفسير ما أبهمه بقوله: "**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ**")[157].

ومن بلاغة الإيجاز في كلام المؤمن أنه وصف الآخرة بدار القرار في قوله: (**وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**) دون أن يفصل جزاء الفريقين، قال الطبري: "استقرت الجنة بأهلها، واستقرت النار بأهلها"[158]. ومن قصر الموصوف على الصفة قوله: "إنما هذه الحياة الدنيا متاع" وهو (قصر قلب لتنزيل قومه في تهالكهم على منافع الدنيا منزلة من يحسبها منافع خالدة)[159]. ومثله في مقابلها القصر بالضمير "هي" لبيان شأن الآخرة في قوله: "**وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ**" ليتم التقابل بين وصف الدارين فناء وبقاء، وتماثلا في أسلوب القصر. وإذ يذم المؤمن الدنيا ويمدح الآخرة، فإنه يناسب بين تلك المعاني.[160] والآية التالية، فيذكر جزاء الدارين فيقول: ﴿**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ غافر: 40، فهاهو المؤمن لما ذم الدنيا وبين أن الآخرة هي دار القرار، ذكر عاقبة الأعمال فيها حسنها وسيئها.[161]

ومن الدلالات البليغة للجملتين الاسمية والفعلية[162] في الآية الكريمة: ﴿**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾ غافر: 40 أنه جعل الجزاء للمؤمنين جملة اسمية مصدرة باسم الإشارة، تأكيدا وتثبيتا، وجزاء المسيئين بالفعل المبني للمجهول محتملا التغير والتخفيف. قال البقاعي: (ولما بين أنهم دعوه إلى ما هو عدم فضلاً عن أن يكون له نفع أو ضر في جملة فعلية إشارة إلى بطلان دعوتهم وعدم ثبوتها. بين لهم أنه ما دعاهم إلا إلى ما له الكمال كله...فقال مشيراً بالجملة الاسمية إلى ثبوت دعوته وقوتها "**وَأَنَا أَدْعُوكُمْ.**") [163]

ولا تخلو الآية الكريمة من تقابل خفي قال الزمخشري: ("**بِغَيْرِ حِسَابٍ**" واقع في مقابلة "**إِلَّا مِثْلَهَا**" يعني أن جزاء السيئة لها حساب وتقدير، لئلا يزيد على الاستحقاق، فأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شئت من الزيادة على الحق والكثرة والسعة)[164]. كما تضمنت الآيتان تقابلا بلاغيا بين الثواب والعقاب، فالله يجزي المؤمنين، ويجازي الكافرين، مبتدئا برحمته قبل غضبه، قال البقاعي: "ولما بيّن العدل في العقاب، بيّن الفضل في الثواب، تنبيهًا على أن الرحمة سبقت الغضب"[165]. ومن اللطيف في قول المؤمن أن جانب الرحمة غالب على جانب العقاب في قوله تعالى: (**مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا**) فالسيئة تجزى بمثلها ،والحسنة تجزى بلا حساب[166]. ومن بلاغة التركيب في الآية الكريمة (حذف الفاعل في قوله "يُرْزَقُون":

أي من غير احتياج إلى تحول أصلاً ولا إلى أسباب، ولعل ذلك من أسرار البناء للمفعول)[167]، ولا ينفك المؤمن يوظف أسلوب التقابل البلاغي بين الهداية والغواية في قوله: ﴿**وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ** ﴾ غافر: 41 فهو يكشف لهم حقيقة الحياة الدنيا ،يقرر لهم قاعدة الحساب والجزاء، يستنكر الدعوة إلى النار في مقابل دعوته إلى الجنة، ينسف دعوتهم الشركية ويبطلها، يحذرهم من خطر الشرك والإسراف، ثم يفوض ويعدهم بتذكّر نصيحته يوم لا ينفع التذكر [168]. ويمضي المؤمن على التكرار في نداء قومه (**يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ**) وهو إنما (كرر نداءهم إيقاظاً لهم عن سنة الغفلة واعتناءً بالمنادى له ومبالغة في توبيخهم على ما يقابلون به نصْحه) [169]. ولا يبعد أن يتضمن التكرار مزيدا من العاطفة الإنسانية بين المؤمن وقومه، ولذا (كرر ذلك زيادة في استعطافهم بكونهم أهله فهو غير متهم في نصحهم، لأنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه) [170].

ثم أعقب النداء بالتفسير، فالدعوة إلى النار إجمال للدعوة إلى أنواع من الكفر والضلال ثم بينه مبتدئا بأعظمها وهو الإشراك بالله، فقال: ﴿...**وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ. تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ**﴾ غافر: 41-42، قال البقاعي: (ولما أخبر بقلة إنصافهم إجمالاً، بينه بقوله: "تدعونني")[171]. وأضاف إلى ذلك تقابلية أخرى بين دعوته ودعوتهم، فقد دعاهم إلى أعرف المعارف الله تعالى، العزيز الغفار، ودعوه إلى ما ليس له به علم، إنها دعوة الإيمان والتوحيد تقابل دعوة الكفر والشرك. ومن البلاغة في تخيّر الألفاظ أن اختار المؤمن أداة ما لا يعقل "ما" على أداة ما يعقل "من" في قوله: "**مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ...**" ليناسب بين الأداة والمعنى المقصود من تحقير ما سوى الله قال البقاعي: (ولما كان كل ما عداه – سبحانه - ليس له من ذاته إلا العدم أشار إلى حقارته بالتعبير، بأداة ما لا يعقل)[172].

ولقد كرر المؤمن نداء قومه ثلاث مرات، في المرة الأولى دعاهم إلى قبول ذلك الدين على سبيل الإجمال وفي المرتين الباقيتين على سبيل التفصيل. (أما الإجمال فهو قوله: "**يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ**..." وفيه تصريح بأن ما عليه فرعون وقومه هو سبيل الغي. وأما التفصيل فهو حين بين حقارة الدنيا وكمال حال الآخرة، أما حقارة الدنيا فهي قوله: "**يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ...**" والمعنى أنه يستمتع بهذه الحياة الدنيا في أيام قليلة، ثم تنقطع وتزول، وأما الآخرة فهي دار القرار والبقاء والدوام)[173]. ومن أسرار الإعجاز البياني في نداءات المؤمن، المجيء بالواو في النداء الثالث دون الثاني، وفق أسلوب الفصل والوصل، قال الرازي:

(وأما المجيء بالواو العاطفة فلأن الثاني يقرب من أن يكون عين الأول؛ لأن الثاني بيان للأول، والبيان عين المبيَّن، وأما الثالث فلأنه كلام مباينٌ للأول والثاني، فحسن إيراد الواو العاطفة فيه)[174].

ويخرج الاستفهام في الآية الكريمة عن غرضه الحقيقي إلى غرض بلاغي هو التوبيخ في قوله تعالى: ﴿**وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ؟!**﴾ غافر: 41 إلى معنى التوبيخ[175]، أو التعجب، قال أبو السعود: (ومدار التعجب الذي يلوح به الاستفهام دعوتهم إياه إلى النار ودعوته إياهم إلى النجاة.)[176]، ومضيا على أسلوب الإجمال والتفصيل، يفصل المؤمن دعوة كل من الفريقين بعد أن أجملها في الآية السابقة، فيقول: ﴿**تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ**﴾ غافر:42. ومثله خروج الخبر عن غرضه الحقيقي إلى غرض بلاغي[177] في قول المؤمن: "**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ**" فقد خرج الخبر من معنى الإخبار إلى معنى التهديد، أي: ستذكرون صدق كلامي عندما يحل بكم العذاب، وإلى معنى الوعيد، قال الثعالبي: (ثم توعدهم أنهم سيذكرون قوله عند حلول العذاب بهم)[178]، ثم جمع إلى التهديد والوعيد التوكل على الله وتفويض أمره إليه في قوله (**وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ**) أي: أتوكل على الله، وأسلِّم أمري إليه، قال القرطبي: (وهذا يدل على أنهم أرادوا قتله)[179]، وفي خاتمة كلام المؤمن ما يشير إلى بلوغه الغاية من النصح والإرشاد ولم يعد لديه مزيد (ولذا ختمه بما يدل على المتاركة بقوله "وأفوض أمري إلى الله")[180]

ومن بلاغة التقديم أنه قدم "العزيز" على "الغفار" لأن (العفو إنما يُمدح به بعد القدرة فالتمكن، والقدرة من لوازمه)[181]. كما أن في تخير الوصفين والنص عليهما وجه من المناسبة ومراعاة حال المؤمن وقومه (لما فيهما من الدلالة على الخوف والرجاء المناسب لحاله وحالهم)[182]. ومن بلاغة الفواصل القرآنية وتناسبها مع معاني الآي الكريمات، أن تختتم الآية بـ"**الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ**" (إشارة إلى كونه كامل القدرة، وفيه تنبيه على أن الإله هو الذي يكون كامل القدرة، وأما فرعون فهو غاية العجز، فكيف يكون إلهاً؟!... وقوله: "**الْغَفَّارِ**" إشارة إلى أنه لا يجب أن يكونوا آيسين من رحمة الله بسبب إصرارهم على الكفر مدة مديدة)[183]، وثمة تناسب في الجمع بين الوصفين العظيمين "العزيز" و"الغفار"، قال البغوي: ("العزيز" في انتقامه ممن كفر، "الغفار" لذنوب أهل التوحيد)[184].

كما تتناسب الآيات في معانيها، فبعضها آخذ برقاب بعض، فالتخويفُ والتذكير للمعاندين الذين لا سند لهم في قول المؤمن: ﴿**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ**

بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ غافر: 44، يلي ذكرَ المعاد،، ثم يختم كلامه بتفويض أمره إلى الله وتوكله عليه، قال البقاعي: (ولما تقرر أنه لا أمر لغير الله، وأنه لا بد من المعاد، تسبب عنه قوله: "**فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ**.." ولما ذكر خوفهم الذي لا يحميهم منه شيء، ذكر خوفه الذي هو معتمد فيه على الله ليحميه)[185]. ويضع المؤمن الاسم الظاهر لفظ الجلالة "الله" موضع المضمر كما بينه البلاغيون[186]، فيكرر لفظ الجلالة "الله" دون الضمير في فاصلة الآية الكريمة: **﴿...إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾**، قال البقاعي: (وكرر الاسم الأعظم بياناً لمراده بأنه "بصير" أي: بالغ البصر "بالعباد")[187]. ومن الإعجاز البياني في حديث المؤمن أن المتمعن في قوله: "**وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ**..." يلمح التناص بين كلامه وكلام موسى – عليه السلام -؛ الذي عاذ بربه حين توعده فرعون فقال: **﴿وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾** غافر: 27، فمضى المؤمن على طريقة موسى - عليه السلام- في العياذ بربه وتفويض أمره إليه. وفي قول المؤمن: **﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ...﴾** من الإبهام[188] المشتمل على التخويف والتهديد ما لا يخفى، قال الرازي: (وهذا كلام مبهم يوجب التخويف ويحتمل أن يكون المراد أن هذا الذكر يحصل في الدنيا، وهو وقت الموت، وأن يكون في القيامة وقت مشاهدة الأهوال وبالجملة فهو تحذير شديد)[189].

(6) والمشهد السادس هو مشهد النهاية ومآل القوم إلى خاتمة مؤسفة، فقد أودى التكذيب والكفر بقوم المؤمن إلى النار التي حذر منها، وتلك عاقبة من اتبع فرعون الذي هداهم إلى الغي، فأوردهم العذاب البرزخي والأخروي:

فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿45﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿46﴾ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿47﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿48﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿49﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿50﴾

ويعود نص قصة مؤمن آل فرعون إلى التناص مع ما ورد في الكتاب العزيز، وتلك سمة النص القرآني المتعالقة نصوصه وتراكيبه، ففي قوله تعالى: **﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ﴾** غافر: 45، تناص مع قوله تعالى: **﴿...وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا**

بِأَهْلِهِ...﴾ فاطر: 43. ومن فنون البلاغة التي تضمنها التعقيب الإلهي على قصة المؤمن أن قوله تعالى: (**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا**) تفريع[190] على تفويضه الأمر إلى الله فكفاه الله شرهم ووقاه سيئات مكرهم، وفيه إشارة إلى أنهم قصدوه بالسوء لكن الله دفعهم عنه. ومن دلالات التراكيب البلاغية تخير المصدر "سوء" وإضافته إلى "العذاب" في قوله تعالى: ﴿**...وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ**﴾ غافر: 45 وهو من إضافة الصفة إلى موصوفها، وفي التوصيف بالمصدر مبالغة، كما انه ذكر "آل فرعون" ولم يذكر فرعون، والعلة كما يقول البيضاوي أنه قد (استغنى بذكرهم عن ذكره للعلم بأنه أولى بذلك وقيل بطلبة المؤمن من قومه)[191].

وفي خاتمة المشهد في قوله تعالى: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ غافر: 46 تجتمع ألوان من الإعجاز البياني، وأولها التفصيل بعد الإجمال، فإن الله لما أجمل في قوله ﴿**...وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ**﴾ عاد فبين المراد بسوء العذاب فقال: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا...**﴾. وقد جاء التفصيل بعد الإجمال بلا عطف في تركيب بلاغي هو الفصل، فإن الآية قد تلت سابقتها بلا عاطف لكمال الاتصال بين الآيتين، فالثانية بيان للأولى، وجملة البيان لا تحتاج إلى عاطف.

ومن الأساليب البلاغية التي تضمنتها الآية، إيجاز الحذف[192]، ففي قوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ غافر: 46 إيجاز بالحذف، والتقدير: "يقال: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب". ومن الإيجاز الخفي أن الغدو والعشي في الآية الكريمة قد أغنى عن ذكر كل أوقات العذاب، قال القاسمي: (واكتفى بالطرفين المحيطين – الغدو والعشي – عن الجميع)[193].

ومن بلاغة التعريف[194] ، أنه تخير "أل" دون المعرفات الأخرى لأنها أبلغ في التعريف قال ابن جني: (لا تضاف "آل" هذه إلا إلى الأخص الأعرف فتقول: هؤلاء آل الله، قال سبحانه: "**أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**". فلا تقول: "رأيت آل رجل"، ولا: "كلمت آل امرأة"[195].

خاتمة

تتبعَ هذا البحثُ جوانب الإعجاز البياني الذي توافرت عليه قصة مؤمن آل فرعون كما وردت في السورة الكريمة "غافر"، وما اشتملت عليه من ألوان البيان المعجز، محاولا أن يستقصي كل مستويات النص المعجز من حيث الأصوات والألفاظ والتراكيب، ودلالات السياق الذي وردت فيه القصة.

وقد صير البحث القصة في ستة مشاهد حوارية تضمن الأول مفتتح النص أي: الدعوة إلى الإيمان، والدعوة إلى الكفر، وجاء المشهد الثاني لعرض حوار الرؤساء موسى وفرعون، وتبعه الثالث لحوار الأتباع مؤمن آل فرعون في حواره مع فرعون وقومه، يحدوه الأمل أن يؤمنوا ويقبلوا، وفي المشهد الرابع يدور الحوار بين المؤمن وقومه بلغة مغايرة بعد أن كذبوا وأعرضوا، وفي المشهد الخامس يعلن فرعون وملؤه الكفر والحيدة عن الحوار فتكون المواجهة الصريحة، وفي المشهد الأخير تأتي النهاية المؤسفة للقوم المكذبين.

ولقد أوضح البحث عن جوانب عدة من أوجه الإعجاز البياني مع عناية بالغة بمباحث: التقديم والتأخير، والذكر والحذف، وإيجاز القصر، وتخير المفردات، والاستدراج، والتقسيم، والنداء، والمجاز المرسل، والكناية والتعريض، والإنشاء يراد به الخبر، وفنون الإطناب، وتناسب المعاني، والفصل والوصل، وبعض فنون البديع.

وانتهى البحث إلى بيان أن المبحث البلاغي والنقدي جزء من جوهر الإعجاز القرآني، وأن البلاغة هي أسلوبية القدماء، حيث تستهدف الجمال والصحة والسلامة وإشراق التعبير، والتأثير في المتلقي، وبمجمل من القول فإن البحث كشف عن البنية الفنية والجمالية التي اشتملت عليها قصة مؤمن آل فرعون.

Exhibit miracle, a believer in the story of Pharaoh

Majed Al-Majed، *Department of Arabic Language, College of Arts, King Saud University, Al-Ryath. KSA.*

Abstract

This search miracle, graphic story of a believer in the Pharaoh; who responded to Surat experience "Forgiver" When Moses was victorious for the invitation - peace be upon him - in front of Pharaoh, what are the tyrant of killing Moses - peace be upon him - then the insurer to support the statement of the fact that the invitation came by Moses -- Peace be upon him - and what makes Pharaoh error, bad sequel, which leads to his people, included the story of the insured to the colors of many great miracle, graphic, text explores all levels of miracles in words and structures and its connotations, which would mean by this research, which presents the statement of the features Quranic miracle in the story of the greatest stories of the Koran, explaining the amount of care in the choice Alvaza, LUMBER trunks, and the magnificent image, fit mandates.

قدم البحث للنشر في 2007/8/15 وقبل في 2008/1/29

الهوامش:

(1) **في ظلال القرآن**، سيد قطب. دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، (د.ت) 66/22

(2) انظر: **العمدة**، ابن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م 1/ 632. **والمنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**، أبو محمد القاسم السجلماسي، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، 1401هـ - 1980م، ص 466.

(3) **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، أبو الحسن حازم القرطاجني، تحقيق: محمد الحبيب خوجة، تونس، 1966م، ص 58.

(4) انظر: **الإيضاح في علوم البلاغة**، الخطيب القزويني، تحقيق: محمد السعدي فرهود وزميليه، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1420هـ - 1999م 1/ 320، **وأنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر الشيرازي البيضاوي، دار الجيل. بيروت، (ط.ت) 621/24.

(5) انظر: **تفسير "إرشاد العقل السليم"**، لأبي السعود محمد العمادي، دار المصحف، القاهرة، (د.ت) (د.ط) 7/ 273.

(6) **تفسير روح البيان**، إسماعيل بن حقي البروسوي، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ط)، (د.ت) 173/8

(7) انظر: **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة**، السيد يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت) 1/ 380.

(8) **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، أبو صفر محمد بن جرير الطبري ت 310هـ تحقيق د. عبدالله التركي، دار علم الكتب، الرياض، ط1، 1424هـ، 306/20).

(9) انظر: **الأقصى القريب في علم البيان**، محمد التنوخي، القاهرة، 1327هـ، ص 92، **وحسن التوسل إلى صناعة الترسل**، شهب الدين محمود الحلبي، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، بغداد، 1400هـ - 1980م، ص 212.

(10) **التفسير الكبير أومفاتيح الغيب**. للإمام محمد الرازي فخر الدين بن ضياء الدين. دار

الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ - 1990م، 45/27.

(11) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، برهان الدين أبي الحسن ابراهيم البقاعي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ - 1995م 505/6.

(12) انظر: **تفسير الجامع لأحكام القرآن**، لأبي عبد الله القرطبي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د.ت) (د.ط) 304/8.

(13) انظر: **تفسير البحر المحيط**، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: عادل عبد الموجود وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ - 1993م 440/7.

(14) **تفسير روح البيان**، إسماعيل البروسوي، مكتبة المثنى، بغداد، 1331هـ 8/ 173.

(15) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(16) المرجع نفسه، الموضع نفسه.

(17) **تفسير التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، 1948 24/ 125.

(18) **تفسير البحر المحيط** 440/7.

(19) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(19) **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل**، محمد بن احمد ابن جزي الكلبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط4، 1403هـ - 1983م 4/4.

(20) انظر: **كتاب الصناعتين**، أبو هلال الحسن العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي وزميله، القاهرة، 1371هـ - 1952م، ص 307، والعمدة 576/1.

(21) انظر: **تفسير القرآن العظيم**، لأبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط2، 1420هـ - 1999م 7/ 139.

(22) انظر: **البرهان في علوم القرآن**، بدرالدين محمد الرزكشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1376هـ - 1967م 350/3.

(23) انظر: **أنوار التنزيل** للبيضاوي 621/24.

(24) انظر: **في ظلال القرآن** 67/22.

(25) انظر: **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، بهاء الدين السبكي، ضمن شروح التلخيص، القاهرة، 1937م 321/2، والطراز 3/ 283.

(26) تفسير الرازي (**مفاتيح الغيب**) 48/27.

(27) **تفسير التحرير والتحبير** 24/ 125.

(28) **تفسير الجامع لأحكام القرآن**، للقرطبي 305/8.

(29) **الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل**، محمود عمر الزمخشري، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د.ت)، (د.ط) 4/ 160-161.

(30) انظر: **البرهان** للزركشي 3/ 233، والطراز 56/2.

(31) **التفسير الكبير** للرازي 49/27.

(32) انظر: المرجع السابق 48/27.

(33) انظر: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: محمد الخالدي، مكتبة المعارف، الرباط، (د.ت)، (د.ط) 7 / 53.

(34) **التفسير الكبير**، للرازي 49/27.

(35) انظر: **الطراز** 380/1-383.

(36) **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، عبدالله بن أحمد النسفي، دار الفكر، (د.ت) 3-4 / 76.

(37) **الكشاف** 161/4.

(38) **مفتاح العلوم**، لأبي يعقوب يوسف السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1407هـ - 1987م، ص 170.

(39) **تفسير أنوار التنزيل** 621/24.

(40) **الكشاف** 157/4.

(41) انظر: **المثل السائر**، ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت)، (د.ط) 2/ 279.

(42) **نظم الدرر** 506/6.

(43) **روح البيان**، البروسوي 8/ 175.

(44) **نظم الدرر** 507/6.

(45) انظر: **الطراز** للعلوي 56/2).

(46) **تنوير الأذهان** 423/3.

(47) انظر: **مفتاح العلوم** ص 191.

(48) **تفسير القرطبي** 8/ 306.

(49) **تفسير التحرير** 129/24.

(50) **كتاب الصناعتين** ص 175، **والإيضاح** 1 / 304.

(51) انظر: **جامع البيان** 312/20-313.

(52) **نقد الشعر**، قدامة بن جعفر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1963م، ص 174، العمدة 576/1.

(53) **تفسير التحرير** 129/24.

(54) انظر: **المثل السائر** 68/2.

(55) **محاسن التأويل**، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد فؤاد الباقي، دار الفكر، بيروت، (د.ت) 231/13-232.

(56) **الكشاف** 162/4.

(57) انظر: **البرهان** للزركشي 328/2.

(58) **تفسير مفاتيح الغيب** 51/27.

(59) انظر: **كتاب الصناعتين** ص 341، **وسر الفصاحة** ص 277.

(60) **التفسير الكبير** للرازي 27/ 51.

(61) انظر: **مفتاح العلوم**، ص 196، **الإيضاح** 225/1.

(62) انظر:**تفسير أنوار التنزيل**، 24/ 621.

(63) **تفسير القرطبي** 8/ 307.

(64) انظر: **التفسير الكبير** الرازي 27/ 51.

(65) انظر: **الكشاف** 163/4.

(66) انظر:**البحر المحيط** 7/ 443.

(67) **نظم الدرر** 507/6.

(68) **محاسن التأويل** 232/13.

(69) **التفسير الكبير** للرازي 52/27.

(70) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(71) نفسه .

(72) **تفسير أنوار التنزيل** 622/24.

(73) **كتاب التسهيل**، لابن جزي 6/4.

(74) **النكت والعيون**، لأبي الحسن علي الماوردي، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، (د.ط) 153/5، والبيت لعمرو القطامي انظر: تفسيرالبحر المحيط 442/7.

(75) **محاسن التأويل** للقاسمي 232/13.

(76) انظر: **التفسير الكبير** للرازي 52/27.

(77) انظر: **النكت والعيون** 153/5.

(78) **التفسير الكبير** للرازي 61/27.

(79) المرجع السابق 54/27.

(80) انظر: **الكشاف** 158/4 **وتفسير أنوار التنزيل** 622/24.

(81) **تفسير القرآن**، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، تحقيق: عبد الله الوهيبي، دار ابن حزم، ط1، 1416هـ - 1996م. 115/3.

(82) **التفسير الكبير** للرازي 51/27.

(83) انظر: **روح البيان** 8/ 178.

(84) **تفسير النسفي** 1537/3.

(85) **التفسير الكبير** للرازي 53/27.

(86) انظر: **تفسير أنوار التنزيل** 622/24.

(87) **تفسير التحرير** 131/24.

(88) **نظم الدرر** 509/6.

(89) انظر: **تفسير أبي السعود** 7/ 275.

(90) **الكشاف** 164/4.

(91) **حلية المحاضرة في صناعة الشعر**، أبو علي محمد الحاتمي، تحقيق: جعفر الكتاني، بغداد، 1979م 157/1، **والمثل السائر** 4/2.

(92) **كتاب التسهيل**، ابن جزي 5/4.

(93) **التفسير الكبير** للرازي 52/27.

(94) **تفسير التحرير** 24/ 132.

(95) **تفسير القرآن** 3/ 115.

(96) انظر: **كتاب الصناعتين** ص 438، **والإيضاح** 263/1.

(97) **تفسير التحرير** 24/ 128.

(98) المرجع السابق 24/ 133.

(99) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1413هـ - 1993م 557/4.

(100) **جواهر الحسان في تفسير القرآن**، الثعالبي، دار الأعلمي، بيروت، (د.ت)، (د.ط) 74/4.

(101) انظر: **الإيضاح** 1 / 265.

(102) انظر: **كتاب الصناعتين للعسكري**، ص 373، **وحسن التوسل**، ص 264.

(103) **المحرر الوجيز** 560/4.

(104) انظر: **مفتاح العلوم**، ص 181.

(105) **نظم الدرر** 510/6.

(106) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(107) **عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، للقاضي شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ - 1977م 260/8.

(108) **الكشاف** 160/4.

(109) انظر: **المثل السائر** 2/ 27.

(110) انظر: **تحرير التحبير**، ابن أبي الأصبع المصري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد، تحقيق: حفني محمد شرف، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1416هـ - 1995 م ص 363، **ومعترك الأقران**، جلا ل الدين السيوطي، تحقيق: علي البجاوي، القاهرة، 393 هـ - 1973م 57/1.

(111) **نظم الدرر** 510/6.

(112) انظر: المرجع السابق، الموضع نفسه.

(113) **عناية القاضي "حاشية الشهاب "**، للخفاجي 261/8.

(114) **تفسير النسفي** 3-4/ 78.

(115) انظر: **مفتاح العلوم**، ص 170.

(116) **تفسير التحرير** 136/24.

(117) انظر: **كتاب الصناعتين** ص 307، **والعمدة** 576/1.

(118) **تفسير أبي السعود** 7/ 275.

(119) انظر: **الإيضاح** 265/2.

(120) انظر: **مفاتيح الغيب** 54/27.

(121) **روح البيان**، البروسوي 187/8.

(122) انظر: **في ظلال القرآن** 71/22.

(123) **التفسير الكبير** للرازي 55/27.

(124) **تفسير التحرير** 24/ 138.

(125) **نظم الدرر** 512/6.

(126) انظر: **تحرير التحبير** ص 245، **والمصباح في علم المعاني والبيان والبديع**، بدر الدين بن مالك، القاهرة، 1341هـ، ص 97.

(127) **مفاتيح الغيب** 63/27.

(128) انظر: **في ظلال القرآن** 73/22.

(129) **الإيضاح**، القزويني 1/ 167.

(130) **البحر المحيط** 7/ 445.

(131) **تفسير التحرير** 142/24.

(132) انظر: **شروح التلخيص** 207/1.

(133) **الكشاف** 4/ 167.

(134) **مفاتيح الغيب** 64/27.

(135) **خزانة الأدب وغاية الأرب**، أبو بكر علي بن حجة الحموي، تحقيق: كوكب دياب، دار صادر، بيروت، ط1، 1421هـ - 2001م 240/2.

(136) **نظم الدرر** 514/6.

(137) **الكشاف** 167/4.

(138) انظر: **نظم الدرر** 514/6.

(139) انظر: **في ظلال القرآن** 73/22.

(141) **نظم الدرر** 514/6.

(140) انظر: **الإيضاح** 1 / 242.

(142) **البحر المحيط** 446/7.

(143) انظر: **بلاغة القرآن في الإعجاز**، بهجت الشيخلي، المجلد الثامن، مكتبة دنديس، عمان، ط1، 1422هـ - 2001م، ص653.

(144) **الطراز** 2/ 78.

(145) **تفسير أنوار التنزيل** 24/ 623.

(146) **المثل السائر**، ضياء الدين بن الأثير 2/ 162.

(147) **الكشاف** 4/ 167.

(148) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(149) **نظم الدرر** 515/6.

(150) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(151) نفسه.

(152) **عناية القاضي "حاشية الشهاب"** للخفاجي 265/8.

(153) انظر: **تفسير التحرير** 24/ 149.

(154) **نظم الدرر** 516/6.

(155) **الكشاف** 168/4.

(156) **نظم الدرر** 516/6.

(157) **محاسن التأويل** 239/13.

(158) **جامع البيان** 330/20.

(159) **تفسير التحرير** 24/ 149.

(160) انظر: **المثل السائر** 2/ 279.

(161) انظر: **تفسير النسفي** 3-4/ 79.

(162) انظر: **المثل السائر** 2/ 54، **والطراز** للعلوي 25/2، **والإيضاح** 1 / 201.

(163) **نظم الدرر** 518/6-519.

(164) **الكشاف** 168/4.

(165) **نظم الدرر** 517/6.

(166) انظر: **مفاتيح الغيب** 61/27.

(167) **نظم الدرر** 518/6.

(168) انظر: **في ظلال القرآن** 75/22-76.

(169) **تفسير أبي السعود** 7 / 277.

(170) **نظم الدرر** 516/6.

(171) المرجع السابق 518/6.

(172) نفسه 6/ 518.

(173) **التفسير الكبير** للرازي 60/27.

(174) المرجع السابق 62/27.

(175) انظر: **روح البيان**، البروسوي 187/8.

(176) **تفسير أبي السعود** 7/ 277.

(177) انظر: **مجاز القرآن**، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، تحقيق: فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت) 278/2.

(178) **جواهر الحسان في تفسير القرآن**، الثعالبي، دار الأعلمي، بيروت، (د.ت)، (د.ط) 75/4.

(179) **الجامع لأحكام القرآن** 318/8.

(180) **عناية القاضي "حاشية الشهاب"** 265/8.

(181) المرجع السابق 266/8.

(182) المرجع نفسه 267/8.

(183) **التفسير الكبير** للرازي 62/27.

(184) **معالم التنزيل**، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1406هـ- 1986م 4/ 99.

(185) **نظم الدرر** 519/6.

(186) انظر: **الإيضاح** 1/ 165.

(187) **نظم الدرر** 520/6.

(188) **المثل السائر** 2/ 160.

(189) **مفاتيح الغيب** 63/27.

(190) **العمدة** 632/1.

(191) **تفسير أنوار التنزيل** 624/24.

(192) **المثل السائر** 2/ 219.

(193) **محاسن التأويل** 239/13.

(194) انظر: **الإيضاح** 1/ 132.

(195) **التمام في تفسير أشعار هذيل** لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: أحمد القيسي وزميليه، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1381هـ - 1962م، ص 134.

المراجع:

ابن أبي الأصبع المصري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد، **تحرير التحبير**، تحقيق: حفني محمد شرف، وزارة الأوقاف، القاهرة، 1416هـ - 1995 م.

أبو عبيدة، معمر بن المثنى، **مجاز القرآن**، تحقيق: فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، (د.ت) 278/2.

أبي الفتح، عثمان بن جني، **التمام في تفسير أشعار هذيل**، تحقيق: أحمد القيسي وزميليه، مطبعة العاني، بغداد، ط1، 1381هـ - 1962م، ص 134.

أبي الفداء، اسماعيل بن عمر بن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي السلامة، دار طيبة، الرياض، ط2، 1420هـ - 1999م.

الأندلسي، أبو حيان، **تفسير البحر المحيط**، تحقيق: عادل عبد الموجود وزملائه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1413هـ - 1993م.

الأندلسي، أبي محمد عبد الحق بن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1413هـ - 1993م.

البروسوي، إسماعيل بن حقي، **تفسير روح البيان**، مكتبة المثنى، بغداد، (د.ط)، (د.ت).

البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود، **معالم التنزيل**، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك، ومروان سوار، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1406هـ- 1986م.

البقاعي، برهان الدين أبي الحسن ابراهيم، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ - 1995م.

بن الأثير، ضياء الدين، **المثل السائر**، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دار نهضة مصر، القاهرة، (د.ت)، (د.ط).

بن جعفر، قدامة، **نقد الشعر**، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1963م.

بن عاشور، محمد الطاهر، **تفسير التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، تونس، 1948م.

بن مالك، بدر الدين، **المصباح في علم المعاني والبيان والبديع**، القاهرة، 1341هـ.

البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، دار الجيل. بيروت، ط.ت.

التنوخي، محمد، **الأقصى القريب في علم البيان**، القاهرة، 1327هـ.

الثعالبي، **جواهر الحسان في تفسير القرآن**، دار الأعلمي، بيروت، (د.ت)، (د.ط).

الحاتمي، أبو علي محمد، **حلية المحاضرة في صناعة الشعر**، تحقيق: جعفر الكتاني، بغداد، 1979م.

الحلبي، شهب الدين محمود، **حسن التوسل إلى صناعة الترسل**، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، بغداد، 1400هـ - 1980م.

الحموي، أبو بكر علي بن حجة، **خزانة الأدب وغاية الأرب**، تحقيق: كوكب دياب، دار صادر، بيروت، ط1، 1421هـ - 2001م 240/2.

الخفاجي، ابن سنان، **سر الفصاحة**،

الخفاجي، القاضي شهاب الدين أحمد بن محمد، **عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1417هـ - 1977م.

الرازي، الإمام محمد فخر الدين بن ضياء الدين، **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ - 1990م.

الرزكشي، بدر الدين محمد، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، 1376هـ - 1967م.

الزمخشري، محمود عمر، **الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل**، تحقيق: مصطفى حسين احمد، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د.ت)، (د.ط).

السبكي، بهاء الدين، **عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح**، ضمن شروح التلخيص، القاهرة، 1937م.

السجلماسي، أبو محمد القاسم، **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**، تحقيق: علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، 1401هـ - 1980م.

السكاكي، أبي يعقوب يوسف، **مفتاح العلوم**، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2، 1407هـ - 1987م، ص 170. ؟ راجع هامش 104.

سيد قطب، **في ظلال القرآن**، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط1، (د.ت).

السيوطي، جلال الدين، **معترك الأقران**، تحقيق: علي البجاوي، القاهرة، 1393 هـ - 1973م.

الشنقيطي، محمد الأمين، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق: محمد الخالدي، مكتبة المعارف، الرباط، (د.ت)، (د.ط).

الشيخلي، بهجت، **بلاغة القرآن في الإعجاز**، المجلد الثامن، مكتبة دنديس، عمان، ط1، 1422هـ - 2001م.

الطبري، أبو صفر محمد بن جرير، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ت 310هـ تحقيق د. عبدالله التركي، دار علم الكتب، الرياض، ط1، 1424هـ، 306/20.

عز الدين، عبد العزيز بن عبد السلام، **تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الله الوهيبي، دار ابن حزم، ط1، 1416هـ - 1996م.

العسكري، أبو هلال الحسن، **كتاب الصناعتين**، تحقيق: علي محمد البجاوي وزميله، القاهرة، 1371هـ - 1952م.

العلوي، السيد يحيى بن حمزة، **الطراز المتضمن لأسرار البلاغة**، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

العمادي، أبي السعود محمد، **تفسير "إرشاد العقل السليم"**، دار المصحف، القاهرة، (د.ت) (د.ط) 7/ 273.

القاسمي، محمد جمال الدين، **محاسن التأويل**، ت 1332هـ، تحقيق: محمد فؤاد الباقي، دار الفكر، بيروت.

القرطاجني، أبو الحسن حازم، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب خوجة، تونس، 1966م.

القرطبي، أبي عبد الله، **تفسير الجامع لأحكام القرآن**، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، (د.ت) (د.ط).

القزويني، الخطيب، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد السعدي فرهود وزميليه، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1420هـ - 1999م.

القيرواني، ابن رشيق، **العمدة**، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.

الكلبي، محمد بن احمد ابن جزي، **كتاب التسهيل لعلوم التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت،

ط4، 1403هـ - 1983م.

الماوردي، أبي الحسن علي، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت)، (د.ط).

النسفي، أبي البركات عبدالله بن أحمد، **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، دار الفكر، بيروت.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد5 العدد 2، 2008، ص ص 453- 497

سياسات التكيف الهيكلي وأثرها على التنمية السياسية في الدول العربية "دراسة حالات مصر - اليمن – الجزائر – المغرب" في الفترة (1989 – 2003)

مسعود الربضي ومحمد الزعبي*

ملخص

هدفت هذه الدراسة الى توضيح العلاقة بين سياسات التكيف الهيكلي وعملية التنمية السياسية في مصر – اليمن – الجزائر – المغرب، في الفترة 1989 -2003، وبيان وتقييم هذه السياسات من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومدى تأثيرها على التقدم في عملية التنمية السياسية، من خلال بيان أثر سياسيات التكيف الهيكلي على مؤشرات التنمية السياسية، كمؤشرات، الديمقراطية، والاستقرار السياسي، والمشاركة السياسية، فقد توصلت الدراسة الى:

1- كان لسياسات التكيف الهيكلي تأثيراً سلبياً على مؤشر الديمقراطية من خلال تأثيرها على المؤشرات الفرعية للديمقراطية المتمثلة بحقوق الانسان السياسية والاجتماعية والاقتصادية .

2- ان لسياسات التكيف الهيكلي تأثيراً سلبياً على المؤثرات المشاركة السياسية في تلك الدول تمثل ذلك بتراجع عدد المشاركين بالتصويت بالانتخابات، وتزايد عدد الفقراء، وتراجع الطبقة الوسطى، وبالتالي اقتصار قدرة الترشيح للانتخابات على أفراد الطبقة الغنية.

3- كان لسياسة التكيف الهيكلي تأثيراً سلبياً على مؤشر الاستقرار السياسي في تلك الدول، وذلك بتزايد أعمال العنف الرسمي والشعبي وزيادة التظاهرات الاحتجاجية وكثرة التغيرات الحكومية والتعديلات الوزارية في الفترة التي اعقبت تنفيذ سياسات التطيف الهيكلي.

المقدمة

كانت مسألة التنمية بجميع جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية محل اهتمام العديد من الدول العربية بعد حصولها على استقلالها السياسي في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وكذلك كان اهتمام الدول الغربية بتحقيق تلك التنمية. وحيث أن هذه الدراسة تتناول التنمية السياسية في الدول العربية فان العديد منها ومنذ استقلالها بذل ولا زال يبذل جهودا في سبيل تحقيق تلك

* قسم العلوم السياسية، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

التنمية إلا ان هذه الجهود ظهرت بشكل اكبر في أعقاب انهيار المنظومة الاشتراكية بعد سقوط الاتحاد السوفييتي في نهاية الثمانينيات من القرن الماضي، وكذلك بسبب المتغيرات الدولية المتسارعة وظهور النظام العالمي الجديد أحادي القطبية، فسارعت العديد من الدول العربية الى التحول نحو النظام الديمقراطي القائم على النمط الديمقراطي الليبرالي الغربي وتعبئة المواطنين نحو المشاركة السياسية ليسهموا في تحقيق التنمية السياسية في بلدانهم. لكن هذه التحولات السياسية جاءت في ظل أزمات اقتصادية بسبب ارتفاع حجم مديونياتها الخارجية الأمر الذي حتم على تلك الدول اللجوء الى صندوق النقد والبنك الدوليين اللذين بدورهما فرضا على تلك الدول سياسات اقتصادية عرفت بسياسات التكيف الهيكلي، وبما ان هذه السياسيات ترافقت مع بناء عملية التنمية السياسية في العديد من الدول العربية فكان من الاهمية دراسة اثر هذه السياسات على عملية التنمية السياسية في العديد من الدول العربية.

المشكلة البحثية

نظرا لوجود علاقة ما بين التنمية الاقتصادية وبناء عملية التنمية السياسية أقحمت العديد من الدول العربية نفسها أو نتيجة لضغوطات خارجية بالتوجه نحو إحداث تنمية سياسية في الوقت الذي كانت فيه اقتصاديات العديد من الدول العربية تتعرض لأزمات متتالية منذ بدايات الثمانينات من القرن الماضي ورغم أنها كانت تقوم بتطبيق سياسات التكيف الهيكلي للخروج من تلك ألازمات وإحداث تنمية اقتصادية تساهم في بناء عملية التنمية السياسية إلا انه ربما كان لنتائج تطبيق هذه السياسات أثرا في بناء عملية التنمية السياسية وبذلك تتمثل المشكلة البحثية بالسؤال التالي:

هل كان لتطبيق سياسات التكيف الهيكلي تأثيرا على عملية التنمية السياسية في الدول العربية؟

ويرتبط بهذا السؤال، السؤالين الفرعيين التاليين:

1- ماهي الآثار الناتجة عن تطبيق سياسات التكيف الهيكلي ولها دور في تقدم أو إعاقة عملية التنمية السياسية؟

2- كيف تؤثر هذه النتائج على عملية التنمية السياسية؟

محددات الدراسة

1- المحددات الزمانية

هذه الدراسة ستغطي الفترة من عام 1989 – 2003 فقد كان عام 1989 بداية تحول العديد من الدول العربية الى النظام الديمقراطي الغربي كمؤشر على بداية بناء عملية التنمية

السياسية وانهيار النظام الاشتراكي وكذلك كان العديد من الدول العربية تقوم بتنفيذ سياسات التكيف الهيكلي وعام 2003 أي بعد مرور أربعة عشر عاما على الاستمرار في بناء عملية التنمية السياسية وتطبيق سياسات التكيف لمعرفة ما جرى من تقدم في التنمية السياسية المراافقة لسياسات التكيف الهيكلي.

2- المحددات المكانية

أما المحددات المكانية فهي أربعة دول عربية هي الجزائر، المغرب، اليمن، ومصر وقد تم اختيار هذه الدول لوجود صفات مشتركة بينها، فمن الناحية الاقتصادية اعتمادها على المساعدات الخارجية وارتفاع حجم مديونيتها الخارجية وتقوم بتطبيق سياسات التكيف الهيكلي ومن الناحية السياسية تحولت الى الديمقراطية الغربية بعد انهيار النظام الاشتراكي كمؤشر لعملية التنمية السياسية.

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

1. توضيح العلاقة بين سياسات التكيف الهيكلي وعملية التنمية السياسية.
2. بيان وتقييم هذه السياسات من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية من حيث آثارها ومدى تأثيرها على التقدم في عملية التنمية السياسية.
3. توضيح فيما اذا كانت الدول العربية قادرة على التقدم في عملية التنمية السياسية في ظل ظروف اقتصادية غير مستقرة.
4. بيان فيما اذا كان هناك تقدم في بناء عملية التنمية السياسية في الدول العربية خلال فترة الدراسة.

فرضية الدراسة

تحاول الدراسة التأكد من صحتة أو نفي الفرضية التالية:

أدت سياسات التكيف الهيكلي التي تم تطبيقها في الدول العربية الى إعاقة التقدم في عملية التنمية السياسية.

وبمعنى آخر يؤدي تطبيق هذه السياسات إلى ظهور آثار سلبية تساهم بدورها في إعاقة تحقيق التنمية السياسية في الدول العربية.

وتتضمن هذه الفرضية متغيرين اثنين:

- المتغير الأول: المتغير المستقل، وهو سياسات التكيف الهيكلي.

- المتغير الثاني: المتغير التابع. التنمية السياسية.

أما علاقة المتغيرين ببعضهما فهي علاقة سببية واتجاه العلاقة بينهما علاقة عكسية، أما طبيعة واتجاه العلاقة بينهما فهي علاقة سببية سالبة.

وبما أن الدراسة ستتبنى ثلاثة مؤشرات للتنمية السياسية هي: المشاركة السياسية والديمقراطية والاستقرار السياسي، فإن فرضية الدراسة البحثية سينبثق عنها ثلاث فرضيات فرعية، هي:

- أدى تطبيق سياسات التكيف الهيكلي الى إعاقة بناء الديمقراطية في الدول العربية.

- ساهمت سياسات التكيف الهيكلي في تدني معدلات المشاركة السياسية في الدول العربية.

- نتج عن تطبيق سياسات التكيف الهيكلي حالة من عدم الاستقرار السياسي في الدول العربية.

أهمية الدراسة

تتضمن هذه الدراسة أهمية علمية وأهمية عملية.

أ- الأهمية العلمية

تتمثل هذه الأهمية، في إضافة معرفة جديدة إلى الدراسات السابقة التي تناولت موضوع سياسات التكيف الهيكلي، والتنمية السياسية في الدول العربية، التي ربما يكون قد شابها النقص، وكذلك ربما تسهم هذه الدراسة بسد النقص الحاصل في الدراسات التي تتعلق بسياسات التكيف الهيكلي، والتنمية السياسية في الوطن العربي.

ب- الأهمية العملية

بما أن هذه السياسات تقدم على أنها النموذج الأمثل القادر على تحقيق النمو والاستقرار الاقتصاديين من قبل صندوق النقد والبنك الدوليين، وأن هناك علاقة ما بين التنمية الاقتصادية والتنمية السياسية، فتحديد هذه العلاقة قد يقدم مؤشرا حول إمكانية تعزيز هذه السياسات في حال نجاحها بتحقيق أهدافها أو العكس في إضعاف هذه الفرص من خلال اتجاه تأثيرها على التنمية السياسية.

مبررات اختيار موضوع الدراسة.

يرجع اختيار هذا الموضوع كمجال للدراسة الى عدد من الأمور من أهمها:

- بعد انهيار النظام الاشتراكي في نهاية عام 1989 وبداية الإعلان عن نظام عالمي جديد أحادي القطبية اتجهت العديد من الدول العربية كغيرها من دول العالم النامي الى التحول الى النظام الديمقراطي كمؤشر أولي الى إحداث تنمية سياسية في الوقت الذي كانت فيه مجموعة من هذه الدول تعاني من أزمة اقتصادية خانقة بسبب ارتفاع حجم مديونيتها الخارجية والمجموعة الأخرى على حافة الانهيار الاقتصادي مما أدى الى أن تقوم هذه الدول بتنفيذ سياسات اقتصادية مفروضة عليها من قبل صندوق النقد والبنك الدوليين، وبما ان العلاقة بين التنمية الاقتصادية والتنمية السياسية علاقة ترابطية فقد تم اختيار هذا الموضوع لمعرفة تأثير سياسات التكيف الهيكلي على إحداث التنمية السياسية في الدول العربية.

- أثارت هذه السياسات الجدل بين الباحثين من حيث نتائجها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فمنهم من كان مؤيدا لهذه السياسات ووصفت من قبل واضعيها بأنها النموذج الأمثل لتحقيق الاستقرار والنمو الاقتصاديين وان آثارها الاجتماعية والسياسية محدودة، في حين ان الاتجاه المعارض لهذه السياسيات برر معارضته لها بأنه سينتج عن هذه السياسات نتائج اجتماعية سلبية تؤثر على حياة المواطنين في الدول التي ستطبقها وخاصة أنها تتطلب القيام بإجراءات اقتصادية صارمة وإعادة هيكلة الاقتصاد الوطني، ولذلك تم اختيار هذا الموضوع لتوضيح حقيقة هذه السياسيات ونتائجها وعلاقة هذه النتائج بالتنمية السياسية.

منهجية الدراسة

ستقوم الدراسة باستخدام منهج تحليل النظم من خلال نموذج ديفيد إيستون الذي ركز في تحليله للنظام على الجانب الذي يتعلق بقدرة النظام على الاستجابة لضغوط البيئة والمؤثرات الخارجية ويطلق على هذه الضغوط بالمطالب والحاجات والتي ربما قد تنبع من الخارج أو البيئة الخارجية للنظام وتتوقف طبيعة السياسات أو القرارات التي يتوصل إليها النظام عند استجابته لتلك الضغوط والمطالب على ما يتاح له من الموارد المساندة، واعتبر هذا النموذج أن النظام السياسي عبارة عن دائرة متكاملة طابعها ديناميكي تبدأ بالمدخلات وتنتهي بالمخرجات وأن عملية التغذية الراجعة تقوم بالربط بين المدخلات والمخرجات وبناء على هذا النموذج فإن العملية الإجرائية تتمثل في اعتبار سياسات التكيف الهيكلي من المؤثرات الخارجية التي قد تكون مساندة لتحقيق عملية التنمية السياسية عند قياس مؤشراتها كما أن تحقيق التنمية السياسية هي من المؤثرات الخارجية والداخلية، أما المخرجات فتتوقف على مدى قدرة النظام واستجابته للشروط والمطالب التي يتعرض لها وهذا يعني أن العملية الديمقراطية والاستقرار السياسي والتوسع في عملية المشاركة السياسية وترسيخها تعكس مدى استجابة النظام السياسي لتلك المطالب والضغوط التي تقع عليه من الداخل والخارج.

الدراسات السابقة

هناك العديد من الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع والتي لا نستطيع ذكرها جميعاً بالبحث استجابة لشروط النشر وأهم هذه الدراسات:

1- دراسة رمزي زكي، الليبرالية المستبدة، دراسة في الآثار الاجتماعية والسياسية لبرامج التكيف في الدول النامية 1993.

توضح الدراسة أن برامج التصحيح انما تمثل أول مشروع اممي راسمالي لإعادة دمج الدول النامية في الاقتصاد الرأسمالي من موقع ضعيف، ويرى زكي أنها قد أثرت سلبياً على طبيعة الدولة وتحالفاتها، وعلى الطبقات والشرائح الاجتماعية المختلفة، ان سياسات التكيف الهيكلي تمثل الآلية لإعادة غزو الدول النامية حيث أن هذه الآلية تُمكن الدول الرأسمالية من إضعاف جهاز الدولة وتحالفاتها.

2- دراسة الطاهرة السيد محمد حمية، سياسات التكيف الاقنصادي المدعمة بالصندوق أو خارجه، 2002 م.

تبحث في مفهوم التكيف الاقتصادي، وسياسات التكيف الهيكلي وآثار تطبيق هذه السياسات على الدول النامية، واشارات الى قصور تلك السياسات في تحقيق الأهداف المرجوه منها، وما نتج عنها من آثار اجتماعية سلبية تمثلت في زيادة الفقر والبطالة في الدولة التي تبنت هذه السياسات.

الفصل الأول: تحديد المفاهيم والمصطلحات

في كل دراسة من الدراسات التي يقوم بها الباحث في العلوم الاجتماعية يبرز لديه عدد من المفاهيم الأساسية ضمن متغيرات الدراسة، وفي هذه الدراسة برز هناك مفهومان أساسيان هما سياسات التكيف الهيكلي والتنمية السياسية، وعند بروز مثل هذه المفاهيم لا بد للباحث أن يقوم بتعريفهما نظريا وإجرائيا وعليه سندرس في هذا الفصل تعريف تلك المفاهيم من الناحية النظرية ومن الناحية الإجرائية من خلال مبحثين خصص المبحث الأول لتعريف سياسات التكيف الهيكلي و المبحث الثاني لتعريف التنمية السياسية.

المبحث الأول: سياسات التكيف الهيكلي

عند الحديث عن سياسات التكيف الهيكلي التي يتم تنفيذها في غالبية الدول النامية لا بد من التمييز بين هذا المفهوم والمفاهيم الأخرى التي ترتبط به وأهمها مفهوم التثبيت الاقتصادي حتى نصل الى تعريف دقيق لمفهوم سياسات التكيف الهيكلي نظريا وإجرائيا. وهو ما سندرسه في مطلبين أساسيين:

المطلب الأول: برامج التثبيت الاقتصادي

تستند برامج التثبيت الاقتصادي المصممة من قبل صندوق النقد الدولي على النظرية النيوكلاسيكية لميزان المدفوعات، انطلاقا من تحليل الصلة القائمة بين تراكم الديون ومشكلاتها والتكييفات اللازمة التي يتعين تنفيذها داخل الاقتصاد الوطني لتصحيح الاختلال في ميزان المدفوعات(1)، ويتبنى وجهة نظر النقديين التي ترى أن العجز في ميزان المدفوعات يرجع إلى الزيادة في الطلب الكلي مقابل العرض الكلي، وأن عدم الكفاءة في إدارة الطلب هي التي أدت إلى ارتفاع مستويات الأسعار وازدياد عجز الموازنة العامة واتجاه الموارد الاقتصادية لاستخدامات غير منتجة، وأثر ذلك كله على حوافز الإنتاج. مما أضعف القدرة الإنتاجية وزاد من حجم الاقتراض الخارجي(2)، ووفقا لسياسات التثبيت أو ما يطلق عليها سياسات الطلب الكلي ولتتوافق مع الأهداف العامة في مجال الاستثمار والنمو الاقتصادي، هناك مجموعة من الإجراءات لا بد من اتخاذها بهدف تقليل معدل التضخم وتقليل العجز في الموازنة العامة للدولة ومعالجة ميزان المدفوعات وذلك في الأجل القصير.

وأهم هذه الإجراءات:

1- الإجراءات الخاصة بالموازنة العامة للدولة، وتتضمن(3):

- تخفيض كبير في النفقات الحكومية ذات الطابع الاجتماعي وخاصة ما يتعلق بالدعم التمويني عن طريق إلغاء الدعم عن هذه السلع.
- زيادة أسعار الطاقة وأسعار الخدمات الحكومية ومنتجات القطاع العام.
- الحد من الائتمان المصرفي الممنوح للقطاع العام والحكومة ووضع حدود قصوى لا يمكن تجاوزها.
- عدم الالتزام بتعيين موظفين جدد في القطاع الحكومي.
- تخفيض الإنفاق الاستثماري بعدم الدخول في مجالات الاستثمار التي يمكن للقطاع الخاص وخاصة الأجنبي القيام بها.
- زيادة إيرادات الدولة من الضرائب غير المباشرة وتجميد الأجور.
- التخلص من القطاع العام من خلال تصفيته أو بيعه للقطاع الخاص أو إدارته من قبل شركات خاصة

2- الإجراءات الخاصة بميزان المدفوعات: وهي إجراءات وسياسات تهدف إلى زيادة قدرة الدولة في الحصول على العملات الأجنبية وأهمها[4]:

- زيادة الصادرات.

- تقليل الواردات.

3- الإجراءات المتعلقة بالسياسة النقدية: وتهدف إلى ضبط نمو عرض النقود ضبطا محكما، لأن فائض الطلب المسبب للتضخم يرافقه إفراط في السيولة المحلية، وعادة ما تتضمن برامج التثبيت سياسات نقدية صارمة وأهمها[5]:

_ زيادة أسعار الفائدة المدينة والدائنة لزيادة الادخار المحلي.

- ترشيد استخدام رأس المال بزيادة كلفة الاقتراض.

- وضع حدود عليا للائتمان المصرفي وتنمية أسواق رأس المال.

- تحرير التعامل في الأسواق المالية.

المطلب الثاني: سياسات التكيف الهيكلي.

هذه السياسات يشرف عليها البنك الدولي ويستخدم مصطلح التكيف الهيكلي على برامجه التي تستهدف تطبيق السياسات الرامية إلى إدخال تغييرات في الموازنات الداخلية والخارجية (الموازنة العامة وميزان المدفوعات) وتغييرات في هيكل الحوافز والمؤسسات أو كليهما[6] انطلاقا من النظرية النيوكلاسيكية في تخصيص الموارد باستخدام آليات السوق وعدم التدخل الحكومي لتبرير وجهة نظره في التكييفات المطلوبة في مجال السياسة الكلية التي يتوجب الأخذ بها لرفع كفاءة الموارد الاقتصادية وتخصيصها وإمكانية النمو وزيادة المرونة في مقاومة الصدمات الخارجية المؤثرة في جانب العرض، فالبنك الدولي معني بمشكلات الأجل المتوسوالطويل[7].

فسياسات التكيف الهيكلي لا تختلف في جوهرها وأهدافها عن برامج التثبيت إلى الحد الذي يصعب التمييز بينهما. فالسياسات القصيرة المدى المطلوبة من صندوق النقد الدولي تتكامل عضويا مع سياسات التكيف طويلة المدى التي يقدمها البنك الدولي الذي يضع إطارا زمنيا من (3-5) سنوات للأهداف التي يجب تحقيقها[8].

فالإجراءات التي تتضمنها سياسات التكيف تغطي السياسات الاقتصادية الكلية والقطاعية، إضافة إلى ما يدعوه البنك من إجراءات الإصلاح المؤسسي التي تشمل قطاعات واسعة من القضايا كقضايا التكنولوجيا والإدارة والمالية المتعلقة بالمشروعات إلى جانب القضايا المتعلقة

بالادخار والاستثمار والموازنة العامة. فالبنك الدولي من خلال سياسات التكيف الهيكلي يشترط تحقيق الأهداف التالية [9]:

- تحرير الأسعار، بما في ذلك إلغاء الدعم للسلع التموينية.
- نقل الملكية العامة إلى القطاع الخاص. (الخصخصة) التي تعتبر ركنا أساسيا من مكونات الإصلاح الاقتصادي.
- حرية التجارة والتحول نحو التصدير.

ويتفرع عن ذلك مجموعة من السياسات الهامة مثل[10]:

- تخفيض سعر صرف العملة المحلية وإلغاء القيود على المعاملات الخارجية. وهو ما يعني إزالة الرقابة عن النقد الأجنبي وتحرير سعر الصرف وعدم التدخل في تحديد قيمة العملة الوطنية وتركها تحدد وفقا للعرض والطلب.
- إحلال الرسوم الجمركية مكان القيود الكمية.
- خفض الرسوم على الواردات.
- التخلي عن حماية الصناعات الوطنية.
- إلغاء الاتفاقيات الثنائية الخاصة بالمعاملات التجارية والاقتصادية.
- السماح بتمثيل الوكالات الأجنبية.

ومن خلال ما سبق فإنه من الناحية النظرية يمكن التمييز بين سياسات التكيف الهيكلي و سياسات الاستقرار أو التثبيت الاقتصادي من عدة نواحي:

- من ناحية الإشراف، فإن صندوق النقد هو الجهة المسؤولة عن وضع سياسات التثبيت والإشراف على تنفيذها. بينما سياسات التكيف الهيكلي فإن صندوق النقد الدولي يتولى هذه المسؤولية بالاشتراك مع البنك الدولي.
- من ناحية الفترة الزمنية فإن سياسات التثبيت مرتبطة بفترة قصيرة إلى متوسطة (1-5 سنوات)، أما سياسات التكيف فتصل لفترة متوسطة إلى طويلة (3- 10 سنوات)
- من ناحية الأهداف. فسياسات التثبيت الاقتصادي تهدف إلى تحقيق التوازن في ميزان المدفوعات والموازنة العامة للدولة وخلق حالة التوازن بين العرض والطلب، في حين أن

سياسات التكيف الهيكلي تهدف إضافة إلى ما تهدف إليه سياسات التثبيت تحقيق نمو اقتصادي حقيقي ومستمر من خلال تعديل هيكل الاقتصاد الوطني.

وبالتالي تعرف سياسات التثبيت الاقتصادي على أنها: مجموعة السياسات والإجراءات التي يدعمها صندوق النقد الدولي التي تشمل سياسات مالية ونقدية خاصة ومؤثرة في جانب الطلب بهدف تحقيق الاستقرار الاقتصادي. أما سياسات التكيف الهيكلي فهي موصى بها من قبل البنك الدولي وتنفذ تحت إشرافه. ومما سبق نستطيع أن نعرف سياسات التكيف الهيكلي على أنها مجموعة الإجراءات التي تقوم بها الدولة التي تتبنى هذه السياسات، والموصى بها والمفروضة عليها من قبل صندوق النقد والبنك الدوليين المستندة إلى المبادئ الليبرالية الاقتصادية الجديدة بهدف الوصول باقتصاد الدولة إلى حالة الاستقرار وتحقيق نمو اقتصادي مستمر وتجنب الآثار السلبية على الاقتصاد من خلال إجراء التعديلات اللازمة على هيكل الاقتصاد[11]. اما من وجهة نظر الباحث فان سياسات التكيف هي عبارة عن مجموعة الإجراءات الاقتصادية أو البرامج التي يفرضها البنك الدولي على الدول المدينة لتغيير مسارها الاقتصادي بهدف الوصول إلى حالة من الاستقرار الاقتصادي وتحقيق نمو اقتصادي مستمر، والحد من الاختلالات المالية والنقدية الداخلية والخارجية.

اما إجرائيا فتعرف سياسات التكيف الهيكلي من خلال مجموعة الإجراءات التي يطلبها البنك الدولي وصندوق النقد الدولي من الدول القيام بها عند البدء بتنفيذ هذه السياسات وهذه الإجراءات هي:

أ. تقليص النفقات العامة من خلال مجموعة من الإجراءات التي تقوم بها الدولة مثل خفض النفقات الموجهة إلى الخدمات الاجتماعية ورفع الدعم عن السلع الأساسية والاستغناء عن عدد من الموظفين في القطاع العام ووقف التعيينات.

ب. تخفيض سعر صرف العملة

ج. زيادة الصادرات وتخفيض الواردات

د. تحرير التجارة وإلغاء الحماية للصناعة الوطنية

هـ. تخفيض الأجور

و. الخصخصة

المبحث الثاني: مفهوم التنمية السياسية

نظرا لحداثة مفهوم التنمية السياسية فلا زال هناك اختلافات كبيرة بين الباحثين حول هذا المفهوم الذي انتقل من حقل الاقتصاد إلى الحقل السياسي في بداية الستينيات من القرن الماضي وقد اختلفت هذه التعريفات وتباينت حسب المدارس الفكرية السياسية للمفكرين والباحثين، ولا زال يختلط ويتداخل مع عدد من المفاهيم التي ترتبط به او قريبة منه مثل مفهوم التحديث السياسي والتطوير السياسي والإصلاح السياسي، ونظرا لعدم توصل الباحثين الى تعريف نظري لمفهوم التنمية السياسية لا بد لنا من ذكر عدد من التعريفات النظرية التي توصل إليها الباحثون في مجال العلوم الاجتماعية لمفهوم التنمية السياسية ومعرفة ما اتفق عليه هؤلاء الباحثون للوصول الى تعريف إجرائي يمكننا من فهم مفهوم التنمية السياسية. فبعد ظهوره كحقل منفرد أطلقه البعض لوصف عملية بناء الأمة وبناء الدولة في الدول التي تحررت ونالت استقلالها من الحكم الاستعماري في إفريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية، وظهر كحقل منفرد يسعى لتحقيق نقلة نوعية لتطوير الدول غير الأوروبية من خلال تطبيق النموذج الغربي للتنمية السياسية المبني على أساس الديمقراطية الليبرالية الرأسمالية(12)، وهو النموذج الذي أدى إلى نجاح الدول الأوروبية في بناء وتطوير أنظمتها الديمقراطية ومؤسساتها السياسية وتعزيز أجهزتها الحكومية المتخصصة والأنظمة التعليمية المتقدمة والأحزاب السياسية وإحداث قنوات واسعة ومتعددة لاستيعاب المشاركة السياسية(13).

وكما ذكرنا سابقا لقد تعددت التعريفات لتحديد مفهوم التنمية السياسية وتباينت حسب المدارس الفكرية وبين الباحثين والأكاديميين ولذلك سنعرض في هذه الدراسة أهم التعريفات التي ظهرت وأهمها:

- في إطار الجهود المسحية لتحديد مفهوم التنمية السياسية قدم روبرت باكنهام تصنيفا يتضمن خمسة اقترابات لدراسات التنمية السياسية حتى عام 1963 وهي(14):
- الاقتراب القانوني الرسمي. بمعنى أن التنمية السياسية ضمن الدستور الرسمي الذي يوصف ملامح الحماية المتساوية في ظل القانون والانتخابات وفصل السلطات.
- الاقتراب الاقتصادي. ويعني أن التنمية السياسية مساوية للتنمية الاقتصادية.
- الاقتراب الإداري. وينظر للتنمية السياسية على أنها القدرة الإدارية على حفظ القانون وأداء وظائف المخرجات الحكومية بطريقة رشيدة ومحايدة.

- اقتراب النظام الاجتماعي. ويقوم على أساس ان فكرة التنمية السياسية تسهل المشاركة الشعبية في العمليات السياسية وتخطي الانشقاقات الإقليمية واللغوية والطائفية والقبلية.

- اقتراب الثقافة السياسية. بمعنى ان التنمية السياسية تتمثل في مجموعة من الخصائص الاتجاهية والشخصية التي تمكن الأفراد من قبول الامتيازات وتحمل المسؤوليات النابعة من العملية السياسية الديمقراطية.

أما لوسيان بأي فقد قدم عام 1965 عشرة تعريفات للتنمية السياسية عكست الخصائص التي تتصف بها الأنظمة السياسية في المجتمعات الغربية الديمقراطية التي تحققت فيها التنمية السياسية في ظل ظروف

مختلفة تماما عن ظروف وواقع مجتمعات وبلدان العالم الثالث و هي[15]:

1 - أنها تمثل مطلبا أساسيا لتحقيق التنمية الاقتصادية.

2 - تبني سياسات المجتمعات الصناعية الغربية.

3 - التحديث السياسي.

4 - فعالية الدولة القومية.

5 - التنمية الإدارية والقانونية.

6 - المشاركة والتعبئة الجماهيرية.

7 - بناء الديمقراطية.

8 - الاستقرار والتغيير المنضبط.

9 - التعبئة والقوة.

10 - انها تمثل احد ابعاد التغيير الاجتماعي

أما لجنة الدراسات السياسية المقارنة التابعة لمجلس العلوم الاجتماعية الأمريكية فقد حددت التنمية السياسة بثلاثة أبعاد هي[16].

أ- خلق روح المساواة التي تؤدي إلى مزيد من المشاركة في صنع القرار السياسي و المزيد من الديمقراطية.

ب- الاقتدار السياسي، الذي يعني خلق نظام سياسي قادر على اتخاذ قرارات فعالة وقادر على التأثير الفعال في الاقتصاد والمجتمع.

ج- تباين وتخصص النظم السياسية. وهذا يعني أن يكون للمؤسسات السياسية وظائف واضحة ومحددة وان تكون الأدوار السياسية متخصصة.

وفي عقد السبعينيات انتقلت أدبيات التنمية السياسية من التركيز على الديمقراطية إلى التأكيد على النظام العام، نتيجة التطورات السياسية في دول العالم الثالث التي كشفت عجز الأنظمة السياسية عن الاحتفاظ بقدرتها على أن تحكم أو محاكاة النمط الغربي(17)، ويعتبر صموئيل هانتنجتون من ابرز المعبرين عن هذا التحول وقد وضع ثلاثة أبعاد للتنمية السياسية هي(18):

1- **ترشيد السلطة.** بمعنى تحقيق سيادة القانون على جميع الطبقات والفئات الإجتماعية بغض النظر عن الاختلافات العرقية أو المذهبية أو الطائفية، وبهذا تصطبغ السلطة بطابع علماني وتنفصل السلطة عن شخصية الحاكم و أن لا يمارس الحكم بشكل فردي وإنما يتم من خلال مؤسسات دستورية.

2- **تباين الوظائف السياسية.** بمعنى عدم احتكار السلطة، والفصل بين السلطات وتعدد الأحزاب وجماعات المصالح والضغط، وهذا يعني تعدد المؤسسات الدستورية والقانونية التي يتم من خلالها اتخاذ وتقييم القرارات السياسية.

3- **المشاركة السياسية.** ويقصد بها أن تكون القرارات العليا تعبيرا عن الإجماع الشعبي، ولإستحالة اجتماع الجماهير لتدبر أمورهم بالشكل الديمقراطي وفق نموذج الديمقراطية اليونانية وهو ما تطلب ظهور التمثيل النيابي ونظام الانتخاب.

أما شيلكوت فيرى أن جوهر التنمية السياسية يتمركز حول تزايد معدلات تباين الأبنية وتخصصها في إطار علمانية الثقافة السياسية إلى جانب انتهاج نظام تعددي مع النهج الغربي الذي يحرص على التمسك بما يعادل الديمقراطيات الليبرالية من توسيع لنطاق المشاركة والمنافسة مع ترسيخ لمفهوم الولاء للدولة القومية(19).

ويرى أسامة الغزالي حرب أن مفهوم التنمية السياسية يتمثل في مفاهيم المساواة والتمايز والقدرة.

فالمساواة أن تسود المجتمع قواعد ونظم قانونية تنطبق على الجميع.

والتمايز يشير إلى التخصص والفصل بين الأدوار.

أما القدرة فتعني قدرة النظام السياسي على الاستجابة للمطالب الشعبية بالمشاركة والعدالة[20].

أما المفكرون الاشتراكيون فقد مالوا في تحليلاتهم للتنمية السياسية للفكر الماركسي، وربطوا بين مفهوم التقدم وقضايا التحرر الاقتصادي والسياسي في مقابل مفهوم التنمية السياسية في الفكر الليبرالي الغربي، وأكد هؤلاء المفكرون على قيمة المساواة والعدالة الاجتماعية التي تأخذ الدولة على عاتقها الالتزام بتحقيقها طبقا للنموذج الاشتراكي، ويروا بأن التغير في المجتمع يحدث من خلال ما يسمى بالتطور التلقائي، فيكون هناك قدر من التطور الكمي يشهده النظام، ويكون تلقائيا أو أن يحدث التغيير من خلال أسلوب الثورة ومن خلالها يرتقي نمو المجتمع إلى المرحلة التالية في ظل تجدد الصراع بين كل من قوى الإنتاج وعلاقات الإنتاج[21].

ومن خلال ما يمكننا القول أن التنمية السياسة، تعني إحداث عمليات سياسية مستمرة داخل المجتمع تهدف إلى ترسيخ مجموعة القيم السياسية التي ترقى به وبأفراده من حالة التخلف السياسي إلى حالة العصرنة والحداثة وذلك عن طريق تحقيق الديمقراطية وزيادة معدلات المشاركة السياسية وتحقيق المواطنة ورفع كفاءة المؤسسات السياسية وتحقيق التكامل والاستقرار السياسي داخل الدولة وإضفاء الشرعية على السلطة من خلال إقامة علاقات سلمية متبادلة بين الحكام والمحكومين.

وبالإستناد الى التعريفات النظرية لمفهوم التنمية السياسية، يمكننا تعريف التنمية السياسية اجرائيا من خلال عدد من المؤشرات التي اتفق عليها عدد من الباحثين والأكاديميين وهي:

- **بناء الدولة القومية**: ويقصد بذلك تشكيل البناء الفوقي للدولة بإقامة مجموعة من المؤسسات القادرة على الوفاء بالالتزامات الخارجية ومساندتها وتعبئة الموارد اللازمة للمشروعات العامة، و ان تكون هذه الدولة قادرة على المباشرة في الوظائف السياسية لانتظام الحياة السياسية فيها. إضافة الى ذلك أن يكون لهذه الدولة سلطة مركزية ذو اختصاصات واسعة لا ينافسها في إدارة السلطات المحلية أية سلطة أخرى وكذلك ان تحدد هذه الدولة مفهوم المواطنة دون النظر الى الدين والعرق واللغة وتأكيد قيم المساواة بين جميع عناصر الأمة، وفضلا عن ذلك ان يكون هناك نموا للقدرة التنظيمية للدولة وتوسع اختصاصاتها وتعاظم الدور الذي تقوم به الأجهزة البيروقراطية للقيام بالوظائف المنوطة بالحكومة المركزية في كافة أنحاء المجتمع[22].

- **التكامل السياسي:** ويقصد بذلك تنظيم العلاقات السياسية والاقتصادية ما بين النظام الحاكم والمحكومين من خلال الايدويولوجيات التي يتبناها كل طرف سواء كانت هذه الإيديولوجيات مساندة للنظام او مناهضة له[23].

- **الاستقرار السياسي:** ويقصد به مقدرة النظام السياسي على الاستمرار وعدم التعرض للتغيير باستخدام العنف، ومقدرته على التكيف مع المتغيرات في البيئة المحيطة. ويعرف الاستقرار السياسي كذلك على أنه قدرة النظام على التعامل مع الأزمات التي تواجهه بنجاح وإدارة الصراعات القائمة داخل المجتمع بشكل يستطيع من خلاله أن يحافظ عليها في دائرة تمكنه من السيطرة والتحكم بها ويكون ذلك مصحوباً بعدم استخدام العنف السياسي من جهة وتزايد شرعيه وكفاءة النظام من جهة أخرى وتتمثل أهم عناصره في[24].

- الاستقرار الحكومي. - اللجوء إلى القواعد الدستورية في حل الصراعات. - قدرة النظام على إدارة الصراعات في المجتمع. - عدم اللجوء إلى العنف. - شرعية النظام. - التكامل السياسي. - قدرة النظام على الاستجابة للمطالب الداخلية والخارجية.

- **بناء الديمقراطية:** وهنا نتحدث عن الديمقراطية السياسية الليبرالية الذي يشير إلى التطبيق الحقيقي لفكرة الديمقراطية التي تعني حكم الشعب، ويقوم هذا النمط من الحكم على مبدأ التوازن بحيث يتم تقييد حكم الأغلبية بمجموعة من الضوابط والمحددات الدستورية تضمن وجود حكومات مقيدة من ناحية، كما ويقوم حكم هذه الأغلبية على مبدأ الاعتراف بحقوق الأفراد والأقليات من ناحية أخرى[25]، وهذا يعني وجود حكومة دستورية، بالإضافة إلى ذلك أن حكم الأغلبية يتضمن وجود العديد من جماعات المصالح التي تعمل إلى جانب الحكومة، وتدخل في عمليات تساومية إزاء السياسات الحكومية المقترحة والتي تمس مصالحها.

ومن وجهة نظر شامبتر فإن الديمقراطية عملية تحصل من خلالها النخبة على سلطة اتخاذ القرار عن طريق التنافس من اجل الفوز بأصوات الناخبين، فجوهر الديمقراطية يكمن في المنافسة الحرة من اجل الفوز بالسلطة عن طريق

الانتخاب[26]. أما روبرت دال فيرى أن الديمقراطية هي عملية فذة لاتخاذ القرارات الجماعية الملزمة على اعتبار أنها في المقام الأول نظاما يتم التوصل فيه إلى القرارات الجماعية الملزمة لجماعة عن طريق ضمان حق أفرادها في المشاركة الفعالة بشكل مباشر أو غير مباشر في اتخاذ القرارات الملزمة لهم، والجماعة الديمقراطية وفق هذا المفهوم يمكن أن تكون دولة أو جمعية أو حزب أو منظمة أهلية[27]، فالديمقراطية الليبرالية بمعناها الواسع هي مشاركة الشعب في اتخاذ

القرار، ومراقبة تنفيذه، والمحاسبة على نتائجه، وقد تبلورت من خلال الممارسة لمجموعة من المقومات الأساسية التي لا يمكن بدون توافرها تحقيق الديمقراطية السياسية الليبرالية وهي: إقرار مبدأ سيادة القانون، ودولة المؤسسات، وفصل السلطات. - والاعتراف بمجموعة الحريات العامة وحقوق الإنسان كأساس لمجتمع مدني وإعلام حر، وحرية تكوين الأحزاب السياسية والمنظمات النقابية وحرية الرأي والاعتقاد والاجتماع. - الاعتماد علي مبدأ الانتخاب العام لعناصر السلطة التشريعية والتنفيذية كأساس لتداول السلطة من خلال انتخابات دورية حرة تجسد نتائجها بصدق إرادة الناخبين. - الاعتراف بالتعددية السياسية والحزبية بكل ما يترتب عليها من نتائج. ومن هنا لا بد ان تبنى المؤسسات الديمقراطية التي تسمح بدخول شرائح واسعة من السكان في العملية السياسية.

- **المشاركة السياسية**: يشير المفهوم العام والبسيط للمشاركة السياسية الى المشاركة الإرادية والاختيارية لأعداد كبيرة من الأفراد والجماعات في الحياة السياسية[28]، وهي تعني، عند صومائيل هاتنجتون وجون نلسون، ذلك النشاط الذي يقوم به المواطنون العاديون بقصد التأثير في عملية صنع القرار الحكومي، سواء أكان هذا النشاط فردياً أم جماعياً، منظماً أم عفوياً، متواصلاً أو متقطعاً، سلمياً أم عنيفاً، شرعياً أم غير شرعي، فعالاً أم غير فعال[29]. والمعنى الأكثر شيوعاً لمفهوم المشاركة السياسية هو قدرة المواطنين على التعبير العلني والتأثير في اتخاذ القرارات سواء بشكل مباشر أو عن طريق ممثلين يفعلون ذلك[30]، وتفترض المشاركة السياسية أن تكون هناك قنوات يتمكن الناس من خلالها من التأثير في اتخاذ القرارات التي تمس حياتهم، فالعلاقة بين الدولة والمجتمع يجب أن تقوم على قدر كبير من المشاركة السياسية للمواطنين وتنظيماتهم في اتخاذ القرارات، فكلما كانت نسبة المشاركة عالية وبطريقة منتظمة وسلمية كان ذلك دليلا على أن الدولة تعبر تعبيرا صادقا عن توجهات المجتمع وتطلعاته.

الفصل الثاني: سياسات التكيف الهيكلي والتنمية السياسية في الدول العربية ونتائجها

منذ السبعينات من القرن العشرين والعديد من الدول العربية كانت تعاني من مشاكل وأزمات اقتصادية عميقة بسبب فشل برامج التنمية فيها، ولكن بعد حرب عام 1973 ومع ارتفاع العائدات النفطية تدفقت المساعدات من الدول النفطية الى الدول العربية غير النفطية وخاصة الى ما سميت بدول المواجهة، ولكن سوء استخدام هذه المساعدات على الوجه الذي يحقق تنمية فعلية أدى الى تراكم المشكلات الاقتصادية التي تفاعلت مع غيرها من المشكلات وظهرت الأزمة الاقتصادية الحقيقية في العديد من الدول العربية في بداية الثمانينات من القرن الماضي[31]، وتمثلت هذه الأزمة بتفاقم حجم المديونية الخارجية والعجز في موازين المدفوعات والموازنات العامة وارتفاع

معدلات التضخم ونضوب الاحتياطي من العملات الصعبة وأدى هذا الى ارتفاع الأسعار وتراجع مستويات المعيشة للمواطنين وارتفاع معدلات الفقر والبطالة الأمر الذي أدى الى قيام بعض الدول العربية الى تبني سياسات إصلاح اقتصادية محلية للخروج من هذه الأزمة إلا أنها فشلت بسبب حاجة هذه السياسات الى التمويل فاضطرت للجوء للمؤسسات المالية الدولية (البنك الدولي وصندوق النقد الدولي) للاقتراض منها ولكن مقابل التزام هذه الدول بتطبيق السياسات الاقتصادية والشروط الموضوعة من قبل هاتين المؤسستين[32]. ومع هذه الظروف الاقتصادية اتجهت العديد من الدول العربية الى بناء عملية تنمية سياسية أساسها التحول نحو الديمقراطية وتحقيق مزيد من المشاركة السياسية وتحقيق الاستقرار السياسي بعد ان سادت العديد من الدول العربية مظاهر من عدم الاستقرار السياسي المتمثلة بأعمال العنف والشغب احتجاجا على الأوضاع الاقتصادية وعلى السياسات الاقتصادية المفروضة من قبل صندوق النقد والبنك الدوليين.

وبناءا على ما تقدم سيتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث يلقي المبحث الأول الضوء على تجارب الدول العربية بتطبيق سياسات التكيف الهيكلي ونتائجها والمبحث الثاني يلقي الضوء على واقع التنمية السياسية في الدول العربية في ظل هذه السياسيات، أما المبحث الثالث فسيتناول الاثار الاقتصادية والاجتماعية لسياسات التكيف الهيكلي على الدول العربية.

المبحث الأول: سياسات التكيف الهيكلي في الدول العربية

تكاد ان تكون الأزمات الاقتصادية التي واجهتها العديد من الدول العربية متشابهة من حيث أسبابها ونتائجها، ففي مصر تمثلت الأزمة الاقتصادية التي ظهرت في أواخر الثمانينات في تباطؤ النمو الاقتصادي وارتفاع معدلات التضخم وتصاعد معدلات الفقر والبطالة نتيجة لتباطؤ النمو الاقتصادي وكذلك زاد العجز في الموازنة العامة ليصل الى 20% من الناتج المحلي الإجمالي[33]، وبسبب تزايد العجز في ميزان المدفوعات تراكم الدين الخارجي حيث بلغ 50 مليار دولار عام 1990 ما نسبته 150% من الناتج المحلي الإجمالي وتدهورت معدلات التنمية الاقتصادية لتصل الى معدلات سالبة في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات وعجزت مصر عن سداد حوالي نصف الالتزامات السنوية لخدمة الدين الخارجي وقيمتها 6 مليارات دولار، بسبب تلك الظروف الاقتصادية لجأت الحكومة المصرية الى صندوق النقد والبنك الدوليين واتفقا على تنفيذ برنامجا للإصلاح الاقتصادي للأعوام 1991- 1999 وعلى ثلاثة مراحل يهدف الى تحقيق نمو اقتصادي وركز البرنامج على سياسات التثبيت الاقتصادي وسياسات التكيف الهيكلي ودعم المؤسسات الاجتماعية[34].

وفي المغرب لم يختلف الحال عن مصر فقد أدى إفراط الحكومات المغربية في الاستدانة منذ السبعينات الى تزايد العجز في ميزان المدفوعات والعجز عن سداد أقساط الديون وفوائدها وأصبحت الحكومة المغربية تقوم بالاقتراض من اجل سداد ديونها لا من اجل التنمية الاقتصادية وقفزت الديون المغربية من عام 1975- 1996 الى أكثر من ثماني مرات فقد كانت المديونية المغربية عام 1975 2353 مليون دولار الى 19859 مليون دولار عام 2000 أي حوالي 59% من الناتج المحلي الإجمالي فيما بلغ حجم خدمة الدين الخارجي 3534 مليون دولار[35]. فلجأت الحكومة المغربية الى تبني سياسات التكيف الهيكلي تحت إشراف صندوق النقد والبنك الدوليين وارتكزت هذه السياسات على تخفيض سعر صرف الدرهم المغربي وخفض النفقات الحكومية خاصة الموجهة الى دعم السلع الأساسية ومعالجة التشوهات الإنتاجية وغيرها من الإجراءات الاقتصادية لتحقيق النمو الاقتصادي والاستقرار الاقتصادي[36]

وفي اليمن كانت الأوضاع الاقتصادية في الفترة 1990- 1994 تشهد تدهورا كبيرا واختلالات عميقة في الموازين الاقتصادية الكلية وتمثلت هذه الاختلالات في الاختلال المالي حيث تصاعد العجز في الموازنة العامة بين عامي 1992 و1994 حيث بلغت نسبة العجز حوالي 20% من الناتج المحلي الإجمالي والاختلال الآخر كان في الاقتصاد الخارجي حيث تفاقم العجز في ميزان المدفوعات مع انخفاض في التحويلات والمساعدات الخارجية وتراكمت متأخرات الديون الخارجية مما أدى الى عدم قدرة الدولة على السداد وبلغ العجز في ميزان المدفوعات بين عامي 1992 و1995 حوالي 28% من الناتج المحلي الإجمالي[37]. فاضطرت الحكومة اليمنية بالأخذ بسياسات الإصلاح الاقتصادي معومة من قبل البنك وصندوق النقد الدوليين وبدأت الحكومة اليمنية عام 1995 بتنفيذ المرحلة الأولى من الإصلاح الاقتصادي، وفي عام 1996 تم البدء بتنفيذ برنامج للتثبيت الاقتصادي لمدة 15 شهرا تنتهي عام 1997 ليتم بعدها تنفيذ برنامج للتصحيح الهيكلي[38].

أما في الجزائر فقد شهدت الفترة من عام 1980- 1990 إعادة هيكلة المؤسسات الوطنية فارتفع حجم البطالة والتضخم وارتفعت المديونية الخارجية[39]، ونتيجة لانخفاض أسعار النفط في عام 1986 الذي يعتبر المصدر الرئيسي للدخل الجزائري من العملات الصعبة تسبب هذا الانخفاض في أسعار النفط الى خلق أزمة في الاقتصاد الوطني، ونتيجة لذلك قامت الحكومة الجزائرية بين عامي 1986 و1988 بتخفيض سعر صرف الدينار الجزائري بنسبة 30% ومع فشل الإصلاحات الاقتصادية التي قامت بها الحكومة الجزائرية لجأت الجزائر بتنفيذ برنامجا للإصلاح الاقتصادي للأعوام 1990- 1994 مدعوما من صندوق النقد والبنك الدوليين وكان القطاع الزراعي أول القطاعات التي طبق فيها برنامجا للتكيف الهيكلي وقامت الحكومة بإلغاء الدعم عن المنتجات الزراعية حتى تتلاءم أسعارها مع الأسعار العالمية[40].

المبحث الثاني: التنمية السياسية في الدول العربية.

في الفترة التي تلت الحرب العالمية الثانية، وبعد حصول العديد من الأقطار العربية على الاستقلال ونتيجة لموجة الانقلابات، والثورات التي حدثت في الأقطار العربية في الخمسينات والستينات من القرن العشرين، برزت بعض الفئات العسكرية والسياسية التي حملت العقائد القومية غير الليبرالية كالجزائر، ومصر،والعراق، وليبيا، وسوريا واليمن، وتأثرت هذه الفئات بالنظم المركزية التي طبقت أساليب مشابهة في الحكم وتحت أسماء مختلفة للديمقراطية كالديمقراطية الشعبية، والديمقراطية الموجهة، وسلطة الطبقة الحاكمة والجماهيرية[41].

فالأنظمة العربية التي تولت السلطة أعطت الأولوية للتنمية الاقتصادية، والاجتماعية على حساب التنمية السياسية، فغيبت الديمقراطية وخنقت الحريات وغيبت كذلك التعددية السياسية، وربما كان الاعتقاد الذي ساد بين الباحثين الاجتماعيين الغربيين صحيحا بأن زعماء العالم الثالث لا يستطيعون الترويج للديمقراطية والإصلاح الاقتصادي، بهدف تحقيق التنمية الاقتصادية، فالديمقراطية تمد العمال وغيرهم من المجموعات الشعبية بالقوة لتصعيد مطالبهم بالحصول على فوائد اجتماعية، والتي تهدد المصالح الراسخة للنخب الحاكمة، وبظل هذه الظروف تكون الحكومات السلطوية للصراع الاجتماعي هي الراجحة [42]، ولذلك استطاعت الأنظمة الحاكمة أن تغتصب رأي الجماهير وتغيب الديمقراطية عن الواقع السياسي العربي بتسويقها مجموعة من الذرائع والحجج، كعدم النضج السياسي، وحماية الوحدة الوطنية، وتحقيق التنمية الاقتصادية، والصراع العربي الإسرائيلي، والخصوصية العربية[43]، إضافة إلى ذلك كله أن الأنظمة العربية لم تعهد وجود الشريك السياسي للنظام الحاكم، في الوقت الذي تعتبر فيه المشاركة السياسية في النظام الديمقراطي جوهر العملية الديمقراطية، كما لاتقبل النخب الحاكمة الخضوع لإرادة المحكومين ومساءلتهم[44]، ولم تكن الأنظمة الحاكمة لوحدها المسؤولة عن هذا التغييب الديمقراطي بل كان للتيارات السياسية دورا في هذا التغييب، فقد أجلت قضية الديمقراطية في الفكر السياسي، أو الأيديولوجي لهذه التيارات في المشروع النهضوي العربي[45]، فالتيار القومي على المستوى الفكري أو الممارسة انصب اهتمامه بقضايا التحرر الوطني، والتخلص من التبعية، والكفاح من اجل الاستقلال والوحدة، مما همش أو غيب موضوع الديمقراطية من سلم أولوياتها وجاء هذا الفكر خاليا تقريبا من المعالجة التي تستحقها الديمقراطية، وحقوق الإنسان والمواطنة، وهذا التراجع في القضايا السياسية في الفكر القومي العربي أدى بدعاته الى دعم أنظمة تسلطية[46]، والتيارات الماركسية الشيوعية هي أيضا وقفت ضد الديمقراطية الليبرالية، على اعتبار أنها وسيلة تستخدمها الطبقة البرجوازية لإحكام سيطرتها على الطبقات الفقيرة، أما التيار السلفي فقد رفض الديمقراطية لأنها تجعل من الشعب مصدر السلطات بينما المرجعية السلفية

تقول أن الحاكمية لله، وترفض الديمقراطية بدعوى أنها غريبة عن ثقافتنا وديننا، ويؤكد هذا التيار على مفاهيم الشورى باعتبارها الديمقراطية التي تتلاءم مع واقع وخصوصية المجتمعات الإسلامية، أما الإسلاميون الاصلاحيون قبلوا بالديمقراطية كآلية لاختيار الحكام واتخاذ القرارات، ولكنهم رفضوا الديمقراطية كنهج فكري وصفي بالحياة، ويؤكد على فكرة العدالة والمساواة والمواطنة، بينما التيار الليبرالي العربي المتأثر بالقيم والحداثة الأوروبية كان مع تأخير الديمقراطية لأن هذا التيار كان على يقين بان الأغلبية الشعبية تساند التيار السلفي، وأن الديمقراطية ستفقد مسوغها إن لم يسمح بحكم النخبة الليبرالية العصرية، في حين كان الموقف ألتوفيقي بين الليبراليين والسلفيين (الأصالة والمعاصرة)، بان هؤلاء لن يقبلوا بطرحه ألتوفيقي في استحقاق ديمقراطي- غربي مع الحفاظ على التراث العربي الإسلامي، فكان تأجيل الديمقراطية هو الأسلم[47]، وبسبب إخفاق النظم الحاكمة في تحقيق التنمية، والمحافظة على استقلالية الإرادة الوطنية في مواجهة الرأسمالية خاصة في النصف الثاني من سبعينيات القرن العشرين، برزت هناك اتجاهات بالمطالبة بالديمقراطية والتعددية السياسية، والتحول من نظام الحزب الواحد إلى تبني أشكال التعددية الحزبية. وأصبحت هذه القضايا كذلك مطلبا للقوى السياسية والأيديولوجية، التي غيبت الديمقراطية من سلم أولوياتها في فترة الخمسينات والستينات من القرن الماضي التي تركزت على الوحدة السياسية والوحدة القومية[48]. فقد جاءت هذه المطالبة إضافة إلى ما سبق بسبب التحولات الديمقراطية التي شهدتها العديد من دول العالم في جنوب أوروبا، وامتدت إلى أمريكا اللاتينية، وآسيا وأطلق على هذه التحولات الموجة الثالثة للتحولات الديمقراطية[49]، والنمو المتزايد في القيم، والأفكار الديمقراطية، وتصاعد حركات الدفاع عن حقوق الإنسان، وحرياته الأساسية، والتغيرات الاقتصادية، والاجتماعية في مرحلة السبعينات التي أفرزت قوى اجتماعية، كانت تتطلع إلى المشاركة السياسية كالنقابات المهنية، والعمالية والجامعات[50]، إلا أن الوطن العربي كان يمثل الاستثناء في سياق عملية التحولات الديمقراطية، واستطاعت النظم التسلطية أن تحافظ على استمراريتها، ولو من خلال بعض الأساليب، والإجراءات الديمقراطية الشكلية[51].

اما ما بعد عام 1989 فقد تميزت هذه المرحلة بالتحولات الديمقراطية في العديد من الدول العربية، في الوقت الذي لم تأتي به هذه التحولات الديمقراطية بناء على رغبة الأنظمة الحاكمة في الدول العربية، التي شهدت تحولا ديمقراطيا، بل كان هناك العديد من الأسباب السياسية، والاجتماعية، والدولية، والثقافية.

فالأسباب السياسية تمثلت بالإخفاق السياسي،نتيجة لاستناد الأنظمة الحاكمة إلى بناء شرعيتها بالقوة لحفظ سلطتها، بالرغم من محاولتها في بعض الأحيان من بناء تلك الشرعية سياسيا، وبعيدا عن العنف المادي ليس فقط من قبل الأنظمة السياسية المدنية، بل أيضا النظم

العسكرية، التي تنوعت محاولات بناء الشرعية كإنجاز المشروع التنموي، والنضال من أجل قيام الوحدة القومية، ومواجهة الخطر الصهيوني، إلا أن هذه الأنظمة فشلت في تحقيق مشاريعها التي أقامت عليه شرعيتها[52] فهذا الإخفاق السياسي عمق الفشل الذريع في تحقيق الحد الأدنى من التنمية السياسية الديمقراطية، الأمر الذي لم يتح معه لهذه النخب التعويض عن خسارتها لشرعيتها الوطنية بشرعية ديمقراطية دستورية، مما جعل هذه النخب أن تنتقل من التغاضي عن المطالب الديمقراطية، إلى قبولها ولو في حدها الأدنى ، كإقرار حرية الصحافة، والتعددية السياسية، والنظام التمثيلي[53].

أما الأسباب الاجتماعية فتمثلت في الممارسات الاستبدادية، والقمعية التي مارستها الأنظمة الحاكمة ضد شعوبها،وكانت هذه الأنظمة تعتقد بأنها في مأمن من الغضب الاجتماعي الذي كانت توهم به نفسها طويلا، ولكن في النهاية أدى إلى ردود فعل دفاعية أدخل المجالين السياسي والاجتماعي، في حالة احتقان وأدركت النخب الحاكمة بأن نتائج حالة الاحتقان ستكون غير محمودة[54] كما أن إقفال المجال السياسي لنخبة السلطة دفع جماعات اجتماعية عديدة إلى اتخاذ الدين وسيلة لممارسة العمل السياسي، للتعويض عن مصادرة المجال الطبيعي لذلك، وفرض على جماعات أخرى اللجوء إلى أساليب العنف، للتعبير عن مطالبها، فأدى التسلط إلى تعريض الاستقرار السياسي للتصدع، وكان لا بد من تنفيس التعبئة النفسية العامة طريقا للخروج من الفتنة بالانتقال إلى الديمقراطية[55]

أما فيما يتعلق بالأسباب الدولية، فإن النخب الحاكمة التي استطاعت أن تتجاهل المطالب الديمقراطية الداخلية، وتغييبها لوقت طويل فيما مضى، وكانت تستطيع أن تمارس من وسائل انتهاك الحقوق المدنية، والسياسية للمواطنين ما تستطيع واطمئنانها، إلى غض نظر الحكومات الغربية لرغبتها في مواجهة الشيوعية الداخلية واستئصالها ودون خشيتها من الاحتجاجات الدولية، أصبحت هذه النظم بعد انهيار النظام الاشتراكي غير قادرة على الاستمرار في تلك الأساليب، وأصبح مدفوعا من قبل الدول الغربية إلى فتح ملفات الديمقراطية، وحقوق الإنسان في الدول النامية، ومنها الدول العربية تحت ضغط رأيها العام، ومنظمات حقوق الإنسان فيها، وكذلك ضغط المؤسسات المالية الدولية التي تضع شروطا سياسية لتقديم القروض، ويضاف إلى ذلك الضغط والنضال الذي قامت[56] المالية الدولية التي تضع شروطاً لتقديم القروض منظمات حقوق الإنسان في الوطن العربي، الذي أثمر عن تحسين أوضاع الحريات العامة، وحقوق الإنسان في العديد من الدول العربية.

وأخيرا تمثلت الأسباب الثقافية في نمو ثقافة سياسية ديمقراطية لدى الإنسان العربي ابفعل التوسع في التعليم وتطوير برامجه، وانتشار الصحافة المكتوبة، والإعلام المرئي والمسموع

والاحتكاك بالعالم الخارجي، كل ذلك أدى إلى أن أدرك الناس حقوقهم الطبيعية، وأصبحوا يمتلكون من الأفكار السياسية الحديثة ما يسمح بالحديث عن بدايات[57] تكون، وتوسع الثقافة الديمقراطية في المجتمع العربي.

وبذلك يمكن القول بأن أهم ملامح ومؤشرات التنمية السياسية في الدول العربية في مرحلة ما بعد الانهيار السوفييتي وظهور النظام العالمي الجديد تمثل، بالتحولات الديمقراطية التي شهدتها العديد من الدول العربية، وتمثلت هذه التحولات الديمقراطية في السماح بالتعددية السياسية المتمثلة بالتعددية الحزبية، والسماح للأحزاب بالعمل العلني، وإطلاق محدود للحريات العامة، وعودة الحياة البرلمانية بإجراء الانتخابات البرلمانية والمشاركة السياسية والمحافظة على الاستقرار السياسي، وسنوضح في الفصل القادم تأثير سياسات التكيف الهيكلي على هذه المؤشرات التي ستعتمدها هذه الدراسة البحثية.

المبحث الثالث: الآثار الاقتصادية والاجتماعية لسياسات التكيف الهيكلي في الدول العربية.

لا نستطيع الفصل بين الآثار الاقتصادية والاجتماعية لسياسات التكيف الهيكلي او عدم الربط بينهما، لتأثير كل منهما على الآخر تأثيرا مباشرا، فإذا حققت هذه السياسات نموا اقتصاديا فان آثار هذا النمو سينعكس على حياة المواطنين من حيث مساهمة هذا النمو الاقتصادي في تخفيض معدلات الفقر والبطالة، وارتفاع في مستويات الدخول الحقيقية للإفراد، وتستطيع الدولة ان تنهض بمستوى الخدمات الاجتماعية للمواطنين من خلال زيادة نفقاتها على الصحة والتعليم والمرافق الاجتماعية الأخرى وبالتالي إحداث تنمية اقتصادية حقيقية، وهي ما تتضمنه الأهداف المرسومة لسياسات التكيف الهيكلي إضافة الى تحقيق استقرار اقتصادي مستمر في الدول التي تطبق هذه السياسات، وفي حال عدم تحقيق هذه السياسات النمو الاقتصادي المطلوب وهو ما يعادل ثلاثة أمثال معدل النمو السكاني حسب رأي الخبراء الاقتصاديين فان هذه السياسات تكون قد أخفقت في تحقيق التنمية الاقتصادية وبالتالي تكون قد ساهمت في خلق آثار اجتماعية سلبية كالفقر والبطالة وهما من أكثر المشاكل التي تقف في وجه التنمية الاقتصادية في الدول العربية. وفي هذا المبحث سنبين النتائج الاقتصادية لسياسات التكيف الهيكلي من حيث نجاحها في تحقيق النمو الاقتصادي المطلوب وتخفيض معدلات التضخم وخفض حجم المديونية الخارجية في الدول العربية والآثار الاجتماعية لتلك السياسات.

المطلب الأول: النتائج الاقتصادية.

أظهرت النتائج تحسنا في الموقف المالي للدولة اليمنية في الفترة 1995- 1996 بحيث انخفض عجز الموازنة كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي من 17% عام 1994 إلى 7% و7.% عام 1995- 1996 بينما كان المستهدف لعام 1996 14%. أما معدل التضخم فقد انخفض إلى

45% عام 1995 والى 10% عام 1996، وبالنسبة لعجز الحساب الجاري فقد أظهرت النتائج أن نسبة العجز إلى الناتج المحلي الإجمالي قد ارتفعت من (-3.4%) عام 1995 إلى 5.20% عام 1996، أما احتياطيات البنك المركزي من فقد ارتفعت إلى 937 مليون دولار عام 1996 بينما كان المستهدف لنفس العام 638، وفي مجال النمو الاقتصادي فتشير النتائج إلى وجود ركود بحيث بلغ متوسط معدل النمو للفترة 1994- 1996 حوالي 3.9% في حين كان المعدل للفترة 1991- 1993 3.2%[58]. وفي مصر فقد أظهرت النتائج أن معدل النمو في الناتج المحلي الإجمالي قد اتجه نحو الزيادة بعد سنوات 1994/ 1995 بعد أن كان معدل الانخفاض خلال سنوات 19986/1985 من 3-4% وإلى أقل من 1% خلال سنوات 1990/ 1991 كما تقلص العجز في الموازنة العامة للدولة تقلصا شديدا وتراجع كذلك معدل التضخم المحلي تراجعا ملحوظا وانخفض الدين الخارجي بحيث انخفضت نسبته من 144% خلال سنوات 1990/1989 إلى 47% خلال سنوات 1995/ 1996 كما تراجعت نسبة العجز في ميزان المدفوعات[59]، وتشير دراسة أخرى إلى أن نسبة الدين الخارجي إلى الناتج المحلي الإجمالي انخفضت من 144.3 في عام 1990/1989 إلى 119.1 عام 1991 ثم إلى 109.5 عام 199/1991[60]. أما في المغرب فقد كانت النتائج الاقتصادية لسياسات التكيف تشير إلى التذبذب في معدل نمو الناتج المحلي الإجمالي، فقد بلغ في عام 1994 11.6% وفي عام 1995 انخفض إلى –6.7% نتيجة الجفاف التي عانت منه ثم ارتفع إلى 11.8% عام 1996 وفي عام 1997 انخفض إلى 1.1%، أما معدل التضخم فقد انخفض من 6.1% عام 1995 إلى 3.0% عام 1996 ثم ارتفع إلى 3.6% عام 1997[61]. وأخيرا في الجزائر.

ونتيجة لتخفيض العملة الجزائرية في عام 1991 كانت النتائج الاقتصادية تشير إلى أن موازنة الدولة حققت فائضا موجبا بثمانية مليارات دينار جزائري عام 1991 وفي عام 1992 حققت عجزا بلغ ثلاثة وسبعون مليار دينار ومائة وتسعة وثمانون دينار عام 1993 ويمثل 17% من الناتج المحلي الإجمالي، أما معدل التضخم المقاس بمؤشر السلع فقد زاد بمقدار 22% و32% و20% في الأعوام 1991 و1992 و1993 على التوالي، أما الميزان التجاري فقد سجل فائضا في عامي 1992 و1993[62].

المطلب الثاني: النتائج الاجتماعية

أ- المساهمة في زيادة أعداد الفقراء ورفع معدلات الفقر

تشير نتائج سياسات التكيف الهيكلي التي طبقت في الدول العربية إلى فشلها في تخفيض معدل الفقر بل زادت من أعداد الفقراء بسبب السياسات المصاحبة لها عند التنفيذ، وخاصة أن

هذه السياسات تشترط خفض النفقات الحكومية الموجهة إلى الخدمات الاجتماعية مثل الصحة والتعليم ورفع الدعم عن السلع والخدمات، وكنتيجة لذلك ترتفع تكلفة التعليم، والصحة، وارتفاع أسعار السلع الاستهلاكية، مما يشكل عبئا على عدد من فئات المجتمع التي كانت تستفيد من ذلك الدعم بحيث أدى هذا التقليص في النفقات إلى تراجعها إلى الفئات الفقيرة لعدم مقدرتها الانتفاع من تلك الخدمات بعد ارتفاع تكلفتها[63]، وتشير الآثار المتعلقة بمؤشرات التنمية الاجتماعية في الأقطار العربية التي طبقت هذه البرامج إلى آثارها السلبية على هذه المؤشرات خاصة فيما يتعلق بزيادة نسبة الفقراء في الريف وانخفاض فرص التعليم والوقاية من الأمراض[64]. وقد تم قياس التنمية الاجتماعية عن طريق مؤشرات العمر المتوقع ومؤشر التعليم ومؤشر الدخل (دليل التنمية البشرية) أن الأقطار العربية التي طبقت البرامج قد حققت نجاحا ملحوظا في فترة ما قبل تطبيق سياسات التكيف الهيكلي، إلا أن هذا المؤشر قد سجل انخفاضا خلال فترة التطبيق مما يعبر عن انتكاسات في مجال التنمية الاجتماعية خلال الفترة التي طبقت فيها برامج الإصلاح الهيكلي، ويشير التقرير كذلك إلى أن الدول العربية قد حققت تطوراً ملموسا في زيادة نسبة المتعلمين. حيث انخفضت نسبة الأمية من 60% في عام 1980 إلى حوالي 43% في منتصف التسعينيات إلا أنه ما زال هناك 65 مليون عربي بالغاً أمياً، ثلثاهم من النساء[65]، كما أن النسبة التي تنفقها الدول العربية مجتمعة من دخلها على التعليم هي أعلى منها في الدول النامية الأخرى. ففي عام 1995 كانت نسبة طلاب المرحلة الابتدائية أكثر من 90% من الذكور و 75% من الإناث وما يقارب الـ 60% من الذكور والـ 50% من الإناث في المدارس الثانوية. وعلى الرغم من ذلك فإن هناك عشرة ملايين طفل بين سن 6 و15 سنة خارج النظام التعليمي. وتبقى نسبة الالتحاق بالتعليم العالي محدودة حيث لا تتجاوز 13%. ومع أن هذه النسبة أعلى من مثيلتها في الدول النامية (9%)، إلا أنها ما زالت أدنى كثيرا من النسب السائدة في الدول الصناعية والتي تصل إلى 60%. وتعاني الفئات الأضعف اجتماعيا مثل النساء والفقراء خاصة في المناطق الريفية الحرمان من التعليم في المراحل التعليمية العليا. وكان لضغط الإنفاق الحكومي في سياق برامج التصحيح الاقتصادي، والتضخم وانتشار الفقر وفرض رسوم على التعليم لاسترداد كلفته، آثار سلبية على تراكم راس المال البشري، كان وقعها أشد على الفقراء والإناث. وكانت النتيجة أن جودة التعليم تتوفر بشكل متزايد فقط للقادرين على تحمل نفقاتها. ولذلك، يفقد التعليم دوره كأداة فاعلة في تحقيق الصعود الاجتماعي،

ب. المساهمة في رفع معدلات البطالة

تعتبر مشكلة البطالة من بين أخطر المشكلات التي تواجه اقتصاديات الدول العربية التي تنفذ برامج التثبيت الاقتصادي وسياسات التكيف الهيكلي. وتبرز خطورة هذه المشكلة في أن تزايد أعداد العاطلين عن العمل يشكل إهدارا لعنصر العمل البشري مع ما ينجم عن ذلك من آثار

اقتصادية خطيرة، إضافة إلى أن ارتفاع معدلات البطالة وخاصة بين الشباب يؤدي إلى نتائج اجتماعية خطيرة، حيث أصبحت البطالة تشكل بيئة خصبة لنمو الجريمة والتطرف وأعمال العنف. كما أن البطالة تشكل سببا رئيسيا في انخفاض مستوى معيشة الغالبية العظمى من المواطنين وسببا في تزايد أعداد من يقعون تحت خط الفقر المطلق(66). وترتفع معدلات البطالة نتيجة لسياسات الحد من النشاط الاستثماري للقطاع العام ورفع الدعم عن الأسعار وتحديد الأجور وخفض النفقات العامة عن طريق تسريح أعداد كبيرة من العمالة والموظفين من القطاع العام والتزام الدولة بعدم تعيين الخريجين الجدد، كما أن خصخصة المشاريع العامة وبعض المؤسسات أدى إلى الاستغناء عن أعداد إضافية من العمالة وأصبحوا في أعداد العاطلين عن العمل(67).

ج- الانخفاض المتزايد في الدخول الحقيقية للأفراد وسوء توزيع الدخل

يعتبر الفقراء أهم أشد الفئات الاجتماعية تأثرا بانخفاض الدخل، ويقصد بالفقراء حسب تقسيمات برنامج الأمم المتحدة الإنمائي أفراد الشرائح الاجتماعية الذين يعيشون على خط الفقر أو تحته أو فوقه بقليل، وغالبا ما يتركز هؤلاء في المناطق الريفية كما ويدخل ضمن هذه الفئة عمال الحكومة والقطاع العام ذوي الأجور المنخفضة وكذلك يضاف إليهم الأفراد الذين يتلقون الإعانات من مؤسسات الرعاية الاجتماعية (68)، وتتجه دخول هؤلاء إلى الانخفاض بسبب إلغاء الدعم عن السلع الأساسية وتخفيض الأجور وزيادة أسعار الطاقة والمواصلات وتوسيع الضرائب غير المباشرة وخصوصا إذا لم يقابل ذلك زيادة حقيقية في الرواتب والأجور(69) كما أدت سياسات التكيف الهيكلي في الدول العربية التي انتهجت سياسات التكيف الهيكلي إلى انخفاض نمو نصيب الفرد من الناتج المحلي الحقيقي لعدم تحقيق سياسات التكيف الهيكلي معدلات مرتفعة من النمو الاقتصادي الذي يتطلب أن يكون معدل النمو الاقتصادي أكبر بثلاثة أضعاف معدل النمو السكاني(70). ونتيجة لذلك يحصل هناك سوء لتوزيع الدخل بين شرائح المجتمع حيث يعتبر الدخل واحدا من المحددات الرئيسية الأساسية لمستوى معيشة الفرد والأسرة والسكان ويحدد توزيع الدخل نمط تقسيم ثروة الدولة بين مواطنيها ويظهر ذلك التوزيع الدليل على جوانب التباين في المجتمع(71). وقد أدت سياسات التكيف الهيكلي في الدول العربية إلى إعادة توزيع ثرواتها بشكل غير عادل بحيث أصبحت هناك فئة غنية جدا وفئة فقيرة جدا وخاصة بعد تراجع الطبقة الوسطى في الدول العربية كما يشير تقرير التنمية الإنسانية العربي. والجداول من (1-1- 5-1) توضح عدد من المؤشرات الاجتماعية ومؤشرات التنمية الاقتصادية لعدد من الدول العربية التي نفذت سياسات التكيف الهيكلي.

جدول رقم (1-1): يبين معدلات الفقر والبطالة في الدول العربية

	الفقر %					البطالة					
	1985	**1990**	**1994**	**1998**	**2003**	**1990**	**1993**	**1995**	**1997**	**2001**	**2003**
الجزائر	1.83	1.16	1.6	23	-	19.8	24	29.9	28	27.3	28
مصر	7.45	5.6	6.05	23	45	8.6	10.9	11.3	10	27.5	15
المغرب	7.11	2.49	1.58	19	13	12.1		16	17.8	13	14.7
اليمن	-	19.1	25	27	38	25	37	37	-	38	38

المصدر: شنجار: عبد الكريم جابر، مجلة الوحدة الاقتصادية العربية، السنة12، ديسمبر/200،ع21، ص108 ومصادر أخرى.

جدول رقم (2-1): يبين متوسط دخل الفرد من الناتج المحلي الإجمالي للدول العربية من عام 1985- 2002

الدولة	1985	1990	1993	1995	1997	2002
الجزائر	2585	2481	1780	1478	1610	1785
مصر	1008	690	660	1053	1265	1354
المغرب	548	1055	1040	1214	1179	1218
اليمن	471	691	691	291	350	537

المصدر: شنجار: عبد الكريم جابر، مجلة الوحدة الاقتصادية العربية، السنة12، ديسمبر/200،ع21، ص108. وتقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2003، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، على شبكة الإنترنت، 2005/3/25 www.pogar.org/arabic/countries/index.asp?cid=1

جدول رقم (3-1): يبين النفقات على الصحة والنفقات العسكرية لسنوات مختلفة

	الأنفاق على الصحة من الناتج المحلي الإجمالي %				النفقات العسكرية من الناتج المحلي الإجمالي %	
الدولة	**1990**	**1995**	**2000**	**2002**	**1990**	**2002**
الجزائر	3	-	-	3.1	1.5	3.7
مصر	1.8	0.61	0.63	1.9	3.9	2.7
المغرب	0.9	1.04	-	2	4.1	4.3
اليمن	1.1	0.83	1021	1.5	8.5	7.1

المصدر: التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام 2000، ص248، و2001، ص271، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي على شبكة الإنترنت، 2005/3/25 www.pogar.org/arabic/countries/index.asp?cid=1

جدول رقم (4-1): يبين معدلات الأمية في الدول العربية

	معدل الأمية (%)												معدلات الأمية (الريف)			
	1990		1998			1999			2000				1995			
	15فما فوق		15-24		15-24		15فما فوق		15-24		15فما فوق		15فما فوق		15-24	
	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث	ذكور	إناث
الجزائر	32	59	13	32	8	18	23	44	8	16	22	43	50	81	74	61
مصر	40	66	29	49	24	40	39	65	24	38	21	43	54	85	36	67
المغرب	47	75	32	58	25	45	35	58	24	43	38	64	75	97	64	94
اليمن	45	87	26	75	18	58	28	71	18	56	28	71				

المصدر: الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام 2001، ص267، وعام 2000، ص246

جدول رقم (5-1): يبين عدد من المؤشرات التعليمية في الدول العربية

	معرفة القراءة والكتابة 10- 24 (%)		معرفة القراءة والكتابة 10- فأكثر (%)		معدل الالتحاق بالتعليم الأساسي (%)		معدل الالتحاق بالتعليم الثانوي (%)
البلد	1990	2002	1990	2002	1990	2002	2002
الجزائر	77.3	89.9	52.9	68.9	93	95	62
مصر	61.3	73.2	47.1	55.6	84	90	81
المغرب	55.3	69.5	38.7	50.7	57	88	31
اليمن	55.3	69.5	38.7	50.7	57	88	31

المصدر: برنامج الأمم المتحدة الإنمائي على شبكة الإنترنت، 2005/3/25
www.pogar.org/arabic/countries/index.asp?cid=1

تشير الجداول المتعلقة بالنتائج الاجتماعية لسياسات التكيف الهيكلي إلى أن هناك آثارا سلبية نتجت عن تطبيق هذه السياسيات،فيشير الجدول رقم (1-1) إلى أن هناك ارتفاعا مستمرا في معدلات الفقر والبطالة على الرغم من صعوبة الحصول على أرقام دقيقة من المصادر الرسمية وغير الرسمية إلا أنها جميعا تشير إلى الارتفاع بعد تطبيق سياسات التكيف الهيكلي كما تظهره الجداول (1-3،1-4) إلى أن هناك انخفاضا في النفقات على التعليم والصحة من الناتج المحلي الإجمالي مقارنة مع النفقات العسكرية، وكنتيجة لخفض النفقات على التعليم والصحة نلاحظ أنه لا زال العديد من الدول العربية تعاني من ارتفاع في نسبة الأمية ومستويات متدنية من التعليم

الأساسي والثانوي، وكذلك حرمان نسب لا بأس بها من الخدمات الأساسية نتيجة لارتفاع تكاليف التعليم والمعالجة الطبية، وهذا ما تبينه الجداول (5-1، 6-1)

الفصل الثالث: تأثير سياسات التكيف الهيكلي على مؤشرات التنمية السياسية

تظهر العلاقة بين سياسات التكيف الهيكلي والتنمية السياسية من خلال الآثار الناجمة عن تطبيق هذه السياسات سواء كانت هذه الآثار سلبية أو إيجابية. وبما ان هذه الدراسة قد أظهرت النتائج السلبية لهذه السياسات التي تمثلت بمساهمتها برفع معدلات الفقر وارتفاع نسبة البطالة وسوء توزيع الدخل بين فئات المجتمع والتفاوت الطبقي على صعيد النتائج الاجتماعية وعدم تحقيقها لنمو اقتصادي مستمر وأحداث تنمية اقتصادية تنعكس آثارها على حياة المواطنين بحيث ان التنمية الاقتصادية في الوطن العربي لازالت تواجه اكبر مشكلتين هما الفقر والبطالة هذا على الصعيد الاقتصادي، فالتقدم في بناء عملية التنمية السياسية يحتاج الى متطلبات اقتصادية وتعليمية، حيث يتمحور المتطلب الاقتصادي أولا: على وجود بنية اقتصادية قوية من خلال خلق نمو اقتصادي حقيقي لزيادة متوسط دخل الفرد الذي يرتبط بعلاقة نجاح وتطور العملية الديمقراطية وارتفاع معدلات المشاركة السياسية ويؤدي الى حالة من الاستقرار السياسي وهذا ما يلاحظ في الدول المتقدمة ديمقراطيا التي تتميز بارتفاع مستويات الدخول الحقيقية للأفراد فيها[72]، وثانيا: توزيع الثروة والدخل الوطنيين بشكل لا تتركز به الثروة بأيدي مجموعة صغيرة من الأفراد تكون هي وحدها القادرة على دخول الميدان السياسي وتتحكم بمصائر الغالبية من الناس الذين يفتقدون الى الاستقلال الاقتصادي وافتقاره الى الموقع المناسب لممارسة حقه السياسي[73] فعندما توزع الثروة بشكل عادل يزول التفاوت الطبقي بين الفئات الاجتماعية وخاصة في المحافظة على الطبقة الوسطى وزيادة عددها التي تلعب دورا رئيسيا في الحياة السياسية حيث تشير الدراسات بان الحكومات الديمقراطية قامت على أكتاف الطبقة الوسطى وهي تحفظ التوازنات ما بين الطبقة الفقيرة والطبقة الغنية في المجتمع، **اما المتطلب الثاني** من متطلبات التنمية السياسية فهو التعليم، فكما أشارت الدراسات فان تثبيت الديمقراطية، وتطورها في المجتمعات الغربية الديمقراطية ناتج عن أسباب جمعت بين الثقافة العالية للطبقة الحاكمة من جهة، وبين الناخبين المتعلمين من جهة أخرى[74].لذلك فإن أهمية التعليم تظهر في تعزيز، وتطوير العملية الديمقراطية من خلال أن الأفراد يستطيعون معرفة حقوقهم، والإطلاع على الأحداث، وتكوين الآراء حولها، والتعبير عنها، وبالتالي يؤدي ذلك إلى توسيع دائرة المشاركة السياسية وتكون ذات أهداف جدية ونافعة، كما تظهر أهمية التعليم في الحريات، حيث أن زيادة التعليم والرفع من سويته تجعل الفرد على علم، ودراية في حقوقه السياسية، والمدنية، كحريته في المشاركة في المناقشات العامة، وحريته في الحصول على المعلومات، ويستطيع من خلال التعليم

أن يمارس حريته في الحصول على فرصة عمل التي تؤدي إلى حريته في العيش الكريم، وحفظ كرامته.

وبالنسبة للتعليم، والاستقرار السياسي فإنه كلما كان أفراد المجتمع على درجة عالية من التعليم، يكون لديهم درجة من الوعي بمجريات الأمور، وغالبا ما يلجأون إلى الطرق السلمية، وأسلوب الحوار في حل المسائل المختلف عليها بين القيادات السياسية، وبين الجمهور، ومؤسسات المجتمع المدني، وهذا يلعب دورا في حفظ الاستقرار السياسي في الدولة. والمتطلب الثالث يتمثل في توافرالإرادة السياسية لدى القيادات السياسية، بحيث يكون لديها القناعة والإيمان بالديمقراطية، والمشاركة السياسية، لتستطيع أن تحقق لبلدانها ومجتمعاتها الديمقراطية الحقيقية وبالتالي تحقيق التنمية السياسية، ولا بد لهذه الإرادة أن تكون مستقلة غير تابعة لأي جهة، ولا أن تتظاهر بمظاهر الديمقراطية، وقيادات سياسية تؤمن بدور مؤسسات المجتمع المدني في بناء الدولة، وفي بناء المؤسسات الوطنية، وبدورها في نشر ثقافة الديمقراطية، وكقنوات للمشاركة السياسية في عملية اتخاذ القرارات السياسية ورسم السياسة العامة [75].

المطلب الأول: تأثير سياسات التكيف على الديمقراطية

من خلال هذا المطلب ستكون مؤشرات الديمقراطية الذي ستتناولها الدراسة مؤشر احترام حقوق الإنسان وتشمل الحقوق الاقتصادية والحقوق الاجتماعية والحقوق السياسية، وذلك من أجل تناول أهمية الديمقراطية الاجتماعية التي تتضمن الحقوق الاقتصادية والحقوق الاجتماعية، فالحقوق الاقتصادية تتضمن الحرية الاقتصادية التي تعني الوسائل التي تعمل وفقها الاقتصاديات لتوليد فرص الدخل وتحسين توزيع الثروة، وتشمل هذه الحقوق حق الإنسان في العمل والحق في مستوى معيشي كافٍ. أما الحقوق الاجتماعية فتتضمن الحرية الاجتماعية أو إتاحة الفرص الاجتماعية التي تشير إلى الترتيبات التي يضعها المجتمع للتعليم والرعاية الصحية واللذين يؤثران على حريات الفرد الأساسية كي يعيش بمستوى حياة أفضل وتشمل هذه الحقوق الحق في التعليم والحق في الصحة. أما الحريات السياسية فهي الفرص المتوفرة للمواطنين بختيار من يحكمهم والقدرة على مراقبة السلطات ونقدها وأن يتمتع هؤلاء بحرية التعبير عن الرأي.

أما بالنسبة لتأثير سياسات التكيف الهيكلي على الحقوق الاقتصادية وهي الحق في العمل والحق في مستوى معيشي كافٍ يظهر من خلال الإجراءات المصاحبة لتنفيذ هذه السياسات التي تقوم بها الدولة وحسب شروط صندوق النقد والبنك الدوليين، فمن النتائج السلبية لسياسات التكيف الهيكلي تسببها في ارتفاع معدلات البطالة وزيادة معدلات الفقر وسوء توزيع الدخول والثروة في الدول التي نفذت مثل هذه السياسات، فإذا رجعنا إلى الجداول رقم (1-1)، نلاحظ أن سياسات التكيف قد أدت إلى حرمان مجموعات كبيرة من الناس من حقهم في العمل وتحقيق

مستوى معيشي أفضل وهذا ما تشير إليه ارتفاع معدلات البطالة، وخاصة عندما بدأت الدول العربية بتنفيذ برامج الخصخصة، بالإضافة إلى الركود الاقتصادي في الدول العربية، كما أن هذه السياسات أدت إلى زيادة معدلات الفقر من ناحيتين: **الناحية الأولى** هي نتيجة لارتفاع معدلات البطالة والتي تسبب الفقر، و**الناحية الثانية** هي نتيجة لقيام الحكومات برفع الأسعار ورفع الدعم عن السلع الأساسية وفرض ضرائب جديدة مما أدى إلى ضعف القوة الشرائية وتآكل الدخول الحقيقية للفقراء وزيادتهم فقرا وحرمانهم من تحقيق مستوى معيشي كافي بسبب رفض الحكومات بمنحهم زيادات على رواتبهم وأجورهم. وعلى اعتبار أن الدخل أحد المحددات الأساسية لمستوى معيشية الفرد والأسرة فإن سياسات التكيف الهيكلي ساهمت في سوء توزيع الثروة الوطنية بحيث أدت إلى ظهور طبقات وأفراد أغنياء وطبقة محرومة. وإذا نظرنا إلى الفقر من زاوية أخرى غير المتعلقة بانخفاض الدخل أو الإنفاق أو عدم التمكن من تلبية الاحتياجات الأساسية، على أنه عجز الناس عن امتلاك القدرات البشرية اللازمة لضمان الرفاه الإنساني في كيان اجتماعي سواء كان شخصا أو أسرة أو مجتمع محلي[76]، فإن سياسات التكيف الهيكلي ساهمت بالإضافة إلى عوامل أخرى في الحرمان من هذه القدرات، فعلى سبيل المثال فالتعليم يعتبر ضرورة للفرد للحصول على عمل أو وظيفة ونتيجة لارتفاع تكاليف التعليم نتيجة لخفض النفقات من قبل الدولة على التعليم وتدني المستوى التعليمي كما أشير إليه في الفصل الثالث أدى إلى عدم قدرة نسبة كبيرة من الحصول على التعليم وخاصة التعليم العالي ليتمكن الفرد في المجتمع من المنافسة في الحصول على عمل يحفظ كرامته ويوفر له العيش الكريم.

أما بالنسبة للحقوق الاجتماعية التي تشمل الحق في التعليم والحق في الحصول على خدمات صحية مرضية، والعدالة الاجتماعية، ففي مجال الحق في التعليم وحريته فيأتي تأثير سياسات التكيف الهيكلي على هذا الحق من خلال حرمان نسبة عالية من الناس في الدول العربية من الحصول على التعليم، الناتج عن ارتفاع تكاليف التعليم بسبب تقليص النفقات الحكومية على التعليم جراء شروط صندوق النقد والبنك الدوليين التي تجبر الدول على تقليص النفقات الحكومية المتعلقة بالخدمات الاجتماعية، الذي تسبب في ارتفاع تكلفة التعليم الذي أدى بدوره إلى عدم مقدرة المواطنين على استكمال تعليمهم وخاصة الفقراء واقتصر هذا الأمر على بعض الفئات في المجتمع. ويشير تقرير التنمية البشرية في العالم الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي على أن المنطقة العربية بشكل عام لا زالت تعاني من فجوة في مجال التعليم بالمقارنة مع المعدلات العالمية، فمعدلات القراءة والكتابة بين البالغين في المنطقة العربية 62% مقابل 79% على الصعيد العالمي، ويبلغ المعدل المركب للالتحاق بالمدارس بالمنطقة العربية 60% مقابل 64% على الصعيد العالمي ومعدل سنوات الدراسة 5.2 سنوات مقابل 6.7 سنوات، والفقراء

محرومون من التعليم بمعدلات أعلى من المتوسط[77]. وفي مجال الحق في الحصول على صحة مرضية فيظهر تأثير سياسات التكيف الهيكلي على هذا الحق من ناحيتين: -

الناحية الأولى تتمثل في تدني النفقات الحكومية من الناتج المحلي الإجمالي ومن النفقات الحكومية الإجمالية (الموازنة العامة) على الصحة والرعاية الصحية مقارنة بالنفقات إلى مرافق أخرى كالنفقات العسكرية كما تبينه الجداول رقم (3-2، 4-2)، بحيث يؤدي ذلك إلى تراجع في الخدمات الصحية المقدمة للموطنين من قبل الحكومات في الدول العربية التي تنفذ سياسات التكيف الهيكلي وبنفس الوقت يؤدي ذلك إلى ارتفاع تكاليف العلاج التي لا يستطيع المواطن تحملها وخاصة الفقراء منهم ويؤدي ذلك إلى التراجع في المؤشرات الصحية عند الموطنين.

الناحية الثانية تتمثل في أن سياسات التكيف ساهمت في التراجع في التعليم وانخفاض مستوياته مما يؤدي إلى ضعف في إدارة الشؤون الصحية وإلى غياب الوعي للمخاطر السلوكية على الصحة[78]، وبالنسبة لمؤشر العدالة الاجتماعية كحق من حقوق الإنسان الاجتماعية فإن سياسات التكيف الهيكلي أدت إلى غياب العدالة في توزيع الثروات بين المواطنين داخل الدولة الواحدة فتشير البيانات إلى أن أغنى 20% من التونسيين يحصلون على 46.3% من الدخل القومي الإجمالي بينما يحصل أفقر 20% على 5.9% وفي المغرب يحصل أغنى 10% على 30.5% من الدخل ويحصل افقر10% على 2.8% وفي اليمن يحصل افقر10% من السكان على 1.5% من الدخل وأغنى 10% من السكان يحصلون على 50%من الدخل[79]. والجدول رقم (7-2) يظهر عدم العدالة في توزيع الثروة الوطنية بين طبقات المجتمع.

أما في مجال الحريات السياسية والمدنية، فتشمل الحريات السياسية حق المشاركة السياسية والتأثير في اتخاذ القرارات التي تمس حياته، وحرية التعبير عن الرأي، أما الحريات المدنية فتشمل الحق في الحصول على محاكمة عادلة، فإن تأثير سياسات التكيف يظهر على الحريات السياسية من ناحيتين: **الناحية الأولى:** من حيث أنها سياسات غير وطنية، فإنها تتعارض مع حق المشاركة في اتخاذ القرارات التي تمس حياته، فهذه السياسات تتم عن طريق المفاوضات السرية بين صندوق النقد الدولي وبين الدولة المعنية، وفي نهاية المفاوضات تتعهد الدولة بأن تلتزم بشروط صندوق النقد الدولي وهذه الشروط عبارة عن الإجراءات والسياسات التي ستقوم بها الدولة عند التنفيذ وهو ما يعرف (بخطاب النوايا) ونظرا للطبيعة السرية التي تجري فيها المفاوضات فإن المواطنين لا يكون لهم أي دور في اتخاذ القرار في تنفيذ هذه السياسات ولا يشكلون أي رأي حولها وخاصة أن ما ينتج عن هذه السياسات تمس الغالبية العظمى منهم، كما أنه وفي حال عرض هذه السياسات على ممثلي الشعب المنتخبين لاتخاذ القرار

بشأنها نيابة عنهم فإن الحكومة لا تطلعهم على طبيعة ومضمون خطاب النوايا باعتباره وثيقة سرية لا يحق لأحد الإطلاع عليها فإنهم لا يملكون سوى الموافقة عليها لسببين: الأول يتمثل بعدم حصولهم على المعلومات الكافية حول هذه السياسات واعتبارها سياسة وطنية من قبل الحكومات، والسبب الثاني الصلاحيات التي تملكها السلطة التنفيذية في الدول العربية حيال البرلمانات هيمنتها على السلطة التشريعية كما ذكر في الفصل الثاني، وبهذه الطريقة تكون الحكومة قد انتهكت حق الناس في المشاركة في اتخاذ القرارات التي تمس حياتهم. **والناحية الثانية:** يظهر تأثير هذه السياسات من خلال ما ينجم عنها من آثار سلبية تمس حياة المواطنين كالفقر والبطالة وانعدام العدالة الاجتماعية التي غالبا ما تلقى الاعتراض والاحتجاج الشعبي من قبل الفئات المتضررة وخاصة الفئات الفقيرة التي تقوم بالتعبير عن رأيها برفضها تلك السياسات عن طريق التظاهر والاحتجاج، والإضراب من قبل العمال بطريقة سلمية أو مصاحبه للعنف فإن الدولة غالبا ما تلجأ إلى استخدام العنف المضاد لمواجهة الاعتراضات والاحتجاجات الشعبية، وبما أن التظاهر والاحتجاج هي من وسائل التعبير عن الرأي كما هي وسيلة من وسائل المشاركة السياسية فإن ما تقدم عليه الحكومات من إجراءات المنع واستخدام العنف ضد هؤلاء فإنما تكون قد انتهكت حق المواطنين بالتعبير عن آرائهم عن المشاركة في الأمور التي تمس حياتهم، وكنتيجة لاستخدام العنف في مواجهة هذه التظاهرات من قبل الدولة ففي الغالب ما يقابلها عنف مضاد من قبل المتظاهرين مما يؤدي إلى أن تقوم الدولة باعتقال العديد من المتظاهرين اعتقالا تعسفيا ويؤدي إلى وقوع العديد من الضحايا كما حدث في العديد من الدول العربية عند تطبيق هذه السياسات (، مصر، المغرب، اليمن، الجزائر) في نهاية الثمانينيات وبداية التسعينيات.

المطلب الثاني: تأثير سياسات التكيف على الاستقرار السياسي

سنتناول عدد من مؤشرات الاستقرار السياسي والتي تتلاءم مع واقع الدول العربية لبيان تأثير سياسيات التكيف الهيكلي على الاستقرار السياسي في الدول العربية ، وهذه المؤشرات هي:

1. عدم الاستقرار الحكومي: ومؤشراته:
   - التغيير الحكومي المتكرر
   - التعديلات الوزارية المتكرره
2. العنف السياسي: ومؤشراته:
   - التظاهرات
   - الإضرابات
   - الاعتقالات

شهدت العديد من الدول العربية التي قامت بتنفيذ سياسات التكيف الهيكلي حالة من عدم الاستقرار السياسي ناتجة عن الآثار الناجمة عن تطبيق تلك السياسات أو ناتجة عن الإجراءات الاقتصادية المصاحبة لها عند البدء بتنفيذها.

ففي الجزائر وخلال الفترة من عام 1989- 2003 شهدت عشرة تغييرات لرئيس الوزراء بمعدل تغيير لكل 18 شهرا وشهدت 13 تعديلا وزاريا بمعدل تعديل وزاري كل 6،14 شهرا في حين انه من عام 1980- 1988 كفترة ضابطة شهدت الجزائر ثلاثة تغييرات لرئيس الوزراء بمعدل تغيير كل 36 شهرا وشهدت نفس الفترة تعديل وزاري كل 4،15 شهرا[80].

وبالنسبة لمؤشر العنف شهدت الجزائر 7 حوادث شغب و10 اضرابات و7 مظاهرات قام بها المواطنون خلال فترة تطبيق الجزائر لسياسات التكيف الهيكلي نتيجة لتدني مستوى المعيشة وسوء الأحوال الاقتصادية والمطالبة بتحسين أوضاعهم المعيشية وقد قامت السلطات الجزائرية باعتقال إعدادٍ من المواطنين بعد تلك الأحداث[81].

وكما حدث في الجزائر حدث ذلك في كل من مصر والمغرب واليمن فقد شهدت مصر 4 تغييرات لرئيس الحكومة بمعدل تغيير لكل 45 شهرا وأربعة تعديلات وزارية بمعدل تعديل لكل 45 شهرا خلال فترة الدراسة في حين شهدت الفترة من عام 1980- 1988 تغييرا واحدا لرئيس الحكومة لكل 18 شهرا وتعديلا وزاريا لكل 18 شهرا ومما يشار إليه ان وزارتي الداخلية والاقتصاد شهدت أعلى معدلات التغيير[82] وشهدت مصر كذلك 86 حادث شغب و7 مظاهرات و75 إضرابا عماليا خلال فترة الدراسة وقد شهدت الأعوام 1997 و1998 أعلى معدلات في تلك الأحداث وفي أعقاب تلك الأحداث كانت السلطات المصرية تقوم باعتقال أعدادا من المواطنين وكانت تلك الأحداث ناتجة عن سوء الأحوال الاقتصادية وتدني المستوى المعيشي للمواطنين وانخفاض أجور العمال والموظفين[83]. أما في اليمن فقد شهدت من عام 1990 – 2003 ولم تكن في عام 1989 موحدة 9 تغييرات لرئيس الحكومة أي بمعدل تغيير كل 20 شهرا و15 تعديلا وزاريا أي بمعدل تعديل وزاري كل 12 شهرا، أما بالنسبة لمؤشر العنف فقد شهدت اليمن 3 حوادث شغب و6 مظاهرات و12 إضرابا كلها نتيجة لسوء الأوضاع الاقتصادية والمعيشية للمواطنين[84]. وفي المغرب بلغ معدل تغيير رئيس الحكومة من عام 1989- 2003 (11) تغييرا بمعدل تغيير كل 16 شهرا و12 تعديلا وزاريا أي تعديل كل 15 شهرا وبالنسبة لمؤشر العنف فقد حدث في المغرب 4 حوادث شغب و7 مظاهرات و8 إضرابات عن العمل ناتجة عن تردي الأحوال الاقتصادية في الدولة [85].

تأثير سياسات التكيف الهيكلي على المشاركة السياسية.

تم اعتماد أربعة مؤشرات للمشاركة السياسية لمعرفة تأثير سياسات التكيف على هذه المؤشرات وهي: التصويت في الانتخابات البرلمانية – المشاركة الحزبية في الانتخابات – التمثيل الحزبي – عدد المرشحين المتنافسين.

الجداول من (2-2 الى 2-5) تبين نسب مؤشرات المشاركة السياسية في كل من اليمن والجزائر والمغرب ومصر.

جدول رقم (2-2): يبين نسب مؤشرات المشاركة السياسية في اليمن

مؤشر المشاركة السياسية	انتخابات 1993	انتخابات 1997	انتخابات 2003
نسبة المقترعين إلى المقيدين	%84	%61.88	%76.58
عدد المتنافسين حزبيون ومستقلون	3181	2311	3271
المشاركة الحزبية	22	12	21
الأحزاب الممثلة في البرلمان	8	4	12

المصدر: الشيباني: ياسين، الفقر والديمقراطية، الحالة اليمنية، على شبكة الإنترنت، 2004/6/20 www.scer.org./html/yaseen-Al-shaibani.doc والهيئة العليا للانتخابات اليمنية، نتائج الانتخابات اليمنية 2003، على شبكة الإنترنت، 2005/4/10.

جدول رقم (2-3): يبين نسب المشاركة السياسية في الجزائر

مؤشر المشاركة السياسية	انتخابات 1991	انتخابات 2002
نسبة المقترعين إلى المقيدين	%59	46.17
عدد المتنافسين حزبيون ومستقلون	8730	1050
المشاركة الحزبية	49	23
الأحزاب الممثلة في البرلمان	8	6

المصدر: الصيداوي: رياض، الانتخابات والديمقراطية والعنف في الجزائر، المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ع245، 7/ 1999، ص39 والاتحاد البرلماني العربي، الجزائر انتخابات جديدة، مجلة البرلمان العربي، **السنة 23**-ع84 والثمانون: آب/ 2002، على شبكة الإنترنت، 7/4/ 2005

http://www.arab-ipu.org/publications/journal/v84/world.html#index

جدول رقم (2-4): يبين نسب المشاركة السياسية في المغرب

مؤشر المشاركة السياسية	انتخابات 1993	انتخابات 1997	انتخابات 2002
نسبة المقترعين إلى المقيدين	%62.75	%58	%52
عدد المتنافسين حزبيون ومستقلون	-	3288	4550
المشاركة الحزبية	-	16	26
الأحزاب الممثلة في البرلمان	12	11	11

المصدر: قسم البحوث والدراسات: الانتخابات التشريعية المغربية قديما وحديثا، على شبكة الإنترنت 2005/4/6 www aljzeera net/NR/exeres/9E5047E8-2600-4f4f-9838-D55905344D74 htm. وبرنامج إدارة الحكم في الدول العربية: التقرير السنوي 2002، الانتخابات في المغرب، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، على شبكة الإنترنت 6/ 4/ 2005 www.pogar.org/arabic/govnews/2002/elections/morocco

جدول رقم (2-5): يبين حجم المشاركة السياسية في مصر

مؤشر المشاركة السياسية	انتخابات 1990	انتخابات 1995	انتخابات 2000
نسبة المقترعين إلى المقيدين	%46	%50	%25.21
عدد المتنافسين حزبيون ومستقلون	2676	3890	3957
المشاركة الحزبية	8	12	13
الأحزاب الممثلة في البرلمان	8	7	6

المصدر: البيانات الإحصائية للانتخابات من التقرير الاستراتيجي العربي لعام 1995، الصادر عام 1996، ص380- 386، والتقرير الاستراتيجي العربي لعام2000، الصادر عام 2001، ص307- 313، الصادرة عن مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، في القاهرة

بتحليل الارقام السابقة بالنسبة لمؤشرات المشاركة السياسية السابقة نلاحظ في اليمن ارتفاع بمعدلات المشاركة السياسية في عام 1993 قبل البدء بتنفيذ سياسات التكيف الهيكلي عام 1995 وفي انتخابات عام 1997 وعام 2003 وبعد تطبيق سياسات التكيف الهيكلي كان هناك انخفاض في معدلات المشاركة السياسية مقارنة مع عام 1993 وترجع الدراسات الى سوء الأحوال الاقتصادية والمعيشية التي يعاني منها المواطن اليمني على الرغم من ان اليمن كان لا يزال ينفذ سياسات التكيف الهيكلي. وفي الجزائر لعبت الظروف الاقتصادية السيئة دورا ايجابيا بارتفاع معدلات المشاركة السياسية حيث استغلت هذه الظروف في الحملات الانتخابية التي جرت عام 1991 وكانت الجزائر قد بدأت بتنفيذ سياسيات التكيف عام 1987 إلا انه وفي انتخابات عام 2002 لعبت الظروف الاقتصادية التي ازدادت سوءا الناتجة عن تطبق سياسات التكيف دورا سلبيا في تراجع معدلات المشاركة السياسية، أما في المغرب فنلاحظ ان معدل المشاركة السياسية

عام 1993 قبل تنفيذ المغرب سياسات التكيف عام 1995 كان مرتفعا مقارنة بانتخابات عام 1997 و2002حيث لعبت الظروف الاقتصادية والمعيشية السيئة دورا في تراجع معدلات المشاركة السياسية في حين كان هناك ارتفاع في عدد المتنافسين للرغبة في الفوز بمقعد في مجلس النواب لمحاولة تحسين الظروف الاقتصادية للمواطنين من خلال البرلمان. وما ينطبق على كل من اليمن والجزائر والمغرب فينطبق نفس الشيء على مصر فمن خلال الإطلاع على معدلات المشاركة السياسية نلاحظ أن هناك ضعفا ملحوظا في المشاركة السياسية حتى قبل تطبيق سياسات التكيف الهيكلي عام 1991 ولكن في انتخابات عام 2000 انخفضت معدلات المشاركة السياسية باستثناء الارتفاع في عدد المتنافسين سواء حزبيين أو مستقلين ويرجع السبب في ذلك ان عضوية مجلس الشعب المصري غالبا ما تستغل من قبل الأعضاء لتحسين أوضاعهم الاقتصادية.

النتائج

سعت هذه الدراسة الى إثبات فرضية الدراسة التي تمثلت بوجود علاقة سلبية بين سياسيات التكيف الهيكلي وعملية التنمية السياسية في الدول العربية، وقد تم اختيار أربع دول عربية قامت بتنفيذ سياسات التكيف الهيكلي ولديها عددا من مؤشرات التنمية السياسية، وقد تم اعتماد ثلاثة مؤشرات للتنمية السياسية هي: الديمقراطية والمشاركة السياسية والاستقرار السياسي وقد جاءت نتائج الدراسة على تلك المؤشرات ومؤشراتها الفرعية على النحو التالي:

1. كان لسياسات التكيف الهيكلي تأثيرا سلبيا على مؤشر الديمقراطية من خلال تأثيرها المباشر على المؤشرات الفرعية للديمقراطية المتمثلة بحقوق الإنسان السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وقد تبين من خلال الدراسة انه ونتيجة للإجراءات المصاحبة لسياسات التكيف الهيكلي عند البدء وخلال التنفيذ، ساهمت هذه الإجراءات التي تقوم بها الحكومات بحرمان الكثير من أعمالهم ووظائفهم وقللت لدى الكثير من الحصول على عمل أو وظيفة مما ساهم في رفع معدلات الفقر والبطالة بين فئات المجتمع الأمر الذي أدى الى ازدياد الفجوة بين الأغنياء والفقراء، كما أنها ساهمت في عدم قدرة الكثير من عدم الحصول على التعليم العالي وحرمان الكثير من الحصول على خدمات صحية جيدة. وكذلك الأمر بالنسبة للحقوق السياسية فقد قامت الحكومات العربية بانتهاك تلك الحقوق عن طريق حرمان المواطنين من التعبير عن أرائهم حول تلك السياسات وعدم منحهم المعلومات عن سير المفاوضات بين الحكومات وبين البنك وصندوق النقد الدوليين التي كانت تجرى فيه المفاوضات بشكل سري، كما أن هؤلاء المواطنين حرموا من حقهم في الاحتجاج والتظاهر السلميين على النتائج السلبية لسياسات التكيف الهيكلي. وبما أن الديمقراطية تضمن للمواطنين تلك الحقوق فان تنفيذ سياسات التكيف الهيكلي كان لها دورا في حرمانهم من تلك الحقوق.

2. أما بالنسبة لمؤشر المشاركة السياسية فقد توصلت الدراسة الى أن سياسات التكيف الهيكلي قد كان لها تأثيرا سلبيا على مؤشرات المشاركة السياسية حيث تبين انه وقبل تنفيذ الدول العربية لسياسات التكيف الهيكلي كانت نسبة التصويت في الانتخابات البرلمانية أعلى منها بعد تطبيق تلك السياسات ونفس هذا التأثير ينطبق على عدد الذين يرشحون أنفسهم للانتخابات البرلمانية حيث يقتصر الترشيح على من لديهم الامكانات المادية حيث ساهمت سياسات التكيف الهيكلي بتزايد أعداد الفقراء وتراجع الطبقة الوسطى وبالتالي اقتصرت قدرة الترشيح على أفراد الطبقة الغنية.

3. وكما كان لسياسات التكيف تأثيرا سلبيا على مؤشري الديمقراطية والمشاركة السياسية فقد كان لها تأثيرا سلبيا على مؤشر الاستقرار السياسي فقد لوحظ من خلال البيانات المتعلقة بتأثير سياسات التكيف على الاستقرار السياسي من خلال المؤشرات التي تبنتها الدراسة تزايد أعمال العنف الرسمي والعنف الشعبي وكذلك زيادة التظاهرات المصحوبة بالشغب احتجاجا على تنفيذ تلك السياسات وبنفس الوقت كثرت التغييرات الحكومية والتعديلات الوزارية في الفترة التي أعقبت تنفيذ سياسات التكيف الهيكلي.

ومما سبق يتضح لنا صدق فرضية الدراسة وإثباتها وانه كان لتطبيق سياسيات التكيف الهيكلي تأثيرا سلبيا على عملية التنمية السياسية في الدول العربية.

الرؤية المستقبلية للتنمية السياسية في الدول العربية

تبين من خلال هذه الدراسة ان العديد من الدول العربية بعد التغيرات العالمية في السنوات العشرة الأخيرة من القرن العشرين التي تمثلت بانهيار الاتحاد السوفييتي وسقوط المنظومة الاشتراكية والإعلان عن نظام عالمي جديد أحادي القطبية وتحول العديد من دول العالم الى النظام الديمقراطي سارعت الى الاهتمام ببناء عملية التنمية السياسية بتحولها الى النظام الديمقراطي وفتح باب المشاركة السياسية لمواطنيها وتدعيم استقرارها السياسي بعد ان شهد العديد من الدول العربية حالة من عدم الاستقرار السياسي نتيجة لسوء الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في تلك الدول، ونظرا الى الظروف التي أعلن فيها عن بناء عملية التنمية السياسية في الدول العربية والتي لا زالت تعاني منها منذ منتصف الثمانينات من القرن الماضي ولا تزال تتفاقم حتى وقتنا الحاضر فان عملية التنمية السياسية في الدول العربية والتي تحتاج الى مجموعة من المتطلبات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتي لم تستطع الدول العربية تحقيقها أو توفيرها لا يمكن ان تحرز تقدما في بناء عملية التنمية السياسية، ولذلك يمكن القول ان التنمية السياسية في الدول العربية بحاجة الى تغييرات جذرية في البنى الاجتماعية والاقتصادية والسياسية حتى تتقدم عملية التنمية السياسية في الوطن العربي.

Restructuring Policies and its Impact on political Development in Arab Countries- Case Study: Egypt, Yemen, Algeria, Morocco in the Period 1989 -2003

Masoud Al-Rabadi & Mohammad Al-Zuabi,*Department of Political Science, Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study aims at clarifying the relationship between restructuring policies and political development in Egypt, Yemen, Algeria and Morocco in the period 1989 – 2003. It also aims at evaluating these policies from an economic, political and social viewpoints, focusing on impact on political development, especially regarding democracy indicators, political stability and political participation. The study has reached the followwing conclusiond :

1- Restucuring policies has a negative effect on democrecy indicators through its impact on human rights politically, socially and economically .

2- Restructuring policies has a negative effect on political participation in these countries, as the number of voters has decreasedwhil the nunber of poor has increased there by lowering the number of middle class candidates and restricting election candidates to upper classpeople .

3- Resttucturing policies has had a negative effect on political stability in these countries through the increase of oficial and popular violence, protests, and frequent governmant changes .

قدم البحث للنشر في 2007/9/3 وقبل في 2008/1/29

المصادر والمراجع

1- منار الرشواني، **سياسات التكيف الهيكلي والاستقرار السياسي في الأردن**، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة آل البيت 1999، ص ص 23-24.

2- منير الحمش، **الجوانب الاجتماعية للإصلاح الأقتصادي**، على www.mafhoum.com/syr/articler تاريخ 2004/11/18 .

3- جورج مكتري، نوعية التصحيح والنمو: **مجلة التمويل والتنمية**، المجلد 33، عدد 2، يونيو 1996، ص 22.

4- جودة عبد الخالق، تجربة مصر في التثبيت الاقتصادي: الدروس المستفادة وبدائل المستقبل، **مجلة المستقبل العربي**، السنة 12، العدد 129، تشرين ثاني 1995، ص 114.

5- أريك أوفر دال، استجابة الاستثمار والنمو لسياسات التصحيح، **مجلة التمويل والتنمية**، المجلد 33، العدد 2، يونيو 1996، ص 19.

6- رمزي زكي، **السياسات التصحيحية والتنمية في الوطن العربي**، دار الرازي، ط 1، 1989، ص168.

7- مصطفى حسين، التكيف الاقتصادي، **مجلة آفاق اقتصادية**، المجلد 18، العدد 69، 1997، ص115.

8- منير الحمش: **الجوانب الاجتماعية للاصلاح الاقتصادي**، على www.islamonline.net بتاريخ 2004/12/20.

9- مصطفى حسين، المصدر السابق، ص ص 118-122.

10- عبد الصاحب العلوان، سياسات **التثبيت الاقتصادي والتكيف الهيكلي وتأثيراتها في مجهودات التنمية**، في، مهدي الحافظ، تقييم سياسات التثبيت الاقتصادي والتكيف الهيكلي في الأقطار العربية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1999، ص ص 354 -355.

11- رمزي زكي، **السياسات التصحيحية والتنمية في الوطن العربي**، المصدر السابق، ص 60

12- هدى ميتكيس، الجديد في التنمية السياسية: رؤية نقدية، **مجلة العلوم الاجتماعية**، مجلد 2، عدد 2، 2002، ص8.

13- عبد الفتاح الرشدان، رؤية في التنمية العربية، **مجلة العلوم الاجتماعية**، مجلد 275، عدد 24، 1999، ص63.

14- عبد المطلب غانم، **دراسة في التنمية** (القاهرة: مكتبة نهضة الشرق 1981)، ص ص68-69.

15- هيجوت ريتشارد، **نظرية التنمية السياسية**، ترجمة حمدي عبد الرحمن، المركز العلمي للدراسات السياسية، ط 1، 2001، ص7.

16- أحمد زايد، الدولة في العالم الثالث: الرؤية السوسيولوجية، **سلسلة علم الاجتماع المعاصر** (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع 1985، ط 1، ص ص 42 -43.

17- أسامة الغزالي حرب، الأحزاب السياسية في العالم الثالث، **سلسة عالم المعرفة**، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون 1987، العدد 117، ص33.

18- أسامة الغزالي حرب، نفس المصدر، ص35.

19- هدى ميتكيس، **الجديد في التنمية السياسية**، المصدر السابق، ص11.

20- أسامة الغزالي حرب، **الأحزاب السياسية في العالم الثالث**، المصدر السابق، ص33.

21- محمد مهنا، **النظرية السياسية والعالم الثالث** (المكتب الجامعي الحديث 1983)، ص ص 186 -190.

22- عبد الحليم الذيات، **التنمية السياسية: دراسة في علم الاجتماع السياسي**، القاهرة: دار المعرفة الجديد، ص 118.

23- جمال ابو شنب، **الصفوة العسكرية والتنمية السياسية في دول العالم الثالث** (القاهرة: دار المعرفة الجامعية)، ص 215.

24- منار الرشواني، **سياسات التكيف الهيكلي والاستقرار السياسي في الأردن**، المرجع السابق، ص20.

25- حازم البيلاوي، **الديمقراطية الليبرالية: قضايا ومشاكل** (القاهرة: رسائل النداء الجامعي 1995)، ص43.

26- هيجوت ريتشارد، **نظرية التنمية السياسية**، المصدر السابق، ص247.

27- علي خليفة الكواري، **مفهوم الديمقراطية المعاصرة، في المسألة الديمقراطية في الوطن العربي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2000، ص17.

28- lucian w. pye, *Aspect of political Development*, Boston, 1966, P.55 .

29- Samuel p. Huntington and Joan M.Nelson, *No Easy Choice: Political Participation in Developing countries*, Harvared University, Prees, 1976, p3

30- سعد الدين إبراهيم، **المجتمع والدولة في الوطن العربي: مشروع استشراق المستقبل**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 1985)، ص 186.

31- علي خليفة الكواري، **تنمية للضياع أم ضياع لفرص التنمية**، محصلة التغيرات المصاحبة للنفط في بلدان مجلس التعاون الخليجي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط 1، 1996، ص267

32- خالد الوزني، سياسيات التثبيت والتكيف الهيكلي، تجربة الأردن، **سلسة اقتصاديات الأردن والشرق أوسطية**، تقرير رقم 3، مركز الأردن الجديد للدراسات، 1994، ص 8.

33- كريمة كريم، **الاقتصاد المصري: التحديات والسياسات**، جامعة الأزهر، 1997، ط 1، ص20.

34- منى قاسم، **الإصلاح الاقتصادي في مصر**، الدار المصرية اللبنانية للنشر، القاهرة، 1997، ط1، ص28.

35- **التقرير الاستراتيجي العربي**، 1997، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية 1998، ص ص: 147 -148.

36- حمدي عبد العظيم، **الإصلاح الاقتصادي في الدول العربية**، القاهرة: زهراء الشرق 1998، ص ص 181 – 182.

37- محمد أحمد الأفندي، **تجربة الجمهورية اليمنية في الإصلاح الاقتصادي والتكيف الهيكلي في الأقطار العربية**، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية 1999، ط1، ص 132.

38- عبد الملك الجبلي، الفقر والبيئة في اليمن ن صنعاء: **مجلة الأكليل**، 2001، عدد 25، ص ص 110 – 111.

39- بوطالب قويدر، **السياسات النقدية والائتمائية في إطار إستراتيجية الإصلاح، الحالة الجزائرية**، في مهدي الحافظ، المصدر السابق. ص ص61-63.

40- إسماعيل قيرة، مستقبل الديمقراطية في الجزائر، **دراسات الوحدة العربية**، 2002، ط1، ص225.

41- مهدي الحافظ، العملية الديمقراطية: التحول من النظم ذات التخطيط المركزي نحو التعددية السياسية، **ندوة التنمية، ندوة عربية نمساوية**، منتدى الفكر العربي، 1996، ص 92.

42- دانيال بروبيرغ، **التعدد وتحديات الاختلاق**، ترجمة عمر الأيوبي، دار الساقي، ط 1، 1997، ص 22.

43- ثناء عبدالله، **الدولة والقوى الاجتماعية في الوطن العربي: علاقات التفاعل والصراع**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2001، ط 1، ص 78.

44- عبد النور بن عنتر، **إشكالية الاستعصاء في الوطن العربي**، في علي خليفة الكواري، المسألة الديمقراطية في الوطن العربي، المصدر السابق، ص ص 52 – 53.

45- محمد عابد الجابري، **المشروع.النهضوي العربي**، مراجعة نقدية، (بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية 1996)، ص 144.

46- خالد الحروب، مبدأ المواطنة في الفكر العربي، **مجلة المستقبل العربي**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2001، العدد 264 السنة 23، ص 128.

47- محمد عابد الجابري، **مشروع النهضوي العربي**، المرجع السابق، ص ص 144 – 145.

48- **التقرير الاستراتيجي العربي لعام 1986**، القاهرة: مركز الدراسات الاستراتيجية بالأهرام 1986، ص 286.

49- هالة مصطفى، الديمقراطية بين الانتخابات والقيم الليبرالية، القاهرة، **مجلة السياسة الدولية**، ابريل 2000، عدد 140، ص 60.

50- مصطفى السيد، مستقبل الديمقراطية في الوطن العربي، حلقة نقاش، **مجلة المستقبل العربي**: بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2002، عدد 276، ص 117.

51- توفيق إبراهيم حسنين، التطور الديمقراطي في الوطن العربي: قضايا وإشكاليات، **مجلة السياسة الدولية**، عدد 142 أكتوبر 2000، ص 9.

52- عبد الإله بلقزيز، **الانتقال الديمقراطي في الوطن العربي، العوائق والممكنات**، في علي خليفة الكواري، المسألة الديمقراطية في الوطن العربي، المصدر السابق ص ص 138 – 139.

53- محمد حافظ يعقوب، **القطب والدلالة في الثقافة والانسداد الديمقراطي**، المؤسسة الفلسطينية لدراسات الديمقراطية، 1997، ص 112.

54- محمد حافظ يعقوب، نفس المصدر، ص115.

55- محمد جابر الأنصاري، **العرب والسياسة: أين الخلل؟ جذور العطل العميق**، دار الساقي، بيروت، 1998، ص37.

56- أحمد يوسف، **تطور المؤسسات في منطقة الاستواء**، في رياض طيارة، الإسكوا في خمسة وعشرون عاماً للتطورات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بيروت، 1999، ص138.

57- مصطفى كامل السيد، مستقبل الديمقراطية في الوطن العربي، **مجلة المستقبل العربي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 2002، العدد 276، ص116.

58- محمد أحمد الأفندي، **تجربة الجمهورية اليمنية في الإصلاح المالي**، المصدر السابق، ص ص 160 – 168.

59- عبد الخالق جودت، **سياسات التثبيت والتكيف الهيكلي في مصر**، في مهدي الحافظ، تقييم سياسات التثبيت الاقتصادي في الأقطار العربية) بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية 1999، ص331.

60- كريمة كريم، **الاقتصاد المصري: التحديات والسياسات**، المرجع السابق، ص34.

61- أحمد رشاد موسى، أداء الاقتصاد العربي، **مجلة الوحدة الاقتصادية**، السنة الحادية عشر، العدد 17، 1998، ص79.

62- بوطالب قويدر، **السياسة النقدية والائتمانية في إطار إستراتيجية الإصلاح: الحالة الجزائرية**، في مهدي الحافظ، تقييم سياسات التثبيت الاقتصادي في الأقطار العربية، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، 1999، ص ص 61 -62.

63- أسامة العاني، أثر برامج التصحيح والتكيف الهيكلي في تعميق مشكلة الفقر في أقطار عربية مختارة، **مجلة الوحدة الاقتصادية العربية**، السنة 12، 1999 ن عدد 20، ص59.

64- مهدي الحافظ، **تقييم سياسات التثبيت الاقتصادي في الأقطار العربية**، المصدر السابق، ص370.

65- **تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002**.

66- عبد السلام أديب، **مأزق البطالة في المغرب**، على شبكة الانترنت 2004/10/22. www.annahjaddimocrati.org/pages/economie/bitala

67- هبة أحمد نصار، **بعض الآثار الاجتماعية لبرامج الإصلاح الاقتصادي في مصر**، في جودة عبد الخالق وهناء خير الدين، الإصلاح الاقتصادي وآثاره التوزيعية، دار المستقبل، القاهرة 1994، ص ص 111 – 113.

68- أسامة العاني، **أثر برامج التثبيت الاقتصادي والتكيف الهيكلي في تعميق مشكلة الفقر في أقطار عربية**، المصدر السابق، ص ص 57 – 58.

69- عبد الرزاق الفارس، **الفقر وتوزيع الدخل في الوطن العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت 2001 ن ص10.

70- **تقرير التنمية البشرية الصادرة عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي 2001**.

71- برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، **تقرير التنمية الإنسانية العربي لعام 2002**، إصدار المكتب الإقليمي العربي، ص86.

72- شارل عيساوي، **الأسس الاقتصادية والاجتماعية للديمقراطية في الشرق الأوسط**، على شبكة الانترنت 2005/2/1 www.uluminsania.net/a170.htm.

73- طارق محمد عبد الوهاب، **سيكولوجية المشاركة السياسية**، القاهرة: غريب للطباعة والنشر 2000، ص ص 87 -88.

74- شارل عيساوي، **الأسس الاقتصادية والاجتماعية للديمقراطية في الشرق الأوسط**، المصدر السابق.

75- حسين علوان البيج، الديمقراطية وإشكالية التعاقب على السلطة، **مجلة المستقبل العربي**، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1998، العدد 236، ص 99.

76- **تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002**، الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، الصندوق العربي للإنماء الاقتصادي والاجتماعي، ص90.

77- **تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002**، نفس المصدر، ص90.

78- **تقرير التنمية الإنسانية العربية لعام 2002**، نفس المصدر، ص37.

79- **التقرير الاستراتيجي العربي لعام 1997**، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية العربي، 1998، ص ص 141 -147.

80- *Political Leaders of Algeria*, Prime ministers, Internet, 17/4/2005 www.atbab.com/arab/countries/Algeria/htm#politics

81- **تقرير المنظمة العالمية لحقوق الإنسان لعام 2001**، على شبكة الانترنت 2005/4/2 www.hrw.org/wr2k2menal.html. منظمة العفو الدولية، تقرير عام 2003، على شبكة الانترنت 2005/4/12 web.amnesty.org/web/ar2003/nsf/nsf/webme/ countries

82- حسنين توفيق إبراهيم، الانتخابات البرلمانية في مصر: العنف الانتخابي وثقافة العنف، **مجلة المستقبل العربي** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1996، السنة 18، عدد 206، ص7.

83- U.S Department of state, *Human Rights Reports for, 1996, 1997, 1998, 1999, 2000, 2001*, Internet 17/4/2005 www.state.gov/www/globol/humanrights/1998 hrp report/Egypt.html.

84- Republic of yemen, *Political Leaders of yemen* of Internet, 17-4-2005. www.atbab.com/gemen/gov/govl.htm.

85- *Political Leaders of Morocco, Prime ministers*, Internet 17-4-2005 www.atbab.com/arab/coubtries/Morocco/htm#politics

أنماط الاتصال التي تتبعها الأسرة مع أطفالها ومدى انعكاسها على بناء شخصية الأبناء

فيصل مطالقة*

ملخص

إن النقص الحاصل في الاتصال ما بين الوالدين والأطفال مشكلة تواجهها عدة عائلات وخصوصاً تلك العائلات التي يتواجد فيها المراهقين.

من جهة يشكو الأطفال بأنهم يشعرون بالوحدة والاكتئاب لأنه لا يوجد مَنْ يشاركهم مشاكلهم والضغوط عليهم، وفضلاً عن الحياة المريحة مادياً، فإنهم يشعرون بالتعاسة داخلياً، فهم يتهمون والديهم بأنهم لا يفهمونهم ولا يقدمون لهم الدعم العاطفي.

من جهة أخرى فإن الوالدين يتألمون لاتهام أطفالهم لهم وذلك لأنهم يعتقدون بأنهم كانوا يعملون الكثير من أجل أطفالهم،وأنهم مخطئون باعتقادهم بأنهم كانوا دائماً جاهزين للاتصال مع أطفالهم والحديث معهم وثمة شعور بالألم للعديد من الأهالي لوجود اختلافات مع أطفالهم.

من الواضح والثابت أن الوالدين والأطفال يعانون كثيراً من هذه المشكلة، وعلى من يقع اللوم؟ وقد أوضحت الدراسة أن اللوم يقع على الوالدين بشكل رئيسي.

لذلك تحاول هذه الدراسة تحديد أنماط الاتصال المختلفة التي يمكن أن تستخدم من قبل الوالدين لجعل الأطفال يشعرون بالحب والقبولية، وركزت الدراسة على نمط الاتصال اللفظي وغير اللفظي وحاولت أيضاً التركيز على القبولية وكيف يتقبل الوالدان أطفالهم؟ وكيف يتقبل الأطفال والديهما؟ والتي تظهر من خلال أنماط الاتصال المختلفة التي يستخدمونها مع بعضهم البعض، وقد نوقشت الأنماط من خلال دراسة عدة حالات حقيقية في المجتمع الأردني، وثم عرض ومناقشة لبعض الطرق التي يمكن للأشخاص المساعدين في هذه المهنة **(الأخصائيين، العاملين في إرشاد وتوجيه الطفل والأسرة، والعمل الاجتماعي وغيرهم)** أن يستخدموها للتأثير وتحفيز الأهالي لقبول أطفالهم.

المقدمة

الاتصال هو إرسال المعلومات من فرد لآخر، سواء كان لفظي مثال ذلك حديث شخص لشخص، أم غير لفظي والذي يستدل عليه من خلال حركات الجسد وملامح الوجه بشكل عام،

* كلية العقبة الجامعية، جامعة البلقاء التطبيقية، العقبة، الأردن.

ومثال ذلك تجاعيد الوجه والتي توحي للآخرين بأن الشخص منزعج من سلوك معين. والاتصال يمكن أن يكون ايجابيا أو سلبيا، مؤثراً وغير مؤثر، وهو عبارة عن تقنية نستخدمها لتعليم الأطفال القوانين والقيم والعادات وكيف يصبحون شباباً مسئولين.

من المهم للوالدين أن يدركا أهمية الاتصال بأطفالهما بانفتاح وتأثير حيث تعكس الفائدة ليس على الطفل فحسب بل على كل فرد من إفراد العائلة، كما أن العلاقة ما بين الوالدين والأطفال تتطور بشكل كبير عندما يكون هناك اتصالات عائلية مؤثرة وعموما كلما كانت الاتصالات بين الوالدين وأطفالهما جيدة فإن العلاقة حتما ستكون إيجابية. حيث يتعلم الأطفال الاتصال بالآخرين من خلال مشاهدتهم لوالديهم، فإذا كان الوالدان يتمتعان بمهارات اتصال قوية ومؤثرة ومنفتحة فإن الفرصة ليتعلم الأطفال هذه المهارات ستكون أكبر، إذ تؤثر فيهم خلال مراحل عمرهم المختلفة، حيث يبدأ الأطفال بتكوين الأفكار والاعتقادات الخاصة بهم وثقتهم بأنفسهم معتمدين بذلك على طرق الاتصال التي يتعامل الوالدان بها معهم.

الوالدان اللذان يتصلان بأطفالهما بطرق سليمة ومؤثرة سيكون لهم فرصة أكيدة لوجود أطفال جاهزين لعمل ما يريدان منهما فعله، فمثل هؤلاء الأطفال يعرفون ماذا يتوقعون من والديهم وهم أكثر عرضه للعيش حسب توقعات ذويهم وهم أيضا سوف يشعرون بأمان أكثر لموقعهم داخل العائلة وبالتالي سيكونون متعاونين لدرجة عالية داخل الأسرة لذا فإننا نجد أن للوالدين دوراً مهماً في تربية الطفل بحيث أنه بعد صلاح هذا الدور تصلح شخصية الطفل ونموه وبقدر اضطراب هذا الدور تضطرب شخصية الطفل (حسن، 1970).

وبما أن الأسرة هي المكان الأول الذي يتعلم فيه الطفل نماذج السلوك في الحياة فهي الأساس وراء اكتساب العادات والتقاليد والقيم، وكلما كانت العلاقات الأسرية في مسارها الطبيعي أدى ذلك إلى وجود توافق نفسي بين الصغير وأسرته، حيث يكون الطفل آمنا مطمئنا متزنا في انفعالاته وعواطفه، وتعد الاتصالات بين الوالدين والأطفال القاعدة ألأساسية لنجاح العلاقات الأسرية.

وتعد علاقة الطفل بوالديه من أقوى العلاقات الربطية في حياة الطفل. فالطفل منذ مولده لا يجد في مجاله الحياتي سوى الوالدين اللذين يرعيانه ويربيانه، ومن هنا فان هذه العلاقة بين الطرفين لها تأثير كبير على حياة الطفل المستقبلية فهي التي تبني شخصيته وتنمي عقله ومعرفته وسلوكه وعلاقته مع المجتمع، ولكي يؤتي الدور التربوي للوالدين ثماره ويحقق غاياته المرجوة لا بد أن يخطط له على أسس علمية سليمة (تركي، 1980؛ القرشي، 1986).

إن الدور الذي يلعبه الوالدان داخل العائلة من الممكن أن يؤثر على الإدراك الحسي للأطفال تجاه ذويهم، وفي النهاية تجاه أنفسهم، وتعد طريقة الاتصال أو التفاعل بين الوالدين

والأطفال من العوامل المهمة كونها عنصرا فعالا لتكوين شخصية الطفل منذ الولادة وحتى مرحلة متقدمة من العمر. وقد تبنى هذه العلاقة بين الطرفين من خلال تقبلهم لبعضهم بعضاً، فعلى الوالدين تقبل أطفالهما حتى يستطيع التأثير بهم وتنشئتهم تنشئة اجتماعية سليمة (matalka, 1994).

أهمية الدراسة

لهذا الموضوع أهمية النظرية وأهمية عملية وتكمن الأهمية النظرية للدراسة الراهنة في أن هناك دراسات عديدة أُجريت حول طرق الاتصال المؤثرة بالأطفال وعلاقتها بمتغيرات متعددة، إلا أن الباحث سعى إلى دراسة طرق الاتصال التي تتبعها الأسرة مع أطفالها، ومدى انعكاسها على بناء شخصية الأبناء وتتمثل الأهمية النظرية أيضا في محاولة تأصيل مفاهيم الاتصال والقبولية والإصغاء والتعرف على أنماط الاتصال والتي تؤثر سلبا وإيجابا على نمو وتطور الشخصية لدى الأبناء. وتأتي الأهمية العملية في أن هناك عناية خاصة في قضايا الأسرة والطفولة في المجتمع الأردني من خلال برامج التطوير للحد من المشكلات التي تعتريها، لذا كان من الضروري التعرف على أهم أساليب الاتصال الوالدية التي تتبعها الأسرة في الاتصال مع الأبناء من أجل محاولة إعداد البرامج الوقائية والتوعية بأنماط الاتصال ليستفيد منها الوالدان والباحثين والأخصائيين.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى:

1-التعريف بأهمية الاتصال ودور الوالدين فيه.

2. التعرف على دور الاتصال في بناء شخصية الطفل.

3- التعرف إلى طرق الاتصال الفعّال وغير الفعّال مع الأطفال.

4-وضع طرق أمام الأخصائيين لإرشاد الوالدين بأهمية دورهما في الاتصال الإيجابي مع أطفالهم

المنهج والأدوات

أولاً: المنهج، استعان الباحث في هذه الدراسة بمنهج دراسة الحالة وفي إظهار التكامل المنهجي استخدم الباحث المنهج الوصفي.

دراسة الحالة: استخدم الباحث منهج دراسة الحالة، لما له من دلالة في الكشف عن العلاقات الاجتماعية التي تنشأ بين المبحوث ومن حوله من الأفراد الآخرين، ودلالة ذلك بالنسبة له وتأثيرها على سلوكه واتجاهاته وقيمه التي تتشكل من خلال تلك العلاقة.

المنهج الوصفي: يهدف هذا المنهج إلى وصف الظاهرة محل الدراسة وتشخيصها وإلقاء الضوء على مختلف جوانبها وجمع البيانات اللازمة عنها مع فهمها وتحليلها من أجل الوصول إلى المبادئ والقوانين المتصلة بظواهر الحياة والعمليات الاجتماعية الأساسية والتصرفات الإنسانية، وعليه فقد استخدم الباحث المنهج الوصفي وذلك لوصف وتشخيص ظاهرة البحث بهدف لفت النظر إلى أهمية هذه الدراسة ووصف أساليب الاتصالات الوالدية المتبعة داخل مجتمعنا.

ثانياً: أدوات الدراسة، هي الوسائل التي تمكن الباحث من الحصول على البيانات من مجتمع البحث وتصنيفها وجدولتها، وقد استعان الباحث في دراسته الراهنة بـ:

الملاحظة دون المشاركة: وفيها يقوم الباحث بملاحظة الجماعة دون مشاركتها في أنشطتها ودون إثارة اهتمام المبحوثين، يكون الاتصال بأعضاء الجماعة مباشر دون شعورهم بأنهم تحت الملاحظة.

المفاهيم الإجرائية

الاتصال: ويشير إلى الطرق والوسائل التي يتفاعل بها الوالدان مع أبنائهما والأنماط السائدة في الأسرة والمتبعة في عملية التنشئة الاجتماعية ومدى تأثير هذه الوسائل على الفهم المشترك ما بين الوالدين والأبناء.

الاتصال أللفظي: وهو اللغة المنطوقة السائدة بين أفراد الأسرة ومدى تقبلها من قبل الآباء والأبناء.

الاتصال غير أللفظي: وهي لغة الإشارة ولغة الجسد التي تستخدم في التفاعل بين أفراد الأسرة.

القبولية: وهي مدى الرضا الحاصل من قبل الوالدين اتجاه أطفالهما والاقتناع بالإمكانيات والقدرات التي تتجلى في أطفالهم، وتشير أيضا إلى مدى أهمية ان يتقبل الوالدين أبنائهم كما هم وليس كما يطمحون وأثرها في تطور ونمو مفهوم الذات لدى الأبناء.

الإصغاء: وتشير إلى عملية الاستماع والفهم ما بين الوالدين وأبنائهم، وطرق وأساليب النقاش المتبعة بين أفراد الأسرة وأهميتها في فهم الوالدين لأبنائهم ومدى تأثيرها على نماء شخصية الأبناء.

مفهوم الاتصال

ان الاتصال الإنساني هو ضرورة إنسانية لتماسك الأفراد والجماعات والمجتمعات والشعوب. وهو القدرة على مشاركة الآخرين خبراتهم وأفكارهم وعقولهم ومعرفة حاجاتهم والعمل على إشباعها، وهو أيضا عملية التفاعل الاجتماعي بين المتكلم والمستمع والمشاهد وبين الكاتب والقارئ. والاتصال كذلك هو فن وعلم حديث يعتمد على غيرة من العلوم مثل علم النفس والاجتماع واللغة والفلسفة والسياسة، وهو فن التعامل مع الجمهور لكسب عقولهم وقلوبهم (أبو عرقوب، 1993).

ويُعرف الاتصال على أنه عملية نقل هادفة للمعلومات من شخص إلى آخر بغرض إيجاد نوع من التفاهم المتبادل بينهما (ياغي، 1403 هـ) وهو أيضا عملية تبادل الأفكار والمعلومات من أجل إيجاد فهم مشترك وثقة بين العناصر الإنسانية (علاقي، 1405هـ).

ويعني الاتصال المشاركة في المعلومات أو تبادل المعلومات والمشاعر والاتجاهات (Harm, 1974) ويرى آخرون ان الاتصال هو إرسال المعلومات للحصول على استجابة، فعندما تسأل سؤالا تريد إجابة عليه، وعندما ترسل رسالة، تتوقع رسالة جوابية عليها (Nimo, 1970).

وأيضا يمكن تعريف الاتصال بأنه: عملية تبادل ألمعلومات والأفكار بين أفراد أي مجتمع بعضهم بعضا سواء كانت أفكار ذات طبيعة علمية أم عملية أم اجتماعية أم ثقافية، وتنبع من حاجة الفرد إلى الكلام والاستماع والتفاعل مع الآخرين (روبنز، 1999).

ومما سبق يمكن تعريف الاتصال بأنه الطريقة التي يتفاعل بها أفراد المجتمع مع بعضهم البعض والوسائل التي تنتقل المعرفة والأفكار والمعتقدات بواسطتها من شخص إلى آخر، لإحداث تأثيرا معرفيا ووجداني وتبادل الخبرات والمعلومات بينهم.

الوالدان والقبولية

إن تقبل الوالدين للطفل يشكل المعيار والأساس لنجاح أسلوبهما في تربيته. فهو وحده الذي يخلق هذا الجو من الأمن الضروري لنمو شخصيته واكتمال اندماجه الاجتماعي، إلا أن هذا البعد التربوي الأساسي عادة ما يفرغ عندنا نحن الوالدين من محتواه الحقيقي حيثما ننظر إليه في إطار محددات التسلط أو التساهل ضمن سيرورة علاقة الوالدين بأطفالهما. فمن جهة يلاحظ أن الطفل الموجود عندنا في جو يتميز بالتسلط نادرا ما يعيش في اطمئنان أو يتعلم ما ينتظره منه الوالدين لأن السلطة كممارسة تربوية ما تزال تختزل في الأمر والإجبار عوضا عن التوجيه والإرشاد وفي الضغط والتشدد والتحكم عوضا عن التفهم والتسامح والحرية أحيانا.

إن تقبل فردية وسلبيات وأخطاء الطفل لا تعني بأي وسيلة قبول السلوك المنحرف والقبول هنا يعني العمل على جعل الأخر يعرف بأنه يفهم، وأنه يوجد هناك من هو مستعد للإصغاء إلى شعور وتفكير الآخرين وأنهم ذوو قيمة. وتعني أيضا تقبل فردية الشخص عند كل مرحلة من مراحل النمو والتطور والاستجابة إلى الحاجات المصاحبة لذلك التطور، وهذه الاستجابة تتضمن كل عوامل الحب من طرف الوالدين، وبهذه الاستجابة يظهر الأبوان مسؤوليتهما كأبوين محبين (Miller, 1978).

إن القبولية Acceptance تعمل على إسعاد الأطفال، وسعادة الطفل تهدف إلى تطور شخصية متجانسة يستطيع خلالها أن ينظر إلى العالم المتغير وإلى المستقبل بكل شجاعة وأمل. وبما أنه سوف يواجه دائما بعض الصعوبات خلال عملية النمو، فمن الممكن أن تـــؤثر على شخصيته إن نشأ وترعرع في مناخ عائلي، ومقبول كما هو، فـــهو يتعلم كـيف يطور الثقة بنفـسه، وبالتالي بالمحيط الذي يعيش فيه.

أما أسلوب التقبل فيتجسد فيما يظهره الوالدان من حب للأولاد، من خلال معاملتهما لهم، وتقبل الطفل هو شرط من شروط تنشئته تنشئه اجتماعية سليمة، والأطفال الذين يتم تقبلهم غالبا ما يكونوا أكثر تعاونا، وأكثر استقرارا وأكثر طُمأنينة من الناحية الانفعـالية (الدمرداش، 1984).

وقد أظهرت دراسة (الين ومايكل، 1984) ان الأطفال العدوانيين والمضطربين انفعاليا والمتأخرين دراسيا قد تعرضوا للقسوة والنبذ من الوالدين، وان (80 - 90٪) من الأطفال الجانحين كانوا في طفولتهم ضحايا سوء معاملة الوالدين والنبذ والتسلط الذي عاشوه في طفولتهم، ويرى (اراجيل) ان أساليب التنشئة الاجتماعية غير السوية تحدد عدد الجانحين والمرضى الفعليين في مجتمع من المجتمعات (العويدي، 1993).

من هنا فإن ما يحتاجه الوالدان هو استعمال مهارة مؤثرة عند الاتصـــال والتفاعل مع أطفالهما إذا أرادا أن يساعداهم على اكتساب القيم الصحيحة والتفريق بين ما هو صحيح وما هو خاطئ، وتطوير علاقات اجتماعية صحية، وأن يصبحوا أعضاء مســئولين وبنـــائين في المجتمع. وحسب رأي (Johnson, 1972) "إن التطور الإنساني ككل تحقق من خـلال تفاعل مشترك والذي اعتمد على اتصال مؤثر وفعال".

لذا فعلينا أن نركز على ديناميكية وأهمية الاتصال بين الأبوين والأطفـــال والتي لا نستطيع أن نتجاهل تأثيرها على تنمية العلاقات الإيـجابية بيـــن الأبوين والأطـفال بشــكل خـاص.

القبولية والإصغاء

على الوالدين أن يدركا أهمية الإصغاء ليس إلى كلام أطفالهما فقط بل الإحساس أيضا بما يـجول في خواطرهم، وعندما يحاول الأبوان ارتداء أحذية أطفالهما الصغار فإنهما يستطـيعان

معرفة ماذا يجول في خاطر أطفالهما وليس النظرة إلى الشيء من منظورهما كأبوين، وهذا يحتاج إلى صبر وتقمص عاطفي وتفهُم عندها سوف يتكلم الأطفال بحرية دون خجل أو خوف من الانتقاد والرفض، وسوف يشعرون بثقة كبيرة بأنفسهم لمعرفتهم بأنهم مقبولون بما هم عليه من قبل والديهم. وهذا يعلمهم أيضا كيف يصغوا لوالديهم ومراعاة شعورهما، وغير ذلك فإن النتيجة لا تبشر بالخير وإنما تنذر بسلوك منحرف.

وتطرق روجر إلى أهمية الإنصات فالإنصات برأيه هو الاستماع الجيد الذي من خلاله تسمع الكلمات والأفكار، ونغمات الأحاسيس، ومعنى الكلام بالنسبة للشخص المتحدث وحتى سماع الأمور التي نفسه غير واعي لها، هذا هو الاستماع العميق، فلو أتقن كل فرد فينا مهارة الإنصات الحقيقي للآخرين لأصبح للعلاقات بين الناس معنى آخر (مصالحه، 2003).

ملخص لنتائج البحوث الدالة على تأثير الوالدين على شخصية الطفل*

الرقم	جو الأسرة	أنواع السلوك الخاصة بالأطفال والمرتبطة بالجو العائلي
1	رافضة	خاضع، عدواني، صعوبة التكيف، الشعور بعدم الأمان، سادي، متوتر، خجول، عنيد، غير مطيع.
2	الحماية والدلال الزائد	طفولي، منسحب، خاضع، الشعور بعدم الأمان، عدواني، غيور، صعوبة التكيف، متوتر
3	والدان مسيطران	يعتمد عليه، خجول، خاضع، مهذب، واعي، غير متعاون، متوتر، شجاع، مشاكس، لا مبال
4	والدان خاضعان ومتساهلان	عدواني، لا مبال، غير مطيع، مستقل، واثق النفس، لديه قدرة على عمل صداقات بسرعة.
5	غير متناغمة (غير متجانسة)	عدواني، عصبي، غيور، جانح، غير متعاون
6	ناقصة التهذيب	تكيف ضعيف، عدواني، غيور، جانح، عصبي.
7	متناغمة ومتكيفة جداً	مطيع، تكيف جيد.
8	هادئة، سعيدة ومنسجمة	متعاون، تكيف عالي ومستقل.
9	قابلة للطفل	مقبول اجتماعيا ويواجه المستقبل بثقة.
10	اتجاه علمي ومنطقي	اعتماد على النفس، متعاون، متحمل للمسئولية
11	تهذيب شديد ومستمر	تكيف جيد
12	إعطاء المسؤولية للطفل	تكيف جيد، معتمد على النفس والشعور بالأمان
13	الوالدان يلعبان مع الطفل	الشعور بالأمان، والاعتماد على النفس

* النتائج خلاصة لعدة أبحاث أجريت على الاتصالات الأسرية

(Fletcher & Shaw.(2000)، Wals (2002)، Resnick.etal (1997)، Roff man (2002)، Kurz (2002)، Radke (1946).

عرض الحالات

الحالة الأولى

احمد والذي يبلغ من العمر أربعة عشر عاماً، هو فرد في أسرة مكونة من ثلاثة ذكور وفتاتان. يحمل رب الأسرة شهادة البكالوريوس في الإدارة، ويعمل موظفاً في القطاع الحكومي، والأم تحمل درجة الدبلوم في اللغة العربية وتعمل في التدريس. يدرس احمد وإخوته في مدرسة حكومية قريبة من منزلهم، المكون من ثلاثة غرف نوم ومرافقها، في منطقية سكنية جيدة الخدمات. امتاز احمد بالنشاط،، والتفوق الدراسي، والاعتماد على الذات في عمل الواجبات اليومية في المرحلة الابتدائية، إلا أنه سجل لاحقاً تراجعاً أكاديمياً واضحاً، الأمر الذي دفع بمدرسيه إلى تنبيهه، ومحاولة لفت نظره للتراجع الحاصل، ومحاولة تحفيزه للاهتمام بالدراسة، ولكن دون نتيجة، أو تعاون، أو اهتمام من طرف الطفل، أو ذويه اللذان لم يزورا المدرسة أو يتابعا أبنائهم دراسياً. حيث يشير احمد في حديثه أن والداه لم يزورا المدرسة ولم يسألا عنه ولا عن إخوته منذ ثلاث سنوات وهذا الأمر ينطبق على ضعف المتابعة المنزلية للدراسة أو حتى الحديث عن اليوم الدراسي والذي يكاد يكون نادراً. حيث يبرر احمد هذا القصور من طرف والديه بانشغالهم الدائم صباحاً بوظائفهم ومساءاً بتبادل الزيارات العائلية والواجبات الاجتماعية. يقول احمد في حديثه عن هذه المرحلة أنني منذ الصف السابع شعرت بصعوبة في فهم بعض المواد العلمية واللغة الانجليزية وقد حاولت جاهداً الإفصاح عن هذا الأمر من خلال الحديث مع والداي وطلب المساعدة منهم ولكن لم يظهرا أي اهتمام أو مبالاة بمشكلتي ولو بتقديم الإرشاد أو النصح الأمر الذي اثر على مستواي الأكاديمي ومن ثم رسوبي في المدرسة.

يقول احمد: ما الذي كان بيدي فعله ولم افعله؟ عندما انظر لنفسي ألان وللفشل الذي يحيط بي اخجل من نفسي. ولما اعقد مقارنة بين الإهمال الذي يبديه والداي نحوي والاهتمام الذي يتمتع به أخي الجامعي من طرف والداي وفخرهم بنجاحه وخجلهم من فشلي واتهامهم لي بالإهمال وعدم الاكتراث لطلبي المتواصل بان يستمعا لي أو يساعداني على حل مشكلتي اخجل من نفسي، واخجل من طلبي المتكرر للمساعدة. تنتابني الآن مشاعر الملل وعدم الرغبة في مواصلة الدراسة، حتى أني لم يعد عندي رغبة في الجلوس مع والداي أو الحديث معهم حتى وأن طلب هما ذلك رغم حاجتي الماسة لوجود هذا النوع من الاهتمام لأني اشعر أن إهمالهم وعدم اهتمامهم جعلني غير مكترث وإن أبديا الآن أي اهتمام من طرفهم ما عاد له أي صداً في نفسي. وعند الحديث مع والداي احمد تبين أنهم غير راضين عن النتيجة أو الوضعية التي وصل لها الطفل احمد وأقرا بأنهما فعلاً لم يعطيا احمد الوقت أو الاهتمام الكافي للحديث معه أو الاستماع له رغم طلبه المتواصل عن مدى حاجته للحديث مع والداه. حيث أنهما كانا دوماً يتجاهلان ذلك

رغم أنهما يبديان اهتماماً زائداً بالأخ الجامعي لأحمد والذي يحفل بجل اهتمام والداه من حيث الحديث معه والاستماع له عن حياته الجامعية.

أدرك الوالدان الآن أن السبب الرئيسي في الفشل الدراسي الذي يعيشه احمد يدور في فلك الإهمال وعدم الاهتمام به من طرفهما أو الحديث معه عن مشاكله الدراسية أو الاستماع له خلال الثلاث سنوات الأخيرة أو تلقي رسائل الاستغاثة التي كان احمد دوماً يرسلها لوالداه ليخبرهما انه ألان في مرحلة المراهقة وانه بحاجة ماسة الآن لوالديه من خلال إيجاد وقت كاف للجلوس معه أو الاستماع له ليتمكن من تخطي هذه المرحلة بكل صعابها.

بعد دراسة هذه الحالة نجد أن الوالدين فشلا بالاتصال الفاعل مع احمد، والذي يدعم من خلال توفير الوقت الكافي للحديث مع الطفل والاستماع له وللرسائل المخبأة داخل احمد فضلاً عن ذلك فإنهما لجئا فعلاً إلى وسائل اتصال سلبية ومهبطة، من خلال توبيخ احمد وتحميله لوحده مسؤولية فشله الدراسي لا تقديم المساعدة له أو دعمه وذلك من خلال وضع اللوم عليه وتحديدهم بان التقصير ينحصر من طرف احمد، فوالداه أبدا لم يبخلا عليه بشيء ولكنهما نسيا تماماً أن السبب في فشل احمد كان ضعف المتابعة أو الاستماع له فقط.

الحالة الثانية

عمر سعاد خمسة عشر عاماً، والداها في الأربعين من العمر، الوالد يحمل شهادة البكالوريوس في المحاسبة ويعمل في القطاع الخاص، الأم تحمل شهادة جامعية في التاريخ وتعمل مُدرسة في القطاع الحكومي.

لسعاد أخت واحدة وأخ وهي أكبرهم من حيث الترتيب العمري، تسكن الأسرة معاً في منزل مكون من أربعة غرف نوم ومرافقها، وتحفل الأسرة بوضع مادي جيد جداً، وبجو عائلي مترابط.

والدا سعاد قلقان جداً عليها، حيث من الملاحظ أن عمرها العظمي لا يتماشى مع عمرها الزمني، وبعد عقد مقارنة بسيطة بين بنية سعاد وبنية أقرانها في المدرسة أو أبناء عمومتها يلاحظ مدى ضعف البنية الذي تمتاز به الشابة سعاد.

الوالدان قلقان على وضع سعاد ويصرحان أن نمو سعاد الجسدي غير متوازن مع عمرها الزمني، فضلاً عن أن وزنها لم يسجل زيادة ملحوظة في الفترة الأخيرة. تم عرض سعاد من قبل والداها على أطباء مختصين وكانت جميع نتائج الفحوصات والتقارير الطبية لا تشير إلى وجود مشكلة عضوية عند الشابة ومع ذلك فان الوالدان لم يخفيا قلقهم المتواصل على سعاد وأفصحا عنه دوماً من خلال الحث المتواصل للشابة على تناول مزيد من الوجبات الغذائية وممارسة الرياضة اليومية كمحاولة لإكساب الشابة بعض الوزن أو إحداث أي تغير في البنية الجسدية.

قامت الأم دوماً على عقد المقارنة السلبية بين بنية سعاد وبنية قريناتها من أبناء عمومتها كما أنها لجأت إلى التأنيب المستمر والمتواصل لسعاد على ضعف بنيتها متذرعة بأنها حريصة على سعاد وصحتها وتطمح من خلال هذه الوسائل أن تكسب سعاد بنية متوازنة مع عمرها وتحفز الشابة على الاهتمام بصحتها. لكن كانت دوماً النتائج سلبية من خلال ظهور الشخصية الكسولة والتي تعيش داخل محيط مغلق أحاطت به سعاد نفسها خجلاً من بنيتها الضعيفة منعزلة وحيدة داخل هذا المحيط الخاص لتجنب نفسها الانتقاد أو التجريح من زملائها في المدرسة كما هو الحال في المنزل.

سعاد الآن تعيش في عزلة خاصة تحتمي داخلها بعيدة عن الأعين التي قد تسبب لها الإحراج لضعف بنيتها مجنبة نفسها الانتقاد أو الأسئلة أو الاستغراب من احد لمدى الفرق بين العمر الزمني والعمر العظمي الذي تمتاز به سعاد. أن القلق المستمر من قبل الوالدين وخصوصاً بعد أن أثبتت الفحوصات الطبية أن سعاد لا تعاني من أي مرض أو مشكلة عضوية أدى بهم إلى سلوك أنماط اتصال سلبية كمقارنتها دائماً بغيرها وكثرة استخدام عبارات يجب عليك أن تأكلي أكثر، يجب عليك أن تمارسي الرياضة أكثر، يجب عليك أن تكسبي وزناً، يجب عليك أن تكوني كأبناء عمومتك بدلا من إتباع أنماط سلوك فاعلة وايجابية والبعد عن التأنيب لدرجة القهر أو يظهران التقبل لبنيتها الضعيفة بدلاً من الرفض،و الأخذ بيدها للخروج من العزلة التي لجأت لها لإخفاء مشاعر الخجل والخوف من المثول أو مواجهة زميلاتها. فلا بد من تقبل واقعها الحقيقي وتطوير مفهوم ايجابي للذات والذي بدوره يساعدها على نمو شخصيتها.

الحالة الثالثة

ينتمي يوسف ابن الثالثة عشر عاماً لعائلة مكون من سبعة أفراد، رب الأسرة يحمل شهادة البكالوريوس في التجارة ويعمل في القطاع الخاص، أما الأم فتحمل شهادة الدبلوم في التربية الإسلامية وتعمل ربة منزل.

يوسف هو اكبر إخوته سناً، يسكن في منزل عائلي مكونة من ثلاثة غرف مع مرافقها الوضع المادي للعائلة جيد إلا أن الأجواء العائلية يسودها التوتر أحيانا بسبب عصبية الأب. يقول يوسف: والدي لا يفصح المجال لي أو لإخوتي أو لوالدتي بالحديث الكافي مما يجعلنا دوماً مترددين في طرح أي موضوع أمامه فوالدي يطلب دوماً أن تسير الأمور كما يريد هو دون دراسة أو استماع يقول يوسف: كثيراً ما نحاول أن نناقش موضوعاً معيناً مع والدنا لإقناعه بوجهة نظرنا ولكن سرعان ما ينهي الحوار ويرفض الحديث بالموضوع بطريقته هو والتي أبدا لا تفسح المجال للحديث أو النقاش.

يقول يوسف في حديث آخر: نحن نبذل الجهد الكبير ليرضى والدنا عنا فأنا سلوكي جيد جداً واهتم بدروسي ولا أتذمر، متعاون جداً داخل المنزل ولم يشكو احد خارج المنزل مني كما أني لا اطلب شيء خارج عن قدرة العائلة فقط الضروري.

ولما سئل يوسف عن السبب، أجاب بأنه دوماً يخشى ردة الفعل العصبية من والده والتي دوماً ما يصبها على والدتي ويلومها ويحملها مسؤولية كل شيء ويعلق عليها كل مشاكله، والدتي مثلي تماماً لا تتذمر وتحافظ علينا وعلى المنزل وهي أيضاً لا تطلب شيء، يمر يوسف بمرحلة تشتت يقول: لقد حصلت على معدل جيد جداً في امتحان الفصل الأول للصف الثامن في مدرسة حكومية يوجد ترتيبات في المدرسة للذهاب في رحلة إلى منطقة البتراء ارغب جداً أن اذهب في هذه الرحلة ولكني متردد كثيراً ماذا لو طلبت من والدي الذهاب في هذه الرحلة؟ كيف ستكون ردة فعله؟ هل سيوافق؟ هل سيرفض؟ لا أدري.....

لجأ يوسف لوالدته وطلب منها الدعم والتشجيع ليتقدم لوالده ويطرح عليه موضوع رحلة البتراء، فعززت والدتي تشجيعها أن تحصيلي الدراسي للفصل الأول يجعلني جديراً بأن احصل على الموافقة من والدي للذهاب في هذه الرحلة. يقول يوسف: لقد اغتنمت اللحظة التي كان بها والدي يضحك ويلهو معنا وهي نادراً ما تكون. تقدمت من والدي وأفصحت له بتلعثم عن موضوع الرحلة وقدمت له ورقة الموافقة ليمنحني الفرصة للمشاركة في هذه الرحلة. يقول يوسف: أن اللحظة التي أخرجت فيها ورقة الموافقة كانت وكأنها كبسة على زر التحويل من الضحك والمداعبة النادرة إلى العصبية والنكد المعتاد داخل أسرتي.

تدخلت والدتي لشرح الأمر وتقديم المساعدة لي، أجاب والدي أنا الرجل هنا والكلمة الأولى والأخيرة لي، قلت لا.... يعني لا.... قل هذا لمعلمك. يقول يوسف: وبذلك انتهى الأمر دون ذكر سبب واحد. أتساءل دوماً عن السبب وراء هذا الرفض هل السبب المال؟ هل السبب أن والدي غير راضٍ عن أدائي الدراسي؟ هل السبب عدم قناعته بأهمية هذه الرحلة؟ هل سلوكي هو السبب؟ أم أن والدي يشك في قدرتي على تحمل المسؤولية خارج البيت؟ ألست أنا مثل زملائي؟ لماذا لا أشارك مثلهم في النشاطات؟!

يمر يوسف الآن في حالة من اليأس والإحباط وتحيط به أسئلة لا أجوبة لها. يكتم الكثير من الحزن داخله وهو بحاجه ماسة لمن يسمعه ويتحدث معه ليتخلص من كل الثقل الذي في خاطره.

يثبت لنا من هذه الحالة أن الوالد يفتقر إلى المعرفة الحقيقية لدور الأب داخل محيط الأسرة وطبيعة العلاقة الايجابية التي يجب أن تكون بين الأب وأطفاله وزوجته فهو يلجأ إلى أنماط اتصال غير فاعلة لكن مؤثرة سلباً على الأطفال وعلى شخصيتهم المستقبلية، فاستخدام الوالد للعبارات الختامية التي لا تسمح باستمرار الحوار وتغلق النقاش فارضةً رأيه المتشدد دون إبداء أي أسباب

رغم أن والد يوسف يستطيع أن يستخدم أنماط اتصال أكثر فاعلية مع أسرته من خلال الاستماع الجيد والاهتمام بما يقوله أولاده ويشرح ويوضح الأسباب الكامنة وراء الرفض أو الإيجاب.

الحالة الرابعة

يعيش خالد ابن السبع سنوات مع أخته ذات الأربع سنوات مع والداهما في منزل مكون من ثلاث غرف نوم ومرافقها في منطقة سكنية حديثة البناء. الوالدان يحملان شهادة البكالوريوس، الأب في التسويق والأم في الإدارة وكلاهما يعمل في القطاع السياحي. وبذلك نادراً ما كان الوالدان يتواجدان في نفس الوقت في المنزل الأمر الذي جعلهما يوكلان مهمة تربية الطفلان للخادمة، حيث يعتقد الوالدان أنهما بذلك سوف يستطيعا تأمين حياة أفضل لهم ولأطفالهم.

ولطبيعة عمل الوالدان بالسياحة ضمن نظام الورديات فنادراً ما يتواجدان سوياً في المنزل. يعاني خالد كثيراً من فقدان العاطفة من طرف الوالدين فتواجدهم فقط في المنزل ليلاً وخالد نائم لا يمنحه الفرصة الطبيعية ليعيش الجو العائلي الطبيعي والذي يكتسب من خلاله العاطفة الحقيقية والطبيعية والتي يفترض أن تعيشها الأسرة.

بالإضافة إلى فقدان الحب والحنان فان الموسوعة اللغوية عند خالد ضعيفة، ومقتصرة على اللهجات القريبة من اللهجات الشرق آسيوية، والتي يكتسبها خالد من الخادمات اللواتي يعتمد عليها الوالدين في تربية خالد وأخته ناهيك عن أنهم لم يرسلوه لروضة أو حضانة. ولتواجد خالد باستمرار مع الخادمة فقد ارتبط بها ارتباطاً قوياً فهو لا ينام حتى في هذا العمر إلا بوجود الخادمة.

يقول الأب: لما سافرت الخادمة لاحظنا ظهور اضطراب في النوم عند خالد وشقيقته لجأ الوالد إلى التشديد على خالد، وإخباره انه الآن كبير وعليه الاعتماد على نفسه وأن والداه استغنيا عن الخادمة لمصلحة خالد وأخته لأنه لا بد وأن يذهبا للمدرسة الآن، ويكتسبا اللغة العربية كما أن خالد قد كبر وعليه تحمل المسؤولية في المنزل استمر هذا الأمر خمسة أشهر حيث كان على خالد ان يستيقظ صباحاً يحضر الفطور والسندويشات لأخته ثم يرسلها للروضة ويذهب لمدرسته وفي طريق عودته عليه اخذ أخته من الروضة والعودة للمنزل وما عليه إلا أن يسخن طعام الغداء له ولأخته فالوالدان في العمل وانشغالهم لمصلحة وحياة أفضل لخالد وأخته وعليه أن يقدم بدوره المساعدة لوالديه والاعتناء بأخته الصغيرة.

ولما كان خالد ينفذ المطلوب منه ويسخن الطعام له ولأخته حصل تسرب في الغاز مما أدى إلى نشوب حريق في المنزل. هرب خالد وأخته خارج المنزل تدخل الجيران والدفاع المدني لإطفاء الحريق.

يقول احد الجيران: كان خالد خائفاً جداً ليس فقط من الحريق بل كيف ستكون ردة فعل والداه لما يحضران ويعرفان بالذي حصل كما يضيف الجار انه لما حضر الوالدان كان خالد يرتجف ويبكي والوالد يشتم ويؤنب خالد على هذا الفعل أمام الجميع ويخاطب خالد وكأنه شاب بالغ عاقل يدرك ما يدور حوله فاللوم حسب رأي الوالد يقع على خالد ويستخدم كلمات من التجريح والتي تؤثر في الكبار قبل الصغار كما يقول الجار.

يعاني خالد الآن من التبول اللاإرادي، الخوف من الليل، الخوف من رؤية الدخان أو النار. تم عرض خالد بعد تدخل بعض الأهل من طرف الوالد على طبيب نفسيَ فكانت التقارير تثبت أن الحرمان العاطفي وبعد الأهل عن الطفل في بداية عمره ومحاولة التركيز عليه وإعطاءه مسؤوليات لا تتناسب مع عمره كما أن فقدان الاتصال اللغوي واللفظي بين خالد ووالديه من أهم الأسباب التي أوصلت خالد الآن إلى تأخر في نمو الشخصية والخضوع إلى معالج سلوكي ونفسي.

من هذه الحالة يثبت لنا أن الأهل لم يدركا أهمية بناء اتصال مع أولادهم في عمر مبكر ومدى فاعلية هذا الاتصال عن طريق اللمس، والمعانقة، والذي افقد خالد الكثير من الحب والحنان كما أن مواصلة الوالدين معالجة الخطأ بالخطأ والتي ابتدأت بإهمال خالد بعمر مبكرة، ولما لاحظا انه كبر استغنيا عن الخادمة لحل مشكلته اللغوية كما ظنا بإعطائه مسؤولية الاعتناء بأخته الأمر الذي سلب منه طفولته والتي هو بأمس الحاجة لها ولوالديه لا أن يلعب دورهما.

الحالة الخامسة

عماد ابن الرابعة عشر حاول مؤخراً الانتحار، يقول عماد: أعيش مع أسرتي المكونة من خمسة أفراد وأنا أكبر إخوتي ادرس في الصف التاسع أطمح أن أكمل تعليمي الجامعي رغم أن تحصيلي الدراسي ضعيف واحمل مادتين. والدي يحمل شهادة الدبلوم ويعمل في القطاع الحكومي وأمي ربة منزل وتحمل شهادة دون التوجيهي.

يسود عائلتي الجو الهزلي وعدم الجدية خصوصاً والدي فجونا العائلي لا يشجع، فمعظم حديثنا يتحول تلقائياً إلى هزل وتعليقات وسخرية ولا يكاد الواحد منا يتحدث عن طموحه المستقبلي أو آماله حتى يبدأ الهزل والسخرية.

أشعر أحياناً بعدم الرغبة بالحديث مع والدي لأتجنب سخريته من حديثي، يبتسم عماد ويضيف هذا الأمر ليس جديداً وليس وليد اليوم فمنذ طفولتي وأنا أعاني من هذه المشكلة.

كما يضيف أنني لما اطلب مساعدة والدي يواجهني بالتعليقات الساذجة والتي تجرح مشاعري وتحيطني بالهزيمة.

لمن ألجأ؟ أين أذهب؟ أنا بحاجة لمساعدة! بهذه الأسئلة والعيون تدمع يفسر عماد سبب محاولته الانتحار.

يسرد عماد آخر قصصه الهزلية مع والده حيث يقول: كنا جالسين في المنزل وعندنا ضيوف ومن بينهم ابن لهم هو من عمري وفي نفس صفي الدراسي تحول الحديث من قبل والد صديقي عن الطموحات المستقبلية التي يتمناها الأهل لأولادهم ومدى طموحهم بأن يكبر أبنائهم ويرونهم ناجحين في حياتهم، فالوالدان دوماً يضحيان من اجل مستقبل أبنائهم ويحاولان دوماً تجنيب أبنائهم الظروف القاسية التي مروا بها أنفسهم.

يضيف عماد وكان هناك تبادل للحديث بين أفراد أسرتي وأسرة زميلي حول هذا الأمر وطموح كلاهما بنا. أشار زميلي عن رغبته في دراسة الهندسة، أيده والده وشجعه وربت على كتفه وقال له نحن نريد لك دائماً الأفضل وأن كان هذا طموحك واتجاهك فإننا سوف ندعمك ونكون بجانبك ولا تنسى يا بني أن هذا الطموح حتى يتحقق لا بد من أن تبذل جهداً إضافيا من طرفك في السنة القادمة لتحصل على معدل يؤهلك للحصول على التخصص الذي يحقق طموحك.

يقول عماد: لقد وجه والد زميلي سؤالاً لي حول طموحي المستقبلي فتبسمت وقلت له: أن طموحي هو أن ادخل كلية الطب وسوف أكون جاداً السنة القادمة لأحصل على المعدل المطلوب داخل الأردن أو حتى الحصول على بعثة خارجية وفجأة يقول عماد اخذ والدي بالضحك وقال لي بسخرية: بالطبع يا بني بالطبع وعلى كتفك نجمتين مشيراً إلى المادتين اللتين قصر بهما في السنة السابقة وكل سنة تحصل فيها على هذه النتيجة سوف تصبح رائد فضاء وليس طبيباً فقط وينهي والدي كلامه بضحك جهور قزمني.

يضيف عماد: أنني في هذه اللحظة شعرت بالخجل والانحطاط إمام أهل زميلي بل لقد تمنيت الموت، ثم أن والدي لم يكف عن استخدام عبارات التوبيخ والسخرية التي اعتادت أذناي سماعها لم يخجل والدي أبدا بل لم يشعر بمدى الجرح الذي سببه لي في تلك اللحظة فبعد خروج الزوار ذهبت للثلاجة خلسة وأخذت كمية من الأدوية المنوعة لأتخلص من هذا الجو الذي أعيش فيه وتناولت الأدوية وبعد فترة شعرت بآلام في البطن شديدة تم نقلي إلى المستشفى من قبل أسرتي ولولا الرعاية الإلهية لكنت الآن في عداد الموتى.

يقول والد عماد: لقد شعرت في تلك اللحظة بالأخطاء التي كنت غالباً ما ارتكبها مع أبنائي فانا السبب في تراجعهم الدراسي فالخطأ خطأي ويجب علي إنقاذ الموقف وإنقاذ أطفالي ثم ينهار الوالد باكياً.

إن أنماط الاتصال التي اتبعها والد عماد في هذه المرحلة هي من الأنماط السلبية والتي تؤثر على بناء الشخصية كما حصل مع عماد. سواء أكان ذلك من خلال دعوة ابنه بالكسول أو نعته بالغبي وصفات أخرى غير مقبولة وتوبيخه بدل من تقديم المساعدة، والسخرية من طموحه بدل من دعمه وتحويل الأحاديث والنقاشات إلى عبارات من السخرية والهزل جميعها مجتمعة كادت تودي بحياة عماد والذي يسعى الآن جاهداً للوصول لما كان يصبوا له.

الحالة السادسة

سامر ابن السبع عشرة عاماً تقريباً هو فرد في أسرة مكونة من ستة أفراد بالإضافة للأب والأم، سامر لديه شقيق وأختان وهو الأكبر من حيث الترتيب العمري في الأسرة.

سامر الآن في الصف الحادي عشر الفرع الأدبي في إحدى المدارس الحكومية. من خلال مراجعة سجله الأكاديمي يلاحظ أن تحصيل سامر كان في معظم السنوات الدراسية السابقة يتراوح بين معدل 85% إلى 92% لكنه تراجع بشكل ملحوظ في الصف العاشر والحادي عشر. وعن هذا الوضع يقول والد سامر: إن ابني كسول ولا يبذل جهداً كبيراً ويقضي معظم الوقت في النوم، متوتر وأنا لا استطيع معرفة السبب! لقد حاولت دوماً توفير كل ما يحتاج له سامر، لا ينقصه شيء وعليه أن يشعر دوماً بالسعادة وأنا لا اطلب منه سوى الاهتمام بدروسه فقط.

وعن هذا الوضع يقول سامر: والدي يقول الصواب أنا فعلاً استطيع الحصول على المعدلات المتفوقة في المدرسة وكل نتائجي السابقة تشير لذلك ولكن صدقاً لا اعرف ما هو السبب وراء هذا الإخفاق الذي يحدث الآن معي، كل ما استطيع قوله ألان إني مشتت الذهن، أحاول أن اهرب من هذا الإحساس بقضاء فترات أطول بالنوم، أو تجنب الآخرين وخصوصاً أهلي وذلك من خلال قضاء وقت كبير في غرفتي، بدون أن يزعجني احد.

والداي فقط يؤكدان عليّ انه يجب أن ادرس واحصل على معدلات متفوقة حاولت دوماً أن اشرح لهم وضعي وأن ابحث عندهم عن حل لهذا التشتت الذي ينتابني لكن أرى في عيونهم نظرات عدم الرضا فأتراجع في طرح الأسئلة أو الخوض في أي موضوع أمامهم، أو حتى طلب مساعدتهم في أي شيء.

يقول والد سامر: إن ابني كسول ولا يبذل الجهد المطلوب منه وقد اخبرني مدرسوه انه في تراجع واضح في أداءه المدرسي أنا والده وكل ما أريده منه هو أن يعود لسابق عهده في التفوق والتمييز الأكاديمي ولكن لا اعرف كيف افعل ذلك.

إن سامر يعاني من الانطواء هرباً من الانتقاد والحث المستمر على الدراسة فالأهل لا يتفهمون أن سامر يمر الآن في مرحلة المراهقة وإنها فعلاً مرحلة مرهقة وصعبة ويكون

المراهق جداً بحاجة لوالديه ليفهما الرسائل المخبأة في داخل ابنـهم وأن يدركا مـدى أهمية مساعدة الابـن والكيفية في المساعدة ليتخطى هذه المرحلة بكل يسر متخلصا تماما من كل الصعاب والانعكاسات المرافقة واللاحقة لهذه الفترة ومنها مشكلة سامر، من تراجع أكاديمي يصاحبه تغيرات فسيولوجية تحدث للأبناء أثناء فترة المراهقة.

الوالدان يحبان ابنهما ويريدان دوماً له الأفضل والنجاح في حياته المستقبلية ولكنهما يستخدمان أنماط اتصال سلبية مع ابنهم وذلك من خلال التأكيد المستمر والمتواصل على ضرورة الشعور بالامتنان فكل الأشياء متوفرة عنده ويعيش في مستوى مادي قد وفراه له والداه فما عليه إلا الاهتمام بدراسته بدلاً من أن يكتشفا ما هي الرسائل المخبأة عند ابنهم كانا دوماً يوجهانه بقول يجب عليك..!

كما أن الوالدين قد فشلا أيضا في إشعار ابنهم بأهميته فرفض رأيه الواضح في نظرات عيونهم عند حديثه عن أي موضوع كما يشير سامر كان له الأثر الواضح في اختيار سامر للوحـدة والعزلة.

كان على الأهل لو اكتشفا مبكراً بان سامر يمر بمرحلة مراهقة صعبة وانه يحتاج لإيجاد وقت كافٍ للحديث والاستماع له أن يجيدا هذا الاستماع في هذه الحالة فمرحلة المراهقة بكل تفاصيلها سوف تكون بأقل الصعاب والتأثير عليه بإتباعهما أنماط اتصال أفضل وايجابية مع سامر.

الحالة السابعة

سيف في التاسعة عشر من عمره، هو فرد في أسـرة مكـونة من سبـعة أفراد ثلاث بـنات وولدان سيف هو الأخ الأكبر في العائلة يسكن الأطفال مع والديهم في منزل مكون من خمسة غرف ومرافقها وضع الأسرة المادي جيد جداً فالأب متـعلم لمـرحلة التوجيهي ويعمل في التجارة أما الأم فتحمل شهادة الدبلوم وتعمل معلمة في القطاع الحكومي.

سيف الآن في السنة الجامعية الأولى يدرس الهندسة تخصص كمبيوتر يقول سيف عن نجاحه، انه يوعزه لوالديه فمنذ نعومة أظفاري لم يبـخل والـديّ علي بحـبهم وحنانهم ورعايتهم فلقد كانا دوماً المثل الأعلى لي ولأخوتي نحن جميعاً متفوقين دراسياً فلم يسجل علينا أي مشاكل سلوكية أو تراجع أكاديمي نشارك في معظم النشاطات المدرسية أن الفضل يقول سيف يعود لوالديَ لقد كانا دوماً معنا.

أما السيد رمضان والد سيف فيقول عن هذا النجاح العائلي: لقد حاولت دوماً أن أعوض ما فاتني من تعليم بأبنائي فمنذ ولادة سيف أخذت على عاتقي أن أكون مثالاً للأب المربي وام

سيف كانت خير عون لي في هذا الأمر فبالرغم من ساعات عملي الطويلة إلا إني أدرك تماماً مدى أهمية نوعية الوقت الذي علي ان اقضيه مع أبنائي أيام العطل والجمع التي كنت اقضيها في المنزل واخصها لأطفالي أنا اعرف أني لا استطيع مساعدتهم دراسياً ولكن كنت دوماً اسألهم ان كانوا بحاجة لمساعدة أقدمها لهم.

احضن أولادي دوماً يقول والد سيف: صباحاً ومساءاً وعند عودتي من العمل وكلما سنحت الفرصة لذلك وكلما شعرت بحاجة لأعانق أطفالي، صدقاً كنت احتاج لهذا العناق وأنا الأب الكبير فكيف كان حال الأطفال؟ واعقد معهم اجتماعات شهرية للنقاش في أمور كثيرة، واستمع جيداً لما يقولون أحيانا تكون الفكر ايجابية فنطبقها وأحيانا تكون الفكر بحاجة لمناقشة وتطوير أو تعديل مما يجعلنا نواصل النقاش والحوار حتى نصل لوضع مشترك يتفق عليه الجميع.

يقول سيف: أنا أناقش والدي وكأنها مناظرات لقد كان يستمع دوماً لي ويتقبل مني ويظهر لي دوماً اهتمامه بما أقول ويندمج مع أفكاري لقد كنت أحيانا أحاول استفزازه للمداعبة صدقاً لقد كان يتحملني كأنه صديق وليس والد لي. لقد تعلمنا من والدينا كيف نتعامل مع الآخرين انه الحب والاحترام كما انه يوجد خطوط حمراء يجب علينا عدم تجاوزها في التعامل والاتصال مع الآخرين سواءً داخل أسرتي أو خارجها.

يضيف سيف: لقد كان والدي على تواصل مع مدرستي من خلال الزيارات المدرسية للاطلاع على انجازاتي الأكاديمية لقد كان دوماً يشجعني كنت اخذ العزم منه والقوة وأضيف لها جهودي لأكون من المتفوقين ان هذا حالي وإخوتي داخل هذه الأسرة التي يسودها علاقات الحب وجو الحنان. تقول الأم: نحن هنا أسرة متماسكة يتواصل أفرادها مع بعض كأصدقاء لا يوجد حد لهذه الصداقة ولكن هناك أمور يجب ان لا يتخطاها الصغار لقد استطعنا دوماً أنا وأبو سيف ان نوضحها لأطفالنا ونحميهم من الانخراط بها نحن الآن بدأنا نحصد نتائج هذه التربية السليمة.

الحالة الثامنة

نايف عمره عشرون عاماً عدد أفراد أسرته أربعة، أخاه الأصغر عمره عشر سنوات يعيش الأخوان مع والديهما في منزل مكون من أربعة غرف ومرافقها، وضع العائلة المادي جيد جداً، فالوالد يعمل في القطاع المهني والأم ربة منزل، العلاقة الأسرية جيدة جداً.

يدرس نايف الهندسة الميكانيكية، هو ألان في السنة الجامعية الثانية نتائجه الجامعية تشير انه متفوق دراسياً. خطاه للمستقبل ثابتة يسجل تفوقاً وتقدماً في كل فصل جامعي عن سابقة في أيام العطل يشارك نايف والده العمل في ورشة للميكانيك.

يقول والده ارغب من هذه الخطوة ان يكون نايف على معرفة ما يحدث هنا كما أني اطمح بمساعدته لي في العمل. وعن هذه المرحلة يقول نايف نعم أنا اجلس خلف مكتب الورشة ومعي كتبي احضر دروسي، كما أني استحدثت نظاماً حديثاً للعمل في الورشة فقد أدخلت الكمبيوتر هنا وجمعت عليه كل بيانات المدخلات، واستحدثت نظاماً للجرد خاص بقطع السيارات الموجودة في المحل، مما جعل العمل سهلاً وصار بإمكان والدي الآن استخدام هذا الجهاز والاطلاع على كل البيانات الخاصة بالمحل من خلال النظام الذي وضعته له ليسهل الجرد عليه.

يقول نايف ان والدي أسس لنا هذه الورشة منذ صغره، وبذلك يكون قد وضع لنا قاعدة قوية في السوق ويجب علي أنا وأخي ان نحافظ على هذا النجاح، لذلك ادرس الميكانيك الآن سأدخل الكثير من التغييرات والتطوير على نظام العمل في الورشة ليتماشى مع تطورات السوق المحلية عندما انهي دراستي الجامعية، وسوف استثمر كل دراستي لصالح ورشة والدي لأنها في النهاية لي ولأخي.

كما يضيف نايف ان التوفيق كله من الله لكن مجهود والدي ووالدتي لا يمكن إغفاله أو تجاهله فهو سر نجاحنا في حياتنا العلمية والعملية فمعظم الوقت نقضيه كاسرة متواصلة متماسكة في قضاء أوقات الإجازة أو التنزه أو المناقشة، نعيش حياة أسرية يسودها مناخ الحب والحنان والتفاهم الأسري صحيح والدي لا يحمل شهادات دراسية عليا لكنه عوض ذلك في أبناءه فمنذ طفولتي وأنا اشعر ان والدي هو المثل الأعلى لي في التواصل، والمثابرة، والاتصال العائلي، والاجتماعي.

لقد تعلمت كل الأمور الحياتية من خلال عائلتي في كيفية استغلال الوقت، والتواصل، والاتصال، والتفاعل مع الآخرين، لقد أصبحنا مثلا يحتذي به عند الآخرين.

كلما كنت وما زلت احتاج لشخص أتحدث إليه يكون والداي خياري الأول، لقد كانا دوما متواجدين مستمعين لي بأذن صاغية، وتفاعل مشجع، وتفهم لما أريده.

من خلال المناقشة قبل إصدار القرار أو النصح أو الإرشاد. والدي على معرفة واضحة لما يجول داخلي -هكذا اشعر دوما- وأنا دوما أداعبهما بقولي: لا استطيع ان اخفي عليكم شيء فانتم قد تغلغلتم داخلي وعلى اطلاع لما يجول في داخل عقلي.

يضيف نايف أما إذا حدث شيء من طرفي أو طرف أخي سبب الانزعاج لوالدي لم يكونا يعبران عن ذلك بالتجريح أو التأنيب لقد كان دوما أسلوب التوضيح والنصح والتوجيه هو الحل والطريقة للتعبير عن الانزعاج لما حدث لقد تعلمنا في هذا المناخ الأسري الآمن ان نجيب

بصراحة لأننا نسأل بصراحة فلا مجال للخداع أو التزييف ان مشاعرنا واضحة واحترامنا لبعضنا وطريقة النقاش وطرح الفكرة هو أساس وجوهر هذا الأسلوب وعوامل هذا المناخ الأسري الآمن.

تعلمت منذ صغري من والديَّ الكفاح والصبر والعزيمة وتحديد الهدف والمثابرة للوصول له، سأكون دوماً فخراً وعزاً وسنداً لهم بهذه الكلمات أنهى نايف حديثه.

طرق الاتصال اللفظية المؤثرة سلباً على الأطفال

من خلال مناقشة الحالات السابقة نستطيع ان نؤكد بأنه يوجد هناك عدة طرق وأنماط للاتصال تؤثر سلبا على نمو الشخصية عند الطفل والتي يستخدمها الوالدان والتي بدورها تعيق عملية الاتصال ومنها:

أولاً – إعطاء الصبغة للطفل

أنت دائماً بطيء، لم تنجز عملك بالوقت، أنت ثقيل الهمة، كسول، هذه العبارات وغيرها تؤثر سلباً على تفهم الطفل لذاته وبناء صورة أو فكرة ايجابية لها، كما هو واضح من الحالة السادسة، كيف ركز الوالدان على ان ابنهم سامر كسول وحملاه المسؤولية بالتراجع الأكاديمي.

ثانياً- الدعوة بأسماء غير مقبولة

من العادات السلبية الشائعة في مجتمعنا هي دعوة الطفل بغير اسمه، ومثال ذلك بان تدعوه بالغبي والمجنون والمتخلف أو حتى بالحيوان، كلها كلمات تتردد باستمرار ويتبادلها الوالدان للكلام حول أطفالهما. هذه العبارات من شأنها أن تجعل الطفل أكثر انحرافيه وتشعره بالغضب والكره لوالديه، بالإضافة إلى أنه لن يغير تصرفه بل سيمارس تصرفات مناسبة للاسم الذي أطلق عليه. وهذا بحد ذاته جنوح عن الأنظمة الدينية والأخلاقية والاجتماعية التي تتحكم بتصرفات الأفراد داخل المجتمع. وقد اتضح ذلك في الحالة الرابعة حيث لجا الأب إلى شتم خالد بكلمات وأسماء غير لائقة.

ثالثاً – التأكيد على أن الشعور دائماً يجب أن يكون جيداً

حث الطفل بأن لا يشعر بالغضب تجاه الآخرين بأمره بأن يجب عليه أن لا يشعر بالغضب تجاه هذا وذاك لأنه أمر سيء. هذا فعل غير ايجابي لأن شعور الطفل لم يكن جيداً أو سيئاً ولكنه عبر عن ما يجول بداخله من خلال تجربته الشخصية لذلك الموقف. إن ردة فعل الطفل وشعوره تجاه أي موقف يجب أن يقبل وأن لا يواجه بالرفض قبل أن يقدم الكبار النصح والإرشاد له. وتبين لنا في الحالة الخامسة كيف حاول عماد الانتحار بسبب الشعور بالانحطاط والهزيمة جراء التعليقات الساذجة للأب وعدم مراعاة شعور ولده عماد.

رابعاً – الرفض لمناقشة موضوع معين مرة أخرى

إن رفض الوالدين للحديث عن موضوع معين ومناقشته بايجابية والإجابة "بأنني لا أريد أن أتحدث بهذا الأمر ثانية" يظهر السلطة الصارمة والسلبية للوالدين تجاه أطفالهما، وإن الانسحاب من مناقشة المشكلة لا توضح المسألة لأنه يوجد عدة أشياء في الموضوع تركت بدون مناقشة، والشعور بالضعف وعدم الأهمية وهزالة المكانة التي يُكنها الوالدان للطفل لهي نتيجة سلبية سوف يشعر بها ويحاول البحث عن أشخاص آخرين لتبادل وجهات النظر معهم، وتشير الدراسات إلى أن معاملة الأب لطفله على أساس من الصرامة والقسوة كثيراً ما تعود في البلدان العربية إلى التجارب المرة التي عايشها الأب، حيث تجعله يعيد مع طفله نفس المعاملة التي كان يُعامل بها أثناء طفولته (حسن 1970، إسماعيل 1974).

لقد تبين لنا في الحالة الثالثة مدى السلطة الصارمة التي يمارسها الأب داخل المنزل، ومدى التأثيرات السلبية التي أحاطت بجو الأسرة بدلا من استخدام الأسلوب التربوي في التعايش داخل الأسرة.

خامساً:- انتقاد تصرفات الطفل دون تحديد

إن تعبير الوالدين أو رد الفعل تجاه تصرفات أطفالهما لها تأثير سلبي إذا لم تكن محددة، فعلى سبيل المثال إن توضيح شعور الأب بقوله "إني غضبان عليك". دون تحديد السبب سيكون تأثيره مختلفاً لو أنه وُضع بشكل آخر مثل "سوف أغضب عليك أو لن أرضى عنك إذا رأيتك تشتم أو تضرب أخاك ثانية"، فعندما يكون التعبير بعدم الرضا بهذه الطريقة، فإنه سوف يشعر الطفل بان الفعل الذي قام به غير سليم، بدلاً من أن يكون هائماً بمعرفة سبب غضب الوالدين، وفهمه للمسألة بأنه مرفوض وغير مقبول داخل البيت. وظهر هذا جليا في الحالة الأولى وكيف أهمل الوالدان مطالب احمد عندما لجأ لهم ولم يظهرا أي اهتمام بهذه المطالب دون تحديد الأسباب لذلك مما أشعره بالإحباط والهزيمة وعدم الرغبة في مواصلة الدراسة.

سادساً:- التوبيخ بدلاً من المساعدة

توبيخ الطفل بسبب حصوله على علامة متدنية مثلاً، لا يمكن أن يكون عاملاً مساعداً وفعالاً في تغيير النتيجة. يلجأ الوالدان غالباً إلى التوبيخ للتعبير عن عدم رضاهما بقولهما: "كان يجب عليك أن تدرس أكثر"، بدلاً من مناقشة ورقة الامتحان والإطلاع على مدى استيعاب الطفل ومساعدته بالمسائل التي يحتاجها وبالتالي الحصول على درجة أعلى في المرة القادمة.

وكما يتضح لنا من الحالات الأولى والخامسة وكيف لجأ الوالدين لهذا الأسلوب بدلا من تقديم المساعدة والسماع والاهتمام لما يقوله أبنائهم واكتشاف الرسائل المخبأة وعدم اللجوء إلى تحويل الحديث إلى انتقاد وقهر وتأنيب.

إن الشعور بالخجل والإهانة والغضب والندم، يواجهها الأطفال عندما يكون أداؤهم ضعيفا في مدارسهم، ومن المهم هنا أن يعرف الأبوان الشعور بضرورة المواجهة والمحاولة بدلا من معالجة الخطأ بالخطأ. إن الرسوب بحد ذاته يعد درسا للطفل ويجعله مهتما أكثر بدراسته في المستقبل، وإن تذكيره بالرسوب في كل مرة يجعله يشعر بالخوف والإحباط في مواجهة الامتحانات وإذا لم يتم تقبل النتيجة من قبل الوالدين فإن الطفل سوف يشعر بأنه شخص غير مرغوب فيه،وهذا يدفعه بضرورة للبحث عن بديل. ويقول (Kirpalani, 1986) في هذا "يحتاج الوالدان لإعطاء كل الحب والمساعدة والوقوف إلى جانب أطفالهما عندما يحاولون أن يتخطوا تجربة مريرة في حياتهم" .

سابعاً:- فرض رأي الوالدين على الطفل دون إبداء الأسباب

إن رفض الوالدين إشراك أطفالهما في فعاليات خارج نطاق الأسرة دون توضيح السبب لهو سلوك سلبي والحالة الثالثة لدلالة على رفض الأب لاشتراك ابنه في الرحلة دون أسباب ومدى التأثير السلبي الذي حصل ليوسف جراء هذا النمط السلبي من الاتصال.

ثامناً:- الاستغلال العاطفي للأطفال للحصول على شيء معين

إذا لم تفعل هذا أو ذاك فسوف أتوقف عن حبك ! إن الحب العاطفي من قبل الأبوين تجاه أطفالهما لا يحتاج إلى شروط، فهذا يجعل الطفل يشعر بأن والديه يحبونه لقيامه بالعمل، وهذا من شأنه أن يؤثر سلباً على علاقة الأبوين بالطفل والتي هي واحدة من الأسباب الرئيسية لجنوح الأحداث في الأردن (Matalka,1994). وأظهرت لنا الحالة الأولى مدى التأثير السلبي الذي لحق بأحمد جراء إهمال الوالدين له بسبب فشلة في الامتحانات وكيف أهتما بالأخ المتفوق.وفي الحالة الثانية أيضاً وكيف لجأت والدة سعاد بتأنيبها واستغلالها عاطفياً لتكسب وزناً والنتيجة التي آلت إليها سعاد.

تاسعاً:- استخدام عبارات ختامية لا تسمح بعدم الموافقة

وهذا يهدف إلى الاتصال أو التفاعل الوحدوي ذي النهاية الختامية من طرف واحد. إن المناقشة بين الأبوين من جهة ومع الأطفال من جهة أخرى يجب أن تكون مبنية على احترام آراء بعضهم بعضا. فالمناقشة العائلية السائدة في مجتمعنا غالباً ما يطغى عليها طابع الرأي الواحد المنفصل والمسيطر على آراء الآخرين، فنجد أن النقاش دائماً ينتهي بعبارات ختامية لا تفسح المجال أمام الآخرين للمجادلة أو المناقشة. ولا حاجة لنا أن نستمر بهذه الطريقة!، وغيرها من العادات المشابهة "إن المناقشة التي تنتهي بهذه الصورة من شانها ان تسيطر وتوقف عملية المحادثة بين الأطراف المشتركة بها" (Grash 1978). وأثبتت الحالة الثالثة مدى تأثير استخدام العبارات الختامية على شخصية يوسف واليأس والإحباط الذي لحق به.

عاشرا: الاستخدام المتواصل لكلمة يجب في المناقشة

إن الاستخدام المتواصل لهذه الكلمة من قبل الوالدين للأطفال، من شأنه أن يؤثر سلباً على مفهومهم للذات ويجعلهم يعتقدون بأنهم ليسوا على درجة من الكفاءة التي يريدها الأبوان، وترى الأبوين يستخدمان هذه الكلمة بعبارات مثل: "أنت الآن كبرت" يجب عليك أن تتعلم هذا ! أنت أكبر حجماً من فلان "يجب" عليك أن تكون هكذا، وما شابه ذلك من العبارات، وقد تأكد لنا مدى التأثير السلبي لهذا النمط في الاتصال في الحالتين الثانية والثالثة، وان التأكيد المستمر على الأطفال بطرق سلبية اثر على نمو مفهوم الذات لديهم.

حادي عشر:- توجيه السؤال نفسه للطفل مرة تلو الأخرى لنفس الغرض

نجد في مجتمعنا أطفالاً اعتادوا على شيء أو نمط سلوكي معين، مثل أن يبقوا خارج البيت إلى ساعة متأخرة من الليل فنجد الأبوين يستخدمان نفس السؤال، ولو أنهما استبدلا الصيغة فهما يسألان: لماذا أنت متأخر؟ لماذا لم تحضر مبكراً؟ أين كنت في مثل هذه الساعة؟ وغيرها من الأسئلة التي من الممكن أن تجعل الطفل يشعر بأن والديه لا يكنان له الثقة خصوصاً عندما تكون سلوكياته ضمن الأنظمة المعمول بها اجتماعياً، وان يلجا إلى استخدام أسلوب الضبط التربوي مع أبنائهم، وذلك بإعطاء تفسيرات للقواعد التي ينبغي إتباعها داخل الأسرة. والحالة السادسة مثالاً حي على مدى تأثير تأكيد الأهل على سامر بالدراسة وبذل الجهد مرة تلو الأخرى وبدون مساعدته أو حتى معرفة الظروف التي يمر بها لدلالة على مدى تأثير الأسئلة المتكررة على نماء شخصية الأبناء.

ثاني عشر:- استخدام عبارات السخرية للضحك على الطفل

ان لجوء الوالدين للسخرية مع أبنائهم له تأثير سلبي على عملية الاتصال الفعال مع أبنائهم، حيث يلجأ إلى الضحك وإحباط طموح الأبناء من خلال هذا الأسلوب وكما هو واضح في الحالة الخامسة حيث استخدم الوالد الضحك والسخرية وما ترتب عليه من أثار سلبيه حيث شعر عماد بالخجل والضعف لأنه كان موضع نقد الأب ويحاول الانتحار بأخذ كمية من الدواء. والسؤال هنا: على من تقع المسؤولية التي أدت إلى هذه النتيجة؟ وتشير الدراسات أن بعض الاتجاهات الوالدية السلبية كالرفض والحماية الزائدة والضغط على الأبناء لتحقيق مستويات عليا من التحصيل "تكون أكثر ظهوراً لدى الآباء عنها لدى الأمهات" (القرشي، 1986).

ثالث عشر:- مقارنة الطفل بغيره بعبارات مؤثرة

من الأمور الشائعة في مجتمعنا هي لجوء الوالدين لمقارنة أطفالهما بغيرهم من الأطفال وخصوصاً الذين هم متفوقون أكثر منهم. كقولهما: ابن فلان حجمه قد نصف حجمك وها هو حصل على معدل أعلى منك !، أخوك مهذب ليش ما بتكون مثله ! شوف ابن الجيران لا يتوفر له

كما هو لك ولماذا أنت لست مثله! هذه عبارات من شانها أن تولد الحقد والكراهية والعدوانية والحسد بين الطفل والأشخاص المقارن بهم. فنجد عدة حالات على إيذاء الأطفال لبعضهم سببه المقارنة الجائرة وعدم تقبل طاقات وإمكانيات الطفل المحددة. والحالة الثانية تبين لنا مدى التأثير السلبي الذي لحق بسعاد جراء لجوء والدتها بمقارنتها بأبناء عمومتها.

وهناك طرق كثيرة مؤثرة لا يمكن حصرها والمهم هو أن يتم إرشاد الأبوين بين فترة وأخرى إلى طرق اتصال جديدة ذات فعالية أكبر ومناسبة لوضع الطفل، والتأكيد على إيصال الرسالة الأكثر فاعلية وهي أنه يجب على الأبوين تقبل أطفالهما كما هم. ويعتبر إيجاد مهارات وطرق اتصال جديدة واستبدال غير المؤثرة بالفعالة خطوة سليمة لتجنب الصراعات داخل الأسرة وما يصاحبها من تأثيرات سلبية على نفسية الأطفال. وبالتالي سلوكيات خارجة عن نطاق الأنظمة القانونية والاجتماعية والدينية والأخلاقية ومن خلال البحث والتجربة العلمية الحقيقية فقط نستطيع أن نمهد الطريق أمام ألأبوين ونعرفهما بطرق اتصال جديدة، وإن تطوير طرق الاتصال اللفظي وغير اللفظي بين الوالدين والأطفال لهما نتائج متشعبة منها:

1- تساعد على تهيئة مناخ مساعد والذي بدوره يفتح قنوات اتصال مريحة.

2- تساعدهم على التعبير عن مشاعرهم، وتمهد الطريق لحل المشاكل بطرق مؤثرة.

3- تساعد الأبوين والأطفال على إشباع حاجاتهم الفردية.

4- تساعد على بناء الثقة بين أفراد العائلة. وهذا بدوره يقوي العلاقات العائلية ويوحدها.

5- يساعد ألأبوين والأطفال على مساعدة بعضهم بعضاً في أوقات المحن.

6- إن الاحترام والمحافظة على الفردية بين الأبوين والأطفال تُبقي على العائلة متماسكة، وإن مفهوم الذات بينهم يقوى بسبب القبولية والتشجيع التي يتبادلونها بعقلانية.

7- ينمو الأفراد مع قبول أنفسهم على أنهم متحدون باختلاف شخصياتهم.

إن الاتصال الذي من أجله أن يشجع الطفل، يساعده على الشعور بأنه شخص مرغوب به داخل العائلة وتتضمن القبولية إشعار الطفل بأنه ذو قيمة عالية وأنه قادر على تحمل المسؤولية التي تتطور وتكبر مع نمو الطفل بمحاولة احتلال مكانه والقيام بمهام مختلفة بكل أمل. وكثيراً ما نجد أن الطفل يواجه صعوبات لم يتوقعها عند قيامه بمهمات جديدة وهنا تصبح الحاجة ماسة للوقوف إلى جانبه ومساعدته على تخطي العقبات. وهذا يجعله يدرك بأنه انطلق من قاعدة متينة وأن والديه دائماً يثمنان جهوده ويقبلانه على ما هو عليه بدل اللجوء إلى التوبيخ وبعد التأكد من هذا فأن الطفل سوف يشعر بشجاعة أكثر من ذي قبل، وسيواصل الجهد وسيشعر دائماً بوجوده داخل الأسرة لذلك يجب تثمين جهوده دائماً ولو أنه فشل حتى يتمكن من تكوين صورة صحيحة عن نفسه بأنه قادر على إنجاز المهمات الموكلة إليه.

وكما تبين لنا من الحالة السادسة وفشل الوالدين في احترام والسماع لرأي ابنهم ومدى التأثير السلبي الذي لحق به جراء هذا الأسلوب من الاتصال وعدم قدرتهم على تفهم المرحلة التي يمر بها سامر والنتائج الغير مرضية التي لحقت به لدلاله واضحة على مدى أهمية الاتصال الفعال ما بين الأهل والأبناء.

وبعد الاطلاع على بعض الحالات السابقة نستطيع إدراك مدى التأثير السلبي على الأطفال بسبب فشل الوالدين في التعبير عن مطالبهما بطريقة سليمة مع أبنائهما. إن القبولية تتضمن احترام الطفل وحاجاته وجهوده، ونجد (Kirpalani 1986) يقول: "يجب على الوالدين أن لا يطلبا من الأطفال أن يقوموا بعمل لرفع مكانتهم فقط، وإنما يجب أن يكون الهدف غير ذلك". وها هو (Sayles 1928) يقول: "إن من الطبيعي والحتمي أن يصاحب حب الوالدين للطفل، نجاحه في حياته، ومع هذا فإنه يوجد هناك صعاب مصاحبة إلى هذا الحب، فعندما يفشل الطفل في تحقيق رغبات والديه فإن هذا يؤثر على نفسيتهما إلى درجة كبيرة، ولكن الوالدين غالباً ما يفشلان بادراك مدى تأثير هذا الشعور على شجاعة وإنجاز الطفل في المستقبل" ومن هنا فإننا نقترح بعض المواقف والطرق التي يمكن للأبوين استخدامها لتشجيع أطفالهما وإشعارهم بأنهم مقبولون داخل العائلة:

1- أن يثقا بمقدرة الطفل، بقولهما "نحن نعلم بأنك تستطيع".
2- إشعار الطفل بأنه لا أحد يتمتع بالكمالية، وكل واحد معرّض للخطأ.
3- تثمين جهوده مهما صغرت حتى يستطيع أن يخطو للأمام.
4- مساعدته على تجريب مهارات مناسبة لعمره وقدراته حتى يتذوق النجاح.
5- مساعدة الطفل الذي لا يملك الثقة حتى يبدأ بالتجربة وليس التركيز على إنجاز العمل بالإنابة عنه.
6- توفير الفرصة لتجربة ناجحة حتى تنمو روح المثابرة لمواجهة المهمات الأكثر صعوبة.
7- قبول ذات الطفل واحترامه كشخص وأن يكونا حسّاسين لمطالبه الشخصية

التوصيات

من الجوانب المهمة في الاتصالات العائلية هو تعلم كيفية الاتصال بفاعلية بالطفل داخل العائلة وعكس ذلك فإنه إذا لم يتصل الأبوان بفاعلية بأطفالهما فإنهم بذلك سيجدون صعوبة بالغة في الاتصال بهم وبالتالي تعليمهم الأمور الحياتية التي يحتاجها الطفل وخصوصا في مراحله الأولى.ويمكن تلخيص الأمور التي تساعد الأبوين لتأسيس اتصالات جيدة مع أطفالهم فيما يلي:

1- بناء اتصال في عمر مبكر للطفل.

2- جد الوقت الكافي للحديث مع الطفل وأيضا أعطه وقت ليحدثك هو.

3- اسمع واهتم جيدا بما يقوله الطفل.

4- استمع إلى الرسائل المخبأة.

5- كُن أميناً ومنصفاً.

6- تجنب تحويل الحديث إلى انتقاد، وتشديد على ما يجب على الأطفال فعله.

7- لا تقهر أو تؤنب أو تنشغل في إيجاد الأخطاء.

8- كونا أبوين أولاً وليس أصدقاء.

9- يجب أن تكون الكلمات موازية للفعل.

10- ركز على التغذية الراجعة من طفلك.

11- اجعل الاتصال بمستوى الطفل.

12- تعلم كيف تستمع لطفلك.

13 - أبقي على الحديث مختصراً.

14- اسأل السؤال الصحيح لطفلك.

15- عبر عن شعورك ومعتقداتك عندما تتفاعل مع طفلك.

16- إعقد اجتماعات متواصلة مع أطفالك.

17- لا تتحرج من قول لا أدري عندما تكون لا تدري.

18- حاول أن تكمل الشرح للطفل.

كيف يستطيع المختصون والمهتمون بهذا المجال مساعدة الأبوين لتقبل أطفالهما ؟

ليس من الضروري أن نضع المسؤولية دائماً على عاتق الوالدين اللذين ينقصهما في بعض الحالات الصبر والحكمة والنظرة المستقبلية لأطفالهما، وعدم قبولهما بالواقع، ومحاولتهما للقفز إلى المستقبل بعصبية وغيرها. ومن هنا فإن جزءاً كبيراً يقع على عاتق المختصين في علم الاجتماع والنفس والقانون وغيرهم من المهتمين بمستقبل الأطفال والتقليل من معاناتهم، وبالتالي مساعدة الأسرة على التماسك وحسن الرؤية المستقبلية، ويمكن تلخيص بعض الاقتراحات التي يمكن أن يقدمها الدارسون للآباء لبناء مفهوم واقعي مبني على التجربة والبرهان بما يلي:

أولاً:

أ – اقبل الوالدين كما هما

بينما أن قبول الشخصية الذاتية مبني على المعرفة بأن الآخرين يقبلونها فإن قبول الوالدين كما هما من قبل المختصين يلعب دوراً إيجابياً على تقبل الوالدين لأنفسهما، ولذلك فإذا أردنا منهما أن يتقبلا أطفالهما على ما هم عليه، فيجب علينا تقبلهما بالحال التي هما عليها، سواء كانت قوية أم ضعيفة. وعندما يتم بناء علاقة وطيدة بينهما فإنهما يستطيعان إيصال خوفهما وجهودهما وسعادتهما وشعورهما إلينا، لأنه يوجد هناك ثقة وأمان كافيين بيننا وبينهم، وهذا يساعدنا على أن يتقبل الوالدين اقتراحاتنا بكل جدية وسرور التي ستنعكس ايجابياً على الأطفال.

ب- الوالدان الراضيان عن نفسيهما سوف يرضيان عن أطفالهما

أوضحت الدراسات بأن الرضا عن النفس له علاقة وطيدة بالرضا عن الآخرين ولذا فإن الخيال الذي يبنيه الوالدان عن نفسيهما سيؤثر على نوعية العلاقة بينهما وبين أطفالهما. إن الوالدين الراضيين عن نفسيهما غالباً ما يكونا حساسين لحاجاتهما الخاصة. وبالتالي حساسية كبيرة لحاجات أطفالهما. فنجدهما فخورين بأنفسهما ويتقبلان النجاح والخسارة بكل سرور، ولذلك فإن تقبلهما لأطفالهما بضعفهم أو قوتهم حتمي، ونجدهما أيضاً قادرين على بناء علاقات وطيدة مبنية على المحبة والتفاهم مع أطفالهما، وبعكس ذلك نجد توتر العلاقة بين الوالدين وأطفالهما، وفي النهاية فان السعادة ستكون من نصيب الأبوين اللذين رضيا بأنفسهما وبأطفالهم (Kirpalani, 1986).

ج- العلاقة بين الرضا عن النفس والكشف عنه

عندما يقبل الوالدان بعضهما وواقعهما فإنهما يستطيعان الكشف والتعبير عمّا في داخلهما بكل حرية وأمان، وعدم الخوف من الخوض في التفاصيل لأنهما يريان نفسيهما محبوبين ومقبولين لدى المجتمع، بعكس غيرهما من النوع الآخر الذين يشعرون بعدم الأمان والنظرة على الآخرين بعدم الثقة.

ثانياً: – كيف نستطيع أن نساعد الوالدين في الكشف عن نفسيهما؟

أ-الإصغاء لهما حتى نجعل الأبوين يشعران بأنهما مقبولين وأننا نفهمهما ونحترم موقفهما يجب علينا أن نصغي إلى أفكارهما والإحساس بشعورهما دون انتقاد أو حكم. ومن الضروري أن يعرف ويكتشف الأبوان خلال العلاج بأنهما يتمتعان بحرية تامة تكشف عما في داخلهما من غضب أو ملل أو عدم قدرة على التكيف مع الوضع السائد. ويمكن أن نشبه "الإصغاء" بعمل الطبيب عندما يحاول تنظيف الجرح، فإذا لم يتم إزالة الصديد والأوساخ فإن النتيجة

تؤدي إلى التهابات جديدة تعرقل نمو الأوعية التي تساعد على شفاء الجرح، وبالمثل فإن الإحساس الايجابي بين الوالدين والمعالجين سيكون له فرصة كبيرة على النمو والتطور إن كان هناك فرصة مشابهة لإزالة الإحساس السلبي الذي يشعران به، لذلك فإن الإصغاء لهما من شأنه أن يشعرهما بالأهمية واحترام الذات والآخرين.

ب- يجب إظهار القبولية مقدماً ومواصلة إظهارها عند مخاطبة الوالدين للكشف عن نفسيهما

حسب رأي (Johnson, 1972) يوجد هناك نوعان من القبولية يمكن أن نوصلهما إلى الشخص، الأول: تشجيعه على المخاطرة للكشف عن النفس، والثاني: بناء علاقات حميمة معه مقدماً قبل الشروع بالعلاج من خلال إعطائه الثقة والاحترام المتبادل.

ثالثاً – مساعدة الأبوين على تقبل التغير

إن التغير بالعوامل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للبلد تحتاج إلى تغير نمط الحياة وطريقة عمل الوالدين. اليوم يحتاج الأبوان إلى عمل شاق لتوفير حياة سعيدة ومريحة لأطفالهما، وبالمقابل يحتاج الأطفال أن يقبلوا ويتكيفوا مع ظروف عمل الوالدين، وعلى الأم أن توفق بين عملها وأسرتها، كل هذه العوامل من شأنها أن تخلق جواً من التوتر داخل الأسرة، وهذا يحتاج إلى تعلم مهارات جديدة لمفهوم الأبوة.

إن كل جوانب الحياة تتضمن تغيراً وعلى المختصين والمهتمين أن يكونوا جاهزين لمساعدة وتشجيع الأبوين خلال الفترة التي يحاولان بها التكيف مع التغير، وإذا وقفنا إلى جانبهما عند الحاجة ستكون هناك فقط مسألة وقت قبل أن يتمكن الوالدان من تقبل التغير كجزء مهم في حياة البشرية وشرط للنمو الإنساني.

رابعاً – يجب مساعدة الأبوين على فهم طبيعة التغير لمفهوم الأبوة

بما أن الوقت يتغير فإن هذا يصاحبه بروز مفاهيم جديدة للأبوة المؤثرة التي لها قابلية للتعلم التي تحتاج إلى مجهود متواصل لمعرفة أمور جديدة عن فردية الأطفال وسلوكياتهم في مختلف مراحل النمو، وعلاوة على ذلك فإن الوالدين بحاجة إلى الاهتمام بحاجاتهما الخاصة، والاعتراف بأن الأبوة هي عمليات تتطور، ومع المواصلة للتعلم عن نفسيهما وعن أطفالهما فإن الثقة بأنفسهم كمتعلمين ومثقفين سوف تنمو، وبهذا يقول (Swick and Duff, 1979) "إن الوالدين المثقفين المتعلمين سيعملان على إبقاء بيئة مساعدة على التعلم والبناء داخل الأسرة، وبالتالي الاهتمام بالتعلم خارج محيط الأسرة".

خامساً – تشجيع الوالدين لقضاء وقت أكثر مع الأطفال

من الصعوبة أحياناً أن يجد الوالدان وخصوصاً الأب وقتاً لقضائه مع أطفاله بسبب انشغاله بأمور الحياة، وبالنتيجة نجد الأطفال يسعون وراء الحب والانتباه بلجوئهم إلى العالم الخارجي، وغالباً ما تكون النهاية هي وقوعهم في مأزق لا يمكن التخلص منه بسهولة، ولذا فإن السلوك الإنحرافي سيكون صبغة أو طريقة حياة بالنسبة لهم. إن قضاء بعض الوقت مع الأطفال من شأنه أن يشعر الطفل بالحب والاهتمام، وحسب رأي (Sayles, 1928): "إن من الحاجات الأخرى للطفل التي يمكن مقابلتها بقضاء الوقت معه ما يلي:

1 -الحاجة إلى صمام أمان.

2-الحاجة إلى مترجم للحياة.

3-الحاجة إلى مرشد."

إن باستطاعة الوالدين منح أطفالهما معنى للحياة خلال فترة اللعب والمرح التي يمر بها الطفل من خلال بناء شخصية قيادية، ومهارات فردية، ونظام حياة ذي قيمة شخصية، إلى جانب المتعة أثناء اللعب، وهناك جانب آخر لقضاء الوقت مع الأطفال وهي قراءة القصص المحببة لهم والتحدث إليهم بموضوعات مختلفة والعمل سوياً (Matalka, 1994).

سادساً – العلاج العائلي

وهذا يجب أن يركز على تعزيز وتطوير الاتصال والتفاعل بين أفراد العائلة الواحدة. فإذا تعلم الأفراد التعبير عن شعورهم الصادق والصريح لبعضهم، فإن عدم التفاهم والغضب والنظرة ستزول، فمهمة المعالج هنا تتركز على جعل الأسرة تدرك بأنها تنمو كوحدة واحدة لا يفرقها فارق – وبهذا فإن أفراد الأسرة سيكونون حساسين خلال فترة العلاج إلى احتياجات بعضهم البعض، وبالتالي الصراحة والكشف عما يدور في الخاطر سيكون أسهل.

سابعاً – مساعدة الوالدين لتطوير قوة داخلية لمواجهة الواقع

إن هذا ضروري عندما يجبر الوالدين على مواجهة فقدان شخص محبب مثل موت مفاجئ لأحد أفارد العائلة أو ولادة طفل معاق حركياً أو عقليا أو عندما يجبران على العيش مع الألم الناتج عن مشاهدة أطفالهما الذين اختاروا طريق خاطئة أثرت على سلوكهم ومستقبلهم.

ثامناً – مساعدة الأبوين على خلق جو ملائم للعائلة

إن الجو الصحي ينوجد داخل الأسرة عندما يكون هناك اتصال وتفاعل صريح بين الأفراد، وعندما يهتم الواحد بحاجات الآخر والإصلاحات تقابل بجو مليء بالحب والحنان. والأهم من ذلك الإيمان الأساسي بطبيعة الإنسان السمحة بغض النظر عن المصائب والمشاكل التي تعترض

العلاقات الاجتماعية. وحسب رأي (Elizabeth, 1976) إن الجو غير الملائم للعائلة يأتي من الخلاف داخل الأسرة وتفضيل فرد على الآخر، وعدم الاكتفاء بالدور الذي يجب أن يلعبه الفرد، والصراع بين الأفراد ذوي المنافع المختلفة والسيطرة من قبل الوالدين وعدم توفر الإحساس العاطفي في العلاقات بين أفراد العائلة.

الخاتمـــة

ان الاتصالات الصريحة والمؤثرة تحتاج ممارسة وجهدا كبيرا، وعلى الوالدين ان يتذكروا بأنهم لن يصلوا إلى مرحلة الكمال، وأنهم يخطئون، والمهم ان يبدأ الوالدين بإتباع أنماط الاتصال التربوية والأكثر فاعلية وتأثيرا على نماء شخصية الأبناء في عمر مبكر، وان النتيجة ستكون علاقة قوية وايجابية ما بينهم.

من خلال الدراسة، قد تبين ان المسؤولية الكبرى للنقص الحاصل في الاتصالات ما بين الوالدين وأبنائهم تقع على عاتق الوالدين. لذلك ينصح الوالدان، بان يتصلوا مع أبنائهم والتحدث إليهم وفهمهم واحترامهم، ومن المفترض ان يعترف الوالدان بفردية أبنائهم بدلا من فرض أرائهم عليهم. بهذه الطريقة يستطيع الوالدان الاتصال والمشاركة الفاعلة مع أبنائهم.

إن القوة الداخلية الحقيقية يمكن أن تتحقق في الوقت الذي يكون فيه شخص عزيز يشجع ويساعد، وبالقوة الروحية والإيمان والقبول بالقدر والواقع بكل حكمة وجرأة.

Family Communicational Style with Children and it's Reflection on Children's Personality Development

Faisal Matalka, *Aqaba University College, Al-Balqa Applied University, Aqaba, Jordan.*

Abstract

Inadequate parent-child communication is a problem that many families face, especially those with teenagers.

On one hand, children complain that they are depressed and lonely because no one shares their difficulties and pressures. In spite of their comfortable material life, they are miserable internally. They accuse their parents of not understanding them, of not offering emotional support.

On the other hand, parents are hurt by their children’s accusation, because they have been doing so much for them. They also feel wrong because they think that they are

always ready to communicate with their children who are not interested in talking to them. It pains many parents to find that their children are indifferent to them.

Obviously, both parents and children suffer from this problem, who is to blame? In my opinion, the responsibility mainly lies with the parents.

Therefore this paper make an effort to understand and specify the different communication patterns which can be used by parents to make children feel loved and accepted. The author has placed emphasis on both the verbal and non-verbal aspect of communication. How accepting a parent is of his child and vice-versa, can be seen in the communication styles that they use with each other. This is discussed with the help of true case examples from our society. Some ways by which people in the helping profession (Counselors, child and family guidance workers social worker and others). Can influence and motivate parents to accept their children are also briefly discussed.

قدم البحث للنشر في 2007/11/6 وقبل في 2008/1/29

المصادر والمراجع العربية

ابو جادو، صالح محمد، (2006م)، **سيكولوجية التنشئة الاجتماعية**، الطبعة الخامسة، عمان، دارا لمسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

ابو عرقوب، إبراهيم، (1993م)، **الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل الاجتماعي**، الطبعة الأولى،عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.

إسماعيل، محمد عماد الدين، (1974م)، **كيف نربي أطفالنا**، القاهرة، دار النهضة العربية.

تركي، مصطفى احمد، (1980م)، **الرعاية الوالدية وعلاقتها بشخصية الأبناء**، القاهرة، دار النهضة العربية.

تركي، مصطفى احمد، (1980م)، **العلاقة بين رعاية الوالدين للأبناء في الأسرة وبين بعض سمات شخصية الأبناء**، الكويت، مؤسسة القباج.

الجوهري، عبد الهادي، (1982م)، **معجم علم الاجتماع**، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، ص 182.

حسن، محمد علي، (1970م)، **علاقة الوالدين بالطفل وأثرها في جنوح الأحداث**، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.

خفاجي، زكي محمد، (1983م)، **مجلة تكنولوجيا التعليم**، العدد (14).

دروزة، فرح، (2006م)، **الحوار والصحة النفسية**، المركز الفلسطيني للإرشاد، نابلس.

الدمرداش، إحسان، (1984م)، **الديمقراطية، وأنماط التنشئة الاجتماعية**، محاضر مؤتمر رابطة التربية الحديثة، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام القاهرة.

روبنز، هارفي، (1999م)، **كيف تتحدث وتستمع بفاعلية**، الجمعية الأمريكية للإدارة، مكتبة جرير.

الريماوي، محمد عودة، (1993م)، **في علم نفس الطفل**، الطبعة الأولى، عمان، دار زهران للنشر والتوزيع.

العاني، عبد اللطيف عبد الحميد؛ عوني، مليحة؛ وخليل معن، (1990م)، **المدخل إلى علم الاجتماع**، جامعة بغداد.

عبد المؤمن، محمد، (1986م)، **مشكلات الطفل النفسية**، القاهرة، دار الفكر العربي.

علاقي، مدني، (1405هـ)، **الإدارة دراسة تحليلية للوظائف والمقررات الإدارية**، الطبعة الثالثة، تهامة، جدة.

العويدي، حامد، (1993م)، **اثر الجنس ونمط التنشئة الأسرية على التحصيل والاتجاهات نحو المدرسة عند عينة أردنية من طلبة الصف العاشر**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية.

القرشي، عبد الفتاح، (1986م)، اتجاهات الآباء والأمهات الكويتيين في تنشئة الأبناء وعلاقتها ببعض المتغيرات، **حوليات كلية الآداب**، الحولية، الكويت.

القعيد، إبراهيم حمد، (1433هـ)، **العادات العشر للشخصية الناجحة**، دار المعرفة للتنمية البشرية، الرياض.

مصالحة، شفيق، (2003م)، **دليل الصحة النفسية**، عن دروزة (2006م)، "الحوار والصحة النفسية"، المركز الفلسطيني للإرشاد، نابلس.

ياغي، محمد عبد الفتاح، (1403هـ)، **مبادئ الإدارة العامة**، الطبعة الأولى.

المصادر والمراجع الإنجليزية

Fletcher, A. C. & Shaw, R. A. (2000), Sex differences in associations between parental behaviors and characteristics and a adolescent integration، *Social Development*, 9 (2)، 133-148.

Frank E. X. Dance & Carle E. Larson, (1972), speech communication concepts and Behavior, New York: *Holt, Rinehart and Winston, INC*, p. 10.

Grash, A. F. (1978), *Practical Application of Psychology*, Cambridge, Mass, Winthrop Publishers, Inc.

Harms, L. S. (1974), Human communication: The New Fundamentals, N.Y: *Harper and Row publisher*, p.4.

Hawkes, G.R & Pease, D. (1982), *Behavior and development from 5 to 12*, New York, Harper International Edition.

Hurlock Elizabeth. B. (n. d), *Personality Development*, New Delhi, Tata McGraw Hill.

Johnson, David W. (1972), *Reaching out، Interpersonal Effectiveness and Self actualization*, Englewood Cliffs, New Jersey, Prentice Hall.

Kirpalani, Maya B. (1986), *Accept Your Child As He Is*, the evening news of India، Jan, 21.

Kirpalani, Maya B. (1986), *Indifference to Failure*, The Evening news of India, Feb, 4.

Kristen Zolten, Nicholas long, (1997), *Parent / child communication*, Center for Effective Parenting، Little Rock Center، NW Arkansas Center.

Kurz, D. (2002), caring for teenage children, *Journal of family issues*, 23, (6), 740-776.

Larry A. Samovar; Richard E. Porter & Nemi C. Jain, (1981), *Understanding international communication*, (Belmont: Wadsworth publishing company), P. 159.

Matalka, Faisal, (1994), *A Sociological Study of male juvenile delinquency in Jordan*, Unpublished PhD Thesis, Rajasthan University Jaipur- India.

Matalka, Faisal, (1994), *Of Discipline and Delinquency*, April, 4, Lokmate Times, Nagpur, India.

Matalka, Faisal, (1994), *Parental Relationship and Juvenile Delinquency*, May, 22, Focus, Nagpur Times, Nagpur, India.

Miller, Moureen, (1978), *Help Your Child for Life*, Niles, IIlinoise, Angus.

Nimo, D. (1978), *Political communication and public opinion in America*, California: Goodyear publishing company.

Purser, Harry, (1982), *Psychology for Speech Therapists*, London, British Psychological Society and Macmillan Press.

Radke, M. J. (1946), *The Relation of Parental Authority to children Behaviors and Attitudes*, Minnesota, University of Minnesota.

Resnic, M. D; Bearman, P. S; Blum, R. W. et al. (1997), Protection adolescents from harem: Findings from the national longitudinal study on adolescent health, *JAMA*, 27 (10), 823 – 832.

Roffman, D. M. (2002), Parenting is a five – piece suit, *Transitions*, 15 (1), 5, Washington Dc: Advocates for youth.

Sayles, M. B. (1928), *The Problem Child at Home, A study of Parent- Child Relationships*, New York, Common Wealth Fund of Division Publication.

Swick, K. J & Duff, E. R. (1979), *Parenting*, Washington D. C. National Education Association of the United State.

Walsh, F. (2002), A family resilience Framework: Innovative practice applications, Family Relations: *Interdisciplinary journal of Applied Family studies*, 51, (2), 130 – 137.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد5 العدد 2، 2008، ص ص 533- 555

وجوه التماثل بين بيت الشَّعر وبيت الشِّعر

خلف الخريشة *

ملخص

يحاول الباحث استجلاء العلاقة التي تربط هندسة بناء البيت الشِّعري بهندسة بناء البيت المبني، وتتجلى طبيعة هذه العلاقة حينما يتحول المكان إلى زمان، والرسم إلى صورة، وحينما تتراسل الحواس بصورها عبر المحاكاة والخيال، فتتحول الصورة إلى حاسة ذهنية تتحول بدورها إلى حاسة سمعية يبثها الشاعر لنا شعريا.

وحينما قام الخليل بن احمد الفراهيدي (100-170هـ) باستقراء الشِّعر العربي لم يغب عن باله أن مصطلح بيت الشِّعر مستمد من بيت الشَّعر، وقد كان عمل المشابهة والتماثل يدلل على وعي دقيق وتكامل في النظرة المعرفية للفضاء المكاني والزماني الذي يحتله بيت الشّعر في النقد العربي بعامة، وفي عروض الشعرالعربي بخاصة.

ولما كان بيت الشِّعر كبيت الشَّعر كلاهما يلتئم من الأسباب والأوتاد، ثم الألفاظ والشقق، ثم المصاريع التي تحدها الأعاريض والأضرب، ثم البحور التي تحدّها الدوائر. قامت العرب ببناء بيت الشِّعر كبيت الشَّعر، وقصدت من وراء ذلك الارتماء بين أحضان الطبيعة ببعديها المكاني والزماني، وإدخال النص الشعري في إهاب بيت الشَّعر من خلال آلية عمل البيتين، فكلاهما تقوم آليته على مراحل متعاقبة أولها: مرحلة التفكير. وثانيها: مرحلة الصياغة والصناعة.

مقدمة

يحاول الباحث استجلاء العلاقة التي تربط بيت الشِّعر - بكسر الشين - ببيت الشَّعر – بفتح الشين – مراعيا طبيعة العلاقة التي تربط هندسة بناء البيت الشِّعري بهندسة بناء البيت المبني، وهذه الهندسة تتضح معالمها إذا ماقمنا بدراسة البيئة التي أحاطت بالإنسان العربي منذ بزوغ فجر القصيدة العربية وارتباطها بالبيئة والإنسان معا، وتتجلى طبيعة هذه العلاقة حينما يتحول المكان إلى زمان، والرسم إلى صورة، وحينما تتراسل جمالية الحواس من الصورة – عبر الخيال والمحاكاة – إلى الحاسة الذهنية التي تحولها بدورها إلى حاسة سمعية.

* قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

وحينما يلتقي الرسم بالشِّعر من خلال الصورة الذهنية؛ يتمكن الشاعر كمهندس لبنية البيت الشِّعري من بناء البيت الشِّعري، وهذا البناء لا يمكننا فهم مضامينه ما لم نفهم طبيعة العلاقة التي تربط الإنسان بالبيئة، وكيفية توظيف الإنسان لمعطيات البيئة ذاتها.

وإذا كان الإنسان ابن بيئته، فالإنسان العربي كذلك، توحَد مع بيئته بكل تفاصيلها، ولا غرابة أن تأتي مصطلحات علومه مستمدة منها، ومن هنا يجب أن لا يغيب عن بال دارس عروض الشعر العربي أن مصطلحات هذا العلم مستمدَة من بيئة الإنسان العربي في باديته: "من خيمته التي تقيه غائلة الحر، وسطوة القرَ، وناقته التي يجوب على متنها القفار، وما يستخدمه في يومه من أشياء"[(1)] فالخليل بن أحمد الفراهيدي (100- 170هـ) حينما قام باستقراء الشعر العربي لم يغب عن باله أن مصطلح بيت الشِّعر مستمد من بيت الشَّعر – بفتح الشين - وقد كان عمل المشابهة والتماثل هذا يمثل وعيا دقيقا، وتكاملا في النظرة المعرفية للفضاء المكاني والزماني الذي يحتله بيت الشعر في النقد العربي بعامة، وفي عروض الشعر العربي بوجه خاص، والفراهيدي هو القائل حينما اصطدم بالبنية الوزنية لبيت الشِّعر: "رتبت البيت من الشِّعر ترتيب البيت من بيوت الشَّعر – يريد الخباء –"[(2)] وترتيبه هذا قاده إلى وضع مجموعة من المصطلحات في الشِّعر العربي، ظلت مفزع النقاد في نظرتهم النقدية للشِّعر، ومثال هذه المصطلحات: الإقواء، والإسناد، والإيطاء. "قال: فسميت الإقواء ما جاء من المرفوع في الشِّعر والمخفوض على قافية واحدة... وإنما سميته إقواء لتخالفه، لأن العرب تقول: أقوى القائل إذا جاءت قوة من الحبل تخالف سائر القوى..."[(3)]، وستكون هذه السنة التي سنها الخليل في الوصل بين المصطلح الشِّعري وشؤون الخباء البدوي، والحياة البدوية عامة، مرجعا يستوحي منه علماء النقد والعروض كلما حاولوا وضع مصطلح جديد[(4)].

وهذا الأصمعي في "فحولة الشعراء" عندما أراد تقسيم الشعراء امتشق تقسيمه من البيئة المحيطة به؛ فقسم الشعراء إلى فحول، وغير فحول، قاصدا من وراء ذلك انتخاب الألفاظ الدالة على الشِّعر من صميم الحياة البدوية. فالفحل من الطبيعة – جملا كان أو فرسا أو شاعرا – يتصف بسمات مستمدة من الطبيعة بما يناقض صفة "اللين" التي يكرهها الأصمعي في الشاعر، لأن الفحولة كصفة تجعله يتفوق على من سواه[(5)].

ويتناول النقاد بعد ذلك ذات المصطلح إذ يتبع الأصمعي ابن سلام في "طبقات فحول الشعراء"، وابن قتيبة في "الشِّعر والشعراء"، وقدامة في "نقد الشعر"، ويحاول ثعلب في "قواعد الشِّعر" استيحاء روح الخليل في صياغة مصطلح مبتكر؛ ويرى أنه إذا كان الفراهيدي قد نظر إلى الخباء عندما وضع المصطلح العروضي، ونظر الأصمعي ومن تبعه من النقاد إلى الفحل من الإبل في تصور شاعرية الشاعر، فما أجراه هو أن يقف عند الفرس مستوحيا قول ابن

الأعرابي في وصف القافية الشّعرية بأنها أشرف مافي البيت؛ لأن حوافر الفرس هي أوثق مافيه، وبها نهوضه، وعليها اعتماده.[6] إن الفرس حينما توقع بحوافرها أثناء سيرها على الأرض إنما ترسم بذلك مجرى متوازي الجانبين حالها حال القوافي التي ترسم مجرى الأبيات حينما تتكرر في العروض والضرب، وتحدد بإيقاعاتها التكرارية تساوي شطرين من البيت الشّعري، وينشأ من ذلك خطان متوازيان هما خط الصدر وخط العجز، فكأن الشاعر يقفز من بيت إلى بيت كما تقفز الفرس بين كل خطوة والتي تليها. إن حافر الفرس يوحي بإيقاع منتظم أثناء سيرها، والقافية توحي بإيقاع البيت الشعري، وتهيئ لبيت تالي[7].

وهانحن نلحظ أن طريقة العرب في البحث عن مصطلح جاءت مستمدة من بيئتهم: "فالعرب أودعت أشعارها من الأوصاف والتشبيهات ما أحاطت به معرفتها، وأدركه عيانها، ومرّت به تجاربها، وهم أهل وبر فصحونهم البوادي، وسقوفهم السماء، فليست تعدو أوصافهم مارأوه منهما وفيهما... فشبهت الشيء بمثله تشبيها صادقا على ما ذهبت إليه في معانيها التي أرادتها".[8] فهذه الإيماءات التي أوردها ابن طباطبا والنقاد العرب سوف تكون الباعث للقرطاجني في "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" لوضع بنية نظرية متكاملة للمقارنة بين بيت الشّعر وبيت الشّعر.

بيت الشّعر وبيت الشّعر

كانت طريقة الخليل أن يشبه بيت الشّعر ببيت الشّعر[9] "وأما البيت فسمِي بذلك تشبيها ببيت البنيان لأنه على سمت معتدل، ونظم مستقيم، وله ابتداء يقصدونه، ويوقف عنده"[10]، كما أن بيت الشّعر لا يقوم إلا بالأسباب وهي الحبال، والأوتاد وهي الممسكة للأسباب، والفواصل وهي حبال طوال يضرب منها حبل أمام البيت، وحبل وراءه؛ يمسكانه من الريح، فكذلك بيت الشّعر تركّب من الأسباب والأوتاد والفواصل. ولهذا لا تكون الفاصلة الكبرى إلا ببيتٍ شاذٍ من الشّعر، وقال الأفوه الأودي:

والبيت لا يبتنى إلا بأعمدة	ولا عمود إذا لم ترس أوتاد
فإن تجمع أسباب وأوتـاد	وساكن بلغ الأمر الذي كادوا

وقال المعرِي:

حسنت نظم كلام توصفين به	ومنزل منك معمودا من الخفر
والحسن يظهر في شيئين رونقه	بيتٍ من الشّعر أو بيت من الشّعر[11].

ووجه التسمية في هذه أنهم شبَّهوا البيت من الشِّعر بالبيت من الشَّعر؛ لأن بيت الشِّعر لا يقوم إلا بأسباب وهي الحبال، وأوتاد وهي خشبة تضرب في الأرض تربط فيها الحبال، قال الشاعر:

وبيت على ظهر المطيِّ بنيته بأسمر مشقوق الغياشم يرعف

(الأسمر: القلم. والبيت: واحد بيوتات العرب، وهي أحياؤها).[12]

ولأن بيت الشِّعر يشتمل على الأسباب والأوتاد؛ شبَّهوا الأسباب والأوتاد التي يتركب منها البيت الشِّعري، بأسباب الخباء سواء كانت من وبر، أو شعر، أو صوف. وشُبِّهت الأوتاد بأوتاد الخباء، وهي مادقّ في الأرض من خشب، وذلك لاضطراب الأسباب، وثبات الأوتاد.[13] فإن كان السبب مركبا من حرف متحرك بعده ساكن سمِّي سببا خفيفا لخفَّته، وإن كان من متحركين سمِّي ثقيلا لثقل حركته، وقد يسمّى الأول: المضطرب، والثاني: الثقيل المنتشر. وإن كان على ثلاثة أحرف سمِّي وتدا، لأن الوتد أعظم حجما من الحبل، وسمِّي الأول: مجموعا؛ لأنه جمع فيه بين متحركين، وسمِّي الآخر: مفروقا؛ لأنه فرّق بين متحركين بالساكن.[14]

وهكذا، نرى أن البيت من الشِّعر مشتق من بيت الخباء، وهو يقع على الصغير والكبير، كالرجز والطويل، وذلك لأنه يضم الكلام كما يضم البيت أهله، ولذلك سمَوا مقطَعاته أسبابا وأوتادا على التشبيه لها بأسباب البيوت وأوتادها. فإذا كان البيت من الشِّعر مشبها بالبيت من الخيام وسائر البنيان لم يمتنع أن يكسَّر على ماكسِّر عليه، وقد سمِّي بيتا لأنه كلام جمع منظوما، فصار لبيت جمع من شقق، وكفاء، وأعمدة، ورواق.[15] فسمِّي البيت من الشِّعر لضمِّه الحروف والكلام كما يضم البيت أهله.[16]

وسمَّت العرب النصف الأول من البيت مصراعا؛ تشبيها له بمصراع البيت الذي تسكنه، ثم سمَّت نهاية المصراع الأول عروضا، لأنه شبيه بعمود البيت في ثباته وقلة تبدّله، والعروض هي العمود المعترض في وسط الخباء، قوام الخباء وثباته بها، وسمِّي آخر البيت ضربا؛ لأنه ضرب من ضروب العروض، ونوع من أنواعه لكثرة اختلافه وتبدله.[17] ونؤكد هنا أنه إنما سمي وسط البيت عروضا؛ لأن العروض وسط البيت من البناء - لا كما ظن كثير من أبناء العربية - ووسط البيت هو العمود الذي يقوم عليه بناء البيت، لأنه يتوسَّط الخباء، وقوام البيت من الكلام عروضه، فلذلك يجب أن تكون العروض أقوى من الضرب.[18]

ولمَا شبَّهت العرب البيت من الشِّعر بالبيت الذي تسكنه قسَّمت أشعار العرب في البناء على ثمانية أقسام: مثمَن، ومسدَس، ومربَع، ومثلَث وهو المشطور، ومثنّى وهو المنهوك. أمَا المثمَن؛ فقد يتوسَط بين صدره وعروضه جزآن، وكذلك بين ابتدائه وضربه؛ لأنه على ثمانية أجزاء،

فالأول: صدر، والثاني والثالث: حشوان، والرابع: عروض، والخامس: ابتداء، والسادس والسابع: حشوان، والثامن: ضرب، ومثاله من الطويل:

إذا ما غدرتم عامدين لأرضنا   بني عامر فاستوثقوا بالمرائر

إذا ما (صدر)، غدرتم عامدين (حشو)، لأرضنا (عروض)، بني عا (ابتداء)، فستوثقوا بل (حشو)، مرائري (ضرب)، كالآتي:

إذا ما غدرتم عامدين لأرضنا بني عا مر فاستوثقوا بل مرائري
(صدر) (حشـــــو) (عروض) (ابتداء) (حشـــــــو) (ضرب)

وأما المسدّس؛ فلا يتوسّط بين صدره وعروضه إلا جزء واحد، وكذلك بين ابتدائه وضربه؛ لأنه على ستّة أجزاء، وأربعة أخر لها أسماء؛ فيبقى جزآن. وأما المربع فلا يمكن فيه الحشو؛ لأنه: صدر، وعروض وابتداء، وضرب، كقوله:

لمن طلل بذات الرمى   أمسى دارسا خلقا

وأما المشطور، وهو المثلّث؛ فيكون على ثلاثة أجزاء، كقول الحجاج:

ياصاح ماهاج الدموع الذرفا

وأما المنهوك، وهو المثنّى الذي يكون على جزأين، كقول هند بنت عتبة:

نحن بنات طارق

فالجزء الأول: صدر، والجزء الثاني: قيل عروضه وضربه، ولا يمكن أن يكون له ابتداء إذ لا واسطة له.[19] ويرى العروضي في جامعه: "أن العرب إذا بنت بناء من الشّعر، واختارت نوعا من الوزن؛ وجب أن نقتدي بها، ونسلك طريقها، ولا نخالف ما ألفت، ولا ننقص ما بنت إذ كانت الأسماء إنما تؤخذ عنها، ونستعمل الأشياء كما استعملت، ونقف حيث وقفت"[20].

لاحظنا مما سبق أنه لما كان بيت الشّعر كبيت الشّعر، وكلاهما يلتئم من اتحاد الأسباب والأوتاد، ثم الألفاظ والشقق، ثم المصاريع التي تحدّها الأعاريض والأضرب؛ قامت العرب ببناء بيت الشّعر على شكل بيت الشّعر، وقد قصد الشاعر العربي من وراء ذلك الارتماء بين أحضان الطبيعة ببعديها: المكاني والزماني ودخول النص الشعّري في إهاب بيت الشّعر.

بيت الشّعر

يعد "بيت الشّعر" الموطن التقليدي للإنسان العربي في العصر الجاهلي ولابن البادية في عصرنا الحاضر، ويعني بالنسبة له المنزل والمسكن، أضيف إليه " الشّعر " ليعبِّر عن مادة صنعه، و"بيت الشّعر" يعد رمزا حضاريا للحفاظ على هوية البدو، وجزءا لا يتجزأ من تراثهم، وهو

خيمة أفقية الطول تصنع من شعر الماعز أو وبر الجمال على شكل "شقق" "مفردها شقَّة"، والشقَّة تنسج من شعر الماعز أو وبر الإبل الصافية من خلال ما يسمى عند البدو بـ "النول"، وقد يدخل القطن في مادة صناعة الشقَّة كي يوشّح شعر الماعز بلون أبيض يسميه البدو "المركَّب"، والخيمة العادية تحتاج إلى ثماني شقق.(21) وتُصفّ الشقق بجانب بعضها بعضا، ثم تقوم النساء بضمّها مع بعضها بخيط من شعر الماعز، وتقوم بخياطة "الطرائق: مفردها: طريقة" على أطراف البيت، ومن خلال "الخرب" تربط الطرائق بحبال حتى يتم تثبيتها إبان بناء البيت بالأوتاد. والحبال التي تمسك جوانب الخيمة تسمًى "أطناب"، بينما الحبال التي تمسك أطراف الخيمة الأمامية تسمًى "أيدي" والتي تمسك الأطراف الخلفية تسمًى "أرجل"(22).

أما كيفيّة بناء البيت، فإنه بعد نسج الشقق، وضمّها، وتهيئة الرواق والأعمدة والحبال والأوتاد، يفلّ البيت؛ ويتمّ تمديد الحبال، تلفّ حول الأوتاد، ويؤخذ بشدّها أولا بأول في الوقت الذي يتمّ تثبيت الأوتاد بـ "الميجمة"، فإننا نبدأ بالمقدمة بشدّ الحبال بادئين بالجزء الأمامي "المجدم"، ثم بالجزء الخلفي "القفا"، ثم بالجزء الجانبي "الكاسر"، وبعد تهيئة الحبال وتثبيتها بالأوتاد أوليا، يؤتى بعد ذلك بالعمدان الأماميّة أولا حيث يبدأ بعمدان "المجادم" أو "المقادم"، وذلك لرفع البيت، وبعد رفع البيت يؤتى بعمود "الواسط" حيث يثبّت بـ "القطب" في وسط البيت، وأخير توضع في الزوايا الخلفية للبيت أعمدة "الكواسر"، وعندما تقف الأعمدة كافة، تكرّب "الأطناب" أي "الحبال"، ويوضع "الرواق" أخيرا ليحمي البيت من حركة الرياح، ثم تثبت أجزاءه العلوية بجرير من "الأخلّة: مفردها خلال"، بينما تثبت أجزاء الرواق السفلية بأوتاد حتى لا تستطيع الرياح اقتلاعه. ثم يؤتى أخيرا بـ "القاطعة " أو "السّاحة" مابين الطرائق الأمامية والخلفية؛ لتفصل البيت إلى جزأين: الجهة اليمنى للنساء، وتسمّى "المحرم"، والجهة اليسرى للرجال وتسمًى "الشقَ" أو "الربعة".(23)

واللافت للانتباه أن بيت الشّعر يصنَّف تبعا لمكانة أعمدته وعددها حيث توجد ستَّة أنماط لبيت الشّعر: النمط الأول (الواسط) أو (العروض) حيث يحتل المرتبة المركزية للبيت، ويقاس بيت الشّعر بعدد (الوسَط)، والنمط الثاني (الكاسر) حيث يحتل الجانب الأوسط لجانبي بيت الشًعر، والنمط الثالث (المجدم) أو (المقدم) حيث يحتل الأجزاء الأمامية للبيت، والنمط الرابع (الرِّجل) حيث يحتل الجهة الخلفية للبيت، والنمط الخامس (الإيد) أو (الدافع) حيث يحتل الزاوية الأمامية للبيت، والنمط السادس (الميخر) أو (المؤخر) حيث يحتل الجهة الخلفية(24).

ويكتسي بيت الشّعر مكانته تبعا لعدد (الوسَط) أي (الأعاريض)، ومنها يأخذ مسمياته:

فالخيمة العادية تتكون من (واسط واحد) تسمَى (قطبة) تتكون من جزأين.

والخيمة التي تتكون من (واسطــين) تسمَى (مدوبل) تتكون من ثلاثة أجزاء.

والخيمة التي تتكون من (ثلاثة وسَط) تسمَى (مثولث) تتكون من أربعة أجزاء.

والخيمة التي تتكون من (أربعة وسَط) تسمَى (مروبع) تتكون من خمسة أجزاء.

والخيمة التي تتكون من (خمسة وسَط) تسمَى (مخومس) تتكون من ستة أجزاء.

والخيمة التي تتكون من (سبعة وسَط) تسمَى (مسوبع) تتكون من ثمانية أجزاء.(25)

وتنصب الخيمة تبعا لاتجاه الريح، فالجزء الذي يقابل حركة الريح يكون مغلقا تماما، ويطلق عليه (قفى البيت) أي قافية البيت، ويحميها الرواق، والجهة المقابلة للرواق، وهي الجزء الأمامي من البيت، ويطلق عليها اسم (الحجال)، وهي الجهة التي تحمي البيت من اتجاه الرياح الأمامية، وتستر الجهة الأمامية للبيت، أما الأجزاء الجانبية، فتتم حمايتها بـ (الرفّة) التي تقي جانبي البيت، وتسمّى هذه الجهة (كسور البيت).(26)

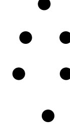
وكما لاحظنا يتكون بناء بيت الشعر من سقف وحيطان وأعمدة وحبال، والسقف يتكون من مجموعة من الشقق المكوّنة لبيت الشّعر، تسند في وسطها بمجموعة من الأعمدة، وتثبت بدورها بمجموعة من الحبال التي تعمدها مجموعة من الأوتاد. ومعظم سطوح بيت الشعر تتكون من (6-8) شقق موزعة بسلسلة متساوية على جانبين متساويين، وتتوسط البيت (عارضة) خشبية يطلق عليها اسم (الواويّة) أو (القتب)، وهي قطعة خشبية يسندها الواسط كعمود البيت الرئيس كونه عمود الارتكاز يتناغم مع مجموعة من الأعمدة المركزية في البيت، وتستند هذه الأعمدة على مجموعة من الطرائق (مفردها طريقة) تمنع البيت من الانفساخ عن بعضه، وتربط مقدمة الطريقة بحبل أساسي يسمى (الطنب).(27)

وحينما يتابع المرء هندسة بناء بيت الشّعر يجد نفسه أمام سؤال طالما حيّر الباحثين: أهو أمام هندسة بيت شَعر، أم أمام هندسة بيت شِعر؟!. ولعل الإجابة تكمن في نظرية الفن ذاتها.

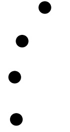
التماثل بين بيت الشّعر وبيت الشـِّعر

بدأ الإنسان رؤاه الفنية بمحاكاة الطبيعة وفق مبدأ التماثل والتشابه لإدراك كنه العلاقة التي تربط الواقع بهذه الرؤى. ومن هنا يمكننا أن نفهم كتاب هوراس الذي جاء بعنوان "الشِّعر هو التصوير"؛ ليؤكد على جوهر العلاقة التي تربط بين "الصورة" و"الشِّعر"، ولإيمانه بأن الرسم هو الشِّعر الذي يكتب على شكل قصيدة ذات قافية تشكيلية.(28) فالشِّعر صورة ناطقة، والرسم هو الشِّعر، وأول رسم كان نوعا من الكتابة يتمثل بالخط الهيروغليفي الذي سمِّي بالخط الصوري لاعتماده في أبجديّته على الصورة، فالرسوم المكانية تمددت داخل الكتابة الهجائية حتى خطوط

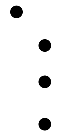
الرمل الستة عشر التي انتشرت بين الكهنة في أفريقيا، قامت بالاعتماد على رسم النقاط كصور تشكيلية حتى تؤدي معانيها، مثل:[29]



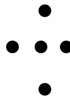
شكل يدل على معنى السلطة والحكم.



شكل يدل على معنى النساء.



شكل يدل على معنى الإخاء والمساواة.



شكل يدل على معنى النفس والحياة.

إن هذه الأشكال البصرية حالها حال الكتابة؛ هي الهادية لنا لفهم التقارب بين بيت الشِّعر والبيت المبني حيث تفسِّره ظاهرة التلقي للنص الشعري، إذ يبدأ التلقي من الصورة الكلية للتشكيل (البيت) عبر الرؤية البصرية التي تقوم بتحريك الطبقات الإرادية المحفِّزة لخيال الشاعر، ومن ثم ستحرك الرؤية للتفكير، وهي خاصية جديرة بإعلانها كمكسب مبكر، ثم إن المعاني الشعرية المجازية ستحرك بدورها التخييل والتفكير، وفي الحالتين تتم إثارة الانفعالات للتشكيل الشعري، وسيكون التأمل أول رد فعل للقوة المفكرة، فإعمال البصر والفكر معا إنما هو تحريك لحواس الإنسان البيولوجية التي تفعل الأثر الفكري الذي تحوله القدرة الخيالية إلى عمل شعري.[30]

إن الفن – بشكل عام، وفن الكتابة الشعرية بشكل خاص - هو انتقال الإنسان خلال محاكاته الطبيعة من عالم المادة إلى عالم الصورة، أو بالأحرى من عالم المادة الجامدة إلى عالم المادة المرنة المتكيِّفة مع الرغبات الإنسانية.[31] وهو يشكل بهذا إدراكاته البصرية للأشياء الموجودة خارج عالمه بينما يجسِّد في نفس الحين والآن ما يجري في حياته الذهنية الداخلية، وعند ذلك يتحول الشاعر إلى عقل يشارك في تشكيل الطبيعة ذهنيا عندما يتحوَّل المظهر البصري – المادي

إلى عملية ذهنية.(32) وقد حاكى الشاعر العربي "البيت المبني" محاكاة شكلية جاءت متآلفة مع أساسيات الجمال الفطري في الفن إبان تساوي وتوازي الثنائيات الشكلية في الفن، لإيمانه بأن الشعريَّة مادة مشتركة لجميع الفنون، وعليه فالشِّعر من خلال الشعرية موجود في الطبيعة والكون والأشياء، والشعرية عامل مشترك بين الفنون تتشكل ببنى مختلفة حسب طبيعة كل فن، وتقنياته، وأدواته الخاصة.(33)

لقد تمكن الشاعر العربي من إذابة الثنائية بين بيت الشعر والبيت المبني؛ بإقامة وحدة انسجامية للصورة الذهنية حتى لا يحدث أي تنافر للثنائية الشكلية داخل المعمار الفني، وقد اعتمد الشاعر العربي على نقل الحيز المكاني إلى حيز خيالي من خلال البيت الشعري. ويجب أن لا يغيب عن بال الناظر إلى بنية البيت الشعري أن المكانية التي أفرزت بيت الشعر هي ذاتها التي أفرزت صور الطلل، والناقة، والديار، وهي ذات المكانية التي صبغت مكونات صوره الشعرية إذ جاءت لوحات البيت المبني مرسومة بامتزاج عالم الألوان بمداد الكلمة الشعرية عبر الحس البصري والمخيلة التي اكتفت بإبراز إيقاعية اللونين: الأبيض، والأسود اللذين عملا على تشكيل الحس العربي نحو الألوان.(34) وإنما قصد الشاعر العربي من وراء هذه المحاكاة الثنائية إلى محاكاة البنية الفلسفية للثنائية الجمالية في الفن، والتي حاكاها كما يحاكي ذاته محاكاة شكلية تستجيب لأساسيات الجمال الفطري في تساوي وتوازي الثنائيات.(35)

إن الشاعر العربي كان واعيا بالطريقة التي نظر من خلالها إلى العالم الخارجي، فقام باستخدام أقصى معانيه البصرية؛ مؤكدا دور الصورة المكانية البصرية لاستيحاء وعيه الرؤيوي، مؤكدا أن الدافع لكتابة بيته الشعري تأتّى من رؤية بنيوية متوحدة مع البيئة والحياة، فصمم بيته الشعري محاكيا بيت الشَّعر كفن بصري ارتأى من خلاله رسم فضاءات تشكيلية تتداخل بانسجام مع النص الشعري. ففي بيت الشَّعر يظهر الانسجام التام بين شطريه "المحرم، والشقَ" فهناك تساو بين الجزأين، وتواز يشبه تماما التساوي والتوازي بين الشطر الأول والشطر الثاني في البيت الشعري، وكما أن هذه الأجزاء تجمعها علاقة وطيدة في بيت الشَّعر تتمثل في علاقة الأجزاء بعضها ببعض "الأوتاد، والحبال، والأعمدة، والشقق، والرواق"، وهي ذات العلاقة القائمة في البيت الشِّعري الذي يتكون من "الأوتاد، والأسباب، والأعمدة، والأفاعيل، والقافية"، فبهما معا يتحقق المعنى الجزئي لوحدة البيت، ثم بعلاقة الأبيات معا يتحقق المعنى الكلي.(36) "إن هذا التساوي والتشابه يؤكد لنا أن الشكل التقليدي للبيت الشعري في القصيدة العربية جاء محاكاة صادقة لأساسيات الجمال الفطري، وكأن العربي يحاكي الطبيعة بنوع من الجمال البحت، البعيد عن تحكم القوانين والغايات الخارجية، وهو جمال ندركه بالحواس (البصر والسمع) لمن ينتمي إلى حقبة زمنية ومكانية واحدة تحقيقا لأبعاد الذوق المشترك"(37). ونتج عن هذا التساوي والتماثل

لأساسيات الجمال الفطري ظهور البيت الشعري وحدة متساوية الأبعاد مشكلة تناسبا زمنيا ومكانيا ممثلا في تساوي الوحدات العروضية والتفعيلات؛ فجاء البيت الشعري محاولة لكتابة أساس القصيدة العربية بنقل البيت من بعده المكاني المرئي إلى بعده الزمني المنطوق، فاتخذ الشكل التقليدي في بنائه بتوازي الصدر والعجز وفق وحدات متساوية، وعلى خط أفقي أسود يفصله البياض الذي يعبر عن فاصل الصمت، ولازمة التنفس ليمثل كالآتي:



لقد رسَّخ البيت الشعري للقصيدة العربية في ذهنية الشاعر والناقد معا بهذا الشكل الكتابي كترجمة مادية لصورة عقلية ذات تصور مسبق؛ فاكتسب صورة الثبات والاستمرار. وهذا الشكل إنما هو نتاج فلسفة جمالية حاكت الفطرة عندما اعتمدت التناسب والتماثل الثنائي كوسيلة جمالية، وهذا التناسب والتماثل الثنائي يستمد مادته من تآلف الطبيعة والإنسان معا ضمن أساسيات تعتمد على:

أولا: **التساوي** بين شطري البيت وتوازيهما.

ثانيا: **التكرار** للوحدات العروضية، والقافية، والروي.

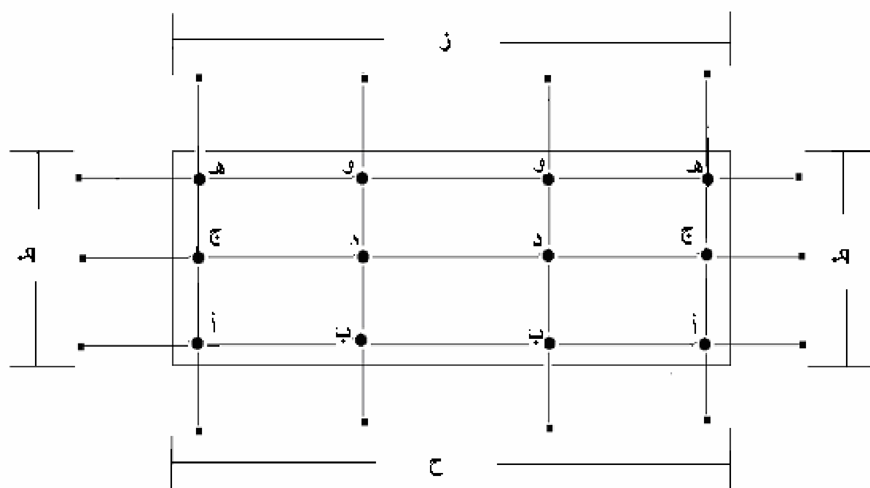
ثالثا: **التنظيم** لشكل الإطار الخارجي (خط، أو مربع، أو مستطيل).[38]

إن هذا التساوي، والتكرار، والتنظيم هو الذي يدفع مؤلف الكلام أو الشاعر أن يكون "كالبنَّاء أو النسَّاج، والصورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يبني فيه أو المنوال الذي ينسج عليه ... وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب الصحيحة عند العرب"[39] .

ويرى ابن طباطبا أن الشاعر قبل مباشرته عملية الصنعة الشعرية؛ يجب أن يعدَّ الأدوات اللازمة للصنعة الشعرية حيث يقول: "وللشعر أدوات يجب إعدادها قبل مرامه، وتكلُّف نظمه ... فمنها: التوسَع في علم اللغة، والبراعة في فهم الإعراب، والرواية لفنون الأدب، والمعرفة بأيام الناس وأنسابهم ومناقبهم ومثالبهم، والوقوف على مذاهب العرب في الشعر، والتصرُّف في معانيه في كل فن قالته العرب فيه، وسلوك مناهجها في صفاتها، ومخاطباتها، وحكاياتها، وأمثالها، والسنن المستعملة منها، وتعريضها وتصريحها، وإطنابها وتقصيرها، وإطالتها وإيجازها، ولطفها وخلابتها، وعذوبة ألفاظها، وجزالة معانيها، وحسن مباديها وحلاوة مقاطعها، وإيفاء كل معنى حظَّه من العبارة، وإلباسه مايشاكله من الألفاظ حتَّى يبرز في أحسن زيَ وأبهى صورة"[40] فالشاعر هنا كالنسَّاج الحاذق لأجزاء بيت الشَعر "الشقق" الذي يكون لديه الإحساس العميق بكيانات العناصر المشكِّلة لمادة صناعته بحيث يجب أن تصاغ وفق مبدأ التآلف والتناسق، وهذا المبدأ ينسحب على أبيات القصيدة كاملة دون أن يتجاوز كيان البيت الواحد.[41] فالشاعر "يكون

كالنسّاج الحاذق الذي يفوِّف وشيه بأحسن التفويف، ويسدِّيه وينيره، ولا يهلهل شيئا منه فيشينه".[42]

إن آلية بناء البيت الشعري التي أوردها ابن طباطبا في معياره شبيهة بآلية بناء بيت الشَعر حيث يقول: "فإذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشِعر عليه في فكره نثرا، وأعدّ له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس له القول عليه، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته وأعمل فكره في شغل القوافي بما تقتضيه من المعاني ... فإذا كملت له المعاني، وكثرت الأبيات، وفّق بينها بأبيات تكون نظاما لها، وسلكا جامعا لما تشتت منها".[43] وهذه الآلية شبيهة بآلية بناء البدوي لبيت الشَعر، فإذا أراد البدوي بناء بيت الشعر، مخّض المعنى الذي يريد بناء بيت الشَعر عليه، فجمع ما تناثر من شعر الماعز أو وبر الإبل، وقام بغزله خيوطا، وأعدّ من تلك الخيوط لحمة وسدى، ونطوا أو "شقق" لكي يلبس بيته بها، فاختار منها مايطابقه، ثم اختار أشكال الزخارف والألوان للرواق، واختار الأعمدة والحبال والأوتاد كي يزن بها بيته حتى يسلس بناؤه، فإذا اتفق له بيت يشاكل المعنى الذي يرومه أثبته ونصبه، وأعمل فكره في شغل الرواق بما يتناسب وحجم البيت. فآلية عمل البيتين تقوم على مراحل متعاقبة أولها: مرحلة التفكير، وثانيها: مرحلة الصياغة والصناعة.

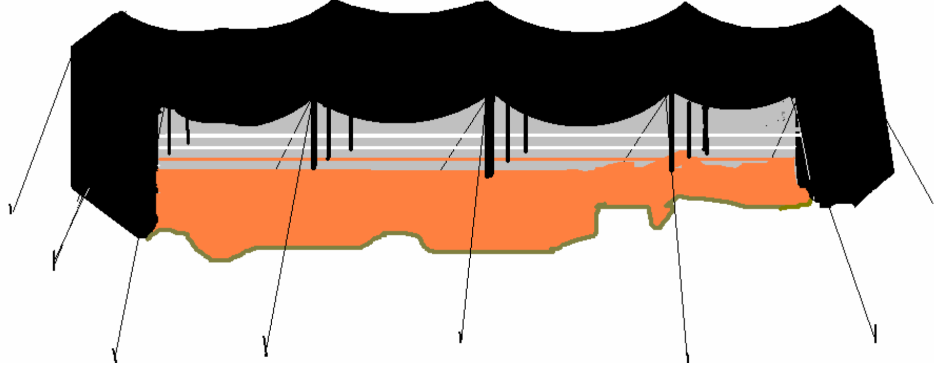


أجزاء بيت الشعر:

أ: الإيد أو الدافع. ب: المجدم (المقدم). ج: الكاسر.

د: الواسط. هـ: الرجل. و: الميخر (المؤخر).

ز: الرواق. ح: الحجال. ط: الرفّه.[44]



تراسل الحواس بين التماثل والتشابه

لعل أجمل وصف لتماثل وتشابه بناء البيت الشعري بالبيت المبني؛ هو ذلك الوصف الذي قدّمه حازم القرطاجني في "منهاج البلغاء وسراج الأدباء" حينما كشف عن أساس التماثل والتشابه بين البيت الشعري والبيت المبني من خلال عرضه لمفهوم المحاكاة والتخييل الذي يتأتى بإنشاء صورة أو صور في ذهن المتلقي ترتبط بالنفس، وتحرِّك فعاليتها. فالتخييل عند حازم هو المعتبر في صناعة الشعر، فإذا حصل التخييل والمحاكاة كان الكلام قولا شعريا؛ لأن الشعر لا تعتبر فيه المادة، بل يقع في المادة من التخييل. ويحدث بأن تتمثَّل للسامع من لفظ الشاعر المخيّل أو معانيه، أو أسلوبه، أو نظامه، وتقوم في خياله صورة أو صور ينفعل لتخيلها وتصورها، وينبغي أن يمثِّل حسن المحاكاة في القول بأحسن ما يمكن أن يوجد من ضروب تصاوير الأشياء وتماثلها.[45] ويقود التخييل القرطاجني لتصور التلازم بين البناء الفضائي للبيت الشعري، والبناء الفضائي لبيت الشّعر من خلال تصوره أن كل شيء له وجود خارج الذهن، وحين يدرك تكون له صورة في الذهن تطابق ما أدرك منه، ولذلك فإذا أراد الشاعر أن يعبِّر عن تلك الصورة الذهنية أقام باللفظ هيئة تلك الصورة في أفهام السامعين وأذهانهم، فالبيت المبني في الطبيعة له معنى ومفهوم في الذهن يتطابق مع المعنى المرئي حين تقيم الكتابة في الأفهام هيآت الألفاظ في الأذهان بتحول المفهوم إلى لفظ.[46]

وانطلاقا من مفهوم المحاكاة والتخييل؛ يعرض القرطاجني من خلال رؤية ثاقبة خفايا بناء البيت الشعري للقصيدة العربية حينما يؤكد أن القصيدة الشعرية تتشكل من وحدات متماثلة من "الأبيات"، وحينما يقوم بتفكيك البيت الشعري محاولا استخراج العناصر المكوِّنة له، آخذا بعين الاعتبار الأسس النفسية والتاريخية التي جعلت من الشاعر العربي بانيا لقصيدة، ومشبها لها بتلك الوحدة البنائية "بيت الشّعر"، "ولمّا كان أحقّ البواعث بأن يكون - هو السبب الأول - الداعي

إلى قول الشعر – هو – الوجد والاشتياق والحنين إلى المنازل المألوفة وألاّفها عند فراقها، وتذكّر عهودها وعهودهم الحميدة فيها، وكان الشاعر يريد أن يبقي ذكرا أو يصوغ مقالا يخيّل فيه حال أحبابه، ويقيم المعاني المحاكية لهم في الأذهان مقام صورهم وهيآتهم، ويحاكي فيه جميع أمورهم حتّى يجعل المعاني أمثلة لهم ولأحوالهم؛ أحبوا أن يجعلوا الأقاويل – التي يودعونها المعاني المخيّلة لأحبابهم – المقيمة في الأذهان؛ صورا هي أمثلة لهم ولأحوالهم _ مرتبة ترتيبا يتنزّل من جهة موقعه من السمع منزلة ترتيب أحويتهم وبيوتهم. ويوجد في وضع تلك بالنسبة إلى ما يدركه السمع شبه من وضع هذه بالنسبة إلى ما يدركه البصر، فقد تقدّم أن المسموعات تجري في الأسماع مجرى المرئيات من البصر، وتوجد لحال حال من هذه أشياء من حال حال من تلك ... فقصدوا أن يحاكوا البيوت التي كانت أكناف العرب ومساكنها، وهي بيوت الشّعر، لكونهم يحنّون إلى ادّكار ملابسة أحبابهم لها، واستصحابهم لها، واشتمالها عليهم بالأقاويل التي يقيمون المعاني المنوطة بها في الأذهان مقام صورهم وهيآتهم، ويجعلونها أمثلة لهم ولأحوالهم. فيكون اشتمال الأقاويل على تلك المعاني مشبها لاشتمال الأبيات المضروبة على من قصد تمثيله بها، وأن تجعل تذكرة له. ويكون مابين المعنى والقول من الملابسة مثل ماكان بين الساكن والمسكن، ومتى أمكن أن يهيئ الشيء الذي يجعل تذكرة لشيء آخر، ويقصد به تمثيله في الأفكار بهيأة تشبه هيأة ذلك الشيء المقصود تذكرة من وجوه كثيرة يتسق بها الشبه كان أنجع في التحريك إليه والانصباب في شعب الولوع به"[47].

إن تراسل الحواس هو الذي مكّن الشاعر العربي بنقل المدركات البصريّة من مجالاتها الطبيعية؛ ليضعنا إزاء صورة بعض عناصرها حقيقية وبعضها وهمية، واستطاع أن يمتاح من رؤاه البصرية المختزنة في الذاكرة ضمن سلسلة من الأحاسيس ترجمها البيت الشعري؛ فجاء تراسل الحواس بوصف مدركات حاسة من الحواس بمدركات حاسة أخرى، فألبست الأشياء التي تم إدراكها بحاسة السمع صفات الأشياء التي تم إدراكها بحاسة البصر، فأصبح البيت الشعري نموذجا تتزاحم فيه الصور القائمة على تراسل مجموعة من الحواس. وتعدّ حاسة البصر من أكثر الحواس أهمية بالنسبة للإنسان في تشكيل الصورة الشعرية لاسيّما التشبيه الذي يعد أكثر أنماط الصور البيانية انتشارا في الشعر القديم، لأن الشعراء كانوا يعتمدون على المشاهدات المرئية أمامهم في تكوين طرفي التشبيه[48]، فالشكل البصري لعرض البيت الشعري على الورق يتصل مباشرة بشكل العرض الانشادي الشفوي للبيت الذي يستمد مقوماته من جوهر اللغة عندما تتابع حركاتها وسكناتها وأصواتها المتناوبة وفق نظام مرتّب متماثل ومتناسق أصبحت معه الصيغة الإنشادية نمطيّة؛ ومن هنا جاءت المماثلة النموذجية للشكلين: البصري والسماعي أي أن تجري المسموعات من الأسماع مجرى المرئيات من الأبصار[49]. ويكشف القرطاجني من خلال ثنائية

المرئي والمسموع عن ظاهرة التماثل والتقابل بين بيت الشَّعر وبيت الشِّعر حينما يمضي في تحليله لكيفية إنشاء بيت الشِّعر:

"ولمّا قصدوا أن يجعلوا هيئات ترتيب الأقاويل الشعرية ونظام أوزانها متنزَلة في إدراك السمع منزلة وضع البيوت وترتيباتها في إدراك البصر؛ تأمّلوا البيوت فوجدوا لها كسورا، وأركانا، وأقطارا، وأعمدة، وأسبابا، وأوتادا. فجعلوا الأجزاء التي تقوم فنها أبنية البيوت مقام الكسور لبيوت الشّعر. وجعلوا اطّراد الحركات فيها الذي يوجد الكلام به استواء واعتدال؛ بمنزلة أقطار البيوت التي تمتد في استواء. وجعلوا ملتقى كل قطرين وذلك حيث يفصل بين بعضها وبعض بالسواكن ركنا؛ لأن الساكن لما كان يحجز بين استواء القطرين المكتنفين له صار بمنزلة الركن الذي يعدل بأحد القطرين اللذين هما ملتقاهما عن مساواة الآخر ومسامتته، ولأن الساكن له حدة في السمع كما الركن في رأي العين. وجعلوا الوضع الذي يبنى عليه منتهى شطر البيت وينقسم البيت عنده بنصفين بمنزلة عمود البيت الموضوع وسطه. وجعلوا القافية بمنزلة تحصين منتهى الخباء والبيت من آخرهما، وتحسينه من ظاهر وباطن، ويمكن أن يقال: إنها جعلت بمنزلة مايعالى به عمود البيت من شعبة الخباء الوسطى التي هي ملتقى أعالي كسور البيت وبها منا طها ... وجعلوا العروض والضرب – وهما نهايتا شطري البيت – في أن وضعوهما وضعا متناسبا متقابلا؛ منزلة القائمين في وسط الخباء التي يكون بناؤه عليها. وجعلوا الاعتماد على السواكن، وحفظ نظام الوزن بانبثاثها أثناء متحركاته على النحو المناسب، وتحصين وضعه من الاختلال باعتراضها في المواضع المقدّرة لها وإمرارها سلك الكلام وتلافيها له بما فيها من القوة الجزالة عند توقّع وقوع الفترات بتضاعف الحركات وتواليها بمنزلة الأوتاد التي تحفظ وضع الخباء وتمسك جوانبه"(50). وحسب وصف القرطاجني يصبح البيت الشعري شبيها ببيت الشّعر وفق التقابل الآتي:

(بيت الشِّعر	و	بيت الشَّعر)
- أجزاء أبنية البيت	=	كسور بيوت الشّعر.
- اطراد الحركات	=	أقطار البيوت المستوية.
- ملتقى الحركات المطّردة	=	الركن الرابط بين القطرين.
- منتهى الشطر الأول	=	عمود البيت الموضوع وسطه.
- القافية في آخر الشطر الثاني	=	تحصين منتهى الخباء من الظاهر والباطن.

وبهذا التساوي يكون القرطاجني قد لمس بدقة عجيبة التلازم بين البناء الفضائي للبيت الشعري، والبناء الفضائي لبيت الشّعر المبني، كما لمس التلازم بين ما هو بصري (إدراك العين)،

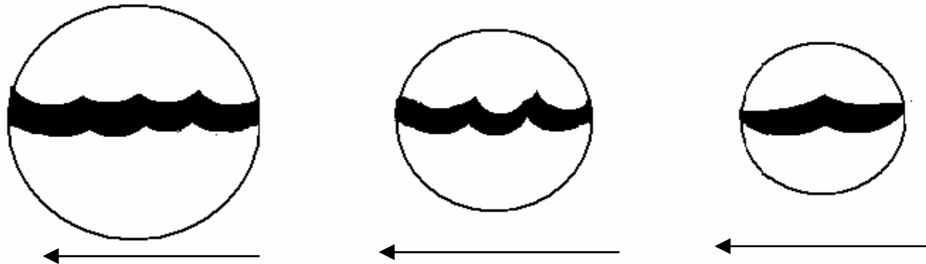
وما هو سماعي (إدراك السمع) مما أدى إلى الترتيب المكاني للخباء، والترتيب الزماني لبيت الشِّعر[51].

دائرة البيت

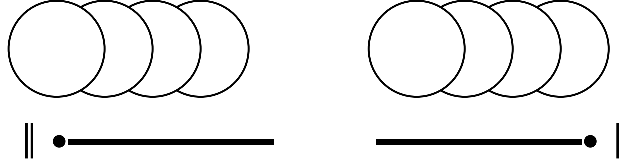
عاش الإنسان العربي داخل بيت شعره في صحرائه التي تفسر الشعور باللامحدود واللانهائي، فالسائر فيه يرى الأفق على مرمى النظر محيطا به من كل جانب، دائرا حوله كما تدور الدوامة الهائلة، وهو يحس بهذه الدائرة العظيمة المقفلة حوله، ولكنه لا يستطيع أن يبلغ مداها أو يصل إلى طرف منها.

إنه يسير ولكن الدائرة ما تفتأ تدور، وينظر في كل لحظة حوله، ينظر أمامه، ووراءه، وعن يمينه، وعن شماله؛ فيجد الدائرة مطبقة حوله. تتغير المناظر، وتذهب المعالم، والدائرة هي الدائرة، وهو هو على أبعاد متساوية من محيطها، وإن كان هناك من امتداد أمامه؛ فلم يكن في تلك الصحراء إلا ذلك الخط المستقيم (البيت)، محاطا بالأفق الدائري دائما، وكأن هذا الإنسان مركز هذه الدائرة، وهذا الإحساس بالدائرة الخالدة هو الذي انطبع في نفس العربي، فكانت كل وقفة له تحيط بها الدائرة، ويتحرك فتتجدد وقفاته، وتتجدد معها الدائرة، فإذا بكل موقف له دائرته الخاصة، وعلى هذا النحو كانت القصيدة رحلة تتعدد فيها المواقف، ولكل موقف إطار خاص يدور حوله، أو لنقل مجموعة من الأبيات، وكل بيت دائرة مستقلة (وحدة) تتضمَّن موقفا بعينه (معنى أو شعورا أو صورة)، ووحدة البيت إذاً مرجعها إلى ذلك الأفق الصحراوي الدائري، ذلك الأفق الذي يستقل فيه كل موقف بدائرة خاصة يلتقي طرفاها حوله، ومن هنا يمكننا أن نفهم كيف حدَّد الخليل بن أحمد الدوائر العروضية، وكيف حدَّد البلاغيون الدوائر البلاغية[52].

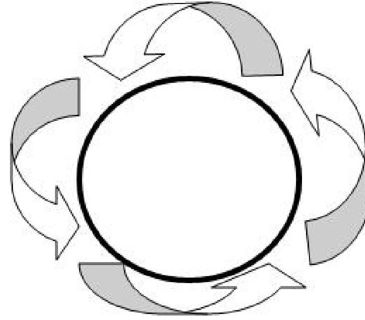
إن حركة العربي من البيت المحدود الجانبين بداية ونهاية هو الذي يشكل لديه الأفق الدائري في أي وجهة تحرك، فإذا هو تحرك منه لا يلبث أن يجد نفسه في دائرة أخرى كما يتضح في الشكل الآتي:



فالحركة في الصحراء معناها الانتقال من دائرة إلى دائرة، فالدائرة ظاهرة دائمة تحيط بالإنسان العربي أينما اتجه، ولذا يمكنه التمييز في حركته بين دائرة وأخرى لأن الوجود أمامه يتكرر في دوائر غير متشابهة، وليس التكرار إلا تكرارا للوحدة المستقلة للبيت المبني للدائرة المغلقة[53]. وعليه يمكننا أن نفهم أن القصيدة الشعرية ليست سوى دوائر متشابهة، كالآتي:

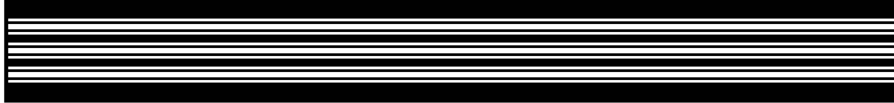


فالقصيدة الشعرية تتأتى وحدة أبياتها من وحدة البيت، وهذه الوحدة ما هي إلا وحدة دوائر متشابهة بل متطابقة ومتماثلة في موسيقاها ونسقها، والتكرار هنا ما هو إلا تكرار لوحدات متشابهة لخط مستقيم داخل الدائرة، ففي الشكل السابق نلحظ أن علاقة كل من الخطوط بالآخر مختلف في كل دائرة عنها في الأخرى، ولذا راعى الشاعر نظم ألفاظه بطريقة خاصة راعى من خلالها وحدة البيت في حدود الدائرة؛ آخذا بعين الاعتبار أن التوازن أو التعادل عنصر إيقاعي لازم في بنية الوحدة، أو الدائرة، أو البيت، وهذا صدى لطبيعة إنسان الصحراء الذي يرى الدائرة تتجدد دائما حوله، ففي كل لحظة ينظر يمينا، أو شمالا؛ يجد الأفق يقع منه على مسافة متعادلة، فإحساس التماثل والتساوي، والتوازن والتعادل نابع من طبيعة الدائرة، وموقف السائر فيها حيث يحس دائما بأن أبعادها بالنسبة له متساوية[54]. وهذه الدائرة تحتل مكانة مقدسة بالنسبة للعربي؛ فهي حرم بيت الشَّعر الخارجي، ومجموعة البيوت هي الدِّيرة أو حرم العشيرة، ومن هنا يمكننا أن نفهم التناسب الذي أقامه القرطاجني بين حركة الدوران حول "بيت الشَّعر"، وحركة التماوج الصوتي في أبيات القصيدة. فإذا كانت حركة الدوران متصلة حول "بيت الشَّعر" أو "بيت الشِّعر" أي أنك ترجع في كل دورة إلى النقطة التي انطلقت منها؛ لتبدأ من جديد حركة مماثلة للحركة الأولى؛ لأن الانفصال الحاصل في آخر البيت هو اتصال مقدر على استدارة[55]. كالآتي:



وهذا الذي أشار إليه القرطاجني بقوله: "ويجب أن تعلم أن أبيات الشعر، وإن كانت أوائلها منفصلة عن أوائلها، فإن النظام فيها في تقدير الاتصال على استدارة، إذ كان وضع الأوزان الشعرية وترتيبها ترتيبا زمانيا لا يمكنك فيه أن ترجع بالنهاية إلى زمان المبدأ، بل تكون بينهما فسحة من الزمان ولا بد. وترتيب البيت المضروب ترتيب مكاني إذا بدأت بأي موضع شئت منه ثم درت عليه تأتى لك أن ترجع إلى الموضع الذي بدأت منه بنقلة مستديرة على اتصال من غير أن يكون بين المبدأ والنهاية فسحة، والأوزان وإن لم يكن أن يعاد بالنهاية فيها إلى زمان المبدأ فإنها في تقدير ذلك، إذ نسبة سرد الشطر الأول من أي بيت وقع تاليا لبيت بعد الانتهاء إلى قافية البيت المتقدِّم، وإعطاء كل متحرك وساكن منه حقَّه من التلفظ نسبة سرد الشطر الثاني، وإعطاء متحركاته وسواكنه حقوقها من التلفّظ بعد الانتهاء إلى مقطع الشطر الأول. فلذلك يجب أن يجعل ساكن القافية الأخير مع ما يتقدمه من السواكن أو يتلوه من ذلك في أول البيت التالي له أو على حدِّه ركنا فاصلا بين ما وقع في صدر جزء القافية الذي هو فيها من اطراد المتحركات الذي هو بمنزلة بعض أقطار البيت التي تمتد بين بعض أركانه وبعض، وبين ما وقع من ذلك في صدر الجزء المفتتح به البيت الذي يليه، أو وسطه، أو آخره"(56).

أما قافية البيت؛ فالأمر ليس كما ذهب إليه القرطاجني حيث يحسن في القافية أن يقال فيها أنها جعلت بمنزلة آخر ما يستتر به الخباء، فهي الرواق الذي يحيط بالبيت لأن البيت يساق إلى القافية سوقا لطيفا حتى تكون لفقه وطبقه مما يجعلها مستقرة غير قلقة ولا نافرة، فهناك سوق لطيف للبيت باتجاه القافية، وسوق لطيف للقافية باتجاه البيت، كأنما صناعة الشِّعر نوع من الخياطة يلصق فيها نسيج البيت جميعا بكلمة ثابتة هي القافية، بوساطة أنامل بارعة وخيوط دقاق امتزج فيها اللونين الأبيض والأسود، فلا ينمزق النسيج، ولا تظهر الخيوط، ونظرة لصورة الرواق في بيت الشَّعر المبني تدلل على أهمية القافية في البيت الشِّعري كما تظهر أهمية الرواق بالنسبة لبيت الشَّعر:



شكل الرواق أو القافية للبيت

وفي الختام؛ فإن تصوّر القرطاجني للبيت في القصيدة العربية يقودنا إلى اعتبار القصيدة العربية واحدة من مطولات الشعر العربي، وموطن يحوي مجموعة من الخيام، تستقل كل واحدة منها عن الأخرى بينما تتقارب في مجموعها داخل بنية واحدة، فالقصيدة مجموعة من الأبيات قسمت أبياتها أو خيامها إلى مجموعات متقاربة عددها يساوي عدد الموضوعات أو الأفكار الرئيسة؛ لأن عدد الخيام في كل مجموعة يساوي عدد الأبيات مع أن كل بيت منها مستقل

بذاته[57]. "إن الفكرة البنائية في القصيدة العربية تعبر أحسن تعبير عن ذلك النظام الاجتماعي القبلي الذي كانت حياة العرب مرتبطة به، فالوحدة التي تمثلها القبيلة تتمثل لنا في البيت من الشِّعر. فإذا كان المجتمع كله عددا هائلا من القبائل المستقلة في كل شئونها والتي لا يربطها بغيرها إلا الدم، فكذلك الشأن في القصيدة العربية، فهي كما رأيناها – مجموعة من الوحدات (الأبيات) – المستقلة بذاتها، التي لا يربطها بغيرها إلا القافية. والوحدة المستقلة في القصيدة (البيت) تتكون من مجموعة من العناصر المتشابكة المتعاونة التي تعمل جميعها في تفاعل وانسجام داخل إطار هذه الوحدة، تماما كما يعيش أفراد القبيلة الواحدة داخل قبيلتهم، وإذا كانت القبيلة هي الوحدة المتكررة في المجتمع البدوي، فكذلك كان البيت هو الوحدة المتكررة في القصيدة. وعليه يمكن أن يقدم لنا نظام الحياة الاجتماعية عند العرب في العصر الجاهلي تفسيرا لنظام القصيدة أو لطريقة بنائها حيث يفسر ظاهرة الوحدة والتكرار، فالأفراد المتعاونين في القبيلة هم الذين يشكلون مجموعة الوحدات المستقلة لبناء المجتمع أو القصيدة"[58].

"إن الخضوع للعرف العام في الخلق الفردي والاجتماعي، وفي محاسن الأشياء وعيوبها هو الحكم الذي كان يفيء إليه النقاد العرب في دراستهم للشِّعر، وكانوا ما يزالون يتساءلون عن أمدح بيت وأغزل بيت وأهجى بيت، ولم يكن هذا السؤال - على سذاجته – وليد اعتقاد بأن البيت هو الوحدة الشِّعرية، وإنما كان وليد البيئة التي تعتمد على الحفظ، وعلى الاستشهاد والتمثل بالأبيات المفردة السائرة، مثلما هو نتاج المفاضلة الساذجة في نطاق الموضوع الواحد، وسيكون النظر إلى - البيت المفرد السائر – أو الأبيات المفردة السائرة محكا للجودة مادام الحفظ لا يسمح بتصور القصيدة جمعاء"[59]. ولذا عقد العرب مشابهة بين بيت الشِّعر وبيت الشَّعر لأن بيت الشِّعر يحتوي على معانيه كما يحتوي بيت الشَّعر على ما فيه، فالعروض عمود الشِّعر وعمود الشَّعر، والضرب ما يماثل العروض من بيت الشِّعر أو ما يماثل الواسط في بيت الشَّعر، والأسباب هي الحبال ما دامت الأوتاد هي الأوتاد، والضابط لهذه وتلك الدائرة. آملا أن يكون هذا البحث نافذة نعود من خلالها لإعادة النظر في هوية الشِّعر العربي، وأن نفكر لبعض الوقت لماذا ركز النقاد العرب على وحدة البيت الشِّعري بدلا من تركيزهم على وحدة القصيدة ؟ ألا تتحقق وحدة القصيدة الموضوعية والعضوية من خلال وحدة البيت، سواء أكان بيت الشِّعر أو بيت الشَّعر ؟!

The Esthetic of Similarities between a Line of Poetry (Bayt – esh – shi'r) and the Tent (Bayt – esh – sha'r)

Khalaf Al-Khreisheh, *Dept. of Arabic lang & Lit.,Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

The researcher attempts to clarify the relationship between the geometry of making a line of poerty and that of building a tent. The nature of this relationship becomes clear when place is changed into time, and design into picture, and when images are caught by senses to turn then into cognitive units which are then turned again into auditory images of poetry.

Al-Khalil b. Ahmad Al-Farahidi (100-170 A.H) in his attempt to analyze Arabic prosody, didn't fail to mention that the form of Bayt – esh – shi'r (composing a line of poetry) was derived from Bayt-esh-sha'r (structuring a tent). This comparison reveals a great awareness of the space and time occupied by a line of poetry in Arabic criticism in general and Arabic prosody in particular.

Due to great similarities between a line of poetry and that of a tent as for as cords, pegs, feet, hemistiches, meters, rhymes and circles are concerned, the Arabs tried to build a line of poetry as a line of a tent. Their goal was to go back to nature as far as place and time are concerned, and to introduce the poetic text into the tent through the mechanics of operation of both structures. Accordingly, both structures operate in the same manner in tow consecutive stages: thinking and constructing

قدم البحث للنشر في 2007/3/25 وقبل في 2008/1/29

الهوامش:

1- عيسى علي عاكوب، **موسيقا الشعر العربي**، دمشق: دار الفكر العربي، 1997. ص 20.

2 - إحسان عباس، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ط 2، بيروت: دار الثقافة، 1992. ص 48.

3 - المرجع السابق، ص 48.

4- نفسه، ص 48.

5- نفسه، ص 85.

6- نفسه، ص 51.

7- مصطفى الجوزو، **نظريات الشعر عند العرب**، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، 1981، ص 38.

8- محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، (- 322هـ)، **عيار الشعر**، تح. عبد العزيز بن ناصر المانع، القاهرة: مكتبة الخانجي، 1985. ص 15- 16.

9 - أبو القاسم الفتوح بن عيسى بن أحمد الصنهاجي، **شرح القصيدة الخزرجية**، مخطوط، ليدن، (1) OR154 ص9. (فيما بعد: الصنهاجي)

10- أبو العباس أحمد بن الحسن بن أحمد النحوي الموصلي، **تصحيح المقياس في تفسير القسطاس**، مخطوط، ليدن، OR 654 ص 36. (فيما بعد: النحوي الموصلي).

11- الصنهاجي، **شرح القصيدة الخزرجية**، ص 9.

12- نشوان بن سعيد الحميري، **شمس العلوم ودواء كلام العرب من المكلوم**، ج 1، القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، بلا، ص 395.

13- محمد رضوان الداية، **العروض وموسيقا الشعر**، ط 3، دمشق: جامعة دمشق، 1999. ص 16-17.

14- النحوي الموصلي، **تصحيح المقياس في تفسير القسطاس**، ص 40-41.

15- أبو الحسين علي بن إسماعيل بن سيدة (-485هـ) **المحكم والمحيط الأعظم**، م1، تح. عبدالحميد الهنداوي، بيروت: دار الكتب العلمية، 2000. ص 525.

16- أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري، **كتاب جمهرة اللغة**، ج 1، حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، 1345هـ. ص 199.

17- أحمد بن محمد بن أحمد الحسني، **شرح المنظومة الخزرجية**، مخطوط، ليدن، OR 154 (2)، ص 170.

18- انظر: ابن سيدة، **المحكم والمحيط الأعظم**، م 1، ص 403.

19- انظر: النحوي الموصلي، **تصحيح المقياس في تفسير القسطاس**، ص73- 74.

20- أبو الحسن أحمد بن محمد العروضي (-324هـ) **الجامع في العروض والقوافي**، تح. زهير غازي زاهد، وهلال ناجي، بيروت: دار الجيل، 1996. ص 60.

21- Alois Musil. *Manners and Customs of The Rwala Bedouins*, New York: AMS Press, 1928. p.63.

22- المرجع السابق، ص 62.

23- نفسه، ص 62- 64.

24- Amal Rasmi Abed, *Change in Traditional Badu Home Layout as Function of Lifestyle: From Bayt Esh-sha'ar to Vella*, M.A Thesis, Architecture, J.U.S.T University, Jordan, 2001. p.35. Engineering.

25- Alois Musil. *Manners and Customs of The Rwala Bedouins*, p.72.

26- Amal Rasmi Abed, *Change in Traditional Badu Home Layout as Function of Lifestyle: From Bayt Esh-sha'ar to Vella*, p.34.

27- المرجع السابق، ص 34.

28- فرانكلين ر. روجرز، **الشعر والرسم**، ترجمة مي مظفر، بغداد: دار المأمون للترجمة والنشر، 1990. ص 45.

29- محمد نجيب التلاوي، **القصيدة التشكيلية في الشعر العربي**، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998. ص55.

30- المرجع السابق، ص 83- 84.

31- رمضان الصباغ، **في التفسير الأخلاقي والاجتماعي للفن**، الإسكندرية: دار الوفاء للطباعة والنشر، 1998. ص 17.

32 - غراهام كوليير، **الفن والشعور الإبداعي**، ترجمة منير صلاحي الأصبحي، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، 1983.ص 26.

33- محمد نجيب التلاوي، **القصيدة التشكيلية في الشعر العربي**، ص 39، 49.

34- المرجع السابق، ص 56- 57.

35- نفسه، ص 39.

36- نفسه، ص 38.

37- نقسه، ص 39.

38- نفسه، ص 36- 37.

39- عبد الرحمن بن خلدون، (-808هـ)، **مقدمة ابن خلدون**، ج4، تح. علي عبد الواحد وافي، القاهرة، 1960.ص 1242.

40- محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، (- 322هـ)، **عيار الشعر**، ص6.

41- الأخضر الجمعي، **اللفظ والمعنى في التفكير النقدي والبلاغي عند العرب**، دمشق: اتحاد الكتاب العرب، 2001، ص65.

42- محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، (- 322هـ)، **عيار الشعر**،ص 8.

43- المصدر السابق، ص 7- 8.

44- Amal Rasmi Abed, *Change in Traditional Badu Home Layout as Function of Lifestyle: From Bayt Esh-sha'ar to Vella*, p146.

45- أبو الحسن حازم القرطاجني، (- 684هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تح. محمد الحبيب بن الخوجة، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981. ص 81،83،89،127.

46- طراد الكبيسي، في الشعرية العربية: منهاج البلغاء، **المجلة الثقافية**، ع 40، عمان: الأردن، كانون الأول 1996- آذار 1997. ص 161- 162.

47- أبو الحسن حازم القرطاجني، (- 684هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص 250.

48- عبد الرحمن محمد الوصيفي، **تراسل الحواس في الشعر العربي القديم**، القاهرة: مكتبة الآداب، 2003. ص 50- 52.

49- طراد الكبيسي، **في الشعرية العربية: منهاج البلغاء**، ص 161.

50- أبو الحسن حازم القرطاجني، (- 684هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص251.

51- طراد الكبيسي، **في الشعرية العربية: منهاج البلغاء**، ص 161.

52- عز الدين اسماعيل، **الأسس الجمالية في النقد العربي**، ط2، القاهرة: دار الفكر العربي، 1968.ص266- 267.

53- المرجع السابق، ص 268.

54- نفسه، ص 270.

55- جودت فخر الدين، **شكل القصيدة العربية في النقد العربي حتى نهاية القرن الثامن الهجري**، ط2، بيروت: دار الحرف العربي، 1995. ص 85.

56- أبو الحسن حازم القرطاجني، (- 684هـ)، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص255.

57- جودت فخر الدين، **الإيقاع والوزن (كتابات في نقد الشعر)**، بيروت: دار الحرف العربي، 1995. ص 87- 88.

58- عز الدين اسماعيل، **الأسس الجمالية في النقد العربي**، ص313.

59- إحسان عباس، **تاريخ النقد الأدبي عند العرب**، ص 49.

مجلة اتحاد الجامعات العربية للآداب المجلد5 العدد 2، 2008، ص ص 557- 589

دور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في التنمية الثقافية

تركي نصار *

ملخص

يهدف هذا البحث إلى التأكيد على الذاتية الثقافية في المجتمعات العربية وبخاصة المجتمع الأردني وزيادة المشاركة في الحياة الثقافية والنهوض بالتعاون الثقافي بين الشعوب، وبيان المشاكل التي تعيق تحقيق التنمية الثقافية في المجتمعات العربية، وتوضيح مدى فاعلية وسائل الإعلام المسموعة والمرئية فيها وما هي الوظائف الثقافية التي تؤديها.

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لوصف دور وسائل الإعلام، إذ قام الباحث بجمع وتحليل المادة العلمية المتعلقة في التنمية الثقافية.

وبينت نتائج الدراسة أهمية الوظائف الثقافية لوسائل الإعلام كافة مثل إبراز التقدم العلمي والتكنولوجي في العالم وتوضيح أهميته في المجتمعات الحديثة، وكذلك اهتمام وسائل الإعلام بالمفكرين والعلماء بالإضافة إلى دورها في شرح أهمية التراث وأساليب تجديده في حياة الأمم وإحياءه وبناء مجتمع له شخصيته وهويته العربية الإسلامية.

أولاً: الإطار العام للبحث

مقدمة:

دلت الدراسات العلمية على أن نجاح وسائل الإعلام بما تتضمنه من مهام توجيهية بين الأفراد والجماعات، إنما يتوقف إلى حد كبير على فهم ومراعاة اتجاهات الجماهير وتفسيرها للأحداث والوقائع الاجتماعية، والأنشطة السياسية والاقتصادية. كذلك فإن هذا النجاح يستند على الفهم لحكم الجماهير على القيم المعنوية والنماذج السلوكية والأذواق الفنية وتقديرها لما يواجه أو يقابل احتياجاتها الفعلية ومشكلاتها الواقعية، إذ أن أي خط إرشادي إعلامي هو تجسيد وتمثيل للرغبات الجماهيرية، ومراعاة هذه الأمور يهيئ للأفراد والجماعات العاملة في الإعلام حالة الاستعداد للاستجابة السوية الناجحة للبرامج(1).

---

* قسم الصحافة والإعلام، كلية الآداب، جامعة اليرموك، إربد، الأردن.

وفي ضوء هذا الفهم والتقدير لطبيعة العلاقات التبادلية بين أطراف عملية الاتصال والذي نبحثه على مستوى وسائل الإعلام، لاقى تعبير التنمية الثقافية اهتماماً عربياً وعالمياً وبخاصة في دوائر الأمم المتحدة كمنظمة اليونسكو وغيرها من المؤسسات في السنوات الأخيرة من القرن الماضي وبدايات هذا القرن، فأصبحت هناك حاجة أساسية وصحية للثقافة في العملية التنموية في مختلف جوانبها، وظهر في بدايات الثمانينات عقد أممي للتنمية الثقافية على أساس أن الثقافة تشكل جانباً أساسياً هاماً من حياة الناس في كل المجتمعات، وأخذت الجمعية العامة للأمم المتحدة على هذا الأساس قرارها بتحديد الفترة من 1988 وحتى 1997 كمناسبة أممية للتنمية الثقافية، وبرعاية المنظمة العالمية "اليونسكو" وبرعاية الأمم المتحدة، وأكدت هذه الفترة على عدد من الأهداف الأساسية لتنمية ثقافية شاملة تلك التي تقتضي من الإعلام معرفة دقيقة بالعملية الثقافية، ومنهجاً علمياً في إدماج ذلك في خطة إعلامية تساند النواحي الهادفة لأحداث التغيير والتطوير على آفاق بعيدة المدى تنطلق دون ما حدود وقتية أو بيئية، ترتبط بها سوى محتوى الفكر الذي يحدد إطارها العام، وقد احتوت الفترة على الآتي(2):

أولاً: منح المشاركة الجانب الأكبر في الحياة الثقافية.

ثانياً: مراعاة البعد الثقافي للتنمية.

ثالثاً: التركيز على الذاتية الثقافية في المشرق العربي.

رابعاً: التركيز على البعد التعاوني الثقافي العالمي.

وفي الجانب المحلي الوطني أكدت وزارة الثقافة الأردنية، أن ثقافة الأمة صورة حية لها، تحدد ملامح شخصيتها، وتصدر عن عقيدتها ومبادئها ونظمها وتاريخها وتراثها، وعلى أهمية وحساسية الثقافة والتنمية الثقافية على الإنسان الأردني، وجاء هذا في التقرير الصادر عن المركز الأردني للإعلام حقائق ومعلومات، إن التنمية الثقافية في المملكة الأردنية الهاشمية جزء لا يتجزأ من التنمية الشاملة في ربوع الوطن، كما أنها الأساس في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأن الإنسان الأردني هو محط الاهتمام لهذه التنمية في أفكاره ووجدانه وبهما يصوغ الأردني حياته ومستقبله(3).

والمتتبع لبرامج التنمية في المجتمع الأردني يرى أنها تسير بخطى سريعة في مجالاتها الاقتصادية والاجتماعية، عكس الحال في المجال الثقافي حيث يعلمنا الواقع الثقافي الأردني أن ثقافتنا تتعرض في هذا القرن لغزو ثقافي خارجي خاصة بعد ثورة الاتصالات التكنولوجية الحديثة، وتطور وسائلها من تلفزيون وسينما وفيديو وحاسوب وانترنت وإذاعة إلى نهاية ذلك من تطور، وانتشار هذه الأجهزة والمعدات بما تحمله لمجتمعنا من قيم وعادات وتقاليد وأساليب حياة وأفكار تهدد الهوية الأردنية الثقافية(4).

لقد مرت بلادنا عبر نصف قرن مضى من الزمان بالكثير من المتغيرات والتقنيات التي أثرت على الثقافة الأردنية بدءا من ثورة البناء عام 1960م مرورا بحرب عام 1948م، 1956، 1967، 1973 إضافة إلى الانفتاح الاقتصادي وكذلك هجرة الصحافة من فلسطين إلى الأردن وغيرها من الهجرات التي تلتها إلى الأردن بالإضافة إلى العديد من العوامل التي عكست آثارها على قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا وسلوكياتنا حتى أصبحت تشكل في نهاية المطاف مظاهر تبرز ملامحها في تعاملات الجمهور الأردني اليومية[(5)].

وهناك جانب آخر للواقع الثقافي الأردني يعتبر من أهم مشاكل الأردن الثقافية وهو ضعف الوعي بأهمية الثقافة، ويتضح ذلك في قصور الدعم للمناشط والفعاليات الثقافية، مما أدى إلى تراجع الحركة الثقافية، وهجرة العديد من المتعلمين والفنانين والمبدعين في الجانب الثقافي لدول الخليج والعالم، ويفيد تقرير المجلس الأعلى للشباب أن سرعة التغيير في المملكة وصلت إلى حد الإشباع أحيانا، لأن معدلات سرعة التغيير الاقتصادي الأردني والمادي ضاعف معدلات سرعة التغيير الثقافي ولذلك ظهرت الأزمة[(6)].

إن ظهور الأزمة في هذا المجال أشارت إلى عدم التوازن بين معدلات تطور البلاد العلمي والتقني، وبين معدلات التطور في العادات والتقاليد والقيم وأنماط السلوك، وهذا ما يوصف بالفجوة الثقافية[(7)].

ويؤكد هذا ما ذكر في الحلقة البحثية التي عقدت في رابطة الكتاب الأردنيين، حيث ورد فيها أنه حينما تضطرب المعايير والعادات والقيم والتقاليد التي عاشها المجتمع الأردني ورسخت في وجدانه، وكونت له نوعا من الضبط الاجتماعي الداخلي أو الخارجي، بعيدا عن الجانب الرسمي، فحينما يضعف الاقتناع بهذه القيم والمعايير، ويتعرض المجتمع لتغيرات مستمرة بعيدة عن التخطيط والقرار غير المدروس، فإنه يؤدي إلى الانحطاط الأخلاقي وضعف في قدرة المعايير والقيم على ضبط وتوجيه السلوك[(8)].

مما تقدم فإن هذا ما حدث بالفعل في المجتمع الأردني، حيث سادت العادات السيئة والقيم السلبية واختفت نماذج القدوة الحسنة، نتيجة تصورها بالاغتراب في المجتمع، وتقلص الوازع الديني والاجتماعي لدى أفراد المجتمع، وهذا جميعه نتج عن أن المجتمع الأردني يتطور في المجال الاجتماعي والاقتصادي بسرعة، بينما تسير ببطء معدلات التطور في الجانب الثقافي، رغم أن الثقافة تشكل حجر الأساس والزاوية، بالنسبة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية، لما لها من دور هام في بناء الإنسان الأردني، وإثراء وجدانه روحيا، وغرس التقاليد الأصيلة لديه، والقضاء على الأمية الثقافية، وتكوين الإنسان المواطن المبدع المفكر، المساهم في بناء الدولة الأردنية الحديثة.

مشكلة البحث

تعتبر الثقافة ضرورة أساسية بل ولازمة لتطور وتقدم الشعوب ورقيها ودفعها إلى الأمام، ولهذا دعت المجتمعات المتطورة إلى زيادة الاهتمام بالثقافة، وحمايتها ونشرها بين أقطار العالم، خاصة في الأقطار التي يتدنى فيها المستوى الثقافي، حتى لا تصبح هذه الأقطار عائقا ومعوقا في سبيل تقدم الإنسان، فإذا آمنا بأن الثقافة سلاح قوي وأساسي في يد الإنسان لتقدمه وبقائه، فإن التربية والتعليم لأفراد المجتمع هي الأداة لحفظ الثقافة وتراثها، بل ونقله من عصر لآخر ومن جيل لآخر(9).

وبناءا على ذلك فإن للتربية والتعليم دور أساسي في ثقافة الإنسان وبالتالي المجتمع، وهما وسيلتا اتصال وإعلام بين الأفراد في المجتمعات، إضافة إلى تكوين الاتجاهات السائدة في العصر الذي تعيش فيه هذه المجتمعات، وتحقيق الصفات العصرية بين الناس، لأن لكل زمان أفكاره ووسائله واتجاهاته وتشريعاته التي تنظم علاقات الأفراد، وتؤثر على نوعية وأسلوب الحياة بعامة(10).

فالتعليم ينمي سلوك الأفراد ضمن مستوى ثقافي معين، من خلال ما يتعلمه في المواد الدراسية، وما يقرأه في الكتب، وما يسمعه ويشاهده في وسائل الإعلام، فالتعليم والإعلام يهتمان بالثقافة بشكل عام، بما فيها من مشاكل وتغيرات، ويهتمان بالإنسان على أساس أنه المستهدف بالمساعدة والإرشاد والتوجيه، من أجل أن يصل إلى أفضل مستوى من الثقافة والنضج الاجتماعي(11).

ووسائل الإعلام والتعليم تسعى للمحافظة على سعادة الأفراد والجماعات، وتهدف إلى تكوين شخصية متجانسة متكاملة، في جوانبها الاجتماعية والعقلية والدينية، والوصول إلى مفاهيم تحسن العلاقات الإنسانية، وتؤمن ثقافة أساسية وعلمية للناس على أوسع مدى(12).

وتعتبر وسائل الإعلام والتعليم مهما كانت مرجعياتها، الأداة التي تكون عند الأفراد ثقافتهم، وتبني بين المجتمعات جسور التواصل والالتقاء، لأن تطور المعرفة وتعقيداتها، أظهرت أن مؤسسات التربية والتعليم في المجتمعات، غير قادرة على متابعة وملاحقة التطور، وهذا أدى بها إلى التخلي عن بعض أدوارها الأساسية، مما فتح المجال لدخول مؤسسات أخرى لتشارك في تحقيق ذلك الهدف، وبرز ذلك واضحا عندما أسست في بعض البلدان أنظمة للتعليم غير النظامي، لتتكامل مع المؤسسات التعليمية النظامية، من خلال وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، والتي لا يخلو منها بيت في العالم كله. كما أكدت المؤسسات التعليمية، أن التعليم النظامي وحده لا

يستطيع أن يقوم بدور تحقيق التطور السياسي والاقتصادي والاجتماعي، دون إدخال أنواع أخرى من التعليم لتحقيق ذلك الهدف[13].

كما أظهر عجز المؤسسات التعليمية النظامية بمناهجها القديمة عن تحقيق نشر الثقافة والتنمية الثقافية، إلى إدخال أنظمة تعليمية أخرى، كالتعليم عن بعد، وتأسيس جامعات مفتوحة، واستخدام وسائل ثقافية أخرى، كالنوادي والمساجد والمكتبات والجماعات الصحفية، ودور السينما والمسرح، وجماعة الإذاعة المسموعة والمرئية، لتحقيق ما يصبو إليه التعليم النظامي، وتعتبر وسائل الإعلام من أهم المؤسسات وأكثرها انتشارا وتأثيرا في المجالات التنموية وبخاصة التنمية الثقافية[14].

لقد أكدت معظم التجمعات الإقليمية والدولية، والندوات المختلفة في هذا الاتجاه على أهمية الثقافة في حياة الناس، وأهمية دور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في نشر الثقافة وتطويرها وتعميمها، فلكل مواطن الحق أن يشارك في الحياة الثقافية في المجتمع الذي يعيش فيه، وأن يتمتع بكافة الفنون التي يرى فيها تقدمه ونمائه، وهذا الحق يقابله واجب المجتمع الذي يعيش فيه بكافة أجهزته المختلفة حتى يهيئ لأفراده جميع الوسائل لممارسة هذا الحق. فوسائل الإعلام المسموعة والمرئية الرسمية، يقع على عاتقها جانب كبير من ذلك لأهميتها، فهي القادرة على إيصال المعلومة لجميع فئات الشعب، وقدرتها أيضا على عملية الإقناع[15].

إن دور ومهمة وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في التنمية الثقافية كبير في المجتمع، ومن هنا برز موضوع هذا البحث الذي يدور حول دور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في تحقيق التنمية الثقافية.

أسئلة البحث:

يحاول هذا البحث الإجابة على السؤال الرئيس التالي:

ما دور وسائل الإعلام في تحقيق التنمية الثقافية؟

ويتفرع عن هذا السؤال الأسئلة التالية:

1. ما مفهوم التنمية الثقافية وأهدافها؟
2. ما أهم الوظائف الثقافية لوسائل الإعلام المسموعة والمرئية؟
3. ما هي المقترحات التي تزيد من فعالية وسائل الإعلام في تحقيق التنمية الثقافية؟

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي التعرف على الآتي:

- مفهوم التنمية الثقافية وأهدافها.
- المشاكل التي تعيق تحقيق التنمية الثقافية.
- مشاركة وسائل الإعلام في تحقيق التنمية الثقافية.
- تقديم المقترحات التي يمكن من خلالها تحقيق دور أفضل لوسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

منهجية البحث:

استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي لوصف هذا البحث وأبعاده، كونه بحثا نظريا ركز على مساهمة وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في تحقيق التنمية الثقافية.

أهمية البحث:

تبدو أهمية هذا البحث خاصة بعد أن أصبح لوسائل الإعلام المسموعة والمرئية دورها في التنمية الاجتماعية والاقتصادية وبخاصة الثقافية، وبعد أن أصبح حق الثقافة حقاً أساسياً للإنسان كحق التعليم، فالتنمية الثقافية مهمة لعدة أسباب منها:

- بث الوعي بين المواطنين على مختلف مستوياتهم وتنوير عقولهم.
- استغلال أوقات الفراغ لدى المواطنين لصياغة ثقافة ترقى بأفكارهم.
- رفع المستوى الثقافي لدى المواطن لجعله قادراً على المساهمة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية.
- الثورة الإلكترونية التي يشهدها العصر بكل ما تحتويه من تقنيات تفرض العناية بفكر ووجدان المواطن من أجل الوصول إلى التوازن في المجتمع.

حدود البحث:

تتميز وسائل الإعلام المسموعة والمرئية بأنها صاحبة أكبر رصيد في خدمة الثقافة وتطويرها، لما تمتلكه من إمكانيات وقدرات فنية وتقنية، تجعلها قادرة على تحقيق ذلك الهدف، ولهذا فالبحث الحالي يتناول دور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في تثقيف المواطن الأردني، في العقد الأول من الألفية الثانية من هذا الزمان.

مصطلحات البحث:

- التنمية Development:

هي ذلك الكل المعقد من الإجراءات والعمليات المتتالية والمستمرة التي يقوم بها مجتمع ما للتحكم في اتجاه وسرعة التغيير الحضاري بهدف إشباع حاجاته(16).

وعرف صلاح التنمية بأنها محصلة الجهود العلمية المستخدمة لتقييم الأنشطة المشتركة الحكومية والشعبية في مختلف المستويات لتعبئة الموارد الموجودة، أو التي يمكن إيجادها لمواجهة الحاجات الضرورية وفقاً لخطة مرسومة وفي ضوء السياسة العامة للمجتمع(17).

مما تقدم فإن التنمية تغيير حضاري أساسي في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وفي كل أنماط الحياة السائدة، كما أنها تغيير نوعي وكمي في صور العلاقات الاجتماعية، وفي جميع مجالات النشاط البشري في المجتمع، ونقلة من حالة أو مستوى إلى حالة ومستوى أفضل، ومن نمط تقليدي معين إلى نمط متقدم كماً ونوعاً.

- الثقافة Culture:

الثقافة تجريد للسلوك الفعلي وليست الأفعال السلوكية، ويقول (روفيلد) أنها تتضح بالأفعال والأشياء ذاتها، فاحترام شارة المرور ثقافة معينة ولكن السلوك في حد ذاته لا يعتبر هو نفسه هذه الثقافة. ويقول هول Hall هي كل المعاني والقيم والتقاليد التي تنشأ بين الجماعات أو طبقات لها سمات اجتماعية محددة ترتبط بظروفها التاريخية التي تستمد منها وجودها وتؤثر على أنماط سلوكها(18).

والثقافة عند محمد مندور هي "ليست في النهاية إلا تحقيق القدرة على فهم الناس والأشياء فهماً صحيحاً والحكم عليهما حكماً سليماً"(19).

ويرى الباحث أن الثقافة تفاعل الأفراد مع مجتمعاتهم وعلاقاتهم مع محيطهم في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والفكرية والأخلاقية والروحية والتكنولوجية.

- التنمية الثقافية Cultural development:

هي بناء الإنسان بناءً معنوياً، وما تقدمه المؤسسات والبرامج الإعلامية من مواد مختلفة بهدف تنمية المعارف والخبرات لديه للارتفاع به فكراً وسلوكاً، وتحقيق زيادة في الكم والنوع التي يحصل عليها في مجالات المعارف المتعددة.

- وسائل الإعلام Mass Communication:

هي الوسائل المسموعة والمرئية والمكتوبة التي يكون لها دور أساسي وواضح في تقديم المواد الإعلامية والثقافية للجمهور سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر للارتفاع بفكر وسلوك الفرد.

إجراءات البحث:

لتحقيق أهداف البحث الحالي والإجابة على تساؤلاته فإنه سيسير ضمن الخطوات التالية:

أولاً: الإطار العام للبحث.

ثانياً: الدراسات السابقة حول موضوع البحث.

ثالثاً: إبراز دور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في تحقيق التنمية الثقافية.

رابعاً: مناقشة مفهوم التنمية الثقافية وأهدافها ومشكلاتها.

خامساً: استعراض الوظائف الثقافية لوسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

سادساً: المقترحات حول موضوع البحث للمساعدة في تحقيق التنمية الثقافية.

ثانياً: الدراسات السابقة

يتضمن هذا البحث عرضاً موجزاً لبعض الدراسات السابقة التي تم التوصل إليها بقصد الإفادة منها باعتبارها رافداً من روافد البحث الحالي وهي كالتالي:

أولاً: الدراسات في مجال وسائل الإعلام.

ثانياً: الدراسات في مجال الثقافة والتنمية الثقافية.

الدراسات في مجال وسائل الإعلام:

يمكن تقسيم هذه الدراسات إلى دراسات محلية، عربية، أجنبية:

الدراسات المحلية

- دراسة العمايرة (2002)[20]:

هدفت هذه الدراسة إلى تعرف على التشريعات الثقافية النافذة في الأردن، ودورها في دعم الإبداع، وتوفير الشروط المناسبة والبيئة الملائمة لنموه، وتنشيط الحركة الثقافية، وتعزيز الحضور الثقافي في المجتمع والحياة الأردنية، وعلاقة كل منها بالمبدع والنشاط في التنمية الثقافية، ومدى قدرتها على تحقيق تلك الأهداف، ومدى تلاؤمهما مع العصر وقابليتها للتطوير والتحديث.

وخلصت الدراسة إلى أن التنمية الثقافية تحتاج إلى ثلاثة أنواع من التشريعات هي: تشريعات وقائية وتشجيعية ودفاعية، فغاية الوقائية حماية عناصر الهوية الثقافية، وحفظ أسسها كحماية التراث وصون الآثار، والحفاظ على اللغة العربية، أما التشجيعية مثل حق تشكيل المؤسسات والهيئات والروابط الثقافية، وهدفت التشريعات الدفاعية إلى إزالة العوائق في وجه التدفق الغربي وسهولة انتقال الإنتاج الثقافي داخل البلاد والوطن العربي كالتمييز بين الإنتاج الثقافي وغيره، وحمايته وتشجيعه واعفائه من الرسوم والضرائب، وضمان وصوله للقارئ والمتلقي.

- دراسة كليب، والتكروري (2002)[21]:

استهدفت هذه الدراسة التعرف على أهداف وسياسات وخطط الهيئات الثقافية في الأردن، وإدخال الثقافة في خطط التنمية، والاهتمام بالفكر والدراسات والعلوم، والفنون، والعلوم الاجتماعية، والبيئة، والفلك، ومسيرة حياة الأردن التنموية، عندما أسهم الملك عبد الله الثاني في خلق المناخ للتنمية الثقافية في مجالسه الأدبية والفكرية، وربط ازدهار الثقافة بازدهار الحركتين التعليمية والاقتصادية. وانتهت الدراسة بالنتائج التالية:

1. توجيه اكبر لتنمية الثقافة لدى الأطفال على المستويين الرسمي والاهلي.
2. تعميم إقامة المكتبات العامة وبخاصة في المجتمعات المحلية.
3. إقامة المعارض للكتب والمواد الثقافية الأخرى في مختلف المناطق للمساهمة في التنمية الثقافية.
4. تشجيع الكتاب والادباء المحليين من خلال تضمين المناهج التربوية بعض انتاجهم المتميز.
5. التوسع في منح الجوائز التشجيعية للمبدعين في مختلف فروع الثقافة.

- دراسة الزمخشري (2002)[22]:

قصدت هذه الدراسة الإجابة على السؤالين التاليين:

الأول: ما مفهوم (الثقافي) في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية؟

الثاني: هل يعتبر كل ما يبث عبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية مادة ثقافية؟

تحدثت الباحثة عن السؤال الأول بأنه لا يوجد إجماع حول ما هو ثقافي فمن الصعوبة نظرياً تحديد مفهوم المادة الثقافية سواء في الإذاعة أو التلفزيون ما يندرج تحت مسمى الثقافة يبدو من الشمول بحيث تقتحم كل مجالات النشاط إلى درجة يصعب حصرها، كالعادات والتقاليد وأشكال الترفيه، والفلكلور، والفن، والسينما، والمسرح، وهذا يعني أن كل ما يقدم في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية هو تنمية ثقافية.

أما بالنسبة للسؤال الثاني فإن المهتمين بالتنمية الثقافية في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، أصبحوا يخافون على الثقافة من منطق عدم وضوح الرؤيا للوظيفة الثقافية، فالإذاعيون يشعرون أنهم ملزمون بتقديم شيء لكل الناس، ولهذا فالإذاعة المسموعة وسيلة إعلامية جماهيرية لابد من أن تجذب اهتمام اغلب الناس معظم الوقت، والمحافظة عليهم، خاصة أن معظم زبائنها من المتعلمين تعليماً متوسطاً، ولذلك فالبرنامج في الإذاعة المسموعة والمرئية لا يعد ويقدم لطبقة واحدة، بل يعد للحياة العملية للرجل والمرأة والعامل والمزارع، والمهندس، ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية تبسط وسائلها وتضفي عليها الحيوية مراعاة للمتلقي لتنمية مداركه فهي جزء من التنمية الثقافية.

وخلصت الدراسة إلى أن وسائل الإعلام المسموعة والمرئية تأخذ بعين الاعتبار الوظائف الثلاث للإعلام، ولكن انهيار الجدار الذي كان يفصل بين هذه الوظائف جعل من الصعب علينا تحديد مفهوم دقيق لمعنى الثقافي في وسائل الإعلام، فلا بأس من تقديم مضامين ثقافية من خلال البرامج وهذا ينعكس إيجابا على المشاهدين والمستمعين، طالما أن الثقافة قد تصل بشتى الوسائل وتنمي كما قال العرب قديماً، إن حرفاً في القلب أفضل من أفضل كلمة في الكتاب.

- دراسة عبيدات (1990)[23]:

هدفت هذه الدراسة إلى استقصاء أثر التعليم من خلال الإذاعة المدرسية التعليمية المسموعة في تحصيل طلبة الصف التاسع الأساسي في مادة قواعد اللغة العربية، وتكون مجتمع الدراسة من (1297) طالباً وطالبة من المدارس الحكومية في لواء بني كنانة في الأردن وعينة الدراسة تكونت من (96) طالباً وطالبة من مدرستين للذكور والإناث، وقسمت العينة إلى مجموعة ضابطة ومجموعة تجريبية، وجرى تدريس التجريبية بأسلوب الإذاعة المدرسية التعليمية، بينما جرى تدريس الضابطة بالطريقة التقليدية الصف التعليمي، وجرى اختبار قبلي للمجموعتين للكشف عن أية فروق في التحصيل بين المجموعتين قبل بدء الدراسة، واختبار بعدي للكشف عن أية فروق في التحصيل بين المجموعتين يعزى لطريقة التدريس أو الجنس أو التفاعل بين طريقة التدريس وجنس الطالب.

وكانت النتيجة ظهور تفاوتاً واضحاً في الأوساط الحسابية في أداء الطلبة حيث بلغ متوسط تحصيل طلبة المجموعة التجريبية (70.42) والمجموعة الضابطة (59.58) وأن هناك تفاوتاً قليلاً بالأوساط الحسابية بين أداء الطلاب بلغ (0.63) وأداء الطالبات (68.33) أما نتيجة التفاعل بين طريقة التدريس وجنس الطالب بلغت الأوساط الحسابية للذكور (69.17) والإناث (72.50) ما يظهر أن تحصيل الطالبات أعلى من تحصيل الطلاب سواء في الإذاعة التعليمية أو التعليم العادي الصفي.

- دراسة حسين (1987)[24]:

هدفت الدراسة إلى تطوير معايير الاستخدام الفعال للإذاعة المدرسية ومسح واقع استخدام الإذاعة المدرسية في المدارس في محافظات الأردن واستقصاء المعيقات التي تحول دون الاستخدام الفعال، وأظهرت النتائج أن تقويم الإذاعة وبرامجها لا يتم بالطريقة التي يراها المحكمون كمعايير، ولا توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات أداء مدارس الذكور ومدارس الإناث على فقرات الأداة يعزى للإذاعة المدرسة.

الدراسات العربية:

- دراسة أحمدين (1991)[25]:

هدفت هذه الدراسة التعرف على دور الإذاعة المسموعة في التنمية الثقافية، وماهية البرامج الإذاعية التي تقدمها في مجال التنمية الثقافية، وخلصت إلى دعوتها للاهتمام بالبرامج الثقافية التي تقدم في الإذاعة المسموعة، وزيادة أوقات هذه البرامج والاتصال بالمثقفين ليثروا هذه البرامج ودفعها إلى الأمام.

- دراسة باحشوان (1987)[26]:

قصدت هذه الدراسة التحقق من الفرض القائل أن وسائل الإعلام يمكن أن تؤدي دوراً مهماً في التنمية، وأن إعداد الإعلاميين من المذيعين أساسي لزيادة كفاءاتهم المختلفة وخلصت الدراسة إلى أن الموضوعات التي تقدم تركز كثيراً على الجوانب النظرية دون الوقوف على الجوانب العملية والتدريب بخاصة، وكشفت الدراسة أيضاً عن عدم الكفاءة لتأهيل المخرجين الإذاعيين في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

- دراسة الخولي (1985)[27]:

هدفت الدراسة إلى التعرف على أثر الإذاعة المسموعة المسجلة على التحصيل المعرفي في اللغة العربية، واتجاهات الدارسين نحوها، ووصلت إلى أهم النتائج التي تقول أن استخدام الإذاعة المسموعة التعليمية تؤدي إلى زيادة التحصيل اللغوي للدارسين.

الدراسات الأجنبية:

- دراسة تيكوليز Tycholiz (1987)[28]:

الهدف من هذه الدراسة التعرف على ما يعد الطلبة لهذه الإذاعة والتلفزيون وتزويدهم بالمهارات اللازمة لمهنة الإذاعي. وجمعت المعلومات في مقاطعة (ديترويت) لـ (32) مذيعاً وقدمت لهم (15) مفردة عامة يشعرون أنها مهمة لإعدادهم، وكانت النتيجة الميول لبعض

المهارات في تعلم الكتابة والمهارات الصوتية والفنية، وأن قدرات الدارسين تحتاج إلى التدريب على الجوانب الوظيفية حتى يتقنها مقدموا البرامج في الإذاعة والتلفزيون.

- دراسة فرانك Frank (1983)[29]:

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على قدرات العاملين في العمل الإذاعي على المدى الطويل، ومقارنة قدراتهم نتيجة التعليم بقدرات المبتدئين في التدريب الإذاعي، وخلصت إلى أنه لا بد من أن يتضمن منهج التعليم بالإذاعة قدرات فنية على التطور التعليمي وتأهيلهم على مهارات الاتصال مثل الكتابة والأداء والثقافة في المعلومات.

الدراسات في مجال التنمية الثقافية:

- دراسة شطاح (1990)[30]:

هدفت هذه الدراسة إلى الإجابة على مجموعة تساؤلات طرحها الباحث بعد قراءاته إلى ما هي أهم الملامح لواقع العالم الثالث؟ وما هي متطلباته الإعلامية؟ وما مدى مشاركة وسائل الإعلام في مشروعات التنمية.

وخلصت الدراسة إلى نتيجة أن تقييم التجارب السابقة لدور وسائل الإعلام في مجالات التنمية في العالم الثالث رغم التفاوت فيما بينها من التطور والتقدم اجتماعياً واقتصادياً، لكنها تشترك في الكثير من الخصائص التي يتطلب أداء إعلامياً مميزاً وتوظيف هذه الوسائل بشكل متفاوت فيما بينها حيث يتوقف ذلك على مدى جدية نظام الحكم في عمليات التغيير.

- دراسة الزناتي (1990)[31]:

استهدفت الدراسة تحديد الأهمية النسبية لوسائل الإعلام كمصدر للمرحلة السياسية، وتحديد الفروق بين فئات المبحوثين في درجة الأهمية النسبية لوسائل الإعلام، كذلك تحديد الفروق بين فئات المبحوثين ودرجة تعرضهم للصحافة فيما يتعلق بإدارتهم لأبعاد مؤتمرات التنمية السياسية.

ودلت النتائج إلى أن ما بين 48- 60% من الموظفين أقروا بأهمية وسائل الإعلام في العملية السياسية وأن 74% أقروا بوجود تأثير ظاهر لوسائل الإعلام، وان نسبة ما بين 45 – 68% منهم اعترفوا بأن وسائل الإعلام تعمل على خلق آراء واتجاهات جديدة لديهم.

- دراسة النويسي (1989)[32]:

أرادت هذه الدراسة معالجة المشكلات التي نتجت عن ازدياد معدل التنمية الاقتصادية في دولة الإمارات العربية المتحدة والمسماة بمشكلات (النمو الحضري) من خلال تحقيق التوازن بين النمو الاقتصادي والاجتماعي والإسهام في زيادة معدلات التنمية الوطنية بمختلف جوانبها.

وخلصت إلى نتيجة أنه لا يمكن التركيز في التنمية على جانب واحد فقط لمعالجة المشكلات بل لا بد من معالجة مختلف الجوانب، واهتمت دولة الإمارات العربية المتحدة بوضع سياسة للتنمية منذ عام 1972 وخطت خطوات على مستوى الاتحاد، واستخدمت وسائل الإعلام لزيادة فاعلية الجهود التنموية، من خلال الأخبار والموضوعات التي عالجت العديد من قضايا التنمية سواء بالوسائل المسموعة والمرئية أو المكتوبة خلال فترة الدراسة.

- دراسة رزق (1978)(33):

هدفت الدراسة إلى تحديد الدور الذي يساهم فيه قادة الرأي الرسميون والمحليون في نشر ميزة زراعة القمح بين المزارعين وتحديد أهم الأسباب التي دفعت المزارعين إلى تجريب الفكرة، وتحديد ما إذا كانت هذه الفكرة قد حققت فائدة للمزارعين.

وكانت النتائج أن المرشدين الزراعيين يستمدون معلوماتهم من المسئول أكثر من وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة، وأن الاجتماعات واللقاءات أكثر الطرق المتبعة لتوصيل المعلومة إلى المرشدين، الذين يفضلون الاعتماد على قادة الرأي لتوصيل الفكرة.

تعليق على الدراسات والأبحاث المتعلقة في وسائل الإعلام:

اشتملت الدراسات والأبحاث في مجال وسائل الإعلام على خمس دراسات محلية وعلى ثلاث دراسات عربية، ودراستين أجنبيتين، ومجموعها عشر دراسات، وأظهرت جميع هذه الدراسات والأبحاث أهمية دور وسائل الإعلام في عملية التعليم والتثقيف وعلاقتها بالمناهج الدراسية التي تعود بالتالي على عملية التثقيف، ومدى التنسيق بين دور التعليم من خلال وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، ونقل التجارب والممارسات والخبرات للأفراد، وعالجت التنمية الثقافية لدى الطلاب في مجال التعليم، كما اشتملت الدراسات والأبحاث في مجال الثقافة والتنمية الثقافية على ثلاث دراسات، وهذه الدراسات سواء منها المرتبط بوسائل الإعلام المسموعة والمرئية، أو المرتبط بالثقافة والتنمية الثقافية قد تطرقت لموضوعات في الإعلام والثقافة والتنمية الثقافية كدراسة العمايره التي بينت أهمية التشريعات الوقائية والتشجيعية في التنمية الثقافية، ودراسة كليب والتكروري التي اهتمت بسياسات وخطط الهيئات الثقافية في الأردن، وإدخال الثقافة في خطط التنمية، ودراسة الزمخشري التي تطرقت للمفهوم الثقافي في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، وأن المهتمين بالتنمية الثقافية في وسائل الإعلام أصبحوا يخافون على الثقافة من منطلق عدم وضوح الرؤيا للوظيفة الثقافية.

كما اتجهت نحو هذا المفهوم للتنمية الثقافية دراسة أحمدين، والنويسي، والدراسات التي اهتمت بالإذاعة المسموعة ودورها في التنمية والتدريب، وزيادة الكفاءة لدى الدارسين كدراسة

باحشوان، وعبيدات، وركزت الدراسات الأخرى الأجنبية على تنمية المهارات سواء في الكتابة أو الأداء الفني مثل دراسة تيكوليز، وفرانك.

أما دراسة محمد، والزناتي فقد اهتمتا بعملية تنمية الثقافة عند الأفراد، وتطرقت دراسة النويسي إلى النمو الحضري من أجل تحقيق التوازن الاقتصادي والاجتماعي، أما دراسة رزق فأعطت الأهمية لدور التلفزيون كوسيلة إعلام مرئية في تنمية الريف.

يرى الباحث أن جميع هذه الدراسات تصب بشكل غير مباشر في التنمية الثقافية، في حين أنها لم تتطرق بشكل مباشر لدور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في التنمية الثقافية، فقد أعطت هذه الدراسات البحث الحالي تكميلاً لبعض الجوانب في الدراسات السابقة فكل واحدة منها تطرقت لجانب مهم في عملية الثقافة والتعليم والإعلام والتطوير الحضري وزيادة الكفاءة وتنمية المهارات. والبحث الحالي ركز على دور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في الوصول لتحقيق التنمية الثقافية التي تحقق بالتالي كافة الجوانب لجميع الدراسات في مجالات الثقافة والتنمية الثقافية.

ثالثاً: دور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في التنمية الثقافية:

تشكل وسائل الإعلام بكل أنواعها المسموعة والمرئية والمقروءة في عصرنا الحاضر وبحكم طبيعتها وتفاعل الإنسان معها، أداة من أدوات التنمية الثقافية نظراً لانتشارها الواسع، فهي تؤدي دوراً مهماً في تنشئة الجيل، وتثقيفه في مختلف المجالات، فهي تنقل إليه المواد الإعلامية كالأخبار والتحليلات والتعليقات السياسية والاجتماعية والثقافية بكل دقة، مركزة على الصدق والأمانة والموضوعية والصراحة، وهي بهذا تخاطب العقول عند الأفراد والعواطف الراقية(34).

ولذلك فإن وسائل الإعلام تعمل على تعميق القيم عند الأفراد، وإكساب الجيل السلوك الجيد إذا ما أحسن التوجه فيها إلى الشباب فهي تشكل قوة ثقافية من خلال ما تقدمه من قدرة على تحقيق أهداف التنمية الثقافية، فهي تعمل على التنمية الثقافية ونقلها من مجتمع إلى مجتمع آخر. ففي المجال العلمي يستطيع الجيل في هذه الأمة أن يتعرف على منجزات التقدم العلمي والكون المحيط به، بحيث لا تكاد تجد جماعة من الناس معزولين عن الثقافة العالمية. فالمجتمع يستفيد من أحدث المعلومات لما لهذه الوسائل من تأثير في تحقيق التنمية الثقافية، فهي تحتل موقعاً متميزاً في مجال الثقافة من خلال ما تقدمه للأفراد من معلومات ومعارف وما تبنيه من قيم واتجاهات لديهم، وتزداد أهمية وسائل الإعلام في المجال الإنساني من خلال ما تقدمه للتعرف على مجتمعات العالم وتفاعلها مع الأحداث لجعل الأفراد على صلة بها ومشاركة فيها، وتسهم وسائل الإعلام إلى جانب المؤسسات في المجتمع مثل الأسرة والمدرسة والأصدقاء في عملية التنمية الثقافية، فدورها لا يقل أهمية عن دور هذه المؤسسات، إلا أن وسائل الإعلام سلاح ذو

حدين، في تناولها لموضوعات الثقافة، فقد تساعد المجتمع على تكوين مقومات شخصية الفرد فيه، تكويناً متكاملاً اجتماعياً ونفسياً ووطنياً وخلقياً وقومياً، إذا أحسن استخدامها، فهي توفر التغذية الثقافية للملايين من الناس، فتكون المسؤولية كبيرة ولا تقف عند حد توصيل ونشر الثقافة، بل يمتد دورها إلى انتقاء الثقافة التي تريد[35].

وقد تكون وسائل الإعلام عكس ذلك فتشكل خطراً على الثقافة الوطنية والقومية، وتترك آثاراً سلبية في شخصية الجيل، والانتقاء للثقافة من مهام وسائل الإعلام المسموعة والمرئية الأساسية، ومن خلالها ويقدر ما يتوافر لها من إمكانات سواء المادية أو البشرية، أن تنتقي الجيد النافع المفيد من الثقافة، وتستطيع أن تحدث تغيراً واضحاً عند أفراد المجتمع، فتفتح الطريق لتحقيق التنمية الثقافية، وهذا يتحقق بعدة وسائل وهي:

1. تقديم البرامج الإعلامية المسموعة والمرئية وبخاصة منها البرامج الثقافية على أساس أن الفرد المثقف المتعلم أغلى ما يملك الوطن كما كان يقول الملك حسين بن طلال، لأن الإنسان المثقف هو الواعي المدرك للحقائق، القادر على مواجهة التحديات ويرتقي بما يقدمه إلى ذروة النوع[36].
2. تستطيع وسائل الإعلام المسموعة والمرئية تنشيط حوار المجتمع مع نفسه بوصفهما جهازي اتصال جماهيري يندرجان في صلب الفعل الثقافي بمفهومه الشامل، خاصة وقد تزايد الوعي على مستوى السلطة بالدور الفعال الذي تستطيع وسائل التواصل أن تؤديه في مرحلة تحديد الأهداف التنموية انطلاقاً من الاختيارات الأساسية إلى حين يدخل المخطط طور الإنجاز، إضافة إلى الدور الذي تؤديه لخلق أرضية ثقافية تحول سلوك الفرد والمجموعات في اتجاه المشاركة المنتجة، أي التفاعل مع الواقع والإسهام في تغييره[37].
3. كما تقدر وسائل الإعلام تطوير برامجها المسموعة والمرئية تطويراً يجعلها تعكس اتجاهات المجتمع الفكرية، ونقل مادتها إلى الناس من خلال ما تقدمه من برامج يومية وأسبوعية تزود المجتمع بالمعلومات والمعارف والخبرات العلمية، التي تجعلهم يسايرون التطورات في مختلف فروع المعرفة، وتتغذى منه بقدر ما تغذيه، وتنهل باستمرار من معينة فتحسن احتضان الثقافة[38].
4. إن انخراط وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في حركة التغيير الثقافي وتفاعلها مع المجتمع على النمو، الذي يجعلانه يتحول من مجرد جهاز ناقل للثقافة، إلى جهاز مبدع لها. فوسائل الإعلام تقدم في برامجها تجارب الدول المتقدمة ثقافياً، وتظهر ما عندها من قيم وعادات وتقاليد ومبادئ تتناسب وطبيعة المجتمع وانتقاء ما يصح من هذه البرامج لغرسها في نفوس أفراد المجتمع[39].

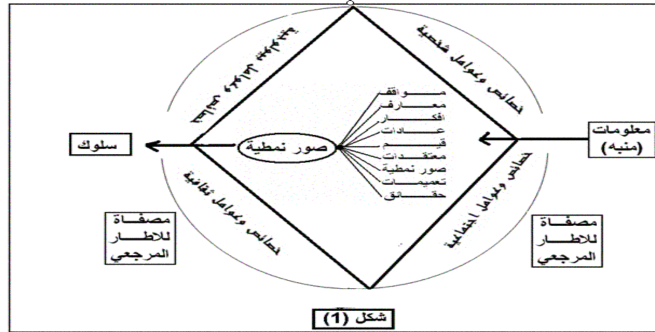
ومما تقدم فوسائل الإعلام لها دورها في التنمية الثقافية والذي يمكن أن يبينه الباحث بالآتي:

1- التنشئة الاجتماعية والثقافية:

تعتمد التنشأة الثقافية أساساً على النشأة الاجتماعية، فالفرد في أي مجتمع تكون له مجموعة من العلاقات والتفاعلات، فهو أحد أعضاء أسرة، وهو طالب في المدرسة وأحد أعضاء النادي وله مجموعة من الزملاء والأصدقاء وهو ايضاً العامل في المصنع والموظف في مؤسسة أو معهد، وهو قارئ لوسائل الإعلام وهو المستمع المشاهد للتلفاز والسينما والأفلام، ويعتبر تثقيفه الداخلي أساساً من مهام وسائل الإعلام، فهذه الوسائل تأتي بموادها وبرامجها وأحداثها ومعلوماتها من البيئة الاجتماعية التي يعيشها الفرد، كما أن الثقافة التي تنتشر بين الأفراد، هي أيضاً من البيئة الاجتماعية، فالفرد يكون أنماطاً من سلوك واتجاهات وقيم وتقاليد من البيئة[(40)].

فالكائن البشري يتكيف مع بيئته التي يستقي منها ثقافته فيتعلم كيف يقوم بالوظائف التي توكل إليه، ولذلك نراه يكتسب الكثير من خلال عملية التنشئة الثقافية، ومن خلالها يدرك قيم مجتمعه ومعايير سلوكه، ويلتزم بهذه المعايير أثناء سلوكه، كما يستوعب تقاليد وعادات المجتمع ويمارسها في حياته اليومية كثقافة يتعلم من خلالها الأدوار الاجتماعية التي سوف يمارسها في حياة الكبار، ويتعرف على أدوار الآخرين[(41)].

فتنشئة الفرد الثقافية تبدأ مع دوره في التعامل مع الأم والوالد ودوره الوظيفي والمهني منذ الطفولة، وهذا يجعله يستقر ثقافياً، فهذه النشأة الثقافية لا تنتهي بمراحل الطفولة والشباب، ويبين الشكل التالي تكوين الشخصية الثقافية للفرد من خلال المدخلات والمخرجات التي تستمر حتى الموت.



شكل (1)

2- تشكيل الوعي الثقافي:

لا توجد مؤسسة معينة مسؤولة عن تشكيل الوعي الاجتماعي لدى الفرد، إلا أن تشكيل الوعي يتم من خلال مصادر متعددة رسمية وغير رسمية وبطرق مباشرة وغير مباشرة ويستمر هذا طول حياة الفرد، وهناك مصادر لتشكيل الوعي مسؤولة عنها مؤسسات بطريقة مباشرة أهمها التعليم الذي يعتبر من أهم مصادر تشكيل الوعي الثقافي فالتعليم يساعد الفرد على إدراك واقعه ومشكلات مجتمعه من خلال ما يتلقاه من معلومات ومعارف وأنشطة وممارسات[42]، كذلك وسائل الإعلام المسموعة والمرئية التي تعتبر مصدراً هاماً من مصادر تشكيل الوعي الثقافي عند الأفراد من خلال ما تقدمه من برامج وبما يتوفر لها من إمكانيات فنية وقدرة على التشويق والإقناع ومن شعبية كبيرة وواسعة، ومن مصادر تشكيل الوعي الثقافي الذاتي الذي يعتبر ركناً أساسياً من التنمية الثقافية، وتكوين الوعي، فالمثقف يقدم جهوداً ذاتية تعمل على تنمية إدراكه الحقيقي لواقع مجتمعه، عن طريق المطالعة والبحث والدراسة ولا يكتفي بما يقدم إليه جاهزاً من وسائل الإعلام الأخرى، لأن للوعي الثقافي مستويات ودرجات، فمستوى الوعي الثقافي المطلوب من المعلم أو أستاذ الجامعة أو الصحفي على سبيل المثال يختلف عن مستوى الوعي الثقافي المطلوب من الفرد العادي[43].

3- الإعلام الثقافي:

تراعي سياسات الاتصال ومبادئه، المحافظة على القيم والذاتية الثقافية، وحماية الثقافة الوطنية وتعزيزها، والحيلولة دون الغزو الثقافي، ولو تفاعلت مجموعة مع جماعات أخرى لأن لكل جماعة ثقافة معينة، فالإعلام الثقافي يؤدي إلى التعديل بين الثقافات، فقد تفرض اتجاهات اجتماعية ونماذج سلوكية من جهة على جهة أخرى، أو قد تؤثر جهة على أخرى ثقافياً، وقد يكون التأثير قوياً عميقاً من قبل الدول الكبرى الاستعمارية، في حين يكون

التأثير من الجهة الأخرى ضعيفاً طفيفاً، وهذا يحدث من خلال وسائل الإعلام. وقد يعوق التنمية الثقافية ويخلق التبعية علماً بأن عملية التثقيف التي تهب على المجتمعات النامية من الخارج، لا تتم من طرف واحد، فلا بد من تفاعل بين الجانبين، وهذا لا يمنع من الانفتاح على الثقافات الأخرى دون الاعتماد الكلي على الانتاج الثقافي وقبوله بلا تدقيق وتمحيص، مهما كان الجانب الآخر أكثر أثراً وأقوى وأشد وضوحاً، فالثقافة تتحرك وتتنقل بين المجتمعات من خلال عمليات الاتصال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، إلا أن هذا التنقل لا يكون بقدر واحد، فهو يتأثر من مجتمع للآخر، فيزداد قوة هنا ويضعف في مجتمع آخر هناك، والدول القوية تؤثر بالدول الأضعف منها وكذلك المجتمعات. فالإعلام له دور التواصل في هذا الجانب لأن له القدرة على

الاتصال والتفاعل والاختلاط بين ثقافة وأخرى، ولذلك نلاحظ ظهور ثقافات جديدة في المجتمعات تأتي من الحراك الاجتماعي بينها[44].

رابعاً: مفهوم التنمية الثقافية ماهيتها وأهدافها ومشكلاتها:

1. ما هي التنمية؟

يقول خبراء المجلس الاقتصادي والاجتماعي لمنظمة الأمم المتحدة أن التنمية كل الجهود البشرية التي تبذل من أجل النمو والتقدم وتحقيق الرفاهية للمواطن والمجتمع، وهي كلمة جامعة لا تعني مجرد خطة أو برنامج أو مشروع للنهوض بحياة الشعوب اقتصادياً واجتماعياً وإنما تعنى كل عمل إنساني بناء في جميع القطاعات وفي مختلف المجالات، وعلى كافة المستويات[45].

كما عرفت المنظمة الدولية للأمم المتحدة تنمية المجتمع "بأنها تدعيم المجهودات الأهلية للمجتمع المحلي بالمجهودات الحكومية، وذلك من أجل تحسين الحالة الاقتصادية والاجتماعية والحضارية والثقافية لهذا المجتمع[46].

ولذلك فالتنمية الثقافية لها أهميتها وضرورتها للتنمية الشاملة، وهذا ما أكدته المنظمة الدولية للأمم المتحدة، أنها تنمية للمعلومات والمعرفة عند الأشخاص، وتدعيم القيم والعادات الجيدة لديهم، فعندما تقوم التنمية الاجتماعية بترفيه الإنسان، فإن التنمية الثقافية تجعل منه إنساناً خلاقاً سامياً في تصرفاته فعالاً في المجتمع[47].

والتنمية الثقافية هي أيضاً السياسات الثقافية والبرامج التي تنفذ لرقي الفكر والسلوك عند الإنسان، كما يقول التقرير العشرين المقدم من لجنة التنسيق الإدارية، إلى المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة تعريفاً لتنمية المجتمع، فهي العمليات التي تتضافر فيها جهود الأهالي، مع جهود السلطات، لتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[48].

وتجعل التنمية الثقافية من الإنسان قادراً على فهم أسس وقواعد البناء الاجتماعي وتاريخه وتراثه ووعيه لمصيره بالإضافة إلى قوانينه أثناء فترات تقدم المجتمع ونموه، فالتنمية بحد ذاتها تطور أفكار الناس وسلوكياتهم واتجاهاتهم إلى الأفضل، قاصدة مساعدتهم على إشباع حاجاتهم وإكسابهم القدرة على العمل الاجتماعي والجماعي[49].

ويستخلص الباحث من هذه التعريفات أهداف التنمية في المجتمع، وهي إحداث التغير الاجتماعي المتوازن المرغوب، وهذا يشتمل على عنصرين اثنين:

الأول: مشاركة أبناء المجتمع في الجهود لتحسين مستوى حياتهم شريطة أن تكون المبادأة من جانبهم قدر الإمكان.

الثاني: تقديم الخدمات الفنية بطرق وأساليب تشجع هذه المبادأة لديهم والمساعدة الذاتية وتبادلها وزيادة كفايتها حتى تأخذ هذه العمليات شكل برامج منظمة تهدف إلى تحقيق مدى أوسع وأرحب من التحسينات مطبقة الأسس وأساليب الهامة في تنمية المجتمع. ولذلك فهذا البحث عرف التنمية الثقافية مما تقدم بالآتي:

"هي بناء الإنسان معنوياً من خلال ما تقدمه المؤسسات الإعلامية من برامج ومواد إذاعية مسموعة ومرئية بهدف تنمية المعارف والخبرات لديه من أجل الارتقاء به فكراً وسلوكاً، وتحقيق زيادة في الكم والنوع التي يحصل عليها في جميع مجالات المعارف المختلفة".

2. ماهية التنمية الثقافية:

لقد تغير مفهوم التنمية على مر السنين حيث كان في الماضي يقتصر على الجوانب الاقتصادية كما ورد في خطط التنمية الأردنية، إلا أن هذا المفهوم أخذ يتمدد ويتطور ليشمل جوانب مختلفة من الحياة فشمل هذا المفهوم الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والتربوية والتعليمية والإدارية وأصبح يمثل بشكل عام عناصر تقويم المجتمعات ومقياس تطور هذه المجتمعات حضارياً، وأصبح من الضروري لأي مجتمع من هذه المجتمعات يريد الانتقال من مرحلة التخلف إلى مرحلة التطور، أن يعرف بدقة أوضاعه السياسية والاجتماعية والاقتصادية والإدارية من أجل أن يحدد ما الذي يريد تغييره من الأوضاع التي يعيش فيها؟ حتى يكون قادراً على تخطي مرحلة التخلف(50).

لقد بدأت حركة التطور في الأردن مع بدايات الستينيات، بعد أن كانت في الفترات السابقة تعيش مراحل عدم الاستقرار في معظم جوانب الحياة سواء في التعليم أو الثقافة أو السياسة، وعلينا أن نعترف أن التنمية الثقافية كأساس للتنمية بشكل عام قد أكدت أن المواطن هو الوسيلة الأولى للتنمية بل وهدفها(51).

فالتنمية الثقافية تعتبر الأساس هنا للتنمية الشاملة لجميع جوانب الحياة. لقد شارك الأردن في فترات السبعينيات والثمنينات في معظم المؤتمرات التي عقدت عام 1982 في مكسيكو، هذا المؤتمر الذي أكد أن الإنسان المواطن هو الأساس للتنمية من حيث الجانب الثقافي. وهذا يدل على أهمية الثقافية في حياة البشر، ووضع كافة الظروف لتنمية الإنسان لأنه هدفها. فهو أساس عملية التغير والتغيير في المجتمع، وهو الفاعل في عملية التطور وبالتالي هذه مهمة الثقافة والتنمية الشاملة لكل شيء.

3. أهداف التنمية الثقافية:

شبيه بقولنا في الإنسان بأنه صانع التنمية وهدفها، فالتنمية هي قطب الرحى في التنمية الشاملة وأساس تعريفنا للتنمية بأنها زيادة محسوسة في الإنتاج والخدمات، وهي عملية تغيير ثقافي شامل، تهتم ببناء الإنسان وتكوينه من حيث الوجدان والتقاليد والقيم الأساسية، فالتنمية الثقافية تبني الفرد وتنير أمامه الطريق، ليبدع ويفكر وينتج حتى يساهم في بناء المجتمع المزدهر(52).

فالإنسان هو صانع التنمية، وهو في نفس الوقت الهدف منها، وقد أصبح من الضروري تهيئة هذا الإنسان للقيام بهذا الدور وتغيير أنماط سلوكه التي تقف عقبة أمام التطور، ومدى قدرة هذا الإنسان على عملية التطور والتقدم، مربوطة بما يتوفر لهذا الإنسان من قدرة على هذا التطور(53). ومن خلال ما تقدم نذكر أهم أهداف التنمية الثقافية:

1. تهدف التنمية الثقافية إلى بناء الإنسان بناءً معنوياً، ومنه تبرز الأهداف الثانوية، كما تبرز في نفس الوقت دور وسائل الإعلام المختلفة في تحقيق هذه الأهداف، وتسهم في إحداث تغيير ثقافي كبير يخدم عمليات التنمية الوطنية والقومية.
2. تزويد العقل بالطاقة الفكرية المطلوبة، وبالوجدان والعاطفة المطلوبة، ويلتقي الإنسان معاً في الإدارة الإنسانية، ويتجه الإنسان إلى الخلق والإبداع والإثارة وخدمة الأغراض الإنسانية العامة التي ينبغي أن يحيا الإنسان من أجلها(54).
3. كما تهدف التنمية الثقافية إلى النهوض بالأمة حتى تستطيع أن تصمد أمام الأحداث وتزويدها بالمعارف والعوامل التي تكون الوجدان، حتى يرقى الفرد بفكره وتسمو شخصيته، ويكون لنفسه اتجاه نحو الأحداث التي تدور من حوله، فوسائل الإعلام كالأفلام الوثائقية والسينمائية والمسرح والإذاعة المسموعة والمرئية والفنون المختلفة بجميع فروعها وبما يتمتع به الفرد من شعبية وقدرة على الإقناع، يستطيع أن يحقق كل ما يصبو إليه من أهداف كونها تخاطب الأفكار والاتجاهات والسلوك عند الناس(55).
4. ومن أهداف التنمية الثقافية أن تكون للجميع دون تمييز، وأن يعم التنوير الثقافي القرية والمدينة، ويوجه التخطيط جهوده لإعداد الخدمة الثقافية الملائمة لكل الجماعات، فهي الغذاء الروحي المستمد من وسائل الثقافة والإعلام، وإن المجال للجماعات المحرومة مفتوح حتى تختار الأدوات والوسائل التي تستطيع من خلالها الحصول على الثقافة المناسبة لجميع فئات المجتمع.

5. والتنمية الثقافية تدفع الإنسان للبحث عن المعلومات والمعارف في مختلف الاتجاهات حتى يستطيع تكوين اتجاه لما يدور حوله، فالتنمية الثقافية تنمي قدرته على الوصف لما حوله، وتعريفه بطابع الشعوب الأخرى عن طريق ما يقدم إليه من مواد ليكون متحضراً صالحاً منتجاً، يعيش حياة أفضل، ووسائل الإعلام تسهم في تحقيق الهدف المطلوب بالارتفاع بمستوى الإنسان الثقافي(56).
6. وتهدف التنمية الثقافية إلى تأصيل القيم واستعادة الخصائص والأخلاقيات الأردنية والعربية، ونقل تراث الأمة من جيل لآخر، والتأكيد على الشخصية الأردنية العربية، وحرص التنمية الثقافية على نشر الثقافة في جميع ربوع الأردن، والقاصي منها الريف ومضارب البادية في عمق الصحراء الأردنية.
7. كما تهدف التنمية الثقافية دفع الأفراد للإحساس بالمسؤولية تجاه المجتمع والولاء للوطن، وخلق المواطن الناضج، وتكوين شخصيته من حيث الخلق والذوق، وبث روح الشورى والديمقراطية بين الأفراد وتشجيعهم على تبادل الرأي والاستماع للآخر، وإشعارهم بأن المناقشة والحوار من أساسيات التنمية الثقافية، التي هي حق لكل فرد في المجتمع(57).
8. تهدف التنمية الثقافية إلى تنمية الإنسان المواطن في المجتمع، من خلال تزويده بالعلم والمعرفة والوعي، لكي يشارك في التنمية الثقافية الشاملة لمجتمعه، ولكي يتم ذلك لا بد من إزالة العوائق من أمامه بمحو الأمية وتعليم الكبار، وإبعاد التخلف وسوء الإدارة ومشاكل عدم النظام، وفهرسة المعلومات ونقل العمالة المبدعة(58).
9. وتهدف التنمية الثقافية بجوانب حياته الخاصة والوظيفية من خلال حث الشباب على الالتحاق بالدراسة، وتحفيزهم بإعداد البرامج المسموعة والمرئية، وتثقيف المواطن دينياً بحيث يكون مهيئاً لظروف الحياة(59).

4. مشاكل تحقيق التنمية الثقافية:

تنحصر مشكلة الثقافة في الدول النامية في عنصرين أساسين ويتفرع عنهما العديد من الملاحظات المهمة والدقيقة.

العنصر الأول: مرت بلادنا كغيرها من البلدان النامية بفترة ركود طويلة نتيجة الغزو الأجنبي الاستعماري وكانت نتيجتها فقدان العقل لمميزاته الإبداعية الخلاقة، فتحول المجتمع إلى مجتمع مقلد، ليس له خصائص ذاتية تتطور مع الزمن، وتواكب حركة التاريخ لتوجد المجتمع الحديث الواعي المدرك لمسؤولياته تجاه نفسه والمجتمعات الأخرى، المتصلة اتصالاً وثيقاً ومباشراً بمعتقداته الدينية وتراثه الحضاري. وأصبح الإنسان يبحث عن هويته والدفاع عنها

في مواجهة هذا الغزو الاستعماري الثقافي، معتمداً على ما تقدمه وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، من برامج تساهم في نشر المضمون الثقافي الذي يناسب طبيعة المجتمع[60].

وعندما بدأ المجتمع بالنهوض من غفوته الطويلة نسي أو بمعنى أصح فات عليه إدراكه أن يضع تقنيات لمتطلبات حياته، فتحول إلى مجتمع متناقض يسير أفراده كل على هواه، ودون أن يراعي الاحتياجات لبقية أفراد المجتمع، ودون أن يراعي التنسيق بين متطلبات الجميع، ولم يسعى أفراد المجتمع إلى توحيد أهدافهم في الحياة، ولم يضعوا خططاً مدروسة للوصول إلى هذه الأهداف كمجموع، وليس كأفراد، وهذه هي الخطيئة التي ارتكبها المجتمع[61].

فمشكلة التنمية الثقافية من الوجهة التربوية هي في جوهرها مشكلة توجيه الأفكار، ولذلك أصبح على المجتمع أن يحدد المعنى العام لفكرة التوجيه، فهو بصفة عامة قوة في الأساس، وتوافق في السير، ووحدة في الهدف، وكم من طاقات وقوى لم تستخدم، وكم من طاقات وقوى ضاعت فلم تحقق هدفها حين زحمتها قوى الغزو الأجنبي.

فالتوجيه هو تجنب الإسراف في الجهد والوقت، فهناك الملايين من القوى العاملة والعقول الصالحة للاستخدام في كل وقت، والمهم هو إدارة هذا الجهاز الهائل المكون من الملايين في أحسن الظروف الإنتاجية[62].

العنصر الثاني: لم يمزج المجتمع بين التعليم والثقافة، وحرص على الفصل بين التعليم والثقافة، مما أدى إلى (الكم) الكثير من المتعلمين، ولكنهم غير مثقفين، فالثقافة أوسع من التعليم فليس كل متعلم مثقفاً بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة، فالفرد المثقف هو الذي يتهيئ طبعه وعقله لقبول المعرفة مهما تختلف فروعها ومهما تكن مادتها[63].

وضبط السلوك الإنساني وسعة الأفق والفكر المستنير المبدع من نتاج التنمية الثقافية، فالفصل بين الثقافة والتعليم، أدى إلى تخلف المجتمع اجتماعياً، وتباطئ الإنتاج، وتعثرت خطى المجتمع نحو التقدم، وأصبح الأفراد يتجهون لذلك ليس لهم من هدف، إلا النجاح من مكان لآخر ليحققوا نجاحاً مهزوزاً، يتبخر في الحال، فالغزو الثقافي للدول النامية جاء ضمن مخطط مدروس، رسم من قبل الدول الغازية لأحكامه عليها، ثقافياً واجتماعياً واقتصادياً، ومن أهم المشاكل التي تواجه التنمية الآتي:

1. إن وسائل الإعلام منذ عام 1960 تواجه فجوة كبيرة في توزيع وسائل الإعلام بين الدول المتقدمة والنامية، وظهرت حرب خفية بين الجانبين، فكثير من الدول النامية التي خرجت من سيطرة الاستعمار تواجه عدم استقرار إذا ما قيست بالدول المتقدمة ثقافياً، وهذا يجعلها تدافع باستمرار عن كيانها وهويتها الثقافية تجاه هذا الغزو، معتمدة في ذلك على ما تقدمه

وسائل إعلامها من برامج ومواد تفيد في نشر المضمون الثقافي المناسب لطبيعة المجتمع[64].

2. يدل الغزو الأجنبي عن طريق البرامج والمسلسلات على عجز الدول النامية ثقافياً، عن الدفاع عن هويتها ويدل على تبعيتها لقوى أجنبية وهذا بحد ذاته استعمار ثقافي، فالولايات المتحدة الأمريكية التي لم تستعمر أي بلد سياسياً في أوروبا فشلت في الاحتلال العسكري لفيتنام، إلا أنها عن طريق وسائل الإعلام المرئية استطاعت أن تثبت وجودها كقوة مستعمرة كصورة جديدة من صور الاستعمار الثقافي[65].
3. تتبنى معظم الدول النامية محطات إذاعية وتلفزيونية، وتستورد ما تحتاجه من مواد إعلامية وثقافية وإخبارية من الولايات المتحدة الأمريكية، التي تتفوق في مجال التلفزيون سواء في عدد الشبكات أو قنوات الاتصال، وعدد ساعات البث اليومي. ويظهر تفوق الولايات المتحدة الأمريكية بالأخبار من خلال نسبة التدفق الإعلامي من الدول الرأسمالية إلى الدول النامية، وهذا يؤثر على التنمية الثقافية في هذه الدول حسب تقرير لجنة "ماكيرايد" ويؤثر على الثقافة الوطنية[66]. فالفنانون بالدول النامية يعانون من هذا التدفق حيث يكونوا في الصف الثاني في بلادهم نتيجة لذلك.
4. ينظم الغزو الثقافي للدول النامية ضمن خطط واضحة تضعها الدول الكبرى حتى تسيطر سياسياً على هذه البلدان وتسيطر ثقافياً، وتهيئ لها هذه الأمور ضمن ما تقدمه من مواد مغرية وتكنولوجيا متطورة، تسوقها شركات كبرى، وبخاصة شركات الاتصالات الدولية، وتخدع هذه الدول بأن ما تقدمه لها إنما هو عون ثقافي يدخل في عمليات التنمية الثقافية والتطور لهذه البلدان، ونتيجة لذلك تظهر في الدول النامية عدة مشاكل منها المادية والفنية والتقنية، ويفسر ذلك رجوع هذه الدول إلى المصدر الأجنبي.للاستعانة بالبرامج الجاهزة المستوردة[67].
5. يتجسد الغزو الثقافي الأجنبي عندما يتم تدريب الفنيين في الولايات المتحدة الأمريكية وفي الدول متعددة الجنسيات المتقدمة صناعياً، وتمد هذه الدول العالم النامي بالمعدات، فالمتدربون يعودون ليشكلوا ثقلا على ثقافتهم الأصلية، وعلى التنمية الثقافية في أوطانهم، فهم يسلكوا ممارسات خاطئة بسبب حملهم أفكاراً، أصبحوا يؤمنوا بها وتتعارض مع ما هو سائد في ثقافة بلادهم، فوسائل الإعلام في الدول النامية تعرض بذلك قيماً أجنبية في برامجها سواء المستورد منها، أو من خلال برامجها الوطنية وبخاصة الترويحية، فالخطورة على التنمية الثقافية أن الفرد في الدول النامية أمي، ووسائل الإعلام في بلدة قد أهملته ولا تهتم بمشاكله، ووسائل الإعلام تمثل السلطة في بلده ويظهر هذا جلياً في الإعلانات

التجارية، مما يفقد المجتمع أهم خصائصه، وأهم مقوماته وهي الإنسجام والتجانس، مما يحدث تأثيراً سلبياً لوسائل الإعلام على مستوى التنمية الثقافية الوطنية والقومية، وعلى مستوى المشاركة السياسية والثقافية، وهذا التأثير يتلخص بالشك السياسي، واللامبالاة، والخمول، والاغتراب والتبعية[68].

ومما تقدم يسعى الباحث بالتركيز على دور وسائل الإعلام في التنمية الثقافية ئسواء الوسائل المرئية والمسموعة أو غيرها من وسائل الإعلام.

خامساً: استعراض الوظائف الثقافية لوسائل الإعلام المسموعة والمرئية:

تساهم وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في دعم العمل الثقافي لتعريف سكان الأرياف والمناطق البعيدة والقرى الصغيرة بالإبداع، والإطلاع على مظاهر الحياة الثقافية في بلدانهم، وتعريفهم بالمبدعين، وتساهم في تهيئة الظروف لمزيد من التطور الثقافي لديهم والتأثير في القيم والسلوك وأنماط الحياة عندهم. كما تقوم وسائل الإعلام بإطلاع سكان المدن على الحياة الثقافية في المناطق الأخرى، من حيث أشكالها ومظاهرها وعلاقتها بظروف الإنتاج وأنماطه، وهذا يساعد على توطيد الثقافة الوطنية وصهرها، وتعزيز الشخصية الثقافية، وتوحيد مفاهيم الأمة وقيمها، كما تحافظ على الخصوصيات الثقافية المحلية، وتتعامل معها كعامل إثراء للثقافة الوطنية، وتؤكد احترام هذه الخصوصيات ونشر إبداعاتها[69].

والإعلام بكل وسائله المختلفة نشاط تقوم به أجهزة الدولة لنهضة شعوبها، وهو بالتالي المرآة التي تجسد واقع هذا الشعب وهذا المجتمع بالإضافة إلى أن الإعلام مرفق من المرافق العامة تساهم في ثقافة المجتمع الذي تعمل فيه والعلاقة بين الإعلام وأجهزة الثقافة علاقة تبادل يتأثر كل طرف بالآخر، ومن هنا يكون دور الإعلام مهماً وخطيراً حيث ينقل إرادة الحاكم إلى المجتمع، وينقل آراء الناس إلى الحاكم لمناقشة الأمور ودراستها، فهو يخاطب عقول الناس وعواطفهم السامية، ويقوم على المناقشة والحوار والامتاع لتطبيق سياسات ثقافية أينما وجدت، فهو ينفع الناس بالثقافة إذا ما وضعت وسائله في مكانها الحقيقي[70].

ولوسائل الإعلام الكثير من الوظائف الثقافية يرى الباحث أهمها بالآتي:

1. إبراز التقدم في العالم سواء العلمي أو التكنولوجي، وتوضيح أهميته في المجتمعات الحديثة، وإحاطة أفراد المجتمع بهذا التقدم وما يجري من أحداث وتطورات، وتبث وسائل الإعلام روح النمو واليقظة والتوافق الثقافي والحضاري لدى الأفراد وترتقي بمستوى الرأي العام بتنويره وتثقيفه، مما يترتب على ذلك من تأثير فعلي في سلوك الأفراد[71]. وتعد الإذاعة المسموعة من أهم وسائل الإعلام وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً، تقدم الخدمات في مختلف

المجالات الإعلامية والثقافية والتعليمية، كونها تتميز بالفورية حيث تسمع الفرد أكثر من حدث حين وقوعه، وتمتاز بالواقعية وتشد الانتباه والاهتمام في آن واحد. كما أن الإذاعة المسموعة تتخطى حدود الزمان والمكان والتأثير انفعالياً من خلال الأعمال الدرامية والموسيقى التصويرية والمؤثرات الصوتية، لتتناسب مع ظروف وسمات المجتمعات في الدول النامية، كما أنها تنمي وتثرى خيال المستمع، وتعطي الحرية الكافية لعقله، وحرية العمل، ومهمة التثقيف والتنمية الثقافية من خلال ما تقدمه من برامج متخصصة في هذا المجال.

2. تهتم وسائل الإعلام المسموعة والمرئية بالمفكرين بالأمة فهم مثقفوها أو الصفوة من أبنائها، فهم القوة الحقيقية القادرة على أحداث التنمية الثقافية والتغيير في المجتمع، فوسائل الإعلام تتجاوب معهم، وتنتفع بمشورتهم في محاولتها تثقيف الناس. كما تكلفهم بإعداد البرامج الثقافية ومناقشتها وكل الأعمال التي تتقدم لوسائل الإعلام لنقدها وفرز الجيد منها وإذاعته على الجمهور[72].

3. تقوم وسائل الإعلام المسموعة والمرئية بشرح التراث وأساليب تجديده للجمهور واحياءه، وطرق الاستفادة منه، وإبعاد هذه الاستفادة ومداها، فهي تهتم بتراث الأمة، وعقد الحوار حوله، وإدخاله في ضمير الجماهير، كما أن وسائل الإعلام تؤكد عليه كمصدر من مصادر تحديد هوية الأمة الثقافية، عن طريق تمكين الثقافة الوطنية وإثرائها بالاختلاط بالثقافات الأخرى بعيداً عن التشويه والتبعيه لتبقى شخصية الأمة الثقافية هي الأصل في مواجهة الغزو الثقافي ومهددات فقدان الهوية الثقافية[73].

4. ومن وظائف الثقافة في وسائل الإعلام، نقل الثقافة إلى ملايين الناس للحصول على التنمية الثقافية بجميع أشكالها حتى يصبح الفرد قادراً على استيعاب الحديث من أشكال النهضة والتطور وهي القادرة على تحقيق أهدافه المستمرة والمتواصلة على مدى حياة الإنسان، وقادرة على تنوير فكره وتنمية طاقاته[74].

5. ومن مهام ووظائف وسائل الإعلام الثقافية نشر الأفكار والمعارف، ومواجهة أخطار المشاكل الثقافية التي يعاني منها المجتمع مثل الأمية، فهي القادرة على نقل الثقافة وانتقاء المحتوى لهذه الثقافة.

6. كما كسرت وسائل الإعلام المسموعة والمرئية قيد الثقافة حقبا طويلة واتاحت القرصة لأفراد المجتمع التواصل مع الآخرين وممارسة حقهم في الإعلام وأن يحصل الفرد على حقه في التنمية الثقافية، كما أنها رفعت من قدرة الفرد في المجتمع على الابتكار والنقد والتحليل[75].

7. تدعم وسائل الإعلام المواقف الثقافية والتأثير فيها، وتحفز وتعزز الأنماط السلوكية، وتعمل على تحقيق التكامل الاجتماعي مما تقدمه من روائع الإبداع من الماضي والحاضر، في نشرها أعمال المبدعين في الثقافة والذين يساهمون في التنمية الثقافية.
8. ولوسائل الإعلام المسموعة والمرئية وظيفة أساسية هي عملية التعلم والتعليم حيث بدأت بهذه العملية باستخدام جميع التقنيات اللازمة كانتشار أجهزة الحاسوب والانترنت وغيرها من وسائل الإعلام الحديثة وربطت أجزاء العالم بعضها ببعض، وساعدت على تبادل الثقافات من خلال تقنيات التعليم الحديثة وحافظت على قيم المجتمع وعاداته وتقاليده وتراثه[76].

سادساً: المقترحات حول موضوع البحث للمساعدة في تحقيق التنمية الثقافية:

وبدءاً من أهمية الثقافة والتنمية الثقافية، وما لهما من دور هام في تكوين شخصية المواطن، والتأكيد على ذاتيته الثقافية، من خلال الدور المؤثر بوسائل الإعلام المسموعة والمرئية، فإن الباحث يتقدم ببعض المقترحات التي يرى أنها ستساهم في زيادة فعالية تأثير وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في تحقيق التنمية الثقافية، وذلك لان تحقيقها أصبح أمر حتمي وضروري لبناء الإنسان، ونشر الوعي اللازم لديه.

فالانسان الواعي يمهد الطريق لتحقيق التنمية الشاملة، لان أكثر الدول قدرة على التنمية، هي الدول التي تنشر الثقافة بين جمهورها، لأن الثقافة والتنمية الثقافية اسلحة قادرة على حماية الناس من عمليات الاستغلال، والثقافة قادرة أيضاً على منح أساليب التنمية صفة انسانية، مثل ما هي من الضروريات لخطط التنمية، فعندما نطالب بالتنمية الثقافية، إنما نعني المطالبة بنجاح خطط التنمية في بلادنا،يستطيع اصحاب القرار القادرون على التخطيط اشادة المرافق والمؤسسات الثقافية، وكذلك يستطيعون اشادة البنى التحتية للبلاد. فوسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمقرؤة لها مكانتها الهامة في هذا المجال البناء من خلال الآتي:

1. وسائل الإعلام المسموعة والمرئية قادرة على تقديم البرامج والمواد الإعلامية المختلفة حتى تشارك في النهضة الثقافية، وتساهم في توعية الجمهور.
2. وسائل الإعلام المسموعة والمرئية لديها الإمكانية في القيام بعمليات التجديد والتطوير لما يقدم من برامج تتماشى وروح العصر، وتستخدمها في ميادين الثقافة.
3. لمؤسسات الاذاعة والتلفزيون والصحافة وغيرها من المؤسسات الإعلامية، القدرة على اثراء الأهداف التي تساهم في تثقيف المواطنين وشد انتباههم، لما تقدمه المؤسسات الثقافية في مجال التنمية.
4. تتحمل وسائل الإعلام المسموعة والمرئية المسؤولية الكاملة في التنمية الثقافية لما لها من تأثير واضح في أحداث التغيير الاجتماعي.

5. تعتبر وسائل الإعلام المسموعة والمرئية من أهم الوسائل التربوية والتعليمية والثقافية، ما يتوجب عليها التعريف بالمجالات الثقافية والأنشطة الفكرية، ونقلها لافراد المجتمع مراعية الخبرة المشتركة بين الإعلاميين والتربويين في هذا المجال.

6. لوسائل الإعلام المسموعة والمرئية الدور الهام في التنمية الثقافية، لأن اتصال الأفراد بها يبدء منذ نعومة اظفارهم وحتى الشيخوخة. فهم القادرون على التعبير الصادق عن مفهوم التربية الدائمة مدى الحياة، وهذا يؤكد أن وسائل الإعلام المسموعة والمرئية لها تأثيرها الواضح على جميع الأفراد من مختلف فئات الاعمار وبشكل متفاوت، حيث يكون لهذه الوسائل دورها الكبير في تنميتهم ثقافياً وحتى يتحقق ذلك لابد من القيام بالاتي:

أ. التكامل بين وسائل الإعلام المسموعة والمرئية وبين المؤسسات المختلفة، التربوية، والاجتماعية، وان يقوم الجميع بدوره من اجل الوصول إلى الأهداف المشتركة، حتى لا يقع ابناء المجتمع في صراعات ثقافية.

ب. قيام وسائل الإعلام المسموعة والمرئية بمد الأفراد بكل جديد من العلوم والمعارف والوان الثقافة التي لا تستطيع الصحافة المكتوبة أن تفي بها.

ج. اهتمام وسائل الإعلام المسموعة والمرئية بالشكل والمضمون الإعلامي لتحسين الأداء والرقي بمستواه، فالإعلام والتعليم هما القادران على بناء المجتمع وشخصيته، بما يتلائم وقيمنا وعاداتنا وتقاليدنا العربية الاسلامية.

د. تطوير وسائل الإعلام المسموعة والمرئية من خلال تزويدها بالاجهزة والمعدات الحديثة المتطورة حتى تكون قادرة على الإنتاج الفعال، الذي يستطيع أن يحدث التفاعل بين أفراد المجتمع من خلال نقل التراث بينهم واثرائه، وتوفير الأمن والذاتية الثقافية للمجتمع باسره حتى يستطيع أن يصمد في وجه الغزو الثقافي المستمر.

The Role of Audio-Visual Mass Media in Cultural Development

Turki Nassar, *Department of Journalism and Mass Communication,Faculty of Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study aims at investigating the cultural characteristics in Arab societies especially the Jordanian society. Also it tries to enhance the participation in the cultural life and to present the cultural cooperation between different peoples. Moreover the study tries to focus on the problems which obstruct the cultural development in the Arab societies.

To achieve the goals of the study, the researcher uses a descriptive analytic method. He makes a survey of the related literature and analyzes them carefully.

The results of the study show the importance of the cultural functions in all mass media such as presenting the scientific and technological development in the world, and illustrating its importance for the modern world. Also it shows how the mass media concern with the intellectuals and scientists in the world.

قدم البحث للنشر في 2007/6/13 وقبل في 2008/1/29

المراجع العربية والأجنبية

1. جيفرى، ساتشز، 2007، تحدى التنمية، **مجلة الثقافة العالمية**، العدد (337)، الكويت.
2. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1979، **حلقة التكامل بين أجهزة الثقافة وأجهزة التعليم**، القاهرة.
3. المركز الأردني للإعلام، 2007، **الأردن حقائق ومعلومات**، عمان.
4. دائرة الثقافة والفنون، 1972، **ثقافتنا في خمسين عاماً**، عمان.
5. الجابي، صبحي، 1975، **الحروب العربية الإسرائيلية**، دمشق، (د.ن).
6. نصار، تركي، 2006، **الإعلام الأردني دراسة تاريخية وصفيه**، اربد، عالم الكتب الحديث.
7. زهران، حامد 1984، **علم النفس الاجتماعي**، ط2، القاهرة، عالم الكتب.

8. نصار، تركي، 2002، **وسائل الإعلام وقضايا المجتمع: دراسة نظرية**، اربد، مؤسسة حماده.

9. عوض، هاشم، 1980، البرامج الثقافية الإسلامية، **مجلة الفن الإذاعي**، العدد (87)، القاهرة.

10. الطاهر، لبيب، (د.ت)، **سوسيولوجية الثقافة**، دراسة خاصة.

11. علي، فهمى، (د.ت)، الإعلام والثقافة المعادلة المعكوسة، **مجلة المنار**، العدد (33)، بيروت.

12. زعرور، حسن، 1994، تكنولوجيا الإعلام بين القيم والثقافة وقضايا التنمية، **مجلة المنطلق**، العدد (107)، بيروت.

13. لبيب، سعد، 1983، **الإعلام والثقافة**، ورقة عمل الحلقة الثالثة لبحوث الإعلام، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، القاهرة.

14. مكاوى، حسن عماد، 1989، **إنتاج البرامج للراديو النظرية والتطبيق**، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية.

15. جلن، سيبورج، 1972، العلم والثقافة والجامعات والحكومة، ترجمة أمين عثمان، مركز مطبوعات اليونسكو، **مجلة العلم والمجتمع**، العدد (9)، القاهرة.

16. أمام، إبراهيم، 1979، **الإعلام الإذاعي والتلفزيوني**، القاهرة، دار الفكر العربي.

17. عجوه، علي، 2004، **الإعلام وقضايا التنمية**، القاهرة، عالم الكتب.

18. محمد، سيد محمد، 1979، **الإعلام والتنمية**، القاهرة، دار المعارف.

19. المديني، أحمد، 1989، مساهمة العمل الثقافي في إثراء محتويات البرمجة وفي تطويرها، تونس، **منشورات اتحاد إذاعات الدول العربية**.

20. عمايرة، محمد، 2002، **التشريعات الثقافية ودورها في السياسة الثقافية**، دراسة مقدمة لحلقة بحثية في مركز الحسين الثقافي، عمان.

21. كليب، والتكروري، 2002، **الهيئات الثقافية في الأردن، الأهداف والسياسات والخطط**، ورقة بحثية مقدمة لحلقة بحثية في مركز الحسين الثقافي، عمان.

22. الزمخشري، فريال، 2002، **استراتيجيات الإعلام الثقافي في المجالين المسموع والمرئي**، دراسة مقدمة لحلقة بحثية في مركز الحسين الثقافي، عمان.

23. عبيدات، غازى، 1990، **أثر استخدام الإذاعة المدرسية التعليمية في تحصيل طلبة الصف التاسع في مادة قواعد اللغة العربية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية،، اربد، جامعة اليرموك.

24. حسين، جبرين عطيه، 1987، **تقويم استخدام الإذاعة المدرسية الداخلية في ضوء معايير الاستخدام الفعال لها**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، اربد، جامعة اليرموك.

25. أحمدين، محمد محمد، 1991، **دور الإذاعة المسموعة في التنمية الثقافية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، جامعة القاهرة، القاهرة.

26. Ba- Hashwan, Turki Saeed Basha, (1987), Perceptions of Broad Cast Training Two Saudi Arabian University: Survey of Graduates. *Professionals, and students Dissertation Abstracts International*, Vol. 111 no.l, July.

27. الخولى، عبد الكريم. 1985، **أثر الإذاعة التعليمية المسجلة في تحصيل الطلبة واتجاهاتهم نحو اللغة العربية والسلوك التعليمي للمعلمين**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، عمان، الجامعة الأردنية.

28. Tycholiz, walter Harry, (1987), Acomparison of Professional Broad Cating and Secondary Broad Casting Teachers Regarding the Pre-employment Preparation of Broad Casting Students, in (*DisAbs. Intr.*) Vi48.2, oct P.912 A.

29. Parcells frank E. (1983), A Quantitative Midwest Radio Surveys Achieving Employee Competence Through Broad cast Higher Education. Doctoral Dissertation at South 111 in is university, *Abstracts International* P.1571-1.

30. شطاح، محمد، 1990، **دور وسائل الإعلام في التنمية في العالم الثالث، دراسة لتجربة الجزائر في الفترة 1984 – 1988**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية.

31. الزناتي، جمال صالح متولى، 1990، **وسائل الاتصال الجماهيري والتنمية السياسية، تحليل سسيولوجي، لدور الصحافة في التنمية السياسية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، المنيا، جامعة المنيا.

32. النويسى، عبدالله علي يوسف، 1989، **دور الإعلام في التنمية الوطنية في دولة الإمارات العربية المتحدة**، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الإعلام، القاهرة، جامعة القاهرة.

33. رزق، ساميه سليمان، 1978، **دور الاتصال الشخصي في نشر الأفكار المزرعية المستحدثة في المجتمعات الريفية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الإعلام، القاهرة، جامعة القاهرة.

34. فهمي، انيس، 1979، دور التلفزيون في المجتمع الحر، **مجلة الفن الإذاعي**، العدد (84)، القاهرة.

35. نصار، محمد عبد الستار، 1994، ثقافتنا إلى أين، **مجلة الخفجى**، العدد (3)، الدمام.

36. أمام، إبراهيم، 1979، **القمر الصناعي العربي والتنمية**، جامعة الرياض، الرياض.

37. مرزوق، يوسف، 1980، **الإذاعة الإقليمية وتحقيق أهداف التنمية**، (د.ن)، القاهرة.

38. الحلواني، ماجى، 1977، **تكنولوجيا الإعلام: المجال التعليمي والتربوي**، القاهرة، دار الفكر العربي.

39. أبو جابر، شبيب صالح، 1979، **المجتمع الأردني**، الجامعة الأردنية، (د.ن)، عمان.

40. عباس، حامد، 1980، **قضية الثقافة في بلادنا**، مؤسسة هديل للإعلام، مكه المكرمه.

41. الزبير، سيف الإسلام، 1981، **محاضرات في الإعلام والتنمية في الوطن العربي**، مطبوعات المركز العربي للدراسات الإعلامية، القاهرة.

42. عطا الله، محمود سامي، 1976، مشاكل الفلم التسجيلي في الدول النامية، المشاكل الثقافية، **مجلة الفن الإذاعي**، العدد (7)، القاهرة.

43. مرجع سابق (12).

44. مطالقة، سهيل، 1987، قطاع الإعلام والثقافة، **المؤتمر العام لليونسكو**، الدورة (24)، باريس.

45. معوض، محمد، 1980، أضواء على ندوة الإذاعات المحلية والتنمية الشاملة، **مجلة الفن الإذاعي**، العدد (89)، القاهرة.

46. الشال، محمد النبوي، 1982، النشاطات الثقافية في حقل التعليم، **صحيفة التربية**، العدد (2)، السنة الثانية والثلاثون، القاهرة.

47. شوشه، فاروق، 1974، البرامج الثقافية رؤية وتطبيق، **مجلة الفن الإذاعي**، العدد (63)، القاهرة.

48. ابن الشيخ، عبد القادر، 1988، دور الإذاعة والتلفزيون في التنمية الثقافية منطلقات وتساؤلات أساسية، **وثائق ندوة اتحاد إذاعات الدول العربية**، تونس.

49. الباسطي، رؤوف، 1988، إشكاليات مساهمة الإذاعة والتلفزيون في تنمية الثقافة الوطنية، **وثائق ندوة اتحاد إذاعات الدول العربية**، تونس.

50. بنيت، انجبورغ، 1988، تقنيات الاتصال وآثارها على الثقافة، **وثائق ندوة اتحاد إذاعات الدول العربية**، تونس.

51. قنديل، حمدى، 1988، التلفزيون والثقافة الوطنية، تحدى اتصالات الفضاء، **وثائق ندوة اتحاد إذاعات الدول العربية**، تونس.

52. المولد، عفاف، 1976، الإذاعة والتنمية الثقافية، **مجلة الفن الإذاعي**، العدد (70)، القاهرة.

53. باربرا، ويتمر، 2007، الأنماط الثقافية للعنف، ترجمة عمران، وممدوح يوسف، **مجلة عالم المعرفة**، العدد (337)، الكويت.

54. عبد المجيد، ليلى، 1994، السياسات الاتصالية والإعلامية وأثرها في الثقافة والتربية، **عالم الفكر**، العدد (1)، (2)، القاهرة.

55. زايد، أحمد، 2006، قضايا في الهوية الاجتماعية وتصنيف الذات، **عالم المعرفة**، العدد (362)، الكويت.

56. هارقلي، جون، 2007، كيف تنتج الثقافة في عالم التكنولوجيا والعولمة؟، ترجمة بدر السيد سليمان، **مجلة عالم المعرفة**، العدد (338)، الكويت.

57. الزين، عواطف، 2007، المسلسل التلفزيوني وتأثره الثقافي، **مجلة العربي**، العدد (581)، الكويت.

58. مرجع سابق (8).

59. مديرية المطبوعات والنشر الأردنية، 1989، **كتاب الأردن السنوي**، المطبوعات الأردنية، عمان.

60. محمد، صلاح الدين عبد الحميد، 1982، **قياس دور وسائل الإعلام في التنمية (الصحيفة)**، مؤسسة ماسبيد للطباعة، القاهرة.

61. بحيرى، خيرية زكي، 1987، التنمية في مجالى الثقافة والتعليم على مستوى أجهزة الإعلام الإذاعي، **مجلة الفن الإذاعي**، العدد (115)، القاهرة.

62. أمام، إبراهيم، 1976، السياسات القومية للثقافة والإعلام، **مجلة الفن الإذاعي**، العدد (71)، القاهرة.

63. مرجع سابق (37).

64. العياري، المنصف، 2005، تلفزيون الواقع، أي تلفزيون؟ وأي واقع؟ **مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية**، العدد (1).

65. شاكر، إبراهيم، 1975، **الإعلام ووسائله في التنمية**، مؤسسة آدم للنشر، القاهرة.

66. العرموطى، مازن، 1985، **وسائل الصحافة والإعلام في الأردن**، جامعة اليرموك، اربد.

67. مديرية المطبوعات والنشر، 1989، **مجلة التنمية**، عمان.

68. السندسي، محمد العربي، 1983، السينما والتنمية، **صحيفة الرياض**، العدد (5432)، الرياض.

69. لبيب، سعد، 1987، الأمن الثقافي في مجال العمل الإذاعي، **مجلة الدراسات الإعلامية**، العدد (49)، القاهرة.

70. كحيل، عبد الوهاب، 1987، **تأثير التلفزيون والفيديو على القرية المصرية**، مكتبة المدينة، القاهرة.

71. زهران، حامد، 1984، **علم النفس الاجتماعي**، عالم الكتب، القاهرة.

72. دسوقي، علي كامل، (د.ت)، **التنمية الثقافية للقرية المصرية**، (د.م: د.ن).

73. مرجع سابق (1)

74. بطرس، فتحى زكي، 1985، **دور الإعلام في مجال التنمية الشاملة والمشكلات السكانية**، مدير ية التدريب والإعلام التنموي، عمان.

75. مرجع سابق (58).

76. عطاالله، محمود سامي، 1979، الفلم التسجيلي والتنمية، **مجلة الفن الإذاعي**، العدد (69)، القاهرة.

Rubin, Jr., Louis D. 'Four Southerners', *Stratford-Upon-Avon-Studies,7, American Poetry.* London: Edward Arnold, 1965:11-44.

Ruland, Richard and Malcolm Bradbury. *From Puritanism to Postmodernism*. Harmondsworth: Penguin, 1991.

Thompson, Lawrence(ed.) *Selected Letters of Robert Frost*. NY: Holt, Rinehart and Winston,1964.

Thorp, Willard. *American Writing in the Twentieth Century*. Cambridge: Harvard UP,1964.

Tilak, Raghukul. *Robert Frost: Select Poems.* New Delhi: Raman Brothers, 1973.

Trilling, Lionel. "A Speech on Robert Frost: A Cultural Episode", *Partisan Review*, Vol. XXVI (Summer, 1959):445-52.

Waggoner, Hyatt H. "American Poetry: From the Puritans to the Present", *The Encyclopedia Americanna*, Vol.12. Danbury: Grolier,1986.

Yassin, Rashid. "Al tha'lab alladhi faqada dhailah", (*The Fox That lost its Tail).* Sanaa: Ibadi Centre for Studies and Publications, 2003.

Al Ghanimi, Saeed. "Hawajis intidhar al maseer" (Misgivings of Waiting for Destiny), *Al Massala*,Vol 3,Issue 4 (Sept.,2002):19-28.

Al Ghanimi, Saeed. "Mantiq al kashf al shi'ri*", Logic of Poetic Disclosure.* Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publication,1990.

Al Jazzairi, Mohammad. Aalat al kalam al nakddia: Dirasat fi binaiyat al nas al shiari, (*The Machine of Critical Discourse: Studies in the Structuralism of the Poetic Text)*. Damascus: Publications of Arab Writers Union,1999.

Al Saidi, Yarub. "Haris al fanar:Ugniat al mawt wa marthiat al hayat" (The Light-house Guardian: Song of Death and Dirge of Life), *Al Aqlam*, Vol. 20 (April, 1990):85-92.

Beach, Christopher. *The Cambridge Introduction to Twentieth Century American Poetry.* Cambridge: CUP, 2003.

Cox, James M.(ed.) Robert *Frost: A Collection of Critical Essays*. Englewood Cliffs: Prentice Hall, 1962.

Culler, Jonathan. *On Deconstruction: Theory and Criticism after Structuralism*. London: RKP, 1983.

Frost, Robert. *Collected Poems and Essays.* NY: The Library of America, 1995.

Frost, Robert. *Complete Poems of Robert Frost.* NY: Holt, Rinehart, and Winston, 1916 (1964).

Frost, Robert. *West-Running Brook*. NY: Holt & Rinehart & Winston, 1929.

Gawinn, Roben P. et al (ed.) *The New Encyclopedia Britannica,* Vol.*5.* Chicago: Encyclopedia Britannica, Inc, 1911.

Halasa, Ghalib. "Al makan fi al riwaya al arabayia", (*The Place in the Arabic Novel*). Damascus: Dar Ibn Hani, 1989.

Johnson, J.H. *The Poet and the City.* Atlanta: University of Georgia Press, 1948.

Lenricchia, Frank. *Modernist Quartet.* Cambridge &NY: CUP, 1994.

Lulua, Abdul Wahid. "Al bahth aan ma'na", (*In Search of Meaning*). Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publication, 1983.

McMichael, George (ed.) *Anthology of American Literature,* Vol.II. NY: Macmillan, 1984.

Muhsin, Fahd. "Sihr al aqni'aa: Al Breikan namothajan" (The Magic of Masques: Al Breikan as an Example), *Al Aqlam*, Vol.5-6 (June, 1997): 11-14.

Nadhim, Hassan. "Shu'riyat al aabith", (The Poetics of the Trifler), *Al Massala*, Vol .3, Issue 4 (Sept.,2002):6-18.

Nemerov, Howard. *Contemporary American Poets*. Washington: Voice of America Forum Lectures, Vol.14., 1992.

الفضاء الشعري عند روبرت فروست ومحمود البريكان

صبار سعدون سلطان، جامعة الإسراء، عمان، الأردن.

ملخص

البحث التالي محاوله لأستعراض نقاط التوازي والتشابه والأختلاف في التجربه الشعريه عند الشاعر الأمريكي الحديث روبرت فروست (1874-1963) والشاعر العراقي محمود البريكان (1931-2002). يتألف البحث من ثلاثة اجزاء. الأول مقدمه تستعرض الابعاد المختلفه لتجربة فروست الشعريه وتأثيرها على كتابات محمود البريكان. والثاني يوضح مفاهيم الشاعرين فروست والبريكان عن الشعر ودوره في الحياة كذلك يغطي جماليات الكتابه لدى الأثنين. اما الجزء الأخير الذي يشغل المساحه الأكبر من البحث فيتناول المواضيع المشتركه والتصور العام عن الأنسان والعالم في قصائدهما. وينتهي البحث بأستنتاج يلخص الموضوعات الرئيسيه المطروحه.

* **The paper was received on June 10,2007 and accepted for publication on Jan. 29,2008.**

Works Cited

Abdul Emir, Ali. "Limadha yada'una gharib ghamidh ila tadhakkurihi" (Why A Mysterious Man Moves Us to Remember Him), *Al Massala*, Vol.3, Issue 4 (Sept.,2002):32-40.

Abdul Latif, Hussain. "Biography of Mahmoud Al Breikan", *Al Aqlam,* Vol.3-4, (Sept.1993) Baghdad: 112-115.

Al Breikan, Mahmoud. "A Dialogue with Hussain Abdul Latif," *Asfar*, Vol.14 (Autumn, 1992):45-52.

Al Breikan, Mahmoud. "Fasad al milh" (Decomposition of Salt), *Al Filkr Al Hay*, Vo.2, 1969:25-37.

Al Breisam, Kassim. "Ihtidhar haris al fanar", (The Moribund Lighthouse Guardian), *Afak Arabia*, (March,1994):58-66.

of it or the devil of it" (Frost, 1995, 774). If a clergyman, knowing the poet very well, calls him "a Job in our time" (Thomson, xii), the same extent of fortitude and stoicism is felt in Al Breikan's career and daily practices. In this particular point, the latter showed more stamina and readiness to sacrifice as he deliberately excluded himself from the facades of popularity, money and prestige. In his long moments of self-inflicted isolation, Al Breikan has been offered a rare vantage-point for perceiving the ordeal of modern man and his frantic and abortive pursuits of meaning and peace of mind. This bizarre voluntary choice of isolation is indicative of "a great soul, resisting all types of secular temptations" (Nadhim, 9). The direct outcome of this quarter of a century of virtual solitude is the composition of poems that deservedly engraved their author in the map of modern and modernist Arab verse. They betray serious attempts on the part of the poet to innovate and update its tools and molds. Above all, his poetry has given full rein to his visionary worlds where only suffering, futile waiting and catastrophes prevail.

Both have paid much attention to the nature-culture relationship and have expressed their preference of what is natural and impulsive. Indeed their artistic manipulation of the natural world and its creatures is so rich that the reader is eventually enabled to glean other understatements and echoes emanating from an ostensibly straightforward and direct text. In the poetry of both poets, there is a comprehensive and all-inclusive image of the predicament of modern man in search of meaning and solace in an indifferent world. Stylistically, the poems of both poets capitalize on the power of the word to suggest and insinuate rather than to report only. Symbolic and suggestive references go hand in hand in the poems of the two. The devices of deep structure, embedding, ellipsis, contrast, and semantic features have been skillfully and effectively used. Also both Frost and Al Breikan have relied heavily on the technique of paradoxes, narrative description, dramatic monologue, juxtaposition, flashback and other strategies and technicalities.

In their vision of the world and its challenges and entanglements, they share a similar viewpoint about the absurdity and irrationality inherent in the very existence of human beings. Man, for both poets, seems agonized and pathetic and subject to unpredictable and indiscriminate forces. In both visions, the universe turns out to be an intimidating force intent upon thwarting man's enterprises and hopes. In both man's lot is that of loneliness and suffering. Hence the dream or obsession of their people to aspire to fresh, less devastating worlds. As usual, these dreams turn out to be no more than a make-believe and self-deception.

And rolled his old head on that sharp-edged
Chair-back.'
…………..
'Warren.' She questioned.
'Dead,' was all he answered (Frost, 1964, 54-6).

These are exceptions in a whole gallery of deprivation, loss, and mounting despair. Even in the last poem, death seems to be victorious, and people's affection appears too weak to change the status quo.

Al Breikan shares all these impressions and has elaborated them further in his poetic works and essays. In one of the terse and compressed and felicitous stanzas Al Breikan sums up his view of life which is imbued with tragic and gloomy understanding,

ليس الحب مستحيل
ولا الجمال خدعه
ولا ندى السحر
خرافه.. لكن يفيض مرقص البشر
بالعنف والعويل

Love is not impossible
Neither is beauty a ploy,
Nor is the dew of magic a fable.
But the human theatre
Is brimmed with violence and wailing.

Then our world as perceived in Al Breikan's gloomy viewpoint can offer only tears and brutality. The poet derives this tragic vision not only from the current events of life but also he has his point of reference in the remote and immemorial history of mankind and its long series of suffering and self-inflicted torments. In his insightful explication of this witty aspect of Al Breikan's writing, the critic Al Jazzairi likens Al Breikan to world writers known for their expressive brevity in poetry like Henry Michaud, Paul Eluard, Louis Aragon, Nazim Hikmet and Yeshar Kemal (p.176). Thus the tone of his poems is elegiac and bitter since man can never stop dreaming, although the recurrent outcome is bafflement and torment,"violence and wailing".

To round off this study, one can fairly say that the two poets belong to two totally different cultures, experiences, social positions and critical appraisals. As already pointed out, Robert Frost has remained all his life loyal to his New England's puritanical roots, though he has his own skeptic viewpoints that are reflected throughout some of his poems. He states this view bluntly in his letter to P.T.Coffin (Feb. 1938) "I don't care to decide whether God did this for the fun

That water never did to land before,
The clouds were low and hairy in the skies,
Like locks blown forward in the gleam of eyes,
You could not tell and yet it looked as if
The shore was lovely in being backed by the cliff,
The cliff being backed by continent;
It looked as if a night of dark intent
Was coming, and only a night, an age,
There would be more than one ocean-water broken.
Before God's last Put Out the light was spoken.

When the two are contrasted, Al Breikan's image is darker and more terrifying: the guardian's state of total isolation and approaching disaster is expressly evoked here. The natural elements in Frost's poem "Pacific" seem in a state of solidarity and mutual help (shores being supported by cliffs, while the cliffs themselves are backed by continents). Al Breikan's lonely figure is totally helpless and defenseless. There is nobody or nothing to support him and boost his morale. The metonymy used in Al Breikan's poem (the black clock and its unnerving ticking, the uncontrollable motion under his feet) is more suggestive and less outright in crystallizing the state of apocalypse. Indeed, Al Breikan's poem is strikingly devoid of any religious references or hope of salvation.

Interestingly, woman is conspicuously kept away from the bleak world of these poets. The woman in question is the lover, sweetheart, or wife whose main associations are fertility and posterity. Her absence is normal in a world that has gone awry. Of course this leitmotif in Frost's poetry has impelled critics to assert that he was "the great poet of contemporary tragic vision, evoking a terrifying universe of exposure and emptiness, the romantic vacancies of modern secular life" (Ruland, 282) .When Frost learns in *The Paris Review Interviews* (Summer, 1960) about Trilling's view of his poetry,his answer indicates a tacit approval of the latter's findings "I don't know—I might run my eye over my book after Trilling, and wonder why he hadn't seen it sooner that there is plenty to be done about" (Frost, 1995, 88). I do not think Frost is in need of reminders of a poetic world that he has deliberately and meticulously hinged on indifference and pain. The matrix of such planes of experience is the outcome of daily encounters with things that are not always subject to reason and rationality. It might be objected that Frost did write some poems about love in its wider sense such as "Meeting and Passing", "Putting in the Seed' that talk about fertility and love. So does the poem "The Death of the Hired Man" where the husband Warren and his wife, Mary, take care of their old hired man till he dies:

'I can't think Si ever hurt anyone.'
'No, but he hurt my heart the way he lay

witnessing and reporting that terrible account of the sinking world with no compass and has much to resemble Arthur Rimbaud's "Drunken Boat." In that poem, the crew is killed by "yawping Redskins." If the sailors are dead, the boat, then, is free to move and roam the sea in its own, "the low sun stained with mystic horror", and, "green nights ablaze with snow". In other words, Al Breikan's guardian perceives a vision or short glimpse of exceptional and awe-inspiring worlds that dawn only to some poets endowed with that extent of imaginative power.

The two objects emphasized by the poem are "the ghost ship" and the "black clock" whose motions and colors are indicative of the imminent disaster. The awaited ship has lost its destination as everything is subject to the full control of the overwhelming power of the winds. It is not expected that such a ship, if any, would reach its destination, while the description of the swinging pendulum suggests that it has reached a standstill. At last the inescapable end has loomed and come into being. Everything in this nightmarish vision is suggestive of "dreary terrain" (Al Saidi,89), where the last man seems forlorn with no hope of salvation. Al Briekan can only offer this bleak image of man where no other forces can mitigate his solitary agonies or provide him with solace or consolation.

The final impression this poem and many others already cited, leave is that Al Breikan's poetic world is no less terrifying than Frost's in its emphasis on the state of bleakness and hopelessness facing his pathetic characters and animals. Indeed his diction is more suggestive and less obvious in stating man's worries and sufferings in Frost's pastoral "Birches",

> It is when I'm weary of considerations
> And life is too much like a pathless world,
> Where your face burns and tickles with cobwebs,
> Broken across it, and one eye is weeping
> From a twig's having lashed across it open.

The difference, however, lies in the fact that Frost sees a glimpse of hope and a reason for survival since "Earth's the right place for love." It is true that the images of gratuitous death, loneliness, and dreariness permeate Frost's poems; nevertheless they cannot match the extent of blackness in Al Breikan's poems. For instance, Frost's "Once by the Pacific" has many parallels with Al Breikan's overriding view of man, the universe and the impossibility of reaching a final and decisive conclusion about the existential void engulfing him,

> The shattered water made a misty din,
> Great waves looked over others coming in,
> And thought of doing something to the shore

spatio-temporal elements has been observed and pinpointed as an integral part of the theme of the poem, "If time is blurred, the same holds true to space" (Al Breisam, 59), as the poet approaches the quintessence of his topic. At the poem's concluding moments, the poet appears to be the seer whose,

Visions are consummate and the skyline is about to revolve
I am waiting for the supreme moment
The orbit will close, and the black clock
Will petrify on the wall.
I am waiting,
The black clock ticks,
The ticking of a distant rhythm.
Its pendulum is swinging, unstable, moving to the right,
To the left,
To the right,
To the left,
To the left.

ان الروئ تمت، وان الافق يوشك ان يدور
انا في انتظار اللحظه العظمى
سينغلق المدار
سينغلق المدار والساعه السوداء
سوف تشل و تجمد في الجدار
انا في انتظار
والساعه السوداء تنبض نبض ايقاع
بعيد
رقاصها متأرجح قلق يميل الى
اليمين
الى اليسار
الى اليمين
الى اليسار
الى اليسار

The vision here almost touches the infinite. The seer, as Al Ghanimi convincingly argues, "is involved in one way or another in the dilemma of articulation and inarticulation, stating the prophecy and evading it at the same time. Hence the number of gaps in the text to be filled and interpreted by the reader" (2002,19). Here, too, the main thrust of Al Breikan's poetry manifests prophetic, visionary and even apocalyptic images. His man is the last one

about man's position in an irrational world. The overriding images are those of dreariness, blackness, and stasis,

في ظلمة الرؤيا
سأركب موجة الرعب الكبير
واغيب في بحر من الظلمات ليس له حدود
انا في انتظار الزائر الذي يجئ بلا خطى
ويدق دقته على بابي ويدخل في برود
انا في انتظار الغامض الموعود،
تحمله الرعود والريح
يوشك ان يحل الوقت
الافق الطويل خال
وليس هناك ظل سفينه
يبدو الوجود
كالقوس مشدودا ولكن لا علامه
للرحيل
سقطت فنارات العالم دون صوت
الرياح هي بعد سيدة الفراغ
وكل متجه مباح

In the dark vision
I will ride the wave of the overwhelming terror
And vanish in the infinite sea of darkness
I am waiting for the visitor who arrives without feet
And knocks at my door and enters indifferently
I am waiting for the promised unknown
Driven by thunder and wind,
It is almost the right time
The long skyline is empty
There is no shadow of a ship
Existence seems tense like a tight bow
But there is no sign of departure.
The lighthouses of the world have sunk
Without any sound. Winds predominate the space,
And every direction is permissible.

This part of the poem that has been forcibly wrenched from a seamless whole, blends all times (past, present and future) and betrays the state of confusion and instability in the narrator's mind. The interaction between the

solitude, and the avalanche of unanswerable questions permeates the whole initial scene of the poem and justifies the comparison held in the present study,

حارس الفنار

اعددت مائدتي وهيات الكؤوس متى يجئ الزائر المجهول ؟ اوقد القناديل الصغار
يبقيه الزيت المضئ.
فهل يطول الانتظار انا في انتظار سفينة الاشباح تحدوها الرياح في اخر الساعات.
قبل توقف الزمن الاخير.

> I have arranged my table. And prepared the glasses. When will The Unknown visitors show up?
> I fill the small lamps with the remaining oil. Will the waiting be long?
> I am awaiting the ghost ship driven by the winds. At a very late hour before time finally halts.

In this poem the linguistic and semantic levels interlock to confer on its texture much density and compression. If Frost has employed the sense of place skillfully in his "Mending Wall", the same holds true to Al Breikan's use of the spatial, temporal and visual. Here the sheer silence of the lighthouse and the howling winds and the rough seas, the prevailing stillness in the small lighthouse and the overwhelming motion of the imagined ships driven by tempestuous powers, the confusion and restlessness of the memory contrasted with arranged furniture and the cozy spot amidst an infinite and intimidating surrounding –all these are mere references to his rare skill in making the details of his poem impinge on the memory and imagination of the reader. Indeed all the details of the brief interlude help in intensifying the mounting sense of fear and menace. The technique of the interior monologue articulated to empty chairs automatically brings to mind Ionesco's feat, *Chairs* (1952) where the role of memory, and expectation, fact and fiction are fully investigated. Apart from the host of symbolic references and suggestions emanating from the text, the space here has its plurality in that it transcends the mere geographical and physical boundaries. It turns into a sort of experience that is inextricable from the narrator's sense of agony and bafflement. The reader or beholder is forced to realize its substantial role in showing the thematic implications of this place and its surrounding, as Ghalib Halasa argues elsewhere (1989, 8). Frost's "Bereft" does show the ravages and humiliations of old age. But the suffering here is far deeper than that of Frost's poem, since everything in Al Breikan's poem is against the narrator's plans and hopes— time's halt, the failure of ship to arrive (or has it the sunk?) and the prevailing darkness and the nagging of a terrible memory. Al Breikan's narrator and alter ego is simply a means of speculating

writing and the topics that have engaged his thinking for a long time. Evidently he is preoccupied with the universal and human, rather than the provincial and temporary,

مطمحي ان اتفاعل مع كل شئ ولا اندثر في شئ. انني اذهب اكثر فاكثر الى سبر الأبعاد المجهوله للوجود، والى استشراف المصائر الكبرى. ومطمحي ان يكون الشعر فعلا عظيما من افعال الحريه والمغامره في مستوى النزوع الأعمق للانسان، ان يكون طريقه في الالتحام بالعالم والتعالي عليه وفي المضي الى قرار التجربه الانسانيه وتأملها بشجاعه. لقد اعتدت ان ادخل في التناقض الوجودي وان اجد كثيرا من الجمال في وجه الحقيقه.

> My ambition is to interact with everything and not to be engulfed by anything. I aspire very much to probe the unknown dimensions of existence and explore the greater human destinies. I dream of making my poetry a great act of freedom, an adventure on a par with man's great aspirations. I hope it will be part of the universal, transcending it and moving ahead to fathom human experience and explore it daringly. I am used to getting involved in the existential dialectics and find much beauty in facing the truth (Al Ghanimi,1990, 109).

The poems already quoted revolve around the topics of cruelty, suffering, exploitation, and the keen sense of loss. People in most of AL Breikan's poems appear too helpless to establish any fruitful and meaningful contact with others in an intimidating and sinister world. In his masterpiece "Haris al fanar" (The Guardian of the Lighthouse), Al Breikan brings home the various manifestations of man's dilemma. The absence of the teleological function of the place is what strikes us most here. The poet does not present the lighthouse from the outside or from the perspective of the passing ships. Instead, the reader is enabled to peep inside the lighthouse and realize that in contrast to its name, its light is actually on the wane. This paradox is stated at the beginning and the lighthouse-sea duality is endowed with all the dimensions of "the cultural-historical memory" (Johnson, 18), that a place could have. Although the poem is in the first- person narration, its content is impersonal and related to man's collective consciousness as the impending destruction is not confined to a particular individual. The poem emphasizes the fall of all lighthouses, the predominance of the winds and the impending advent of wholesale destruction. The poet himself helps in disambiguating the universal implications of his poem where he tells us that his purpose is "to invoke the great destinies" and that "profound poetry inevitably turns out to be charged with thought.It, in fact, glows with a special kind of heat and carries sensations more than the lyrical one does" (Al Breikan, 1992, 48). The sense of loneliness, the futile act of waiting, its impending darkness,

The topics of abandonment, loneliness, unnerving darkness and oblivion (typically existential leitmotif) are present in his equally significant poem, "Bereft." The poet here gives a sort of concord or correlation between the outside material world and the disordered emotional and psychological state of the speaker,

Where had I heard this wind before,
Change like this a deeper roar?
Holding open a restive door,
Looking downhill to a frothly shore.
Summer was past and day was past.
Somber clouds in the west were massed,
Something sinister in the tone
Told me my secret must be known;
Word I was in the home alone
Somehow must have gotten abroad,
Word I was in my life alone
Word I had no one left but God!

The recurrent repetition of the pronoun "I" shows not only the lyrical side of the poem but also that the speaking persona is actually the witness and commentator on the plight of man in Frost's poetic world. It is a sort of a divulging act, disclosing one's innermost secrets and burdens The speaker betrays here the fear of the unknown, others' tragic failure to provide him with emotional support which he direly needs as a defense against life's setbacks and ordeals. The poem elaborates a typical absurdist topic— the gnawing process of waiting for death with all its concomitant apprehensions and misgivings. Everything here bespeaks abandonment and helplessness— the wind that changes into "a roar"; the accumulating clouds and their subsequent 'somberness'; the pathetic failure to know what is going on--- all these are manifestations of man's insoluble predicament. Given the growing sense of unease and tension, it is logical to share Lionel Trilling's cogent judgment that "I think of Robert Frost as a terrifying poet." (Trilling,450). Indeed many of his poems substantiate Trilling's verdict since they are fully steeped in the human tragedy, fears, and reactions to irrational complexities of life.

AL Breikan, likewise, has been classified as an existentialist in that his poetry is mainly concerned with raising rather than answering questions pertaining to human existence. Indeed Al Breikan has rightly called himself the poet who "envisioned the greater human destinies" (Al Breikan,30), in that his poetry is concerned with impersonal and wide-ranging issues. This is not a mere critical speculation or hasty impression. It is engrained in the very roots of his poetic enterprise. Al Breikan does state his objectives unequivocally behind his

To be fair to Frost and do him justice, this extreme of skepticism is rare and often it is the by- product of some personal disasters and dissatisfactions which find their temporary expression in such bleak and volatile lines of verse. This blasphemous poem has its own counterpoise in the well-named poem, "Fear of God", where his tone runs in the opposite direction to what we find in the previous poem. Here he tells us, albeit in a half-serious way, about the need for piety and fear of God,

If you should rise from Nowhere up to Somewhere,
From being No one up to being Someone,
Be sure to keep repeating to yourself
You owe it to an arbitrary god,
Whose mercy to you rather than to others
Won't bear to critical examination.

The theme of fences, barriers, and failure to bridge the ever-widening gap between people engages an outstanding position in Frost's philosophy. In his successful lyric, "Mending Wall" (1914) (the date of publication is a watershed experience as it records World War I) the ostensibly neutral place in the poem (a wall or fence) is made to induce thoughts of separation and isolation among people and perhaps countries. Already we have seen his successful use of the theme of separateness and isolation in his "Fire and Ice" and "Out, Out-". In "Mending Wall", the factual and symbolic run hand in hand to give the poem its deserved richness and multifacetedness,

Something there is that does n't love a wall
That sends the frozen-ground_swell under it,
And spills the upper boulders in the sun;
And makes gaps even two can pass abreast.
The work of hunger is another thing.
I have come after them and made repair
When they have left not one stone on a stone
But they could have the rabbit out of hiding,
To please the yelping dogs.

Simple and straightforward as it is, the poet's diction here is sprinkled with many connotations and references to man's yearning to throw overboard all the man-made barriers and obstacles in his path. This prophetic and anticipatory vision materializes in the aftermath of World War II where the Berlin wall has remained a stigmatic emblem of the atrocities and crushing of all human aspirations of one indivisible world. Of course, the poet talks about a local issue in one of the farms of his native New England community, but further readings are not only possible but inevitable for a highly suggestive poem like this one.

expectation and actuality, fancy and fact, the subjective and objective. The poet, we are told,

Opens the window for hope, wind
And the odor of the earth.
From which rushes the hubbub of the world.
He closes it forever
As a coffin is closed once and for all.

نافذة الشاعر
يفتحها للنور والريح وعطر الارض
يهاجم منها صخب العالم
يغلقها كأنما لاخر الزمان
ومثلما ينغلق تابوت الى الابد

Instead of the lovely and beautiful expectations, the poet encounters only disillusionment and humdrum reality. Monotony, pain and dreary reality are what we come across when we read Al Breikan's poetry.

III: Thematically speaking, the two poets have many points in common as we have seen in the examples already given. They share a common concern with the universal and endow the provincial or local with a cosmopolitan touch. Their emphasis is laid on the ontological void enveloping human life. The final vision their poetry evokes is the impasse or predicament lurking in man's way. Frost himself is quite conscious of this bitter fact when he tells us in his "The Constant Symbol" (the introductory essay to the American Library edition of his poems) that "Every poem is an epitome of the great predicament; a figure of the will braving alien entanglements" (1964, 45). The underlying philosophy informing all his poems is the existential vacuum where meaning becomes questionable and subject to much hairsplitting while arbitrary chance is the only predominant element. Indeed, he has talked about the impenetrable maze of life and the ways that have been enforced on the individual. Above all he has referred to choices that are basically random and illogical. In his unmistakable existential, if not skeptic poem altogether, "Trial by Existence", Frost tells us that it is futile to look for, expect or verify an explanation for the human ordeal,

I turned to speak to God
About the world's despairs;
But to make the matter worse
I found God was n't there.

الطيور تهاجر في غير اوقاتها
الصقور تحدق ساكنة
صفحة الموج مغبرة
السواحل مقفرة
وهياكل من سفن غابرة
طمرتها الرمال
الصحارى المشعه تغلق دائرة الافق
والشمس تهبط محمرة
والرعود الخفية
بين الغيوم تدمدم نائيه كوحوش

Birds migrate at inconvenient times,
Falcons keep on gazing silently.
Beaches are deserted
And the frameworks of old ships are
Buried in the sands.
The sunny deserts block the horizon,
The sun rays fall reddened
The muffled thunders buried in the clouds
Growl afar like beasts.

In this series of shots, the visual and even cinematic elements of Al Breikan's macabre images are vividly evoked to give a final and powerful image of man's predicament and the unpredictable forces jeopardizing his very existence.

In the examples already quoted it is quite evident that Al Breikan is also an environmentalist in that he draws our attention to the natural and man-made devastation taking place in nature and the continuous erosion inflicted upon it. The prophetic side of his vision can only be appreciated by the Twenty-First century where the serious cries about the decay of our planet are audibly heard and taken seriously.

In one of his very short poems, "Nafitha al sha'ir" (The Poet's Window), once again the poet achieves a kind of integration and synthesis between the expressive language of the poem and its universal content. The duality between the peace of mind sought by the poet contrasts vividly with the din and anarchy of the intimidating world. There is always this ever-widening rift between

the ape himself is part and parcel of that agrarian world. His displacement or banishment from his natural domain or Eden is enforced by man for selfish and pragmatic purposes. This impersonal account of the painful journey persists till the last stanza, where the poet allows himself to intrude and air his last awesome verdict,

The ape's journey looks as if it were
An endless, magical thing.
He gazes at the surroundings,
All he can do is
To gape.
The ape dose not know anything about the lab,
The equipment room;
The microscopes, the bloody scalpel
Where experiment samples are made of
His round, white brain.

رحلة القرد تبدو كشئ من السحر
لا تنتهي
انه يتفحص ما حوله
كل ما يستطيع
ان يحدق
لا يعرف القرد شيئا عن المختبر
غرفة الأجهزة
والمبضع الدموي
حيث تصنع من مخه الابيض
المستدير عينات التجارب

The onslaught against man's brutality and selfishness is self-evident here. The dualities of the rational/ irrational, natural/scientific, persecutor/victim are starkly brought to the foreground.

In his "Al tasahur" (Desertification), the poet does not have in mind the natural phenomenon of desertification. Rather, he is preoccupied with a spiritual malady that strikes human beings and all sorts of life indiscriminately. It is the ravages that are inflicted on the natural world that eventually render a kind of correlative to the human disaster. Al Berikan feels unbound to follow the law of cause and effect. What matters is the here and now. He does not specify the real reasons and symptoms of this uncommon ecological catastrophe. But its suggestive power substantiates the fearful impact of this poem. Obviously the desertification strikes indiscriminately both fauna and flora,

and humiliation, power and enforced weakening, natural scenery and the city, man and animal are points to be considered here and they are central as they have been in Frost's poem.

If the outdoor activities are one of the leitmotifs in Frost's poetry, they are an underlying principle in Al Breikan's poetry as his concern is laid on the potentiality of the text to generate meanings and suggestions. The aforementioned poems are good examples of this tendency in Frost's poetry. A further example of this is "Rihla al qird" (The Ape's Journey) (1979), where the dualities of the human and the inhuman, instinctive and man-made, scientific and natural are fully unfurled. Here the subject is how science is bent on developing its projects and plans at the expense of the misery and terrible sufferings of the mute animals. The contrasts between the sinister factory and the open and vast countryside are key images here. Interestingly, all the details of the situation are presented from the viewpoint of the bewildered and half-conscious animal,

رحلة القرد

تنطلق الشاحنه في الطريق الذي
يتلوى ولا ينتهي وهي تهتز
يضطرب القرد
لكنه يستعيد الهدوء
ويواصل تحديقه
المزارع خضراء صفراء غبراء
تحت ضياء النهار
النخيل، الصخور، النساء، الصغار
البيوت، القبور، التلال، الوهاد
القرى، المدن

The rattling truck moves in the winding and never-ending road,
The ape gets confused.
But soon he regains his peace
And carries on gaping.
The farms are green, yellow, dusty,
Under daylight.
The date palms, stones, women, children,
The houses, graves, hills, vales,
Villages, towns.

This panoramic scene of the countryside as the truck moves carrying the ape accentuates the contrasts between the mechanical world and the agrarian one as

....
Or if he rests from scientific tread,
'tis only to sit back and sway his head.

This an excellent example of Frost's interest in making the world of animals comment and actually juxtapose with that of human beings who smart under destabilizing worries and inflictions. As the New Critic, Yuvor Winters, observes, the poem shows that "the uncaged bear is a creature of free impulse;and is compared by implication to man as he would be were he guided by impulse; and the caged bear is compared to rational man as he is" (Cox,65). Al Breikan's "Al asad fi al sirk" (The Lion in the Circus) draws upon the contrast between his current situation and the dreaming of the dark ghosts of the jungle, his real indigenous and inalienable habitat. Also, man appears in the poem as the merciless persecutor of the emasculated lion, abusing him for certain utilitarian and selfish intents,

المهرج يغفو بلا اقنعه
الاسد هادئ في القفص
تتوازى ظلال الحديد على جسمه
يتخايل بين الظلال
شبحا غامضا لأله القبائل
وجها مضيئا لليل الطبول
ملكا للسهوب وللغابه الصامته
يتحسس موت مخالبه
وتفتت انيابه
ويحدق متحدا بالظلام

The clown is already drowsy without masks
The lion is quiet in the cage
The shadows of the steel parallel on his body,
He looks proudly among the shadows
A vague ghost of the chief of the tribes,
A bright face of the drum nights
A king of the plains and silent forest
He senses the death of his claws
The decay of his pangs
And gazes and gets identified with darkness.

The dazzling lights of the circus are contrasted with the darkness of the forest, which is the lion's native land from which he has been displaced because of the greed and expediency of man. Life and death, present and past, dignity

To the dark and lament.
But no, I was out for stars;
I could not come in.
I mean not even if I asked,
And I had n't been.

It is worthwhile to note that the dualities of place and color sensation are present here—outside, inside, dark, light, and invitation, withholding. The final impression the poem gives is that of "loneliness and desolation" (Thorp, 43), even though the virtual situation in the poem is simply a bird's song. The darkness of the forest and the siren-like music of the bird trigger many associations in the reader's mind about the danger or threat lurking within and disguised in the seemingly beautiful song. It is a contrast between the conscious and unconscious, the innocent and the dismantling.

A further example supporting the poet's use of natural and pastoral elements to express human and universal topics is "The Bear". Indeed the idea of the caged bear will be felt in Al Breikan's circus lion that has been decapacitated and stripped of any fierceness and power. Frost's "The Bear", has the advantage of bringing the reader to the realization that in the natural world there is a hidden and deep philosophy that human beings, preoccupied by daily and scientific enterprises, often fail to appreciate and abide by. Frost elaborates the duality of nature/culture relation through the scrutiny of the life and daily routine of the bear in comparison with man's mechanical and seemingly indifferent and rational world,

The bear puts both arms around the tree above her,
And draws it down as if it were a lover.
And its choke cherries lips to kiss good-bye,
Then lets it snap back upright in the sky.
Her next step rocks a boulder on the wall.
………………………………………..
Leaving on one wire tooth a lock of hair.
Such is the uncaged progress of the bear.
The world has room to make a bear feel free;
The universe seems cramped to you and me.
Man acts like the poor bear in a cage
That all day fights a nervous inward rage.
His mood rejects all his mind suggests.
The toe-nail click and shuffle of his feet,
The telescope at the end of his beat,
And at the other end the microscope,
Two instruments of nearly equal hope

In the other poem "Fire and Ice", the topic of geology and apocalypses is pivotal. Here the poet speculates about the end of life and man, whether the destruction will be caused by natural catastrophe or by man's inherent moral weakness. His conclusion prioritizes the second,

Some say the world will end in fire
Some say in ice
From what I've tasted of desire
I hold with those who favor fire.
But if it had to perish twice
I think I know enough of hate
To say that for destruction ice
Is also great and would suffice.

The poet's masterstroke is felt when the reader realizes that these two natural elements (fire and ice) are in fact fraught with human implications. Indeed "fire" in the Frostian terminology could refer to the genial and warm intimacy while "ice" is suggestive of spleen and indifference. To be sure, this is the climax of another poem "Out, Out_" typifying the lack of warmth in human relationships. As indicated by its very title, nothing is interiorized and things remain on the external level "out", physically and spiritually. A boy in the countryside saws wood and suddenly cuts his hand All hopes pinned on the doctor's arrival prove to be of no avail. Frost's description is laconic and suggests, more than it states, the ever-increasing chasm separating human beings from each other,

But the hand was gone already
The doctor put him in the dark of the ether,
He lay and puffed his lips and with his breath.
And then the watcher at his pulse took fright,
Little_ less_ nothing!_ and that ended it.
…………………… …..
And they, since they
Were not the one dead, turned for their affairs.(my italics)

Man's misery, as suggested by Frost, does not stem from his being subject to unpredictable and gratuitous chances only, but what aggravates his pain is the growing wall of carelessness and ego-centric disposition.

In "Thrush Music", the theme of human desolation is associated with natural elements, this time a song of a thrush,

Far in the Pillared dark
Thrush music went—
Almost like a call to come in

author allows himself to intervene and comment on the thematic implications of his verse. By careful use of the word and locating it in the proper context, Al Breikan has the merit of making the common appear uncommon, if we may borrow the doctrine of the Russian Formalists of "defamiliarization". In similar terms, Frost has already argued about the necessity of seeing the same material from a new and innovative angle,

> The artist must value himself as he snatches a thing from some previous order of time and space into a new order with not so much as a ligature clinging to it of the old place where it was organic (Frost,1964,viii).

All this will become clear as we turn to the theme of man-nature duality which is central in the poetry of both poets. Indeed it is the quintessence of the following section.

II: On the whole, Frost's poetry is often classified as pastoral. It is tinged with romantic streaks in its recurrent emphasis on the natural elements and their implications. Frost himself refuses this labeling of his poetry. He is quoted to be saying that he is not 'a nature poet'. Rather he prefers the term 'environmentalist' (Cox, 105). This point is worth-quoting in some detail as Frost's use of the natural objects serves a further and even a manifold function. Nature here is not celebrated for its aesthetics or healing effects as, say, in the poems of Wordsworth and Shelley. Frost is quite aware that he is addressing a specific sensibility of readers that have been preoccupied with the nagging questions of survival, hard living conditions and formidable challenges. The natural world as viewed by Frost serves as a kind of fulcrum, and objective correlative of the world at large. Nature in Frost's poetry is made to comment on and intensify the human condition, or to quote Rubin's phrase, "drawing the human condition from nature" (Rubin,37). In other words, the natural scenery has a thematic level: a deepening or heightening of man's consciousness before both interior and exterior threats and challenges. Examples abound here. Suffices it to cull some typical pieces where the duality of the natural/nurtured, inner/outer, solitude/intimacy, physical/ spiritual informs its fabric.His own predilections are, as expected, pro what is natural and impulsive. In "But Outer Space", he crystallizes this expressly in a very short but suggestive stanza,

> But Outer Space
> At least this far,
> For all of the fuss
> Of the populace.
> Stays more popular Than populace.

case, there is a striking absence of myths and far-fetched metaphors and outlandish references to names, figures, myths and religious suggestions boosted by the translation of Eliot and his followers of imagistic writings. In contrast, his diction is direct, simple but lucid and rich when taken in its wider poetic context. In one of his poems, Al Breikan tells the reader of the necessity of looking at life afresh, sensing the beauty and charm inherent in the most common things,

أجمل ما في العالم
مشهده العابر
ومباهجه الصغرى
طوبى لك
ان كنت بسيط القلب
فستفهم مجد الارض
سحر الاشياء المألوفه
ايقاع الدأب اليومي
وجمال أواصر لا تبقى
وسعادة ما هو زائل!

The most beautiful thing in the world is its fleeting scene.
And little joys.
Beautitude to you,
If you are goodhearted
You will realize the glory of the earth,
The magic of common things
The rhythm of daily wont,
The beauty of short-termed ties,
The pleasure of what is evanescent!

On the face of it, the poem is a plea for appreciating, enjoying, and seizing the passing lovely moment before it is wasted. We notice that the tone is a pensive one as the plea is provisional and in fact it is hard to attain since people's views always tend to all that is inaccessible and unapproachable. If Frost has stressed the double function of poetry in pleasure and enlightenment, it is most evident in this representative stanza which inescapably loses much of its charm in the act of translation.

Along with the terseness of diction, Al Breikan has a similar interest in the narrative type of poetry. There is a huge amount of repetition of scenes, events, objects, doublings, and dramatic monologues which will become evident as we approach the following section of his relation with nature. From time to time the

and its saltiness. The alliteration is too self-evident to require further clarification,

> Stars, I have seen them fall
> But when they drop and die.
> No star is lost at all.
> From all the star-sown sky
> The toil of an ant that
> Helps not her primal fault.
> It rains in the sea
> And still the sea is salt.

Apart from the natural elements which turn in Frost's poetry in to suggestive symbols such "space", "stars", "snow", "tress", "streams "..etc., the poet is also interested in making seemingly neutral objects like "house" or "farm" symbolize a whole society or even a whole culture (Tilak,63).

What kind of style Frost has followed? Obviously Frost is not content with Buffon's assertion that has style is the man himself. He has worked out his style from pragmatic and actual needs necessitated by the requirements of the poem and its particular world. Style in poetry or prose, according to Frost," is that which indicates how the writer takes himself and what he is saying" (Thompson, xiii). This simple but practical and independent understanding of style does not appeal to those critics whose yardsticks are the aesthetics of the poem, not its subject matter or even the intentions of its creator, since all these are fallacies, both" intentional "and "affective".

As already suggested in the previous pages, part of Frost's dismay is the invariably cool judgment of his verse. Hence James Cox's labeling him in a paradoxical way "He seemed untouched by the drift of poetry. Though it is impossible to speak of him as anything other than a modern, it is difficult to place him in the main current of poetry (Cox,4). So the modernity of Frost's poetry is temporal rather than technical, as his critics have kept reiterating, since Frost has always been adamant regarding his artistic choices which he has not been ready to give any concessions about. Modernism in the sense prescribed by its practitioners and theorists like Pound, Eliot, and Yeats, is alien and unacceptable to Frost, the man and artist. His poetry in mainly lyrical, idyllic,and more or less romantic.

This particularity in Frost' line of verse is what we come across when we study Al Breikan's poetry. In the forties of the twentieth century, most poets of his generation were encouraged to emulate and have that cross-fertilizing between the Arab tradition and western use of mythology put in vogue after the publication of Jabra's translation of *The Golden Bough* (1954). In Al Breikan's

They are dragged to the withered bracken of the load
And they seem not to break, though once they are bowed
So low for long, they never right themselves.

Frost is not content with this implicit comparison with human beings; he refers directly to the connotations of the whole situation,

Girls on hands and knees that throw their hair
Before them over their heads.

Indeed the poem suggests that the "ice" here that topples the surface of the branches temporarily is a reference to the erotic act since the whole poem celebrates the act of 'subduing' and 'conquering' the birches. This is a roundabout way of saying that the poem is about enticing girls to sexual activity.

The dramatic dialogue is a key element in Frost's poetic technique. It is an unusual dialogue as the two participants involved are the poet himself and the natural or physical objects surrounding him and forcing him to raise questions which he does not expect to find answers for. This is the main thrust of his technique, as the critic Harold H. Watts forcibly argues (Cox,105), but it is apt to remember that this technique is in fact a monologue as the addressee is Frost himself as seen in his culminating line of "The Oven Bird" (1916).The American warbler that builds a dome-shaped nest on the oven can only drive the poet to raise many questions not only about the bird but also about man in general,

There is a singer everyone has heard
Loud, a mid-summer and amid-wood bird,
Who makes the solid tress trunks sound again.

This striking vitality will suffer from entropy as the season changes and the weakness and inertia it inevitably brings,

And come that other fall we name the fall.
He says the highway dust is over all.
The bird would cease and be as other birds.
But he that knows in singing not to say.
The question that he frames is but words
Is what to make of a diminished thing?

The concluding statement is marked by the brilliant and moving technical and stylistic innovation which the critic Frank Lentricchia identifies as a mark of distinction "Frost began to probe the power of his redemptive imagination" (Lentricchia, 107).

In "Out Far Nor in Deep" one can easily notice the use of juxtaposition between opposite views: the stars' fall and their renewed life; raining in the sea

> There is no single law binding writers. They are different in objectives and outputs. Some are content with publishing their works in journals and newspapers or transmitting them through broadcasting stations. They float on the daily march of events and address the common taste and seek fleeting renown and false personal success. However, there are others who aspire to to have special achievements and produce significant works of art. Some maintain their integrity and,consequently, it is natural that they keep away from the chorus in art and literature. They are preoccupied with life and creativity and they intend to serve the cause of man in the way they deem fit. It is natural that the writer writes to be read, but he has the full right to select the manner of his commitment (Abdul Latif, 112).

Obviously, this is Al Breikan's last- ditch defence against the ceaseless process of vulgarizing and trading upon poetry for material and utilitarian purposes. As Frost suggests elsewhere, this striking conception of poetry represents a "momentary stay against confusion", and the "confusion" referred to is anything that plays havoc in the creative writing and its integrity.

Technically speaking, the two poets have some common points in presenting their material. It is quite obvious in any poem selected from Frost or Al Breikan that the dominant tone is narrative. The accumulation of details and the succession of shots are skillfully manipulated so that the ancillary meanings can be generated. Of all his poems, Frost's "Birches" (1916) is exceptional in its brilliant mingling between "the visual and the auditory senses" (Beach,19).The factual and symbolic planes of the poem interlock in a superb way. Also the elements of oppositions, paradoxes, doubling and juxtaposition are present in the first stanza,

> When I see birches bend left and right
> Across the lines of straighter darker trees,
> I like to think some boy's been swinging them.
> But swinging does n't bend them to stay
> As ice-storms do. Often you must have seen them
> Loaded with ice a sunny winter morning
> After a rain. They click upon themselves
> As the breeze rises, and turn many-colored
> As the stir cracks, and cracks their enamel.

The individual-nature relationship is central here, and it is the evanescence of things that receives much emphasis. The surface meaning of the poem is the assault of winter ice storms on the birches that have to put up with this weight till the moment of release. The implicit similes and extended metaphors show that birches are compared to girls in the sexual act. He describes it as follows,

He insists on a synthesis between form and content as he finds that "Art strips life to form". His dictum about this organic relation between these two elements is epitomized in the statement that "Poetry often makes you remember what you don't know you knew" (Frost,1964, vi). This positive aspect of Frost's concept of poetry is of prime significance, since it acts as a springboard for his line of poetry which he has maintained throughout his long career. It is also the direct cause of his clash and resentment against the formalistic critics of his age. Therefore, his poetry is not simply an act of self-indulgence or an individualistic game. The social commitment of poetry is a point at work in Frost's understanding of literature in general. Again the other extreme of this sociological conception of poetry is to be avoided as Frost asserts, since the sloganizing or propaganda is a sort of anathema he is always against "A poem is not didactic, but provides an immediate experience which begins in delight and ends in wisdom." (Frost, 1964,vi). Its final message is that it "provides a momentary stay against confusion" (Cox, 21).

Such laudable views of poetry and its constructive and sustaining role in the life of the individual and community as a whole are felt in Al Breikan's view of what poetry is and what it addresses. Actually this is a recurrent and invariable principle in his thinking. Improvising a memorable and influential speech on the sixth anniversary of the death of Badr Shakir Assayyab (1926-1964) under the heading "Some Views about the Ordeal of Poets", Al Breikan elaborates his own understanding of poetry and its sacrifices. The split he raises here is actually universal as he talks about the Scylla of the allurements of the word and the Charybdis of the challenges of the actual world. In that speech, Al Breikan projects some of his own agonies on the writer in question since he admits that,

المرور بالشعر ليس عاده من العادات، انه اكتشاف يغير، او هو استضاءه بشراره تضئ حدود الأبد.

> Passing by poetry is not merely a habit. Rather it is a discovery that radically changes the individual, an epiphany, a spark that lights the boundaries of eternity (Abdul Emir, 32).

Between the light of poetry and the darkness of the actual world, Al Breikan seems to be oscillating for a long time and the resolution comes in the last twenty years or so of his career when he devoted all his time and energy to writing poetry. He excluded all other worldly affairs and temptations from his primary interest. In an interview with the Kuwaiti literary journal, *Al Bayan* (1969), he spells out his views of poetry which do not veer very much from those of Frost's,

"lisible" type, specified by Roland Barthes, in its capacity to render more than one meaning concurrently (Culler, 32). Frost has continuously held a firm idea about the balance or synthesis between the social and aesthetic sides of the poem,

> Poetry is the renewal of words forever and ever. Poetry is that by which we live forever and ever unjaded. Even the poetry of the trade names gives the lie to the inoriginal who would drag us down in their own powerlessness to originate (Frost,1995,775).

As in the case of other visionaries like Blake or Yeats, Frost finds that poetry is simply a passing glimpse at the mystery enveloping man's situation in this world. He sums up this matter in the following one-stanza poem, "A Blue Ribbon at Amesburry"

> The lowly pen is yet a hold
> Against the dark and wind and cold
> To give a prospect to a plan
> And warrant prudence in man.

Indeed this is a laconic epitome of both the personal and impersonal tasks of the act of writing. The poet is there to inspire wisdom and stamina in man in his daily encounters and clashes with a hostile and baffling environment. The poet, seen from this vantage point, is a "sort of mystique manqué", an aborted or frustrated mystic. This ambiguous role of the poet is elaborated by the Abbe Bermond. The mystic, we learn, beholds "the ineffable vision as it lures him over the thresholds of silence, whereas the poet takes a quick peele and scurries back while there is still time to tell about what he has glimpsed" (Nemerov, 150). In fact there are many visionary poems written by both poets where the profound implications are skillfully dovetailed with the explicit levels. Hence the richness and plurality of meanings characterizing their poetry.

As in the case of his romantic predecessors, Frost cherishes a semi-romantic idea of poetry. Poetry, as perceived by Frost, is not simply a voluntary act of will or choice; rather it is an irresistible drive that forces itself in a verbal articulation. This Jungian perception of poetry dose not rule out the role of the reader as an ancillary agent in the creative process. As he puts it,

> A poem begins with a lump in the throat, a homesickness, or a lovesickness. It is a reaching-out toward expression; an effort to find fulfillment. My definition of poetry is that this formal fusion of distant elements shall achieve the personal idiom of the poet's expression without sacrificing that happy correspondence which must exist between his own experience and the experience of those who came often to read or hear the poem (Frost, 1929,1).

that Al Breikan is a major figure in the Arabic poetic scene whose achievement is considerable and memorable. Moreover, his own poetic texts and views are successful enough to extract the credit they rightly deserve, without the intercession or promotion of their author. They are self-propelled, thanks to Al Beikan's painstaking efforts of revising, deleting, polishing and long periods of incubation.

Al Breikan has always been intent upon keeping away from the maddening crowd that leaves a damaging effect on the freshness of his artistry. More important, however, is the obsession or, if you will, the neurotic or morbid complex that prevents the poet from displaying the fruits of his imagination lest they lose their distinction and uniqueness. No matter how valid or invalid these claims and assumptions may be, the fact remains that he has written a lot and of the same quality of the pioneering leaders of Arab poetic modernism, but because of this side in his character he has not won the position he rightly deserves in the evolution of the poetic movement. Al Breikan, after all, is a key figure in the attempts to write a new type of poetry whose interest focuses on nothing but man and his ordeals in this world. Obviously, publicity or lack of publicity, as in the case of the latter, has its own merits and demerits in the type of poetry written and the expectations held about it as will be shown in following.

Leaving aside these worries and fears about both personal and impersonal destinies, both poets share an equally powerful faith in the social role assigned to poetry. Both are involved in a serious enterprise of making poetry an accessible means of pleasure and enlightenment. Indeed they are socially committed in the sense defined by Sartre in his renowned book; *What is Literature* (1948). Their concern is essentially human. They are known for their outright rejection of any denaturing or dehumanizing force in the face of man. Frost cherished a clear-cut conception of poetry and what is expected of it to do. This view runs counter to the formalists and their famous doctrine of the poem which "should not mean but be". In Frost's poetic practices and arguments, the poem appears to be a direct and straightforward message whose meaning is not hard to decipher. In his essay, "The Constant Symbol", he offers a rule of thumb by which we may judge his poetry or that of others, "Every poem is an epitome of the great predicament; a figure of the will braving alien entanglements" (Thorp, 45). The most important factor which Frost has emphasized is "the ulteriority" of the poem. Moreover, the overt and covert meanings and levels are there as well and it is left for the discerning reader to infer or bestow upon the poem this meaning or that. Frost gives here the impetus for poets like Al Breikan to write a poem that has a basic social role and other underlying meanings to be inferred. In other words, Frost's poetry, in addition to Al Breikan's, belongs to the "readerly" or

(Gawinn, 24). The irony is that for all the prestige and honor conferred upon him, Frost remains "an outsider" (Waggoner, 128), concerning the duality of his own literary predilections (writing simple and unadorned poetic statements) and what critics have expected or wanted him to do. Given these factors, poetry, in Frost's case, is a sort of relief or a means of assuaging his turbulent moments of self-deprecation and restlessness. These states of unease and dismay are felt in many of his poems where he tackles a variety of topics, not least of which are his apprehensions towards religious faith.

The Iraqi poet's career is no less controversial and problematic. Indeed it is subject to much hearsay,especially as Al Breikan† has done his utmost best to resort to a strict routine of self-enclosed activities and keeping a low profile regarding publicity.

Indeed this particular side of Al Breikan is an ancillary and even indispensable element in the controversy about his poetic achievement. All the efforts that have been exerted to figure out the reasons behind this unusual phenomenon in literary life have been only partially successful. One psychological theory, among a host of assumptions and guessing, is his personal idiosyncrasy, the peculiar disposition of doubting and fearing the public life and its heavy costs. It is his own austerity and great admiration of those poets whose personal life has been completely dissociated from their poetic practices, like the classic Abu Al Allaa Al Mia'arri (941-1027), the blind poet whom Al Breikan admires and perhaps identifies with for his great visionary view and gloomy and pessimistic concepts of life and human vanity. Indeed the visions of his allegorical text, *Risalat Al Gufran* (*The Epistle of Forgiveness*) swarm in Al Breikan's mind as a memorable text that deserves to be put in line with *The Divine Comedy* by Dante (1265-1321). In fact Al Breikan also has shown interest and consideration in Dante's journey to the other world, but with one striking difference: Al Breikan's woe-begone people stumble in their secular inferno and pathetically miss the guidance of a Virgil or, for that matter, Beatrice. They are entirely lost in a world they find lacking in equipoise and meaning. Another is the misgiving, the phobia of the mob and its subversive effects or encroachments on his meticulous poetic integrity. Despite this long solitude and infrequent appearance, withholding and publishing, Al Breikan has remained a key figure among his generation of poets who tried to give him his due in distinction and creativity. After his death, his entire achievement has been reevaluated and reconsidered. Many poets, critics, researchers and literary historians have given their testimonies, judgments and analyses of this poet, some of which are included in the present study. All this is an irrefutable token

† All the translations of the Arabic poems and essays are my own.

against particular "fallacies" such as the "intentional fallacy", "pathetic fallacy", and the "affective fallacy" which do not appeal to a poet like Frost. He does believe that meaning remains within the control of the poet. His overriding principle is that of freedom in choosing and arranging his material in the way he likes,

> All I would keep for myself is the freedom of my material—
> the condition of body and mind now and then to summons aptly
> from the vast chaos of all I have lived (Frost,1964,vii).

The inevitable result of all this is a growing sense of discontent and unease marking the relation between Frost and his critics, a point that will receive much attention in the following sections.

In contrast to all this, Al Breikan has deliberately and stoically lived in a self-imposed obscurity and avoided as much as possible the dazzling lights of publicity. From the very beginning Al Breikan has been preordained to a career of introspection and philosophical speculation of the human condition which will materialize in many memorable poetic pieces. This serious meditation about man's unhappy lot is a recurrent theme in his poetry.

A passing look at the works of these two poets, for all the striking differences in poetic caliber, structures, and particularity, betrays some common denominators between the two. Curiously enough, they share some aspects pertaining to their views of others and themselves, for all the striking differences already pointed out. This rings peculiar and surprising when we bear in mind that, on the face of it, Frost is a national figure in his own country, while Al Breikan is a sort of hermit devoting all his life and energy to the philosophical meditations and fruitful excavations of memory. The studies of Frost's experiences and works show that under the misleading facades of overwhelming popularity and success, there are layers of dark sides: a gnawing sense of self-doubt, phobia and discontent. For instance, his battle with the New Critics and their debilitating critical standards is a point at work in his eventual psychological reactions. Moreover, he has had his own dilemma concerning artistic integrity and the sacrifices it entails. The critic Lawrence Thompson elaborates this issue in Frost's life when he quotes some of his confessions. Frost is quoted to be admitting that he is "merely a selfish artist most of the time" (p.ix). The extrovert and positive sides of his character (his affirmations, encouragements, tendernesses, humor, wit, playfulness...etc.) conceal the other dark and even opposite of all these ("the periods of gloom, jealousy, obsessive resentments, sulking, nervous rages…partly because he lacked confidence in himself, he suspected the presence of enemies everywhere, and he frequently indulged his passion for hurting others" (p.ix). Such is the complexity of his psychological makeup that he has been called "an extremely complicated man"

paid much attention to the linguistic, stylistic and phonetic structures of their poems so that the reader is enabled to glean various meanings and interpretations, according to his own experiences and literary awareness.

What matters, however, is that Al Breikan's poetic sensibility finds its impetus in the experiments of English and world poets like Cavafy, Lorca, Eliot, Yeats and Frost. Another equally significant tributary to his world cultural view is his deep interest in Arab tradition. Here the comparison stops as Al Beikan represents a special case in mood, disposition, and attitudes in life. His continuous retreat and shunning all types of publicity are matters to be considered in any serious study of his poetry. In the last thirty years of his career, the editors of literary journals in Iraq exerted great efforts in convincing Al Breikan to put an end to his solitude, at least temporarily. The editorial board of *Al Aqlam* literary journal devoted a special issue to his poetry and reviews and judgments of his achievement (Vol.3-4,1993), *Asfar* literary journal (Vol.14, 1992), and the memorial issue of *Al Masala* literary journal, London (Vol.4, Sept., 2002). Apart from these, it is difficult to have an access to his other published writings or the drafts that have not been published and lost forever after his death. Despite the dearth of the material that enables the researcher to give a thorough picture of the man and his poetic caliber, it is evident through the views, judgments and analyses of scholars and fellow-writers that Al Breikan has occupied an important position in the poetic movement in Iraq and the Arab world. The significance of his poetry springs from the successful mingling between form and content: the content is profound, comprehensive, and universal. The poetic form tends to be simple, crystalline, and fascinating in its striking scenic repetitions, flashback, rhythms and 'the mirror technique where the structure is reflective or literal" (Muhsin,14). His interest in the poetics of the language and its suggestiveness is a factor at work in endowing his diction with its fine and irresistible effects.

Frost represents the polar opposition as he is a celebrity, a charismatic figure who has won the admiration of his readers in America and Britain. He has won four Pulitzer prizes and received a number of honorary degrees from the best universities in America. His reputation reached the climax when President John Kennedy invited him to recite some of his poetry at the Presidential Inauguration in 1963 (Cox,4). Even the United States Senate passed resolutions honoring his birthdays. So Frost enjoyed all the advantages of a successful public figure, respected and admired by all types of readers except many of those involved in the critical scène. Indeed Frost's interviews and judgments of the critics of his age show a great extent of misunderstanding and misconception between the two parties. His poetic bent is basically romantic, lyrical and narrative. The New Critics of the 1960's prescribed certain molds and warned

this lack of direct contact with Europeans and Americans through his fastidious study of world literature, whether in its original languages or through translations. In his influential study of the poetic achievements of the modern Arab poets, Professor Abdul Wahid Lulua states that in 1947, the Iraqi pioneering poet Nazik Al Malaika (1936-2007) published the translation of two poems from F.T.Palgrave (ed.), *The Golden Treasury of the Best Songs* (1861). This was the first time the Arab poets have been exposed to the new technical innovations and rhythms of the western poets (p.60). Jabra Ibrahim Jabra's translaton of Sir James Frazer 's *The Golden Bough* (1922) opened new vistas before the Arab poets as regards the manipulation of mythology in verse writing. Although AL Breikan's field of study is law, his competence in English was excellent both in speech and writing. Indeed it is no less adequate than that of Assayyab whose major was English. It is not certain, however, that the copy available at the Faculty of Education in 1947 includes Frost's poetry as it does in its centennial edition in 2002. Although there is no conclusive evidence about direct or indirect contacts between the two poets, Al Breikan's selection of topics, his general vision of man and the universe, and the narrative and formal characteristics of his poetry are sufficient to justify this comparative study. However, my personal contacts with the poet (he lived and died in Basra, Iraq) have convinced me that he was well-versed in music, and western thought as well as Arab literary tradition and philosophy. These elements will be felt in his poetry and his perspective of the world. As such, it is not surprising to learn that from the outset Al Breikan's poetry draws upon the symphonic structures, musical molds and their interrelations, as testified by one of his friends (Yassin, 26-7). Also it shows an advanced sense of awareness as regards the changes in the technical and stylistic aspects of European literature and thought.

In this regard it is worth recalling that Al Breikan, as in Frost's case, has remained loyal to the tradition and canon of his own culture, shunning as much as possible the tendencies to abstraction and deliberate mystification. Indeed both poets have capitalized on the direct, simple, and suggestive diction, which is one of the salient advantages of their poetry. In the poetry of both poets, there is an unmistakable lyrical touch and the poet's inner feelings and misgivings are expressly manifested. The points of comparison between them cover thematic and technical sides. One of these is the nature-culture relationship that engages a distinct position in their poetry. The thematic point lies in the emphasis of both poets on man's predicament and his helplessness before ruthless and crushing forces. Related to these is their interest in visionary worlds where the relation between man and metaphysical powers is deeply probed. Their poetry shows a keen perception of the unruly challenges of technology, wars, disasters and impending destruction. Both poets share a common concept of the nature of poetry and its role in life and society. In terms of form and style, both poets have

The Arab Journal For Arts Vol. 5 No. 2, 2008, pp. 27-59

The Poetic Space of Robert Frost and Mahmoud Al Breikan

Sabbar S. Sultan*

Abstract

The paper is an attempt to explore the parallels, similarities and contrasts between the poetic experience of the modern American poet, Robert Frost (1874-1963), and the contemporary Iraqi poet, Mahmoud Al Berikan (1931-2002).It consists of three sections. The first is an introduction exploring the different dimensions of Frost's poetic experience and its impact on Mahmoud Al Breikan's writings. The second is concerned with Frost's and Al Breikan's concepts of poetry and its role in life. It also covers the aesthetics of writing as practiced by the two. The final section, much the longest, tackles the common thematic points and the general view of man and the world in their poetry. The conclusion is a summary of the issues raised.

Initially, a reference has to be made about the concept of 'space' as used in the present study, since it is a key element in determining the procedure of dealing with the topics in question. 'Space' is a broad term that includes not only the literal meaning of place (which is crucial in the poetry of both Frost and Al Breikan), but also the poetic and visionary worlds their imaginative powers have sought to erect. The literal and metaphoric suggestions, then, are inherent in this term which fits the practices of both poets very well. As will be shown in the following pages, the two levels often interlock and it is not easy to find demarcation lines between them, since fact and fiction form the cornerstone of their poetic enterprises.

When the America poet Robert Frost died in 1963, the Iraqi modernist poet, Mahmoud Al Breikan was only thirty-two years old and had already published a number of poems and essays. No concrete and reliable evidence of any direct contact between the two men is available. In terms of disposition and idiosyncrasy, Al Breikan from the very start is known for his interest in privacy and keeping a low profile. He has not shown much interest in travelling to European countries like his friend and fellow-writer, Badr Shakir Assayyab (Britain) or Abdul Wahhab Al Bayyati (Spain).As a matter of fact, Al Breikan's travels have been confined to Syria and Kuwait. Actually he has compensated

* Al Isra University ,Amman, Jordan.

Table of Contents

Articles in English

Articles in Arabic

- One copy of the issue in which the manuscript is published well be sent free of charge to the sole or principal author of the published manuscript.

- Manuscripts should be addressed to:

Secretary General
The Society of Arab Universities Faculties of Arts
Editor – in –Chief
Association of Arab Universities Journal for Arts
Yarmouk University , Irbid , Jordan.
Tel . 00962 2 7211111
Fax. 00962 2 7211137
E-mail:saufa@yu.edu.jo
Website :http://saufa.yu.edu.jo

Documentation

References in the text are serially numbered between brackets ( ) .

References at the end of the article shall be as follows in case the source or reference work is a book:

The author's full name: source or reference work , part, number, publisher, place of publication , year, page(s).

e.g. Dayf, Shawqi : *The First Abbasid Period* ,Dar al- Maarif , Egypt,1966,.24.

In case where a periodical or a journal is consulted , referral thereto shall be as follows :

The author's full name, source or reference work, *name of periodical or journal*, volume number, year, page.

e.g. Sa'aydan , Ahmad Saleem :" On Arabicization of Sciences". *Jordanian Arabic Language Academy Journal*, Volume I .No 2 July 1978,p.101.

References should be listed in the bibliography at the end of the manuscript in alphabetical order of authors' surname, beginning with Arabic references, then foreign ones.

Subscription Information

Annual subscription rates in Jordan: individuals (JD 3.00), institutions (JD 5.00); outside Jordan: individuals (US $ 7.00), institutions (US $ 10.00) or equivalent.

Association of Arab Universities Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Association of Arab Universities Journal for Arts (*AARUJA*) is a biannual refereed academic journal published by the Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities members of the Association of Arab Universities.

Notes to Contributors

Language

AARUJA's Articles are published in Arabic together with their abstracts in English. Manuscript, however, may be published in any other printable language.

Rules Regulating the Journal

- Manuscripts should be submitted in Arabic together with an English abstract. However, submission in either English ,French, or any other printable foreign language, with an Arabic abstract, is subject to approval by the Editorial Board
- *AARUJA* publishes genuinely original articles characterized by clear academic methodology, comprehensiveness, and thorough investigation; where exact referencing is made to sources and reference works, and the article has not been previously published anywhere else. A specialized criticism or review of an academic work published in the Arab world or abroad as well as reports on specialized Arab or inter- national symposiums and conferences may be published. Manuscripts accepted for publication in *AARUJA* are approved for academic promotion
- *AARUJA* publishes academic articles in the fields of arts, languages, social and human sciences, social service, journalism and mass communication
- Manuscripts should be computer-typed and double spaced. Four copies are to be submitted together with a floppy disk congruent with IBM (Ms Word)
- Manuscripts including figures, drawings, tables and appendixes shall not exceed thirty pages
- Manuscripts submitted for publication in *AARUJA* shall be sent, if initially accepted, to at least two specialist referees, who are chosen with absolute confidentiality by the Editor –in –Chief
- *AARUJA* reserves its right to ask the author to omit, reformulate, or reword his/her manuscript or any part thereof in a manner that conforms to the publication policy
- Copyright pertinent to the manuscript accepted for publication shall be transferred to *AARUJA*.
- *AARUJA* does not pay remuneration for the articles published therein

Typesetting and Layout
Majdi Al-Shannaq

ISSN 1818-9849



Association of Arab Universities



The Society of Arab Universities
Faculties of Arts

Association of Arab Universities
Journal for Arts

A Biannual Refereed Academic Journal

Published by The Society of Arab Universities Faculties of Arts at Universities Members of AARU

Vol. 5 **No. 2** **1429/2008**